



جامعة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

إشكالية الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي

(بين الخيار القطري وحنمية الوحدة).

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية

تخصص دراسات مغربية.

تحت اشراف:

معداد:

أ. شارب محمد

بوزبرة محمد

لجنة المناقشة:

رئيسا

خداوي محمد

الاستاذ

مشرفا و مقرا

شاربي محمد

الاستاذ

عضوا

حادي عثمان

الاستاذ

عضوا

بن زايد أحمد

الاستاذ

2016/2015



جامعة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

إشكالية الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي

(بين الخيار القطري وحنمية الوحدة).

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية

تخصص دراسات مغربية.

تحت اشراف:

معداد:

أ. شاري محمد

بوزبرة محمد

لجنة المناقشة:

رئيسا

خداوي محمد

الاستاذ

مشرفا ومقرا

شاري محمد

الاستاذ

عضوا

حادي عثمان

الاستاذ

عضوا

بن زايد أحمد

الاستاذ

2016/2015

يقول الله سبحانه وتعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^ج وَمَنْ

يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^ق وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ البقرة 269

على الوطنية ان لا تعمي عيوننا عن رؤية الحقيقة، فالخطأ خطأ بغض النظر عن من صنعه او فعله .

مالكوم اكس .

الوحدة موجودة بين ابناء الشعب العربي ، وان الخلافات القائمة بين النظم والحكومات .

جمال عبد الناصر .

لا تزيد الديمقراطية عن كونها حكم الغوغاء حيث يمكن لواحد و خمسين في المائة من الشعب استلاب التسعة والاربعون في المائة الاخرين .

توماس جيفرسون

الإهداء..

اليكم جميعا.....

ولا لأحد.....

الشكر .

لا أعلم كيف اوجه لكم شكري وغبطتي وكامل امتناني لكما والدي الكريمين ولا اجد

الكلمات المناسبة هل يكون الشكر كافيا واليكم وافيا ؟ .

أتوجه بخالص الشكر الى الأستاذ السيد شاري محمد على جهده وحرصه في تقديم النصح و

الإرشاد والإتمام ، وفسحة صدره على التفهم وتقبل الأعذار الجسام.

والشكر موصول كذلك لأخي نورالدين للإعانة على العمل الثمينة واختي فاطمة على دعمها

المعنوي والمادي الذي لا اعلم ردي اليها كيف نوعه ، والى خليلي عبد القادر على الدعم

اللامتناهي دون مقابل ينتظر ودعوات الغيب وتقوية العزيمة انا مدين له بتقديم هاته المذكرة

على احسن وجه ورويه ، والى صديقي بن زاير محمد بأقواله التي لا اعلم ان كنت اهل لها

لكنني شعرت اني قادر على فعلها بان انجز هذا العمل .

والجميع من لم يسعني ذكرهم من عمال المكتبة وكل من اعانني شكرا لكم جميعا .

تم بحمد الله .

المقدمة.

موضوع الدراسة:

أن من بين تلك القضايا البديهية المتداولة على نطاق واسع في الفكر السياسي عموماً جملة المواضيع الداخلية المتباينة التشكيل التراتبي المفاهيمي الدولة / الدولة الحديثة / الدولة المدنية المعاصرة/ في انها نتاج لعاملين:

كرونولوجي تاريخاني تطوري (مشاعة، عبودية، اقطاع فيودالي ، برجوازية) وديالكتيكي معياري تكويني (صراع السلطين الزمانية والروحية، الحروب الدينية ، الثورات السياسية)، ويظهر ذلك جلياً من خلال الكينونة الدولتية في تجربة الجماعة البشرية كشكلية المدينة الدولة و الامبراطوريات و الامارات الى ماهية الدولة الوظيفية او دولة الرفاه الاجتماعي او دولة الحق و القانون التي ادت الى تغير الاجتماعي الجذري في الأنساق و البنى المؤسساتية الاجتماعية و علاقات الانتاج و تقسيم العمل و التقنية و تحولية عالم القيم و الاخلاق ، و هاته البديهية بعموميتها المفرطة تغفل حيثية التمايز العضوي و المنظوماتي بين الهياكل المجتمعية الأورو-انجليكانية و اختلاف تطورتها و نشوئها الجاهلي الزمكاني فدرجة التفاوت مبنية بصيغة تركيبية مخالفة اذ ان صعود المجتمعات المابعدكولونيالية وفر لها تجربة اولية لتبلور الوعي الدولي الحداثي (علمنة ، مجتمع مدني ، مواطنة) و بالإضافة الى ذلك الحالة الشعورية بالهوية الوطنية المكتسبة من خلال الفترة التحررية ضد المستعمر سواء اخذت في ناظمتها شكلاً جمهورياً او ملكياً او جماهيرياً ، و من نافل القول ان نظام الزمان (التراتبيات التاريخية) لهته الدول المستغربة يتفاوت بين سببياته و بنيته و خصوصيته و يحظى بحظوة لا بأس بها في الاختلاف الصارخ بين مركز يقدم خبرته الترسندالية و تابع مقهورة تحاول التكيف و اعادة الانتاج التنميطي للثابت امام المتغير.

لاشك في ان وجود دولا وطنية في المغرب العربي كمنطقة اقليمية كان نتيجة للتأثيرية و الاستكانة على الصعيدين التقني و الفكري بعد فترة التوسع العثماني و نشوئية الدولة المخزنية و الانغماسية الطويلة في انغلاقية الشكل و التقهقر نتيجة العلائقية المحففة بين البنية الاصل و الانتاج الغزوي المستنزف وفق منطق المعادلات التحويرية للإيكولوجيا الاجتماعية بين خطوط امتدادية و انساق مهمة هذا الدور التمهيدي للفترة الكولونيالية الحرجة و الصعبة للشخصية المغاربية ، ادت لتأطير الانتلجنسيا اما بتصدي او تبني و تزودت بقاعدة حركية وطنية تولت المشروع التحرري كبروليتاريا وطنية تكلفت ببناء الدولي و خلق الهوية القطرية المختلفة الأدلجة و المتمايزة المعايير الانية .

لا مشاحة في ان المباينة الحاصلة بين مركزية غربية تقديمية تحديثية و تراجعية مغاربية ذات الواقع الماضي , تعيد انتاج نفسها مضيا نحو حلقة مفرغة , احدثت هذه التموجات الحياثة الشيزوفرنيات الثنائية الحداثة /السلفية ، الاسلاموية/العلمنة ، القومية/الوطنية ، الوحدة/القطرية . ان هذه التوليفة الاخيرة لها اهمية في الوعي المغاربي فلقد تركز فيها المجال العام المغاربي بين تجاذبات تموقعية / تفوقعية و نكوصيه تاريخية دينية ، و حتى متطلبات اللحظة سيقت بمختلف الخطابات السلطوية ضمن اطار اللامعقولية و الارادة البرومثية لرأسمالية الدولة المحتوية للمجتمع و الضعف العضوي ازاء التجاذبات النيوكولونيالية و الصراعات المؤجلة المكبوتة البينية المتعاطمة بتجديدية الهويات القطرية و تشيئها على نحو صنمي مغلق مبنين كمخرجات لبنية فوقية تمضي نحو رغائبية وحدوية و شعور فوبياتي مضر من الوحدة الحتمية .

اهمية الدراسة:

شهدت الدراسات المعاصرة تطورات دراماتيكية عديدة صاغت منظورا جديدا دافعا للنزوع نحو التكل و الاقلمة لمجابهة التورات المهددة للقيم الداخلية الموجودة كالمكون الجمعي الاساسي للإقليم و التحديات المطروحة كلبية الحاجات الاقتصادية التواصلية الملحة , لعل هاته العوامل و غيرها كانت دافعا قويا لتوطيد الافكار الداعية للوحدة على حساب الانعزالية ، و لذلك فالمنحى الذي اتخذته الاتحاد الاوروبي صورة دقيقة عن مثالية التجاوز التاريخي للخصومة و تغليب منظومات المنافع و المصالح بالرغم من الضعف القيمي المعياري و التكوين البينذاتي لزام علينا العودة بالاهتمام لقضايا الوحدة و التعاون بين دول المغرب العربي ، صحيح ان العديد من الدراسات تحدثت بإسهاب عن الوحدة و العوائق و استشراف المستقبل حول المنطقة ، لكن موضوع الدولة الوطنية لقي اهتماما منفصلا كحيثية اساسية في مشروع الوحدة المغربية ، فقارعه الاهمال نتيجة الانسياق نحو الفكر الذاتى المنغلق و الفكر الغيري بدل التشخيص الذاتى و النقد الداخلى و البناء المرتكز على الاسس التي تجمع بين ما هو تراثى كقاعدة و ما هو حدائى كسايرة للحركة و الانسياب نحو التقدم ، لذلك فمحاولة الدراسة هاته كانت لاشك في نطاق تقديم ما يمكن تقديمه من صياغات تتجاوز مجموعة التصادمات التي تؤرق الفكر المغاربي و العربي العام بين ركام التداعيات الرجائية و الصياغة الانهدارية نتيجة لاغتراب الذات في صيغة الاخر .

اهداف الدراسة:

ان ابي دراسة قصدية البحث في الكشف عن الظواهر المبهمة و معرفتها او التوسع في التنقيب عنها و استيعابها يحمل بالضرورة مجمل الاهداف تبرز توجهها و منحها و يمكننا اختزال مجموعة الاهداف لهته الدراسة في ثلاثة اهداف اساسية :

- (1) محاولة اثراء النقاش الأكاديمي البناء المتطرق الى مفهومي الدولي و
الوحدوي على نحو عقلائي بعيدا عن فكر الينبغيات .
- (2) ضرورة ايجاد النموذج الجديد عبر تشخيص الازمة ، اي محاولة التكوين
النقدي لإصلاحها و تقديم البدائل الممكنة لتداولياتها .
- (3) العودة الى الاتاج في المحتوى الفكري السياسي و مجابهة التوجه الاستهلاكي
للبريديغمت الجاهزة ، كالمحاولات العقيمة لمطابقة وقائع مختلفة الزمان و المكان و الهوية و
الانتماء .

مبررات اختيار الموضوع: تنصهر مجموعة المبررات و الدوافع و الاسباب لتحكم الفعل و
السلوك الفردي مهما كان موضوعه ، و هنا في المجال الأكاديمي يمكننا القول ان هاته الدراسة
تمركزت حول سببين هاميين:

- (1) سبب ذاتي : و تعود الى تلك الدعوة الذاتية عن امل البدا في صياغة مشروع
نظري ، و يعمل هذا الشكل النظري كمخرج خصوصي على البناء الفعلي اوليا للدولة كأساس،
و الوحدة كفاية ، و يقوم على فلسفة جديدة تجمع بين مجموعة مكتسبات تراثية في الفكر
الاسلامي كتاج المدرسة المشائية او الخلدونية او افكار الاصلاحيين المتأخرين ، و لا تزلت
فنتاج الفكر الغربي من الافادة بما كان ، كمحتوى المدرسة النقدية ، كل ذلك اندفعت به الرغبة
لمحاولة تحطى الركود الحالي الذي يجوب الواقع الأكاديمي و الثقافي و السياسي و تحريك العقل
المستقبل المغربي و تشغيله بتوليد الافكار بدل المهضومية الفكرية الجاهزة .

و التخصص يولي الدراسات المناطقية القدر الأكبر من الدراسة ، فأهمية المنطقة العربية
تقع في نطاق الدوائر المنعكسة على اهتمامات التخصص ، اي محاولة الربط بين المكتسبات القبلية

و الدراسات الاثنية ، هاته التلازمي تدفعنا للمضي ابعده مما توقع لتنجلي بعض التشوهات بتوظيف المكتسب القبلي وكسر الروتين الاتجاعي العلمي و سد الحاجة في المكتبة لمحدودية البحث في الدولة الوطنية المعاصرة و علاقة القطر بالوحدة .

(2) سبب موضوعي: و تدور حول متكآت محددة تدخل في نطاقات الخلط المستديم لمجموعات مختلفة من الارتيايات كونت العجز الابستيمي في المنظومة المغاربية لتبسط على كمن تالية :

✓ خلط مفاهيمي: و يرتبط بجرمة الترجمة المجحفة الغير منصفة التي تقدم لنا معان اصطلاحية بعيدة الدقة كالربط بين الدولة القومية و الدولة الوطنية Nation-State، او الخلط بين مفهوم النفعية و البراغماتية و على اثر هذا يعتمد في التحليل على وضع هذه المفاهيم الغير الدقيقة التي تدفعنا للتحليل بأدوات منهجية لا تقدم المرتضى المطلوب . او المحاولات المفاهيمية المبنية على تأريخ المنطلق بأحداث غير واضحة النهاية او البدا او تمثل حدثا جمعيا اي مجموعة من الاحداث المترابطة الغير زمانية ككل يطلق عليها سمة معينة لكن لا تجوز الاعتمادية عليها كنسق بنائي مفاهيمي و تقصد مجملا عبارات الواردة في ان المفاهيم تغيرت بعد الحرب الباردة و سقوط الاتحاد السوفياتي و هاته المقولة متداولة على نطاق واسع و معتمد و لان نجد فيها وضوحا تعيينا متى انتهت الحرب الباردة ؟ هل بسقوط جدار برلين ؟ ام بصعود المد التروسكي ؟ ام بالاتفاضات البيضاء في اوروبا الشرقية ؟ لا احد يمكنه الجزم او الموافقة و هاته الاختلافات تبين في التحليلات البعدية اي نتاجات الدراسات المعتمدة على هاته المقولات ، ان هاته المحاولة تبنى على سوء تقدير اذ ان من الموجب تحديد فترة السقوط مما قد يجعلنا نختلف في فترة التحديد و كذا انه لم تتغير المفاهيم بل تغير اتجاه الأدلجة من ثنائية دياكتيكية الى قطب يتنج الأدلجة المفاهيمية و يسوقها . فالمعنى الرخو للسيادة كان يعتمد قبل

الحرب الباردة واثائها وبعدها او مفاهيم الامن وابعاده كانت كذلك متعددة في فترات الحروب الكونية الاولى والثانية والثالثة (الباردة)، و النكبة الفكرية الاخرى الاعتقاد باختزالية الأفكار في منظور واحد كما هو الحال حول المنظور الاسلامي هذا ما يولد الأدلجة من جهة و النزاع من جهة اخرى اي نعي ان ليس هناك منظور = اتجاه بل هناك مناظير عادة لم تكن تجمع و صراعية فرية في احيان متقدمة كما هو الحال بين النظامية او الثابتة او السلفية و التيارات العقلانية الغير راديكالية كالمعتزلة و المثالية الانعزالية كالصوفية. ان الانتاج الفكري في أي ميدان او مجال أو هوية معينة يبنى اختلافات و اسهاب واسع في الأفكار مما يسقط مقولة المفهمة على اساس التحقيب كما هو الحال في ما بعد الحرب الباردة و كذا البوتقة بصفة النفسانية حمائية كما هو الحال في المعتقد المنظوري الاسلامي .

✓ **خلط تفكيكي:** و ينطبق هذا على محاولة الوصل بين نمطية الدولة في المغرب العربي و الصاقها بأنماط اخرى كالمشرقية العربية او الافريقية او دول العالم الثالث و صحيح ان هناك تشابه ظاهري ، كالربيع أو شخصنة السلطة أو التبعية و كذا التاريخ الكولونيالي و لكن تثلثية السيكو-سوسيو-ايكولوجيا للفرد و الجماعة في المغرب العربي تختلف و عوامل التشكل و الانحلال تختلف هي الاخرى، و لدى هذا يسقط عملية التحليل التي تبنى على قاعدة جمعيو و ينادي بضرورة الانطلاق من عالم معاش و خصوصي غير مبنى على تحاليل مسبقة او معتقدات مبهمه او مستوى إيديولوجي معين .

✓ **خلط تكويني:** و تقصد بالخلط التكويني مجمل الخلاصة التي قد تقود اليها الدراسات أو معطيات البحث عموما، و ان بنيت على مجال معيشي أو هيمنة مجال معين فانها تعتمد على الاهتمام محدد دون العمومية و تعتمد بذلك القهر الميتودوقراطي الطاغبي على علم السياسية من قبل ميادين أخرى كاللمونولوجيا (القانون) و الجورنالوجيا (علم الصحافة) و

هذا ما جعل مخرجات البحث السياسي تؤول الى تلك الميادين و عدم جدواها في المسرح الأكاديمياتي لعلم السياسة مع الاهمال المستمر للفكر السياسي و الفلسفة السياسية و الانثروبولوجيا و الاجتماع السياسي في عملي التحليل و الصوغ و التركيب . وكذا ادراك المركزية الغربية في عملية التكوين المعرفي و العلمي تخرج عادة مجلصات تقييم الوضع المغربي بالوضع الغربي و الأوروبي كعملية التكوين الدولي و التطور العلمي اتجه ذلك كله توظيفا للخبرة الأوروبية في عملية البناء الدولي المغربي و محاولة التوطيد الوحدوي كمركزية القضية الاقتصادية لتحقيق الوحدة وهذا لا يتلاءم معه بالضرورة . وان كان العامل الاقتصادي مهما فهو من الأمور اللاحقة في الشأن المغربي . و اضافة الى ذلك فهناك المتطلبات اللحظية ، فتصور الدولة الوطنية لا يتمثل في تحقيق الوحدة وانما في التراجع و عدم جدوى وجود هوية قطرية داخلية جامعة يؤدي الى التفكك الداخلي و الانقسامية التي هي مكبوتة أو مؤجلة تنجلي بمجرد تراجع الدور الريعي لدولة الوطنية . و على أثر هذا كله كانت هاته الدراسة لعلها تسد النقص و تنتهي بمحاولة تداولية .

أدبيات الدراسة :

تعمد مجموعة الدراسات السابقة على تكوين الفكرة و توضع الدراسة وذلك اما بإكمال تلك الدراسات من خلال التساؤلات الموجودة أو الاعتماد عليها كقاعدة أو نقدها أو هدمها و البناء على اثرها ، لأن حركة الأفكار تجعلها غير منحصرة في مكان او زمان معينين او فرد او جماعة محددة .

فالدراسة الأولى تمثلت في كتاب الدكتور محمد جابر الأنصاري الذي تطرق فيه لموضوع تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية و في فحواه أن الدولة الوطنية العربية / القطرية تمثل

مرحلة اقطاع مؤجلة ، أي بصفة أكثر وضوحا أن المعيار الغربي المتمثل في التطور من مشاعة- عبودية اقطاع فيودالي-برجوازية لا تنطبق تماما مع حال الدولة الوطنية العربية وبتالي هو يتضاد مع التحليلات التقليدية للماركسين العرب في التعاطي مع الظاهرة الدولية العربية ، فهو يرى ان الدولة الوطنية العربية تعرف الشكل الاقطاعي حاليا اي تلك المرحلة الغربية المتمثلة بالإيكولوجيا المحددة بالحدود و المتميزة بالولاء للأرض ، اذ ان هذين المتغيران في علاقتها بالبنية العربية يعد اوليا و دافعا مهما لتكوين البرجوازيات الوطنية و بالتالي التقدم المرحلي نحو ايجاد صيغ ديمقراطية متقدمة، ووجود المركز السياسي مرهون بتحقيق العضوية الداخلية بين الفسيفسائيات الاجتماعية الممتدة في الإيكولوجيات العربية التي عجزت الدولة العربية التقليدية في بنائها او ايجاد صيغ لاجلها كما هو الحال في العراق او الدولة المخزنية و التجربة الوحيدة في العالم الاسلامي هي تجربة المصرية التي تميزت بثبات مركزي و طول فترات حكم الأسر، و رأى كذلك انه علينا ايجاد أسباب موضوعية جيولوجية كضمنون تحليلي لظاهرة القطرية و يلخصها في مفهوم اساسي و هو التصحر بخصوصيته الطبيعية و البشرية (صحراء+بداوة) هذا ولد ثنائية التالية : القطيعة الزمانية و المكانية من خلال الاعتماد على الاقترابات المقارنتية و خصوصية الحضارة العربية-الاسلامية و التي كانت فيه معطيات الجغرافيا عاملا هادما للعمران و طمسه، كذلك يرى الدكتور الأنصاري أن القطرية ليست إلى مرحلة أولية لمشروع الوحدة على غرار جل الدراسات الأخرى التي تطرقت إلى مفهوم القطرية كمنظور سلبي، إذ أنها و كما ذكرنا قبل ذلك مرحلة تكوينية ايجابية و التراتبية الزمنية ستدفع هذه الدولة الوطنية القطرية إلى مرحلة التوحد كما هو الحال لتراتيبات للدولة في أوروبا أو اليابان.

و الدراسة الثانية و التي كانت عبارة عن ندوة نظمها مركز دراسات الوحدة العربية و مركز كارينجي و الجمعية العربية للعلوم السياسية تحت عنوان " أزمة الدولة في الوطن العربي " تم

فيها التطرق إلى مفهوم الدولة و تاريخيتها و الاهتمام بالخصوصية العربية ، و تختلف العقبات التي تحولت إلى أزمة حقيقية تهدد وجود الدولة سواءً كان ذلك من خلال انقسامات إثنولوجية أو طائفية أو قبلية و كذا موضوع الشرعية ، و ما يلفت النظر في هذه الندوة هو التطرق إلى مفهوم الشرعية الدولية و تبيان العجز الذي آلت به الدولة الوطنية و كذا التراجع الذي شاب وجود الدولة الوطنية عقب مفهوم الدولة الوطنية عقب مفهوم العولمة و الأزمات كالعدالة الاجتماعية و أثر المحيط الاقليمي و الدولي كذلك على مسار الدولة الوطنية ، و كل جماعة قومية كيف ترى شرعية الدولة القائمة فمثلا الاسلاميين يرون أن الدولة العلمانية غير شرعية و متناقضة مع غاية وجود الدولة التي هي قائمة على حفظ الحدود و صيانتها و لا وجود لفصل دين عن دولة في الاسلام.

و الدراسة الثالثة كانت لبرهان غليون المحنة العربية الدولة ضد الأمة فهو يحاول التحليل أولاً بالمتغير الأممي من خلال وصف أزمة الهوية و التي ابتدأت في ضل الوجود العثماني نشوء الجماعة العروبية و سقوط الدولة العثمانية كدولة إسلامية موحدة للأمة العربية بمعناها التقليدي و احتدام التنافس الداخلي بين الإسلاميين بنموذج إسلامي تحديتي ناقم على الاستعمار و القيم الأجنبية و حراك ليبرالي يرى في أن زوال السلطنة فرصة في القضاء على التيار الإسلامي المنافس و كذلك ضمن هذا الإنحدار العربي نشأت الحركة القومية العربية ذات الجيل الثاني و إمكانها تأسيس الجمهورية الموحدة التي لم تدم طويلاً ناهيك عن بدأ النزاعات العربية-العربية في العراق و اليمن و التحدي الذي قاده بعض أعلام الفكر القومي العربي إزاء الحركة الوطنية القطرية المناهضة للاستعمار بالتوازي بين النموذج القطري و الرغبة الوحديوية للأمة لكن ومع هذا ظهرت هويات قطرية ، كالهوية الفرعونية أو المتوسطية أو الفينيقية كمنافس للهوية العروبية الجامعة وهذا ما دفع لتوطيد الأزمة الهوياتية و النقطة الثانية حول الدولة العربية التي كما يصف أنها دولة ممتدة السيطرة

على كل شيء و نموذج للدولة البيروقراطية التحديثية التي فشلت في المضي بالمتجمع نحو النموذج الدولي التحديثي فمثلت دولة مجتمع مخروم ومخرب وأوجدت و وطدت وجود الطبقات اللقيطة النخبوية التي أجهضت مشروع بناء هاته الدولة ، و هو يبحث بإسهاب على تجاوز ذهنية القرن 19 للبناء القومي للدولة- الأمة و الاتجاه نحو ما يراه إعادة بعث التوازنات الاقتصادية الاجتماعية و الثقافية عبر الدول و النجاح في خلق الشروط اللازمة و مجابهة التيارات العالمية من خلال استيعاب التقنية الجديدة كسبب موجه نحو البناء الفعلي للدولة و الوحدة .

و اما الدراسة الرابعة للدكتور محمد عبد الباقي الهرماسي في كتاب المجتمع و الدولة في المغرب العربي تحوي هاته الدراسة شكل الدولة و تحوير المجتمع في الفترة الماقبل كولونيالية الممثلة بالدولة المخزنية و ترتيبات المتغيرين اللف او الصف و يقصد باللف (المغرب الاقصى) او الصف (الجزائر و تونس) المناطق الحيزية الدائرية او الموازية التي تمتد من المركز المخزني نحو الدائرة الاولى او الصف الاول التي تمثل الابعاد الثلاثة العسكرية و الدينية و التجارية ضمن هذا المجال الاول قامت العديد من الدول و الامارات فمثل هاته الدائرة او الصف المجال الفعلي و الرسمي السلطوي المباشر للدولة المخزنية اذ تضم القبائل الامتدادية الخاضعة للمركز و المستفيدة من امتيازات التقارب مع المركز و كما يصف الكاتب انها كانت مناطق ذات ثقل ضريبي متعظم ، و الدائرة او الصف الثاني الغير ثابت حدوديا فيظم القبائل الغير محددة ضمن السلطة المخزنية فيسميها بالطرفية و التي تعرف في مراجع اخر ببلاد السبيبة التي لم تكن خاضعة باي شكل من الاشكال للمركز السلطوي المخزني ، و يُضمن الكاتب اشكالية التحليل التي تعترض دراسة البنية الاجتماعية المغربية ، فالدبيات الغربية الممثلة بالمدرسة الكولونيالية توظف نظرية الانصاف التي تستدعي وجود تضاد بين التكوينات الاجتماعية لإستمراية وجود المركز و في نفس السياق الضدي بين الوحدات الاجتماعية الموجودة في الإيكولوجيا المغربية كان هناك محاولة لتفريق بين بنية المدينة و

الريف التي كانت تظهر فيه الانقسامية بشكل فعلي ، الا انه حديثا جرى تجاوز هذا الاطار
التشاؤمي الكولونيالي خاصة بإسهامات غريتز الذي كان يرى ان المعطى الديني الاسلامي كان له
دلالات قوية لتجاوز ازمة الانقسام و تداولها نحو تشكيلات جديدة في القرون الوسطى ، اضافة
الى هذا التطرق الاجتماعي دأب الكاتب على التوسع التحليلي في الجوانب السياسية الكولونيالية
والاقتصادية المابعد-كولونيالية التي كان لها اساس هام في تشكيل الدولة الوطنية و تكوين
البرجوازيات الوطنية و مؤسسات أكثر حداثة اي ان المرحلة الكولونيالية قضت (تونس/الجزائر)
او حافظت تحديثا على شكل الدولة المخزنية (المغرب الاقصى-المركز المراكشي) ، الا ان
الكاتب لا يتطرق بنوع من الاسهاب للمجالين الموريتاني و الليبي و نعي تماما مدى الصعوبة التي
تعرض الدارس لهاذين المكونين .

و اما الدراسة الخامسة فقد ضمت مجموعة من المقالات المنشورة في مجلة المستقبل
العربي للدراسين : احمد عوض الرحمون / احمد محمود ولد محمد / باقر سلمان النجار / حسين
توفيق ابراهيم / رائد فوزي احمد / سالم توفيق النجفي / شفيق بومنيجل / علي خليفة الكواري
و جرى تجميعها في قالب كتابي تحت عنوان الدولة الوطنية المعاصرة ازمة الاندماج و التفكيك و
تميزت هاته المجموعة من الدراسات بالتطرق الى الدولة العربية المابعد كولونيالية من خلال تكوينات
المفهوم الدولي القومي و التطور الكرونولوجي الدولي المفضي للتشكل الدولي العربي و بواد
الفصام بين الموروث و التجديد و جملة التحديات التي حالة دونما التقدم البنائي الدولي
كالصراعات الفكرية اليسارية / اليمينية و المقدمة الى صراعات يمينية / يمينية اي بين العلمانية و
الاسلاموية و اشكالية الحاكمية و المعطى العلماني الفاصل بداهة بين الدين و الدولة و الإشكاليات
المنجرة عن هذا كالاستبداد السياسي و الهويات المختلفة (الفرعونية / المتوسطة/ القرطاجية)
المثبطة لمسارات الوحدة العربية و الصراعات التي شهدتها الدول المتحولة كالتائفية و المذهبية و

المناطقية التي احتوت من قبل الوافدين الخارجين من خلال العولمة واقتصاد السوق والمؤسسات الدولية والديمقراطية على الطريقة الأمريكية .

إشكالية الدراسة:

إن عملية البناء الوجدوي تنشأ بين فواعل متعددة مكتملة الوحدة الذاتية والتطور العضوي والوظيفي الذي يدفعها للوحدة كشرط موضوعي أي أن القطر كجزء من الكل هو القاعدة الأولية والدافع نحو الانتقال إلى الكل المكون لهته الأقطار المجتمعة على أساس هوياتي (لغوي+ ديني+ عرقي) أو أساس نفسي (اقتصادي + خطر خارجي) وهذا قد يجد تصديقا إذا ما انصرفنا في اثره على نحو تجريدي لوصف الشكول الوجدوية العالمية كالخبرة الأوروبية ، فالدولة المدنية المعاصرة الأوروبية تمكنت من إيجاد وصف وحدوية عضوية بتركيب هوياتي داخلي لمجالها العام وانتقلت إلى المجال الأعم بغض النظر عن الحافز والدافع إلى هاته الوحدة، وعلى النقيض تماما واقع الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي فهي تتوفر على الموضوعات القبلية للوحدة كالدين / اللغة / التاريخ ، إلا أنها تعاني من "الارث الكولونيالي الذي أوجد أرضية تعددية و مكتسبات حدودية " و أزمات الوعي الذاتي بالوطنية كمفهوم مرحلي جامع أي انها انشأت اتحادا مغاربيا و مانعا أي أن القطرية قوضت هاته الوحدة من التفعيل والمضي نحو المرتقب ، وكذا اعباء النخبة المسيطرة كالشخصنة السلطوية و تكريس حالة اللاوعي و تحولها من دولة المجتمع المعبرة عن آماله و تطلعاته إلى دولة النخبة المكرسة للتوجه المنغلق و المنيع للملكي القرار السياسي الداخلي ، و إن هذا التآرجح جعل الدولة الوطنية في حزم انشطارية و انيميا ثنائية بين البناء الدولي القطري المأزوم او البناء الوجدوي المحتوم .

إشكالية محورية:

إلى أي مدى يمكن للدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي أن تنجح في
التوفيقية بين الجناح القطري كإلزامه عقلائية مؤقتة و ثقل الوحدة كحتمية
تاريخية مستجدة "؟

إشكاليات فرعية:

ما المفهنة التي يمكننا على أثرها التفكيك الإصطلاحي و المفاهيمي للدولة الوطنية
المعاصرة ؟

ما مدى التعارض الثنائي التكويني المأزوم لبنية العقل المغاربي بين سيورة الدولة و
اعتبارية الوحدة ؟

ما ذلك الأساس التحتي الذي يمكننا بفضله توليد الأفكار لعملتي البناء المزدوج
للدولة و الإتحاد بعد عمليتي التهمك و الهدم الحاليتين ؟

حدود المشكلة:

1. الحدود الزمنية: لاشك في أن الضرورة تفرض التعاطي مع الظواهر السياسية
وفق سياقها التاريخي لأنه المكون الأساسي للظاهرة السياسية و الأنساق الاجتماعية المبنية
لذلك فقد إبراز العامل الكرونولوجي المبتدأ من ظهور الدويلات البربرية وحتي الفترة المعاصرة
لمعرفة الخلفية التاريخية ، فهي مهمة للتقطن إلى أسباب الاستكانة التي مست عملية البناء
الدولتي الوطني و المشروع الوحدوي وكذلك التكوين الاجتماعي و الفكري على حد سواء .

2. الحدود المكانية: وقد خصت الدراسة مضمون الدول المغاربية الخمسة - إذ
هي الدول المكونة للإتحاد - و دراسات الحثيات التي دعمت قوة و شكل الدولة الوطنية
القطرية ، و لا يمكن دراسة حالة دولة معينة في المغرب العربي كدراسة حالة فهذا يدفعنا إلى

الجهل بمجاله الدول الأخرى ، هذه الدول ليست متوازية الأنظمة ودرجة التحديث تختلف كذلك وعلى أثر هذا لا يمكن التعميم بدراسة حالة معينة ، ولا تنطوي عملية التحليل على الداخل وحده بل تعداه إلى دراسة الخارج كذلك ومحاولة معرفة مدى تأثيره على المورفولوجية المغاربية ، وأهتمت الدراسة تدقيقا بالوحدة بمفهومها الاقليمي المغاربي، فالوحدة قد تعني كذلك إذا ما ارتبطت بالدولة الوطنية المعاصرة المغاربية ، الوحدة الاسلامية أو الوحدة العربية وهذه الأخيرة حاضرة بشكل لافت في الأدبيات الأكاديمية العربية .

فرضيات الدراسة:

فرضية مركزية :

"فشلت الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي في توليفتها التوفيقية لعدم القابلية للحسم بين الثنائية القطرية كممارسة فعلية و الوحدة كبناء وهمي "

فرضيات ثانوية:

الدولة الوطنية المعاصرة آلية مستهجنة الشكل عن نموذج كيانى غربى يتميز في الهوية والتكوين .

العقل المغاربي يعرف جدلية المعطى الفكرى والبراكسيس Praxis نتيجة دور

فواعله التجزئى المنظم والتبكيث الخارجى المحتوى للعملية التقدمية .

الضرورة اللحظوية تفرض الهدم الترسى للبنية المغاربية المستلبة وإعادة بعث

البناء الدولتى الذاتى كمنتج جديد وأساس لتفعيل الوحدة المغاربية البيئذاتية .

الاطار المنهجي للدراسة : يندرج المنهج Method¹ في تعريفه المختزل و الأيسر نحو أنه الطريق الواصل للحقيقة و المنهج العلمي ضرورة من ضروريات المعرفة البشرية المنتظمة² و النقطة السائدة في عملية الدراسة هي حول ما هو المنهج العلمي المتبع فعلمية النهج هاته تحدد مسار الدراسة و كذلك قيمتها العلمية و النتيجة كذا تختلف باختلاف المنهج المتبع ، و لن نخوض في العملياتية المفاهيمية للمناهج و قد تطلبت الضرورة الميتودولوجية أن ندرس هذا الموضوع بالمناهج التالية:

1. المنهج المحوري : و يمثل الاساس الدراسي للموضوع المعالج الذي تناولناه من زاوية تحديدية مؤطرة بالمنهج التحليلي-الوصفي و هو المنهج الأكثر تداولاً في العلوم الانسانية – الاجتماعية³ و الذي في تعريفه يدل على انه وصف دقيق لظاهرة او موضوع محدد على صورة نوعية او كمية دقيقة و قد يشمل فترة زمنية محددة او يتوسع ليشمل فترات زمنية عديدة⁴، و الذي بمضمونه التقسيمي للظاهرة و تبسيطها و المرونة التي وفرها هذا المنهج للباحث يجعل الموضوع ينساب عبر محاور وصفية للظاهرة و تقشيرية للإشكاليات العالقة المؤدية الى عملية الصياغة التجوية في تمام الدراسة.

2. المنهج الثانوي : و تمثلت بمجموعتين:

المناهج التداخلية الكلاسيكية و تقصد بها:

¹ استعمل الكلمة لأول مرة كل من افلاطون و التي عنى بها البحث و ارسطو و التي عنى بها بحث و تطورت الكلمة لتأخذ اشكالا معرفية و علمية جديدة و بديلة للمزيد راجع :

عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، ط3 ، الكويت : وكالة المطبوعات ، 1977 ، ص ص 3-5

² ناهد حمدي احمدي ، مناهج البحث في علوم المكتبات ، الرياض : دار المريخ للنشر ، 1979 ، ص 11

³ عمار يوحوش - محمد محمود الذنبيات ، مناهج البحث العلمي و طرق اعداد البحوث ، ط4 ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 ، ص

⁴ محمد عبيدات و اخرون ، منهجية البحث العلمي : القواعد و المراحل و التطبيقات ، ط2 ، عمان : دار وائل للنشر ، 1999 ، ص 47

■ **المنهج المقارن:** وهو تلك الطريقة الميثودولوجية التي تستدعي المقارنة بين الظواهر التي تجمع بينها سمات مشتركة بغية الوصول الى مجال تقسمي بين عناصر المفارقة و الموافقة بين هاته الظواهر¹ وقد استخدمنا المنهج في المقارنة بين التجربتين العربية و الغربية الغربية فيما يخص الاطار التشكلي الدولي الوطني فهناك مفارقة هامة في التراتيبات التاريخية و الفواعل المساهمة بشكل اساسي في التغير من شكل الى اخر وهذا يختلف كما سنشير بين الشقين العربي كمنتظم اصيل و الغيري و الذي نشير فيها الى التجارب الانجلو-اوروبية في التماثل الدولي و عناصر التشابه ترتكز على التوريث النسقي الكولونيالي للجماعات البرجوازية الوطنية (الاحزاب / السلطات الثلاث / المجتمع المدني / العلمنة) التي تبنت عمليتي التأطير المجتمعي - التعبوي و البناء الدولي الوطني .

و كإثراء بديل مجموعة المناهج التي نراها اداة كاسرة للروتين المتبع في علم السياسة المحتوي من قبل المناهج الكلاسيكية التي لم تعد ذات جدوى لتطوير الظواهر ، و قد راينا من خلال الاطلاع توفر حزمة منهجية هامة علينا ان نهتم بها لكي نحاول التقدم في المنحنيات التحليلية و كذا راينا المزاوجة التقريبية بين المناهج المتبعة في العلوم القريبة من العلم السياسية ، الفلسفة و اللسانيات، هاته المحاولة دفعت العملية الانتاجية الى المطلوب الابتغائي ، نعتقد انها محاولة تحتاج الى التصويب لأنها ليست بالكاملة الكلية ، و الغرض من ذلك هو انه لا نريد ان تقع في الصرامة المنهجية التي قد تخل بتدافع الفكري نحو اطار زمني حداثي ذاتي ذلك ما نؤمن به حقا و نحاول الوصول اليه عن طريق الفكر الانتاجي العلمي السياسي :

¹ للمزيد راجع :

محمد شلبي ، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم - المناهج الاقترابات و الادوات ، 1997 ، ص ص 70-71

المنهج الفينومينولوجي: يفترض هذا المنهج فصل الظاهرة عن الاحكام المسبقة التي تعمل على تعريبها من النتيجة التي يضل لها الباحث ، فالبحث هو تجربة فردية انسانية بدرجة اولى و بتالي يجب ان تخضع بالضرورة كذلك الى عالمه المعاش و تجربته الشخصية او تحديدا ما يعرف بالوعي الخالص¹، لقد صاغ هذا المنهج هيغل و طوره بعد ذلك ادموند هوسرل ، صحيح ان حالة هذا المنهج في المجال السياسي تعد مبهمه لكن ضروري لان مجمل الظواهر المعالجة والتي راينا ان صيغها تعود لتفيد زاوية معينة او مستوى إيدولوجي معين وخاصة بالحكم المسبق على العديد من الظواهر بالفشل نتيجة تحكيما للافكار المسبقة.

المنهج التفكيكي: لما هذا المنهج ؟ لأنه يعد تجاوزا للماركسية التقليدية ولا يفترض بالضرورة ان تبقى المتضادات في شكلها الصراعى لكنها يمكنها التوافق و لو انه كانت هناك محاولات عديدة للمزاوجة و المصالحة بين الماركسية و التفكيك كمحاولات رايان² و لا نريد ان نستثني المنهج الجدلي و تفرعاته الهامة لكن نحاول ان نوظفها في حدود الدراسة، ان هاته المحاولات التفكيكية تهتم بنوعية الخطاب و مفرزاته التي تشكل الانا و الاخر لكن ضمن هاته الدراسة تختلف و التي تتركز على التفكيك البنائي بين الانا باعتباره النحن و الاخر باعتباره المرأة العاكسة للفعل الاناتي و بالتالي بعد عملية التفكيك هاته يكون هناك اعادة التشكيل اي اننا نطرح الكليات و نحاول تفكيك البنى الى اجزاء دقيقة قصد التعرف عليها و هاته التوجهات تمثلها المدرسة التفكيكية اللغوية بزعامة جاك دريدا³ و قد وضمنا هنا المسلمات المصطلحية كعدم القابلية للحسم بين المتناقضات اي عدم

¹ لم نرد توظيف كتب ادموند هوسرل الاخرى مباشرة لصعوبة الفكرة و لا التطرق للمعنى الفينومينولوجي عند هيغل لأنه يختلف عن ما اوردناه ، و ابو يعرب المرزوقي احسن قارئ لادموند هوسرل صادفناه لحد الآونة للمزيد راجع :

ادموند هوسرل ، افكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص و الفلسفة الظاهرياتية ، تر: أبو يعرب المرزوقي ، ط1 ، لبنان : جداول للنشر و التوزيع ، 2011 ، ص ص 185-186

² ميشل رايان و اخرون ، مدخل الى التفكيك ، تر : حسام نايل ، ط 1 ، القاهرة : الامل للطباعة و النشر ، 2008 ، ص ص 23-24

³ في الاصل تعود الى مارتن هايدغر للمزيد راجع :

محمد على الكردي ، جاك دريدا : و فلسفة التفكيك ، في : أحمد عبد الحليم عطية محررا ، جاك دريدا و التفكيك ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 2010 ، ص ص 187-188

الوصل الى تعايش فكري بين الفواصل التمثيلية التي تشكل موندادات لا تتوافق و المعطى الفكري الذاتي و بتالي يجري تجاوزها الى مركب جديد ، و المنهج التفكيكي يمثل محتوى جدي متجاوز و لا يدخل في نطاق اعادة التأويلات .

الاطار الأستمولوجي: نوظف الاقترابات التقليدية في حدودها لكن لن نقف و تقتصر في فلكها و التي تحولت لتصف بالجمودية كالماركسية (الجماعة ، الصفوة) او نيوكلاسيكية (تبعية) كتوجه نفي و طبيعة الية ميكانيكية تفصي لتنتيجة حتمية تتركز على وضعية التحليلات السوسيو-اقتصادية كالصراع الطبقي بين البنى الاجتماعية الفوقية و التحتية المادية الجدلية و التاريخانية الحركية المعروفة بالمادية التاريخية الخادمة لمستوى معين من الأدلجة (مشاعية- عبودية- اقطاع فيودالي - برجوازية-اشتراكية) ، و تواج المدرسة السلوكية عموما (الاتصالية ، التنظيمية ، الوظيفية) تلتزم وجود واقع استقراري سياسي للقيام بتلك الادوار و المهام و الغموضية و تنفق مع ما اثاره نصر عارف حولها لتجاوز المركزية البرادينغمية الغربية¹ و لانهني قطيعة او خلق وضع صراعي بل الاستفادة من تلك التوجهات التي لها الاثر المقوم و التحليلي النقدي وفق التجربة المغاربية و الذي تقصد به تأسيسية الخصوصية من خلال :

الاقتراب الحضاري Civilisation approches² : يدرس هذا المقترب العديد من الاليات المتعلقة بالضوابط السوسيو-تاريخية فمثلا E.Tiryakian يركز على التساؤل المشار حول درجة الميل

¹ لم نقلل من شأن هاته النظريات بل هي فاعل كذلك و قدمت نتاجا استنميا واسعا ، النقص المسجل هو تعامل البنية الخارجية عن اوروبا مع هذا المستوى التحليلي الذي ادى الى نهايتها القطيعة مع التاريخ و محاولة تفسيره بمقارنات مجحفة كقولة الاقطاع الفيودالي وحتى على المستوى الامتدادي خارج اوروبا نجد نقاشا عربيا دائرا حول القصة الاسطورية لمحاولة التقليد اليابانية: نصر محمد عارف ، نظريات التنمية السياسية المعاصرة : دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الاسلامي ، القاهرة : دار القارئ العربي ، ص - ص 73-83

² José Casanova, legitimacy and the sociology Of modernization , in : Arthur J. Vidich - Ronald M. Glassman , **Conflict and Control: Challenge to Legitimacy of Modern Governments** , first edition , United state : Saga Publications Inc , 1979 , p-p 244-245

او الانحياز الامتي nation bias كعامل تبعية الدولة القومية و وحدة قصوى لعملية العقلنة الاجتماعية التحليلية مثلا كشكلانية التأثيرية بالعملة او علاقات التبعية الاقتصادية او الثقاف من خلال جوانب مقارنتية بين البنية الحضارية ذات الخصوصية او المتفردة singularity المنوطة بالدراسة و البنية الحضارية الخارجية الموضوعة توازيا كعلاقة تنافسية بين العمليات التصنيعية و بناء الدولة و بين البنية المجتمعية الصناعية و المجتمعات الصناعية الصاعدة التي تعاني من معضلات الازماتية للهوية الثقافية الداخلية من خلال القيم الكوزموبوليتانية الغربية .

و عمليات التحليل الحضارية هي ذات اقتراب النظري خطي (Vertical) كما يصفها Geertz و ملائمة لدراسة الظواهر الواقعة في المجال المغاربي (القبيلة، الزاوية) وفق معيارية ابنية السوعي و العمليات السوسيو-ثقافية، و المعنى العام الاجتماعي المتغير بتجاذبات الثورة المعلوماتية و التقانة الغربية المرتبة بالتحديث السياسي ، اما Bendix فيركز على الكيان السياسي من حيث دور الحكومة و الشكل الاستحواذي ، عموما هذا النظام المعرفي الذي يمكننا ان نسميه الهرمونظيقا (التأويلية) السوسيو- تاريخية التي توفر لنا الفاهمة التقابلية المثيرة كما تصفها و فلهوية الاجتماعية/ التاريخية للتحديث السياسي الغربي التطوري ذو الحركية الانتقالية من الايكولوجيا القروسطية الى ايكولوجيا تغيرية ابتكارية ، و لا يمكننا فهم عملياتها الاجتماعية النشطة التكوينية الا بمقارنتها ببنية اخري اختلافية الرؤى و الممارسات و العوامل التحفيزية و الايكولوجيا¹ ، هاهنا سننخذ اتجاهها عكسيا مغايرا في دراستنا من حيث الانطلاق (الفاهمة المقارنتية= البنية

¹ لابد الاشارة الى اننا هنا لا تتبع لنن المدرسة التطورية او النزعتان النسبية و الثقافية التي انتهت الى تفوقية الجنس الابيض ، وهذا النمط الحضاري التحليلي جرى استحداثه بكتابات برتران بادي :

برتران بادي ، الدولتان : السلطة و المجتمع في الغرب و بلاد الاسلام ، تز: لطيف فرج ، ط1 ، القاهرة: دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع،

1992، ص ص7-10

المغربية/البنية الكولونيالية) و الوصول (النتيجة الناظمية = ماهية البنية المغربية) لكي نملك ملكة الحكم الصحيحة نهائيا .

خطة الدراسة :

الدراسة حوت ثلاثة فصول نعتقد انها املت الى حد ما بنوع الإشكالية المطروحة لأننا حاولنا التقسيم على اساس مفاهيمي و المرتبط بالفصل الاول حول الدولة / الدولة الوطنية / القطر والوحدة ، تطبيقي و تطرق الى واقع الدولة و المجتمع و الاتحاد المغربي ، بنائي استشرافي و لو اننا نعلم انه ليس بالهين استشراف واقع مغاير في ظرف و جيز من الدراسة لكننا حاولنا قدر الامكان ان نتطرق للنقاط التي نعتقد انها تميظ اللثام عن غموضية الطرح المنوط بالدراسة .

صعوبات الدراسة: هناك صعوبتان وجهنهما في سياق الدراسة و انقسمتا الى:

صعوبة ميتودولوجية : و نعني بها تغير الظواهر و ضهور فواعل و متغيرات و بواعث جديدة لم تكن محسوبة في الدراسة جعلتنا تتبع اسلوب ترقبي اكثر منه اسلوب حرصي اي اننا كنا نعمل على تدوين ما كونه مسبقا و في نفس الوقت متابعة التطورات التي تجري في المنطقة المغربية ، على سبيل المثال اتفاق الصخيرات الغير مكتمل بين البرلمان اللببي المنحل في طبرق و المؤتمر العام في بنغازي او الانتخابات الجماعية المغربية الايام الفاتئة كل ذلك سيغير نوعا ما من المعطيات التي سرنا في سياقها و يختلف التحليل باختلاف الرؤى فقد سجلت المعارضة المغربية لحزب الاصل و المعاصرة تقدا في المناطق البلدية و تراجع الحزب المهيمن حزب العدالة و التنمية مقصورا على المدن الكبرى كفاس و الدار البيضاء و انتفاء الاحزاب الكبرى كحزب الاستقلال هذا لا مندوحة له اثر على اي بناء سبقي للدراسة جعلنا باستمرار نغير من المعطيات لتواكب الحايي ، و ما هدف

الدراسة ان لم تكن من اجل الافادة و التجديد ؟ هذا ما نراه اساسا لكل دراسة ، التجديد
الفكري .

و الى جانب ذلك قلة الدراسات المهمة ببعض الدوائر كموريتانيا تكاد تنعدم بالرغم من
الحساسية الكبرى لهته المنطقة السوسيو- تاريخية التي تتراجع نحو الضم السوداني الغربي و
الجيوپوليتيكية التي تصل بالخط الغربي المطل على الاطلسي، و الدوائر الباقية فإننا نجد اما انها
مبهمة و متضاربة كالنظام الجزائري او صراعية فكرية كالصحراء الغربية بين محللين مغربيين و
جزائريين .

الصعوبة الميتا- ميتودولوجية : نعتقد انها ذات الحساسية و انها واقع الحال من بين كامل
الصعوبات التي تعترض البحث العلمي التي لن يقضى عليها من خلال الجمهرة القانونية او النصوص
التي على كثيرها لم يعمل بها، و استخدمنا كلمة ميتا لأنها من حيث الدرجة القوية و الخارجية عن
المجال المنهجي و تحوي علاقات غير عينية و لا تقبلية ، انها فوية ندعن لها و لا يمكننا مواجهتها
الا من خلال هاته الاسطر مهما حاولنا ، انها لوثة كدست التواصل الفكري في المجال الاكاديمي ،
انها محاولات إحباطيه تعرضنا لها، اننا فقط نريد ان نمح الحرية في هذا المجال البحثي لا غير لم
نبحث عن اي شيء الا عن تلك الراحة النفسية التي تجدها عندما تبحث عن موضوع ما و تصل
الى نتائجه لا شك انها غاية قصوى لسعادة الذات العاقلة .

الفصل الاول: الاطار المفاهيمي العام للدولة الوطنية

المعاصرة

اين انا ، ومن انا وكيف جئت الى هنا ؟ وما هذا الشيء المسمى بالعالم؟ لم نجد
عموما اساسا ابتدائيا غير كلمات Kierkegaard¹ التي عبر بها عن هموم العقل البشري وهاته
التساؤلات كمجاميع جزئية ارقت و تؤرق الفكر البشري بصورة دورية هل كون ازلي ام ابدي ؟
كيف بدأ كل شيء ؟² ، وكل هاته الاشكالات يترتب عنها بالغ الارتباب عن عدم وصول الانسان
الى اليقين الذي يقودوه الى معرف اساسية عن كيفية وجوده او كينوته ، بصفة اكثر دقة ان الكون
اللامتناهي او المتناهي بالغ الفوضى يضم متضادات و مترادفات تشكل و تفصل ، تتصارع و
تعاش وفق انماط معقدة و الارض كمركب جزئي من هذا الكل البالغ الصعوبة الإدراكية تمثل ذلك
الوعاء الذي يحتوينا جميعا نعجز عن معرفة ادق تفاصيله و غالبا ما نكون افتراضات إنشائية او
رموزا او ننهي بمطابقتها بفعل قوى خارقة او مخلوقات خارجية، و التاريخ لا يهتم بهته التفاصيل
الا من حيث ربطه بمحركات الأركيولوجيا و الطبوغرافيا مما يعني ان التاريخ يرتبط بالجانب الأناسي و
هو غير مكتمل من ناحية البحث ، نسبي و اللاحدود، و بالتالي فان مركزية الانسان تبدوا مفصومة
من حيث رباطه بشيء و من ناحية اخرى عدم الاتزان الفكري الا من حيث هو افتراض يستلزم
التجربة ، و التجربة تتغير و الاقلمة، و هذا الطابع الندي بين الشئ و الممكن خلق تيارات
الابستيمي و تيارات الميثولوجي اي بين نشوء البشري المتكون بعمليات التغيير البكتيري من الحمض
الريبي النووي (R.N.A) المعقد التفاصيل حتى مرحلة الحمض الديوكسي ريبونوكليك (A.D.N)
بصيغة التوالد الذاتي من الخلية الاصلية³، او الوجود الغيبي المرتبط بقوة خارجية لاهوتية⁴ لن نقف

¹ كولين ولسون ، ما بعد اللامنتي ، تر: يوسف شرورو- عمر بين ، ط5 ، بيروت : دار الآداب ، ص 20

² بول ديفز ، التدبير الالهي : الاسس العلمية لعالم منطقي ، ط1 ، دمشق : دار الحصاد للنشر و التوزيع ، 2009 ، ص 11 و ما بعدها

³ خالد احمد الزعري ، الخلية المجذعية ، سلسلة كتب المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، 2008 ، ص ص 5-8

⁴ بول كيرتز ، الفأهة المحرمة : اخلاقيات الانسانية ، ط1 ، بغداد : منشورات الجمل ، 2012 ، ص ص 1-7

بين المنحنيات التصاعدية الصراعية فكلا الاتجاهين يقدمان ما يكفي لاتخاذ حقيقته، عموماً فالنشوءية البشرية انحدرت من سلالة الأوسترالوبيث لكن هاته الافتراضات تبدو تجريدية لأنه لا يوجد من يثبت صحة هذا الانتماء او ينفيه ، و مجملًا مرت بمجموعة من التطورات المتعاقبة ابتدائية المرحلة التأميلية التواصلية او المرحلية الاولى (بالإنسان الماهر Homo-Habilis¹ و النابندر تالز) المتأقلم مع الايكولوجيا² التأملي كما بين النص القرآني³ و علاقة الفرد بالكائنات الحية الأخرى و تبعتها محاولة التكيف التدريجي و تكوين الجماعات (Homo-sapiens) الانسان العاقل التي تحركت بفعل المؤثرات الايكولوجية و الجيولوجية و دخلت في مرحلة تطورية بفعل درجة التفكير و التأقلم البيولوجي ضمن فترة الأيلوثية أو الدرانية التي كونت مجتمع الجني المستخدم لأدوات صيدية بسيطة ولم تكن في العموم استقرارية حيث اعتمدت على المنزل الذي كان ينتقل بفعل الوجود الحوائي و تناقص الغلة المصادرة مما دفع للبحث على ايكولوجيا جديدة ، لكن هذه المجتمعات الأولى تميزت بنوع من الاكتفاء و الا اندفاعية للغزو و الاصطدام ببعضها ، فالحاجة مثل ما ولدت المجتمع ولدت كذلك الصراعات و الحروب نتيجة التأثيرات الطبيعية كالتزايد الديموغرافي او التغير الفصلي المأثر على الغلة⁴ ، و كانت هذه التنظيمات التي يصفها أنجلز بالوحشية منتظمة بفعل قربة دم لعدم وجود سلطة عامة موحدة و بناء طبقي تداخلي البنية لعدم توفر الملكية الخاصة و حتى مستوى الصراع كما ذكرنا كان طفيفا و هامشيا نتيجة التقاسم المساواتي و حل الصراع

¹ ايان ناتيرسول ، العالم من البدايات حتى 4000 قبل الميلاد ، تر: حازم نهار ، ط1 ، ابوظبي : هيئة ابوظبي للثقافة و التراث ، 2011 ، ص 95

² ظهرت مستحاثاته في جبل طارق مثلا :

البيير جكار ، ابتداء الانسان ، تر: اياس حسن ، ط1 ، بيروت : دار الكنوز الادبية ، 1997 ، ص 85

³ بعد حادثة القتل التي جرت بين ابناء ادم قايل و هاييل ، بين الغراب كعطي طبيعي كيفية الدفن للانسان : قال الله تعالى : فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) سورة المائدة.

⁴ يقول هوفر ان الطبيعة هي خصم الانسان و يجب ان يضع لها نهاية بشكل افضل ، الانسان في قهر مستمر من قبل الطبيعة :

يوري ديمتريف ، الانسان الحيوان عبر التاريخ : من الاسطورة و التقديس الى العالم المعاش ، تر: محمد سليمان عبود ، ط1 ، دمشق : دار النير لطباعة و النشر و التوزيع ، 1993 ، ص 7

داخليا و سهولة الانقسامية ، وبدات هاته الجماعة في تكوين المعطيات التواصلية البينذاتية كاللغة التي طورت جوانب الاستمالية الثقافية الجنسية بين الرجل و المرأة الامر الذي دفع للتكاثر و النمو الديمغرافي الموسع¹.

وبظهور الزراعة كمولد جديد و أساس اتاجي ادى هذا الفاعل الى ظهور الجماعة الهرمية و التراتبية الثنائية : المالك و الفن ، السيد و العبد ، هذا التعاظم التكويني المتداخل مع تزايد الحاجة أدى إلى الانتقال من حالة البنية الوحشية إلى البربرية ، هذا الانتقال المعروف بالثورة النيوليثية² جرى فيه هناك بالإضافة إلى تغير في صيغ المجتمع البشري كتمكين التوطن والإستقرار الأمر الذي انعكس على النظام الإجتماعي كعملية الإنجاب و الأنساق المجتمعية التوسعية وكذا التوظيف الفني ، هذا الظهور الطبقي المخالف لمجتمعات الزمر الصيدية التي كانت تخضع لمعامل الطوطمية المرتبط بمجموعة الشعائر الرمزية و التمثلات المعتقدية كمثلا حضور الارواح في الأشياء لعدم قدرة الجماعة على تفسير الظواهر المحيطة كالحسوف و الكسوف ولتأخذ هذه الطوطمية مأخذ الإلزام المفروض على الأفراد وجد التابو كحد فاصل و موقع للعقوبة على من يتعداه³ ، لقد كانت هاته الجماعة الطوطمية تخضع للزعيم و كانت ذات التضامن المتوازي الخطي في اقتسام المقابل ووسائل الانتاج⁴ ، و هته العلاقة الفكرية تحلق العلاقة بين القديس Saint و المؤمن وبالتالي عملية الظهور السلطوي

¹ كارلتون اس.كون - ادوارد أهنت ، السلالات البشرية الحالية ، تر: محمد السيد غلاب ، القاهرة : المكتبة الانجلو مصرية ، 1975 ، ص ص44-

45

² Nèolithique :

جان شالين ، الانسان نشوؤه و ارتقائه ، تر: الصادق قسومة ، ط1 ، دمشق: بتر للنشر و التوزيع ، 2005 ، ص162
³ يرى فرويد ان تراكمية ظهارة القتل التي تكونت كصورة ثابتة في تاريخ الطوطم بقتل الاخوة للاب البدائي للاستفادة من الغنائم الى نشوء الحضارة و خلق المجتمعات الانسانية المتطورة ، و تتفق معه اذ ان القتل كان تيمة اساسية في عملية القسمة في الجماعة الواحدة فمن الواحد - الاثنين و هكذا التي تحول النزاع بين الفرد / الفرد (قايل و هابيل) الى الكل ضد الكل (الحروب الثلاثة العالمية) فالدولة هي هكذا تعبير عن اعلى اشكال التعبير عن غريزة البقاء و الاتانية :

سيغmond فرويد ، الطوطم و التابو: بعض المطابقات في نفسية المتوحشين و العصائيين ، تر: بو علي ياسين ، ط1 ، الاذقية : دار الحوار للنشر و التوزيع ، 1983، ص ص9-13

⁴ يوليوس ليبس ، اصل الاشياء ، تر: كامل اسماعيل ، ط2 ، دمشق : دار المدى للثقافة و النشر ، 2006 ، ص 269

التدريجي للشخص أو الزمر ولكي نعود إلى الفترة البربرية ، فحدث الصراع البيئي داخل الجماعة الواحدة كان غالبا يحل عن طريق الحروب لأن عامل الاستقرار وفر إشكالية الطبيعة الامتدادية التي لا يمكن للأفراد التنازل عنها لأنها تمثل الغلة الإنتاجية و المحل الاستيطاني و بالتالي عدم جدوى الانقسام و البحث عن مكان جديد كما كان الحال في مجتمع الجينز، هذا التكوين النيو-بدني أدى إلى ظهور السلطة العليا التي تفصل في هاته المنازعات المخولة عن طريق النسب أو رابطة الدم أو المكانة الميثولوجية وكذلك عن طريق استهلاك الفائض الذي أدى إلى توطيد المكانة الاجتماعية¹ و السياسية لفرض الهيبة و السيطرة الإجتماعية هذا أدى إلى التغير النوعي في البنى الإنتاجية ، فالعلاقات الإنتاجية القائمة كانت تسير من طرف الأسرة المعيشية و إعادة الإنتاجية مقصورة على البدنة المولد لشبه تصادم بين أنماط الإنتاج المعادة تشاركيًا و التقاسم الإنتاجي التعاوني الذي يتغير بنوع من التبادل بفعل المعرفة التقنية الإنتاجية الجديدة أو الكوارث الطبيعية كنوع من العقد التشاركي بين رؤس المال الهرمي للبدنة و الأعضاء المكونين لها . و تدريجيا بدا التكون الوصياتي على الجماعة و الفرد القادر على تسيير الجماعة التي كانت تفوض له الجماعة كافة صلاحيتها بالتالي بدا صهور القاب القائد و المرزبان و لقد سار هذا العقل البشري ضمن هذا التقديم الموجز باتجاه مطرد بين واقعه و ممكنه ضمن إشكالية النظام الأمثل الذي يمكنه أن يصون و يضمن الرفاه الإجتماعي و يوفر الأمن و الإستقرار الدائمين² و في خضم ذلك كله و جددت الدولة كإنتاج فكري بشري تمثلي و متحقق فكما كون الانسان الكهف و الأكوخ كون الدولة³.

¹ كريس هارمن ، انجلز و اصل المجتمع البشري ، تر: هند خليل كلفت ، ط1 ، القاهرة: المركز القومي للترجمة ، ص ص59-76

² جان جاك روسو ، اصل التفاوت بين الناس ، تر : بولس غانم ، الجزائر : مؤم للنشر ، 1991 ، ص 132

³ جاكوب برونوفسكي ، التطور الحضاري الانساني : ارتقاء الانسان ، تر : احمد مستجير ، القاهرة : الدار المصرية للكتاب ، 1987 ، ص 33

المبحث الاول : جينالوجيا الدولة:

الدولة، من اليسير جدا ترديد هاته التيمة التي تنطوي على معان و مفاهيم عديدة ذوات الإستعمال المختلف في كم هائل من الميادين خارج نطاق اشتغالها أحيانا، فالتعاطي مع هذه التيمة يتراوح بين النطاقين الاستاتيكي و الديناميكي فيقال في وسائل الإعلام كثيرا أن الدولة منحت عروضاً مختلفة للفلاحين و يوصف أن الدولة قضت على التمرد الداخلة بالرغم من أن الدولة ليس لها وجود تعيني إلى من خلال ممارسة مؤسساتها المختلفة التي تعترف بنوع من التخارج بين الدول ، ولذلك فالدولة هي فكرة قبل أن تكون ممارسة تجسدت من خلال التطورية البيولوجية للإنسان و التفاعلات المتكررة الحدوث بين الجماعة أو بين الجماعة و الايكولوجيا التي انتهت بتبني الجماهير و التجمعات البشرية المختلفة لتصبح مادوية .

لهذا فالتنوع الفكري و السياسي الذي اسس لفكرة الحكم و الدولة عموما كان نتيجة التراتبية لتلك الأفكار لتلك التطورية إما بتبنيها أو ضحدها بإقامة تقيض لها و من السليم التطرق لتلك الأفكار لمعرفة الأصول الكامنة وراء التطور الدولي .

مقاربة تأصيلية: تحقيب تاريخي ام تحجيب فكري؟

نحن أمام طرحان مفهوم دولتي أو دولة بذاتها فالدولة لم تكن ذات تطور ثابت في شكله و متوازن خطي بين الحضارات ولو كان ذلك لإخذ عرضنا على أنه نوع من الذاتية فالمفهوم و الممارسة تطوري في سيرورة تاريخية لحد و قته الحالي و عادة ما يكون شكل الدولة هو نفسه تماما من حيث الوظيفة أو المفهوم ، فالنازية و الفاشية مثلاً كتتا توافقان في نفس الشكل الدولي و الاندماج الاجتماعي المكون بالأدلة باعتبارها فكرة ولذلك فهناك مفارقة في ما يخص الدولة كفكرة صورية

وكما هيبة وكفعل، لابد لنا أن تتبع طريقة المعرفة الفكرية لتتضح التوابع فكريا ، فالدولة كمنكر أصبحت جزءا من الحياة الشعبية اليومية بمختلف مفاهيمها التي أصبحت تتردد بنفس الشكل في الواقع الأكاديمي أحيانا وكما ذكرنا فمفهوم الدولة و تطوره الممارساتي مر بمرحلتين برونزية و قروسطية و هنا كذلك نحن بصدد إشكالية موقفية قد تأخذ منا الكثير من حلها ، هل هذه التطورية الدولية كالدولة المدينة و الإمبراطوريات و السلطنات هي حقا دولة و ذات الترابط العلائقي بالدولة الحالية ؟ أم هي مجرد تكوينات سياسية أو قوى سياسية على حد الوصف H.Bull¹ لعلنا من الصعب اتخاذ مقدمات عفوية للإجابة عن هاته الاشكالية المختزلة .

لكن لماذا نحن مطالبين بمعرفة التكوين الدولي أولا ؟ الاجابة التي نعتبرها جد مقنعة المستوحاة من كتاب D.Mill² الذي يضمن في ان هاته المحاول هي معرفة أن أشكال الحكومات تأثر على الحياة العامة و الفردية و أن أشكال الحكومات تأخذ على أنها ليست قدرا محتوما و الافراد هم من يقومون بتشكيلها و تغييرها و قدرتنا على التمييز من خلال المقارنة بين الشكل الفاسد و الصالح للحكومات و ذلك ما يتم فعلا من خلال التطرق المرحلي المنتظم و الزمكاني للظاهرة الدولية و نستطرد بأسباب أخرى و نراها جد مهمة و هو مدى التأثير الداخلي و التأثر بالأنماط الخارجية لصياغة الكينونة الدولية أي هل الدولة هي تاج لسيرورة من التطورات المتعاقبة التي كوتها الذوات فيما بينها من خلال ثقافتها التواصلية البيئذاتية ؟ أي بصورة أكثر بساطة إلى أي مدى يمكن للمجتمع المساهمة في صياغة الفكرة-الدولة . هاته الملكة القدرتية التحليلية التي تمكننا من معرفة الأنماط الاختلافية للبنى الحضارية كمشال الإنسان المنتمي لثقافة معينة و يطلب منه وصف لغرفة وهو لا يعرف ا المكتب او الطاولة فوصفه للغرفة سيكون ناقص بجهله التام لتلك

¹ انور محمد فرج ، نظرية العلاقات الدولية ، السليمانية: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ، 2007 ، ص 24

² David Miller , *Political Philosophy: A Very Short Introduction* ,F.e, New York: Oxford University Press , 2003 ,p 03

الأشياء¹ لذلك فعلى من يبحث لتشكيل أي دولة يجب أن يبحث عن أصل سلطتها ونموها واستمرارها² ويتطرق لأدق الأمور لكمال الفكرة وامتلاك الملكة التحليلية³ أي ضمن هاته التركيبة أشخاص+ أفكار+أشياء⁴ هي ما نحول أن نلمس به هاته المقاربة المفاهيمية للنشوءية الدولية وفي أول المقام وعلى خلاف كثيرين فعلمية البدء في توليد الأفكار مجملا لم تكون وليدة البيئة اليونانية كمنطلق وإنما كانت موروثا كن حقب أبعد بكثير عن التطور الفكري اليوناني ولعل ذلك يبدأ بهرمس أو كما يصوره النص القرآني وعملية المركزة اليونانية مفروضة على باقي الأفكار المتخضعة عنها وهذا بتناقض مع الواقعية السياسية التي تنظر على أن الفكر هو نتاج إنساني عام لا يقتصر على شعب دون آخر وبالتالي جرى التغريب الواضح للفكر وكذا عملية وعي الاتلجنسيا وسواء كان النتاج الفكري الدولي تصوريا (ميتوس) أو واقعيا (لوغس)⁵ فهو يقدم ما يكفي لتفسير الظاهرة الدولية لكن إدلائنا بهذا التفريق الجزافي يجعلنا لا نتظم في مسار الافكار لعم قدرتنا المعرفية المطلقة على التفريق الصحيح البيني لمفاهيم اللغوس و الميتوس ، لذلك فالتحقيب التاريخي سيكون ذات افادة على تحليلنا المقبل لأنها يمنحنا علما بالتطورية التدريجية و التصنيف التميزي .

¹ هيلاري بنام ، العقل والصدق والتاريخ ، تر: حيدر الحاج اسماعيل ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2012 ، ص ص 221-222

² ارنست كاسير ، في المعرفة التاريخية ، تر: احمد حمدي محمود ، ط2 ، القاهرة ، الدار المصرية للكتاب ، 1997 ، ص 56

³ وصفناها بالملكة لانها مرتبطة بالوعي الذاتي (انا فكر و احكم) و لانها ليست اعتباطية فترتبط بالتحليل الاستنباطي للتعاقبية الفكرية ، لأننا يجب باي حال كسر هذا الروتين الهضي بثورة كوبرنيكية الذي يجعلنا نغير حالة ما وصفه البرت كامو "ان الامور طالت أكثر من اللازم" :

Albert Camus, **L'homme Révolté** , Tizi Ouzou : Edition L'odysee , 2010 , p 19

⁴ نحن مدينين للسيد مالك بن نبي بهذا الطرح الاختزالي المعبر عن الشكل التكويني للتفكير :

مالك بن نبي ، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ،

⁵ لهذان المصطلحان استعمالان متغيرة المعنى فاللوغس مثلا قد يعني عقلا و قد يعني واقعا و هناك فرق بين العقلي والواقعي ، و كذلك فنحن لا نتطرق للافكار بقدر ما نتطرق للممارسة :

التطور الدولي: مخاطرة في المرجع الاصيلي

نحن امام مشكلة حقيقية ان ابتدئنا بنقطة معينة على اساس انها انطلاقة التجربة و الفكر الدولي لكن نحاول قدر الامكان كوجه تقريبي ذو الاعتمادية الأركيولوجيا لان معظم الافكار لم يتم تدوينها على نحو المدونين الموسوعيين كأرسطو ، ونحن كذلك اما صعوبة اخرى بين الاسطوغرافيا كرواية تاريخية تثبت ان البداية كانت يونانية و الأركيولوجيا و اثبات وجود عمراني بشري ابعد ما يكون بكثير بموازاة مع اليونانية وتقصد بال عمران توفر مركزية سياسية فوقية و تنظيم هيراركي و استبداد سلطوي و دور فعال و مهم للكهننة و الميثولوجيا كمعطى جامع و اساس للشرعية السلطوية .

و كذلك درجة الصعوبة كامن في التجميع كيانات ذات السمات الاختلافية داخلية بينة واحدة (شرقية ، غربية) و التفريق بينها كأنها تحمل الخصوصيات ذاتها كمتقول الأسيوي و الحالة الاقطاعية او الصراع الحضاري¹ .

وسواءً حرثت الارض بالمعول ام الجرافة فان فستبقى مشكلة الدولة خالدة² و حتى الاصوليات les.racine تبقى غموضية و مما لاشك فيه ان هناك تواصلية و تبادلية الأنساق الفكرية سواءً في حركة المراكنتية او من خلال الغزو الاخمينائي او الغزو المقدوني المضاد فالمدينة الدولة او الدولة المدنية كانت اللبنة الاولى لتخطي المشاعية البدائية و الدخول في مرحلة الاقطاع العبودي

¹ نجد الحكم على التكوينات الجديدة بانها دول ارتباطية بالتاريخ و الحضارات الكلاسيكية دول رجعية و هذا ليس الا مسوغ تبريري لحدة العودة اللاشعور كمحفز صراعي فالصين و روسيا بالرغم من التصنيف الشرقي هما قوتان متنازعتين على المجال الاسيوي ، و الصدام الاخر المبرر عن عدم الوحدة الحرب الافغانية ، ان كوششيسوس لم يمنح الصين قوة اقتصادية لكن منها لها ماوتسي تونغ ، فالاديولوجيا ليست مكون الداخلة الذاتي او الديني فعادة ما تكون مخرجات تالفية و المحيط و الخارج التقاربي بصيغة اللاحضارية (الصين ، اتحاد السوفيياتي) من بين هاته الكتب :

² جان جاك شوفاليه ، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة الى الدولة القومية ، ط5، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 2006 ، ص 19

عبر مرحلة الاستبداد المستنير و لم تكن حكرا على المجتمع الهليني فقط بل حتى عند المجتمع الميزوبوتامي كسمور و أكاد .

اضافة الى ذلك فان الغزو الاخيمني يدل على عملية التسريع التطوري و التقدم المرحلي الذي كون الامبراطورية التي امتدت نحو اليونان و سيطرة على فترة لا باس بها من الزمن على اقليم هيلستيا اليوناني لعل هذا كان له التأثير البالغ كما سنرى مع هيروودوت و فيثاغورس لأنه سيربط تجربتا الشرق بالغرب جغرافيا و كذا بين ان ميمية التكوين الشرقي اسبق اعتباريا من الغرب .

و لن نسلم كما ادلينا بهذا التقسيم فالوحدة بين الشرق و الغرب لن تتم ابدا خاصة بين المسيحية الأرثوذكسية و المجتمع العربي الاسلامي لأنها لم تتجانس على الرغم من الامتداد الفاتح للقسطنطينية لكن تجانست و المجتمع الفارسي و حتى الغرب يمايز داخليا ان افترضنا ان المجتمع الهليني هو مجتمع غربي سنكون ارتكبنا اغلوطة تحليلية فالغرب او البنية الغربية هي تكوينية المجتمع الهلينيستي المقدوني و اللاتيني الروماني، لذلك فمقولة الشرق و الغرب عموما لا ستند على قاعدة ثابتة يمكننا ان نسلم بها او مقولة ما بعد الحرب الباردة و كأنها حادث تاريخي مميز .

المطلب الاول : التطور التاريخي للدولة .

لذلك هناك تطور فكري / ايكولوجي /مرفولوجي هام ابتداءً بشكل بارز بالتطور الذي شهدته أكاد و سومر مجتمع الميزوبوتامي من حيث التمايز اللغوي و تزامنية التطور الاقتصادي الذي اهم في ظهور الكبتية الاجتماعية عن طريق الزراعة و ملاك الراضي الذين بسطوا نفوذهم من خلال التملك ذو الطبيعة البطريركية (الابوية) و الوضيف القني للعبيد و الاحرار على اقية سوائة و ذو التمايز المشاعي في استغلال المياه و الاراض اي لم توجد عنك سلطة بيروقراطية تنظيمية

لتقسم النصيبية الاستغلالية¹، هته العلاقة بين المشاعة و المردودية التي كانت تعود لفئة محددة ولدت طبقة النبلاء الملاك المستحوزين على الهرم الاجتماعي الدافع التقدمي للاستحواذ الموازي للهرمية السياسية لان التفويض السلطوي كان تم من خلال التقديم النبيلي البيني من خلال احتكار الناظمة السلطوية لهته الطبقة الايليغاريكية و كان يجمع هذا النبيل بين الحكم و المسوغ الديني كنوع من الالهة المؤقتة² التي تخلق و تحثي و تعدو لتظهر احيانا اخرى لتثبيت الشرعوي للسلطة فقد كان يجمع بين الكهانة و التملك السياسي /الاقتصاد المدعو الباتيزي و كان هناك جمعيات شعبية تعاونية كجمعية السهبية لبيع الاراضي الزراعية و مجلس الشيوخ الذي كان منه ممثلوا الادارة ، الا انه لم يكن هناك حكم مركزي يوحد مدن اكاد و سومر فقد كان الباتيزي اولغاي لا يملك سوى سلطة مدينة واحدة³ لكن كان النظام موحد من نفس الشكل السياسي وفر مراحل هامة لهته المدن لتحديث الذاتى للبنية ، ما حول الايكولوجيا الميزوبوتامية السفلية الى صراعية تطويرية و تساقية للاستحواذ الكلي على جيوبوليتيكية المعطى، و عملية الوحدة تتطلب عوامل موضوعية في ان تكون البنية مهترئة نتيجة الانقسامية الداخلية في المدن كحفز انقضاضي ووجود قطب خارجي او نمط شخصوي مستقر و انعزالي مترقب لعملية التغير القوتي كعامل زعامي مهم للاتحامية ، سنرى الفرضية محققة للتغذية الاستراتيجية (الوحدة بايعازية الداخل مهما كان نوعها) ، (الوحدة بايعازية الخارج مهما كان نوعها) و درجة السلب او الايجاب ترجع لمدى قبول الداخل للداخل و ثلاثية البنية الداخلية و الخارج ، فلقد كان الصراع داخليا في المدن الميزوبوتامية بين النبلاء المستبدين و صغار المزارعين نتيجة تعاضم السيطرة الكهنوتية ، فهته الارضية المتفسخة المكرسة للسيطرة على النسق الاجتماعي و اذعان الأنساق الشخصية كنوع من ترويض المخيال الاجتماعي لتترك الامور

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، الحضارات القديمة ، ج 1 ، تز: نسيم واكم اليازجي ، ط 1 ، دمشق : دار علائ الدين ، 2000 ، ص ص 84-87

² ارنت كاسيرر ، اللغة و الاسطورة ، تز: سعيد الغاني ، ط 1 ، ابوظبي : هيئة ابوظبي للثقافة و التراث ، 2010 ، ص 51

³ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص 88

على سبيلها، أدى الاحتدام و ظهور تشريع اوركا جينا كمجابهة مؤقتة (لان الوحدة السومرية كان يشوبها العديد من الثورات الدورية للفلاحين بقيادة باتيزي المدن) لكن كل المحاولات لم تقدر المحافظة على نمطية الوضع القائم و التشريع كان نوع امتيازي مهم في التجربة البشرية ، هاته الاحداث ادت لظهور الكاريزما الاكادية (سرجون الاكادي¹) من الشمال الميزوبوتامي و استقواها بدعم الانتقامي للفلاحين من الكهنة و الطبقة الايلغاركية هاته الثورة البروليتارية للطبقة التحتية الزراعية الذي اتمى لها الزعيم الجديد الواقعة في كاش وحدة اكاد و سومر² و قضت على الامتدادات الفكرية و الممارسية الروتينية السياسية في بلاد الميزوبوتامي هذا النظام الاكادي حول السيادة من سومر نحو اكاد ، هته الدولة الاكادية الجديدة المدعومة من الاسر الصغيرة المملوكة لإقطاعات اكنفاية و العبيد، و لكي يضمن الشرعية البعدية اي بعد الثورة ، خاصة و كما ذكرنا ان الصعوبة المتكررة هي صعوبة ايجاد الولاء في الميزوبوتامي السفلية للتقدم الاقطاعي المتميز و بتالي محاولة الاستمالية الكهنوتية و الايلغاركية و ذلك بالازدواجية التحطيمية بالنبوءة (انه ولد الالهة ضمن ما كان يوصف بطقس زواج الالهة من البشر) هذه التوليفة قلبت الصيغة من توريد كهنوتي الى توريد زعامي للميثولوجيا اي تحييد المؤسسة الكهنوتية عن المجال السياسي و الاجتماعي و بناء جهاز عسكري متطور قادر على حماية مركزه فطور الجيش لفرض المنطق القوتي على الفصائل التي هي في حال دائمة ثورانية ، لقد كانت هاته الحالة انودجا مهما لظهور الأرسوقراطية البيروقراطية/العسكرية خاصة بعد سلسلة التحديتات التي قام بها في مجال الزراعة بفصل النمط التجنيدي العام و التحويلي للمجتمع في اوقات الطوارئ كجهاز مليشياتي كان السبب في عمومية الفوضى في مدن الميزوبوتامي، بفصل الجيش و تنظيمه تحول لجيش مهماتي نظامي حقق تقدما توسعيا كجانب غنيمات في عهد نارمسين المكى بملك الاقطار الاربعة (ماري - جبال زاغروس

¹ فوزي رشيد ، سرجون الاكادي ، ط 1 ، بغداد: وزارة الثقافة و الاعلام ، 1990 ، ص 22

² محمود محمد على محمد ، الاصول الشرقية للعلم اليوناني ، ط 1، اسيوط : عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، 1998 ، ص 20

- مدن غيلام - جبال ارمينيا)¹ هذا التوسع كان بفاعلية الجيش المتطور عتاديا و تكتيكيا امد الامبراطورية هاته بتسوية المركزة الشديدة للمجال التي استأنفت فيها القوى الخامدة انيا للظهور لشعورها التجمياعي بتحييد الانتقامي و العمدي الذي اكسبها مسوغ مضاد للتحرك الضدي الثوري ازاء السلطة القائمة و مع تزايد وتيرة التمردات التي كانت شاملة على نطاق المدن المستقلة جوهريا سوءا ولاثيا او دينيا (الهة على راس كل مدينة) زادت اعباء الداخل الاخمدية و توسعت سطوة النبلاء على المدن و كذلك ارتفاع التكلفة العسكرية و طول الفواصل الصحراوية للمساحة المشغولة صعبت عملية تنقل الجيوش السلسلة و ارهقت المركز الاكادي ماليا ادى بالربع للعجز عن القيام بالوظيفة الاستمالية للعامة و الجيش ، عصر التمرد هذا اضعف الوحدة الميزوبوتامية السفلية التي انتهت باغرات الكويتين (الشعوب الجبلية لزاغروس / القبائل الاصل الاكراد)² و حطمت مركزية الدولة الموحدة ، و الصعوبة هنا تكمن فب عدم المعالف التامة بشل النظام الذي اتبعته هاته القبائل الجبلية و لعله كان مقاربا جدا للبداءة التدميرية لل عمران الاغارة من اجل الغنيمة فلم يخلفوا دليلا اركيلوجيا توضيحيا .

الفترة الركودية مهدت لصعود الأوريين- الاتيين من اورك تجمع المدن السومرية الذي و كما ذكرنا هو تجمع يتمتع بقوة النبلاء و الكهنة كعقاد بيني مما اظهر اهتماما بالغا بالتطور الاقتصادي و السيطرة على الاقطاعات الواسعة ملكية خاصة (هذا لي) للنبلاء و نظام الحوافز و المضاربة كنوع من الاستمالة الرهبانية لتويد المشروعية هذا النظام الملكي الثيوقراطي المدبس في المكون الاجتماعي الميزوبوتامي فمثلا شولفي و ابنه ألنا الاهين و تمكن من القضاء على اللامركزية السياسية في مدن سومر و اكاد و ضهرت بشكل بارز الطبقة الملك / الكهنة و النبلاء / الغورشي

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف، مرجع سابق ، ص ص 89-90

² محمد امين زكي بك ، خلاصة تاريخ الكرد و كردستان ، تر : محمد على العوني ، ط 2 ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 2005 ، ص ص 157-158

(انباء البلد و الاسرى و العبيد)¹ ، دفعت عملية التوظيف الميتافيزيقي و السلطة اللامحدودة للنبل و الكهنة الى تشكيلة فئوية فوقية تملك و تحية لا تملك سوى النشاط العملي مما ادى الى التغير الاندفاعي الجماحي في المتخيل الاجتماعي الذي كان مسيطرا على راس ماله الرمزي من قبل الزمرة الحاكمة و توظيفه كبناء يهدم العقل كاحتساب الملح على انه كائن حي² ، فان كان الاضطراب الاكادي سبب تحالف الكهنو-نبلي فالعصر الاوري كان شعبويا نتيجة التغير المفارق في بنية المجتمع الغير مندمج و الغبنياني نتيجة الفوارق الحديثة و العور بالاستغلال الميثولوجي التغبوي و دليل ذلك ملحمة الشعبية جلماش³ التي تحكي عن الاستياء الشعبي كوع من الهرطقة الثورية الموجه ضد نظام المحاكبة و التأويلات الهرمي الموجهة للعوام و لذلك الانقسام لفواعل موازية و متكافئة تؤدي الى حرب الكل ضد الكل التحطيمية الداخلية و تعمل على تعرية الوثائقية الجمعية مما يحظر سبيلية التدخل الخارجي للاغتنام و سد الحاجة فالعمورين بدو الشام دفعهم البحث عن مركز استقرارى الى الاهتداء الجيواستراتيجي بالإغارة على الوحدة المنتقنة تدريجيا و تفكيكها من ميزوتامي السفلية الى مركز جديد (بابل) في ميزوتامي العلوية او من حيث المحاكبة بظهور القانون المستمد قوته الالزامية من الالهوت التاويلي ، صحيح انه يبقى تكريسا للربط المححف لكن و كأداة تنظيمية كان نتاج تميزي للفكر و الاستنارة العقلية للمجتمعات القديمة .

و الصورة التي كانت قبل قدوم العمورين المدفوعين قهرا و استغلابا الى الدخولية في النطاق الميزوتامي و بناء الدولة البابلية هي انها سمة صراعية شديدة على كامل الجيولوجيا الواقعة بين الهلال الخصيب و المنطقة النيلية و كانت فواعله العمورين / الحيشون (اسيا الصغرى) / الكلدانيون

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص 92

² لم يكن المستوى الفكري متدينا بل كان نوع من الجهوية الادواتية التقدمية للافكار التي تنبأها الافراد و فكروا بهاته الادوات ووظفوها :

ه. فرانكفورت واخرون ، ما قبل الفلسفة ، تر: جبرا ابراهيم جبرا ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات للنشر ، 2003 ، ص 153

³ مصطفى النشار ، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، ط1 ، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، 1998 ، ص 120

(تجمع مدن سومر و كلدنة) / العبرانيين (فلسطين) / الحوريون / الفينيقيون (مخور لبنان و سوريا)¹ و لكن قبل التطرق الى دور هاته القوى فإننا سنذكر الدور الفرعوني في اقامة المفهوم الدولتي التشاركي في العصر القديم الذي لا يمكننا اغفاله بتمكن و التمكين التوطيني على طول نهر النيل و الاعتماد على الزراعة كمورد اساسي و يكاد يكون وحيدا في العملية الانتاجية و كقوة محصلة للفائض مسيطر عليها من قبل الكهنة الذين كانت لهم صلاحيات واسعة في التسيير الزراعي كداخل نسقي للأرسترونوميا التفسيرية و الكهنوتية التأويلية ، اضافة الى التوظيف العبودي الذي جرى تخصيصه للعبء العملي كغنائم بشرية عوائية من خلال المغالبة الواقعة في الجهة الجنوبية الضعيفة قوتيا و تقديم الاحباش او الجهة الغربية الليبيون هذا المجتمع العبودي لم يختلف كثيرا عن مجتمع الميزوبوتامي الزراعي الذي كان يعود فائضه للملك و للبناء العمراني المخصص للمعابد و تقديم القربان التي كان يستولي عليها الكهنة مما ادت هاته الطريقة الى تحولهم لشغل مكانة اجتماعية مهمة في المورفولوجيا الفرعونية بعد العائلة الملكية ، لان الحياة العامة ارتبطت بالمعطيات الميثولوجية بشكل واسع و اساسي التي تحولت كفضائل اجتماعية عليا المترجم للولاء التام كنوع من القداسة للعائلة الملكية الفرعونية التي تمثل السلالة اللاهوتية او اللاهوت² المتجسد البشري لذلك نلاحظ دورا مغيبا تماما للأفراد كفاعلين اجتماعيين و مؤثرين على المستويات العليا السياسية كنوع من المشاركة و لذلك كانت هاته الاستجابات العاطفية للأفراد³ الغلبة على التفسير المنطقي للأفراد نتيجة تعقد الظاهرة الطبيعية و تقديم تفسيرات تبدو مقبولة للفرد المتأزم بإيجاد حل لحياته التوقعية الخاصة و كذلك هذا الخيال الرمزي هو نوع من التوازنية النفسية-الاجتماعية⁴ الممنوحة للفرد المطيع ، و

¹ للمزيد راجع :

جامعة من الاساتذة السوفيات ، موجز تاريخ الفلسفة ، تر توفيق سلوم ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 1989 ، ص 153
عبد الله المسيري ، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، ج1 ، ط3 ، القاهرة : دار الشروق ، 2006 ، ص ص 391-397

² حسن طلب ، اصل الفلسفة ، ط1 ، القاهرة : عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 2003 ، ص 96

³ رالف لنتون ، الاصول الحضارية للشخصية ، تر: عبد الرحمان اللبان ، بيروت : دار اليقظة العربية ، 1964 ، ص 29

⁴ جيلبير دوران ، الخيال الرمزي ، تر: علي المصري ، ط2 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1994 ، ص 116

الطبقية المبنية بعلاقات السيطرة على الرمز و الاقتصادية كعمل مقوى للمستويات كبح الوعي الفردي
حتمًا هذا من شأنه ان يبح الرغبة في التمرد التي نشاهدها قليلة في المجتمع الفرعوني في علاقة ان
التمرد = خطيئة بالتالي هو ضامن للاستقرار و الطاعة الكاملة و كمسوغ للاستبداد ، و لكن لم
يكن ذلك كوع من الحتمية فلقد تغيرت هاته الصيغ الي صيغ بديلة فكما كان النظام القائم مكرسا
للتوعية الرمزية للربح اي القدرة على توليد المثال الاصيلي و تشكيل الصور التي تكون واعية و مدركة
من قبل الجماهير والتحكم بها ضمنا او لزوميات على الافراد الانصياع لها و حمايتها عن طريق
الحث الأبوي و لذلك الفرعون اهتم بالعرمان الكهنوتي كريع رمزي يكسبه الشرعية¹ و يحظى
بالمشروعية الشعبية فالمراسيم الدينية تعد واجبا من واجبه اتجاه ابيه الاله (ابن رع) و كان ذلك
بطريقة دورية و كذلك مكسبا لتجديد الولاء من قبل الموظفين، عموما فلقد كان هناك نوعان من
اللاتوازن الحثي فيما يخص المعطى الميثولوجي هذا الشكل متباين يبرز درجة القوة الكهنوتية او
الفرعون ففي فترات الادعائية بالألوهية تبرز القوة الفرعونية للملك و فترات العجز الشرعوي و
الضعف الزعامي كانت تدخل الكهانة لتدعيم المركز و السيطرة الواسعة كما كانت الحالة في عهد
رئيس الثاني الذي تمكن في فترة حكمه التوطيد الكهنوتي و الكسب النفودي التملكي العبودي و
الاقطاعي الواسع و اما الحالة الانتقالية الاخاتونية الدينية (الديانة التوحيدية اتون²) و تغيير المركز
(من طيبة الى تل العمارنة) فتعد حالة شاذة فقد كان هدفة الاستقلالية من التمتع السلطوي
الواسع للجماعات الكهنوتية . و بتالي التخلي عن الكهنة كمنافسين ، و شذوذه الحالة تظهر في
العودة الكهنوتية بعد موته و من داخل الاسرية الاخاتونية حيث اختفت اركيولوجيا اتون و تل
العمارنة مما له ترجمة واضحة على همجية الانتقام الكهنوتي³ ، و لقد استغني عنه شذوذيا كذلك

¹ أ.ف. تريملين ، فلاسفة الشرق ، تر : عبد الحميد سليم ، ط2 ، القاهرة : دار المعارف ، 1994 ، ص 32

² جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي القديم و بدايات التأمل الفلسفي ، ط1 ، القاهرة : الافاق العربية ، 2001 ، ص ص 84-95

³ حسن نعمة ، موسوعة ميثولوجيا و اساطير الشعوب القديمة و معجم اهم المعابد القديمة ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، 1994 ، ص 58

بتشريعات الملك حبيتي¹ كأساس تشبتي مركزي لوضع الأرسوقراطيات المناسبة (نبلاء القصر و ملاك الأراضي غير الكهنة) ومصالحها الطبقية.

ما يميز الدولة الفرعونية هو موقعها الجيوبوليتيكي الكامن وراء مجموعة قطائع الطبيعية او البشرية (صحراء سيناء+ ليبيا منقسمة الى قبائل ضعيفة لم تشكل ذلك القدر الكبير من الخطورة على وجود الدولة الفرعونية) الذي جعلها محمية نوعا من الصراع الدائر في المنطقة البينية الواسعة بين النيل و الميزوبوتاميا، ويمكن تعداد مجموع الحملات المؤثرة التي شنت على المكون الفرعوني و يرجع سبب التراجع العسكري للقوة الفرعونية هو عدم الوجود الانضباطي العسكري لان الشكل العام للجيش كان مكونا اساسا من المرتزقة الاحباش و الليبيين ، هذا الاهتمام السيئ بالبناء العسكري و الاقتصار الاختزالي على الكليشيات الكهنوتية (معابد ، قبور ، اهرامات) هذا الولوج السوري بالداخل كان له بالغ الاثر في نفاذ العجز القدرتي لقوة الخزينة².

و يمكننا تقسيم التعاقب المرحلي للدولة بأربعة نطاقات :

النطاق الاول التشكيلي: و المتمثل بالدولة الثينية تميزت ببروز حيزين مصر العليا و السفلية و تمكن مينس من خلق اتحاد صوري انتهى بمجموعة الحروب الاهلية بين الكيانين وذلك لاعتبارات عديدة منها المكانة المتميزة للنبلاء الاقطاعيين (النوم) الذين وازو بين قدراتهم و الملك الخطية للاعتماد التام على الزراعة كأساس ووحيد للإنتاج و المبادلات المقايضة كنشاط هامشي.

النطاق الثاني تطوري و المتمثل بدول الامبراطورية القديمة كان لا يزال الانفصال قائما بين الكيانين ما فتى ان تغير نحو اتحاد ذو المركزية الشديدة نتيجة الاستقواء العسكري من خلال سلسلة

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص 132

² موريس كروزيه واخرون ، تاريخ الحضارات العام ، ج 1 ، ط2 ، بيروت : منشورات عويس ، 1987 ص ص 50-51

الحمالات (الملك نيفرو) التي كانت تمثل في مجملها اقتصاد غزواي نوع من الفتوحات الاقتصادية لجلب المواد الاولية كالخشب و النحاس الضروري لعملية الابداء العمراني (هرم خوفو¹) خاصة و ان الحاجة لهاته المواد التي لم تكن موجودة في الإيكولوجيا الفرعونية ولدت هذا الدافع الاقتصادي ، وكذلك جلب العبيد الذين كان لهم دور مهم في التخلص من المشاعة الابوية للاقتصاد القديم و توظيفهم في مهام البناء و الخدمة العسكرية كما اشرفنا و كان هناك دعم هام لقبائل النوم الاقطاعية في تدعيم الحملات العسكرية و المعبد كأداة تعبوية وسائطية بين الافراد و الفرعون لتوطيد سلطة المركز و دعمه فالمعبد اداة لا مستقلة وظيفتها الوجودية هي الكسب التأييدي للفرعون ، و اما الجانب الاداري كان تحت تصرف الوزير الاول و زاد نفوذ السلطة بظهور الجهاز الضريبي من اختصاص حكومة الشرف و الى جانب ذلك متابعة اعمال الري و البناء². الاعتماد المتواصل على النوم الاقطاعيين خرق تلك الهرمونية العملية و بين الفرعون و الاقطاعيين لتحول العلاقة هاته في اتجاه تصاعدي عكسي للقوة و اسوء حالة يعبر عنها التاريخ الجانب الازعاني الحاكم للجماعات الكوربوراتية التي مكنت من قيادة حركة استقلالية واسعة في الاقاليم مما اضعف المركز مجددا و دخلت هذا البناء في مرحلة الحروب البينية الداخلية.

النطاق الثالث الأفولية : الدولة الامبراطورية الوسطى التي كان فيها الفرعون ايهاميا لا يتمتع بقوة و نفوذ في الوسط السياسي ، فقد كانت السلطة المطلقة لحكام الاقاليم الممثلة في قبائل النوم المتجاوزة للنمط السياسي نحو انماط التغيير الاجتماعي في عادات و تقاليد الجماعة الرمزية التي تبينت في الأكلوسات الضخمة الغير مبدجة للإله الفرعون ، وهاته التمردات التي مست النسق

¹ الأهرامات كانت متغيرات تجسدية للقوة و العظمة التي يتمتع بها الفرعون مما اكسبه احتراماً داخليا و خارجيا هذا التوظيف الرمزي الصوري و التجسدي يمثل بالزعة الايقونوفيلية :

محمد شوقي الزين ، صنم الحقيقة و رمز المقدس ، مجلة مفكرون ، العنف و المقدس ، العدد 5 ، خريف 2015 ، ص 16

² ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص ص 121-130

الاجتماعي استنكرها الجمهور كعامل اضافي للتكديس الثروتي في يد هاته الجماعة الاقطاعية ما دفع لظهور حراك اجتماعي شديد التغيير والعنف المعبر عنه بالمس الرمزي و تدنيسه كالمراقد الموميائية ، الاضطرابات دائما تكون عاملا مثيرا و استماليا للتدخل الخارجي الذي سيسري بتدخل الهوكسوسي الانقلابي العسكري (العبيد الاحباش) .

النطاق الرابع انبعثي: لاشك في ان الاستعمار الهكسوسي ادى الى خلق وحدة شعورية جمعية للفراعنة المضطهدين ازاء هذا الوافد الخارجي ، وقد ابتدأت العمليات التحريرية بقيادة احمس بتغييره شكل التجنيد العسكري من الاحباش الى الاعتماد التغيري على الليبيين و توسعت هاته الحملات الى نهية في الجنوب و في الدول الفينيقية و انقسمت المملكة الفرعونية الى كيانين جديدين يشغلها وزيران كنوع من اللامركزية السياسية في التسيير الذاتي و كان الملك يجمع بين الاقليمين الضاهر في التاج المزدوج¹ و في هاته المرحلة عادة السلطة للازدواجية بين الفرعون و الكهنة فلم يمثل الفرعون - الاله في هاته الفترة بل التحم بالطقس الكهنوتي فقد كان الفرعون المعين للكاهن الاكبر و خادم المعبد وواهب الاعطيات و الهدايا التي زادت بشكل اكبر من نفوذ الكهنة المكونين لمعبد امون² .

النطاق الخامس الانقسام و الانحطاط : التغيير الراديكالي الذي حصل في هاته الفترة كان لا متوقعا من قبل الكهنة بتحول الخادم الفرعوني الى انقلابي بديانة التوحيدية الاتونية كنوع من الردة و بتغيير العاصمة انبسجت العلاقة التعاقدية بين الفرعون و المعبد³، الذي اثرت على شكل الكهنوتي

¹ تاج ذو ثنائية راسية تشير الى مصر العليا و السفلى :

هـ. فرانكفورت واخرون ، مرجع سابق ، ص 92

² موريس كروزيه واخرون ، مرجع سابق ، ص 65

³ لقد كانت السيادة منقسمة بين الفرعون و الكهنة فالقرارات المركزية كانت تحاول التوفيق بين الرغبتين ، و هذا ما يفسر بسببين اثنين ضعف الحاكم ، او تدن الحاكم :

اندرو كولنز واخرون ، توت عنخ امون و مؤامرة الخروج ، تر : رفعت السيد على ، ط1 ، القاهرة : شركة الامل للطباعة و النشر ، 2005 ، ص

كمنبوذين و منافسين لسير الامور الذي اعاد الاضطرابات كمنبه مضاد للعزل الكهنوتي و تحول الصراع الى حرب الكل ضد الكل بين الفرعون ذو المركز الموجود في تل العمارنة و الكهنة في طيبة و النومات و برغم من محاولات البعديّة للتوفيق و الاستقواء كزواج المصلحي بين الفرعون و الاميرة حثية لم تفلح للضغط الانتقاسمي الشديد التي ادت الى صعود القوى العسكرية المرتزقية بقيادة شيشناق الليبي و تأسيس الدولة النوبية و توالى الصراعات الخارجية مع القوى الاشورية و البابلية التي قضت على اي عملية انبعاثه للقوة الفرعونية الا متأخرا مع الدعم الروماني لكليوباترا و يوليوس قيصر او اوكتافيوس .

فقد كانت و كما ذكرنا قبلا منطقة الواقعة بين الهلال الخصيب و النيل ارضية تهيئية للصراع نتيجة التغير الايكولوجي الدوري و كذا درجة التطور و الحاجة كذلك دافع مهم للتوسع ، لدى حدود الدولة لم تكن مستقرة تماما اي تعرضت لعوامل التقلص و التمدد نتيجة للاعتبارات انفصالية كدور النبلاء و الكهنة و العامل الاثنولوجي الموفر للصراع الداخلي الذي كان دائما عاملا جاذبا للغزو الخارجي المتمثل في اقتصاد النهب اي الاغرات من اجل توفير المواد الاولية ، انه يوصف بالطابع الغرائزي للدولة و اللامكبوح بامتلاكها القوة للتعبير الحقيقي عن القدرة التحطيمية فتصبح الاخلاق او القوانين مجرد لوازم نعتبرها ذات اهمية في فترات الضعف بين العلاقات الرابطة بين هاته القوى² .

و تبين القوى من حيث نمطيتها فالحيثيون عرفوا نظاما عسكريا³ و استبدادا سلطويا او توتوقراطيا لكن كانت تعاني من الالتحام الداخلي فلم تكن ذات الخصوصية الاثنية كالفراعنة او

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص ص 131- 146

² ول واريل ديورانت ، دروس التاريخ ، تر: علي شلش ، ط 1 ، الكويت : دار سعاد الصباح ، 1993 ، ص 209

³ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص ص 153-160

العموريين الذي سيشكلون بابل ، فالاثنوس الحيثي كان منقسما بين فينيقيين اراميين كعانيين عبرانيين و الاختلاف اللغوي بين المسمارية و الهيروغليفية و افترقت الى مركز قوي فالمركز كان يتغير بموجب الحملات اضافة الى الضعف التسييري للقوى الرعوية فالفكروية العسكرية الرعوية لم تقدم للأفراد شيئا مختلفا مما فاقم الترددي و استمرت الثورات الداخلية البعيدة عن المركز و الاصطدامات الخارجية مع مصر و بابل و انحلت جدوى التوجهات العسكرية للحيثيين في شغل المساحة لذلك لم تدم تطويلا هاته القوة الرعوية ، لكن كان هناك وجودا للمجلس كجهاز إداري عسكري و الذي كان مؤلفا من الملك و عائلته الامتدادية هذا المجلس كان يعين الملك و كان يوازي سلطته احيانا¹ ، وكذلك محاولات التقليد التام للأنظمة المحاذية للمركز كآليه او المسوغات الاخرى كابن الاله او المفوض من قبل الاله .

و الفترة التي سبقت الصعود الحيثي كان العموريون يشكلون وحدة تبحث عن مركز اي نوع من الاستعمار الاستيطاني² هاته الهجرة المنظمة الغير صدامية تمكنت من خلق مدينة جديدة عرفت ببابل و كانت مركزا مهما لتشكيل القوة التي ستفرض سيطرتها على كامل الجيوبولوجيا الميزوبوتامي³ .

ان التمكن البابلي من فرض السيطرة و الوحدة على المناطق المحورية في الهلال الخصيب كانت نتيجة التغير الفكري السلطوي فالنظام السابق لم يعد يجدي اي نعي الأرسقراطية التقليدية المزدوجة السلطة بين النبلاء و الكهنة ، و لم تجدي كذلك عملية و التمركز السلطوي و الصلاحيات الواسعة كأساس مونوقراطي ملكي السياسي و العسكري و الاقتصادي و الجوانب المرتبطة الاخرى

¹ موريس كروزيه و اخرون ، مرجع سابق ، ص 204

² لويجي اوقا كافلي ، الجينات و الشعوب و اللغة ، تر: احمد مستجير ، القاهرة : مكتبة الاسرة ، 2004 ، ص 69

³ عبد الله المسيري ، مرجع سابق ، ص 393

وذلك تعدد الالهة و الولاءات الداخلية في المدن وكذلك القوة الاتاجية لتلك الطبقات الاجتماعية الاقطاعية مما يولد التمرد المستمر لهاته المدن المتكافئة الفرص والقوة ، التي كانت تمنح لها استقلالية بصفة دورية كعوع من اللامركزية السياسية المفروضة على المسير او الحاكم من خلال مجلس العوام كعوع من الديموقراطية البدائية¹ ، لذلك كان لابد من التركيبة التي تهدم هذا الريجيم بالإضافة الى ضرورة ايجاد ميكانيزمات من نوع اخر للحكم خاصة وان الوافد يمثل ائنة خارجية عن مجتمع الميزوبوتامي ، الكاريزما / التشريع / التوليفة الميثولوجية ، هاته العوامل مهدت لظهور حمورابي ككاريزما تمكن من تحطيم القوى المنافسة (العلاميين في سمور ، و ماربي في الشمال واشور هاته القوة التي نشأت بعد انقسام مملكة اور) وقد استفاد من النماذج المختلفة للتسيير والحكم السابق للجماعات الشاغلين للحيز الميزوبوتامي كتشريع لبييتشار في البيع والشراء² ، وللقضاء على هذا التنوع والتعدد اللاهوتي في المدن كان لابد من القضاء على هاته الالهة الثانوية الغير رسمية ومحاولة ايجاد الهة جامعة رسمية مركزية فتمكن من خلق شخصية الاله التوحيدى الذي لا ينفي التعدد "ماردوك" يخول لناثبه حمورابي بان يحكم الشعب الميزوبوتامي هذا الخطاب الحمورابي كولاية ميثولوجية كان قويا و الزاميا ليضع تشريعاته (هبة ماردوك³) وليكسب شرعية الالتفاف والحكم الشعبى ، التشريع المكون هذا كان يستمد قوته من اللاهوت المشكل الذي يفرض عدم مناقشة احكامه او الاجتهاد فيها⁴ وكذلك صيغته التدوينية باللغة المسامرية المفهومة للميزوبوتامي و الموضوعة في الساحة العامة لكي لا يعذر بجهل محتواها ، احتوى على 282 (300 في الاصل) مادة و الملاحظ في هذا التشريع الاستعمال المصطلحاتى التميزى الطبقي الاجتماعى المادة 149 مثلا (سيد ، حر ، عبد) وكذلك عقوبة الاعدام كانت كلائمة متكررة و تشمل عادة قضايا نعتقد

¹ موريس كروزيه واخرون ، مرجع سابق ، ص 139

² ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص 96

³ توملين ، مرجع سابق ، ص ص 93-99

⁴ جمال مرزوقي ، مرجع سابق ، ص 205

انها ليست بذلك القدر المسوغ للإعدام ،ويمكن ان نرى بوضوح درجة التمكين الاقطاعي العسكري في التشريع الذي لا يميز بين الاراضي التي كانت تقدم كهبة لطبقة الجنديّة (جنود ، سماكين - حراس) وكذا قانون الوراثة المركزي المذكوري وتنظم الحياة الاسرية¹ ، واما على المستوى الاداري فكان النظام بيروقراطيا مركزيا يجمع الضرائب فتحوّلت العائلة الملكية كمتحكم اساسي في الفائض (الامر الذي عزل اي وسيلة لتحقيق النفوذ النبيلي) مما وطد امتياز الجهاز البيروقراطي الاستغلالي والمتحكم بحركة راس المال المشاعي الريفي والتجاري للعبيد² من خلال اعادة تنظيم المجتمع العبودي والقيام بالإصلاحات الزراعية الواسعة كشق القنوات كما يطلق عليه عملية الريع المائي او المجتمع المائي الذي كانت تقوم فيه السلطة بتقسيم المياه على ملاك الاراضي كل ذلك خلق التوطيد المركزي الهام وقضى على النظام الابوي والحركة التعويضية المرتبطة بنوع جديد من العلاقات الاجتماعية التي ترتبط بالقوة الانتاجية وبين الروتين وخلق المادة الانتاجية الجديدة يآثر ذلك على اسلوب الحياة الاجتماعية وطريقة الكسب العامي وشكل المجتمع عموما .

ولا يجب اغفال الدور القبلي العموري في الدعم الحمورابي كنوع من العصبية المتوطدة بالدين الهينوئي³ والقانون كمعطى تنظيمي هاته العوامل المترابط دعمت حركة القضاء التدريجي على الموروثات اللامركزية المناطقية الدينية والسياسية والاقتصادية و احدث هدوء نسبي بالاقتراب نحو الشعب كحيز مناعي⁴ وتواصلت هاته الحركية بعد حمورابي حتى التغير النمورودي المدعي للألوهية كألهة شاذة في الميزوبوتامي وذلك بسبب المكتسبات المحصلة عن سابقه و

¹ الاب سهيل قاشا ، شريعة حمورابي ، تر: محمود الامين ، ط1 ، لندن : دار الوراق للنشر المحدودة ، 2007 ، ص ص 11-72

² ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص 99-100

³ معنى الهينوئية الاعتقاد الذي لا يجزم بوجود متعدد للإلهة لكن هنا اله واحد اقواها جميعا فوضت له سلطتها ، لاشك اننا نلاحظ التنفن في خطايات حمورابي المعكوس على وضعية المدن المختلفة التوجهات و رغبته في مركزتها في سلطة واحدة :

حسن نعمة ، مرجع سابق ، ص 54

⁴ كالخطابات التي كانت تجسد على شكل نقوش و خصوصا بمحاذاة الفئات العالمية (حمورابي فيض الشعب) :

سبتيينو موسكاتي ، الحضارات السامية ، تر : السيد يعقوب بكر ، بيروت: دار الرقي ، 1957 ، ص 68

ضعف العصبية الجانبية و التطور العمراني كغيره يؤثر على التخييل الاجتماعي للمجتمع الميزوبوتامي والجماعات الحاذية ، مكنه كل ذلك من التعبير عن المرض النرجسي و جنون العظمة¹.

و خلال فترة النمرود بدأت الديانة توحيدية الابراهيمية و ليس الغرض منها التسوية السلطوي هاته المرة بل بنوع من الثورة على المعتقدات السائدة الذي مثلته مخرجات النظام البابلي ، و تكون هاته الصيغة الابراهيمية معطى و حدودي مهم للبرانيين او بنو اسرائيل (يعقوب) الذين سيستوطنون في مصر بإيعاز من يوسف و استطاعوا التوطن بعد ان كانوا بدوا و كان ذلك ابان حكم الهكسوس (الملوك الرعاة)، لكن تغير وضعهم بعد سيطرة الفراعنة من جديد و طرد الهكسوس فقد كانوا جزءا من المجتمع العبودي² و تمكنوا من الوحدة مجددا مع النبي موسى و اخيه النبي هارون و الهجرة خارج الدولة الفرعونية لتكوين الدولي الذاتي الى بلاد الشام (the Exodus) و من الصعوبة معرفة الفترة بتحديد و على الاغلب هي فترة حكم منتاح³.

لقد كانت البنية العبرانية الاجتماعية⁴ تقوم على القبيلة المتكونة من تشكيلات الانقسامية مثل ما يصف لنا النص القرآني 12 تشكيلة ، و كان موسى النبي المحافظ على هاته الوحدة التي

¹ Thomas L.Pangle , **Political Philosophy and god of Abraham** , Usa : The Johns Hopkins university press , 2003 , p-p 122-123

² كمال يعقوب ، **اليهود تاريخ و عقيدة** ، ط 1 ، القاهرة : دار الاعتصام ، 1981 ، ص ص 10-14
³ لكن هناك من لا يوافق على ان النبي موسى خرج من بلاد الفراعنة مثل فرويد الذي يرى انه ليس سوى امتدادا لديانة اخناتون التوحيدية: سيغموند فرويد ، **موسى و التوحيد** ، تر: جورج طرابيشي ، بيروت : دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1987 ، ص ص 144-154
⁴ هناك اشكالية في التكوين النبواني ، فهناك فرق بين لفظ عبراني و يهودي و صهيوني التي تترد لاحقا ، تترايط هاته الكلمات مشكلة بنية غير متناسقة لان العبرانيين كشعب هم بنو اسرائيل اي ابناء النبي يعقوب المنحدرين من بنيه الاسباط و اليهودية هي تمثيل دنيابي التي تظم اثوس متعدد كجان ميمون الفيلسوف عربي - يهودي و اما بالنسبة للصهيونية فهي حركة ايدولوجية بنائية ، التي كونت القومية الاسرائيلية Zionism بإيعاز من الاحداث المكونة بدورها للوحدة الشعورية كحرقه الهولوكوست للمزيد راجع :

جان بوديار ، **المصطنع و الاصطناع** ، تر: جوزيف عبد الله ، ط 1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008 ، ص ص 107-110
جلعاد عسмон ، **من التائه : دراسة في السياسة الهوية اليهودية** ، تر: حزامه حباب ، ط 1 ، الاردن : دار فارس للنشر و التوزيع ، 2012 ، ص

انقسمت بعد موته وخاصة بعد رفضهم الصدام مع الكنعانيين (اذهب انت و ربك فقاتلا) و بتالي فشل تطلعات النبي موسى في بناء مركز قوي حتى مع وجود المتطلبات الموضوعية الدافعة للمجتمع في المساند و كالأسفار كمعطى الزامي و تشريعي هام لكن الاشكالية في السيكلوجيات العبرانيين المعتمدين بشكل كبير على القدرة الالهية في تحقيق الاشياء كمعودات قبل الخروج و الصعوبة تكمن في تحرك الوعي المكبوت و المتصلب الابن به يساويه في الدرجة القوية و نحن نشير الى العلاقة النيوتنية لكل فعل - فعل يوازيه او يفوقه في القوة¹ ، و خلفه يشوع و اعاد الالتحامية مجددا بتمككه من هزم الكنعانيين و بناء الدولة العبرانية المتحدة التي كان فيها المجلس الحاخامي المكون من القضاة السلطة العليا الاتحادية ، الذين تم تحييدهم في زمن النبي شاؤول و توحيد القبائل العبرانية ضمن مركز واحد و في هاته الفترة توالى هزائم العبرانيين بعد الصعود الانتقامي الكنعاني المضاد لان البنية العبرانية انقسمت سياسيا بين شمال مملكة بنو اسرائيل و الجنوب اليهودا كقوتين متكافئتين ، اداة الضهور التجديدي للنبي داوود و سليمان الى توحيد البنية المنقسمة ، التي عادت الى الانقسام بعد موت النبي سليمان لقوة المكاسب التي حققها سليمان في زمنه و انتهى حكم العبرانيين بمجمات شيشناق الليبي و نابوخذنصر .

لاشك ان افتقار العبرانيين للاندماج الاجتماعي نتيجة غياب التوافق القبائلي و الهوية الجمعية² التي تعد خصوصية التحامية هامة و عدم وجود مركز ثابت لم يدعم قيام الدولة طويلا و

¹ Subrahmanyam Chandrasekhar , *Newton's Principia for the Common Reader* , F.e , New York: Oxford University Press , 1995 , p 9

² هناك تناقض في عملية الاسطوغرافيا فتكون عملية التعبير عن التاريخ العبراني مجحفة و تمس الرموز بالنسبة للديانات المتصلة خاصة الاسلامية ، و تقصد على سبب المثال ذكر الصراع البني (شاؤول / داوود) و ذلك يعزى للاعتقاد على العهد القديم كوثيقة للمزيد راجع : ه.ج.ولز ، معالم تاريخ الانسانية ، تر: عبد العزيز توفيق جاويد ، ج 2 ، ط3 ، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ص 18 و العهد القديم كوثيقة متناقضة من حيث المحتوى نتيجة الصراع العبراني - العبراني في تأويل النص و تغيير الحرف ، و ثاني ترجمي لغوي متباين بين العبري و السامري و اليوناني ، و السبب الثالث ضمنى كقصه النبي لوط للمزيد راجع: علي سري محمود المدرس ، العهد القديم دراسة نقدية ، ط1 ، عمان : الاكاديميون للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص ص 92 و ما بعدها احمد اشقر ، قصة لوط: التناخي و ديناميكية العداء للاخرين ، دمشق : دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع ، 2011 .

كانت الالتحامية مربوطة بالزعيم او النبي الحائز على الشرعية الالهية (المصطفى او المختار) كما يقول النبي محمد ان بنو اسرائيل كانت تسوسهم انبيائهم¹ و بغياب النبي تغيب الوحدة التوازنية الرأسية وكذلك لم تكن العلاقات الخارجية تبادلية سلمية بل تميزت بالصراع الدوري المترجم بقيام الدولة لأساس الحماية كمعطى وحيد المثبت بالموقع الجيوستراتيجية للمساحة العبرانية المشغولة التي كانت هامة بالنسبة للقوى الغازية.

وفي هاته الفترة تحديدا تنامت قوة بابل وذلك من خلال الوحدة الداخلية و تصفيت المخاطر التي تحيط بالمركز العبرانيين و اراميين ، و صرح حدائق بابل المعلقة في عهد نابوخذنصر دلالة على عظمت العمراني المركزي التقدمي الذين كان اساسا عن طريق الاقتصاد الغزواتي حيث تمكن من الوصول الى الساحل الغربي من بلاد الشام و مصر و توفير المواد الاولية الازمة و العبيد كذلك لهكذا عمل²، و لم يكن الاساس السلطوي مختلفا عن سابقه و تقصد حمورابي فقد كان الامتداد مهما لهم لذلك يمكن تطبيق اقتراب ماكيل حول العلاقة بين المركز و الاطراف ، فالمركز يحاول الحفاظ على الوضع امن بتحطيم الاطراف و الغزو الاستمراري الذي يكسبها الغنائم الداعمة للمركز³، و على الرغم من قوة الدولة خارجيا الا ان التغير الذي حدث كان داخليا بصعود القوة المنافسة الاشورية شمال بابل، و لم تكن مدينة اشور تحوي مجتمعا زراعيا بل كان المجتمع يعتمد على العلاقات المراكنتية كنمط اتاجي و باحتكار المواد الاولية تزايدت الثورة و حققت فائضا افضى الى صعود الأرستوقراطية التجارية الاتي تكلفت بسير شؤوني للمدينة في اشور وقد كان المجتمع

¹ الحديث كاملا : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن فرات القزاز ، قال : سمعت أبا حازم ، قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين ، فسمعتة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون " قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : " فوا بيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم " صحيح البخاري 3296

² عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2، بيروت: دار الفكر للنشر و التوزيع ، 2000 ، ص ص 613-614

³ انها نفس طريقة الدولة السلطانية التركية :

بيتر بيرك ، علم الاجتماع و التاريخ ، تر: صالح رحمة ، ط1، دمشق: دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، 2007 ، ص 113-114

الاشوري مكون من روابط قبائلية تبادل المنفعة وتحول الى مجتمع عبودي مرحليا ، فالعبيد كان جزءا من علاقات التبادل الامر الذي ادى الى تكون الحيز الدفاعي الأرسوقراطي و تحقيق المكانة الاجتماعية¹ ، ولا يمكن الفصل عموما بين اشور و بابل شكليا او جوهريا² فبابل تداعت دولتها بسبب ضعفها و توقف الغزو و الاستقواء المحيطي بالمركز و بذلك جمعت بين سببين هامين للتداعي تناقص الوضع الترتي و المذلة³ بسيطرة الاطراف على المساحة الامتدادية للمركز فالحثيون و الحوريين القبائل البدوية تمكنت من السيطرة على أجزاء هامة من جيولوجيا الميزوبوتامي ، ان هذا الصراع أدى الى صعود القوة الآشورية هذا الجيل الوحشي⁴ من اشوريا أدى اتساع دائرة الملك و توحيد ميزوبوتاميا ولم يقتصر الأمر على التوجه الحدودي بل الامتداد الضفري بالأقاليم البعيدة وقد كانت السلطة ثيوقراطية عسكرية تجمع بين المعطى الديني (الاله اشور هو السيد الحقيقي للبلاد) والقوة العسكرية المتطورة في تلك الحقبة و توطيد دائرة الحماية داخل الطبقة الحاكمة بتركيز السلطة في يد الملك الذي يمثل القائد العسكري و المستبد السياسي (قمع الثورات + التمثيل بالجثث كرادع)⁵ وبالإضافة إلى ذلك بنية العلاقات الوشائجية شديدة التعقيد الممثلة بالجهاز البيروقراطي العسكري يخدم سلطة الملك المطلقة الوراثية في مجملها بين آشور نيبال و سرجون الثاني 11 سلالة تماثلت من حيث القوة و الاصطدام الداخلية (آشور و بابل) و خارجي (الفراعنة و العبرانيين و الإثيوبيين و العرب) و قد تزعزعت كينونة هاته الدولة بالغزو المدي (الفارسي) وقلصها كذلك من الجهة الغربية

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، صص 180-181

² عبد الوهاب المسيري ، مرجع سابق ، صص 247-257

³ عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، بيروت: دار الفكر للنشر و التوزيع ، 2000 ، صص 247-250

⁴ مرجع نفسه ، صص 243-255

⁵ ول وايرل ديوارنت ، قصة الحضارة الشرق الادنى ، ج 1 ، مج 2 ، بيروت : دار الجيل ، 1988 ، صص 280-281

بحروب الاسترداد الفرعونية¹، الذي مكن من جديد الصعود البابلي بقيادة الكلدانيين (نابو نصر) و التي عرفت عزها في عهد نابوخذ نصر².

ضمن هذه الفترة كان هنالك ظهور مهم للقبايل العربية التي افترقت إلى المركز الوحدوي أو البناء الداخلي ، فقد كانت هاته البنية مكونة من بداعة و قبائل تفصل بينها مجموعة من القطاعات الصحراوية وبالرغم من القيم الجمعية فهي كانت تترجم إلى اندفاعية صراعية كالشرف و الثأر و ذلك ما تصوره لنا موقعة داحس و الغبراء ، و مجملًا فقد كانوا السلالة المنحدرة من النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم و اعتمدوا نظام المبادلات و المقايضة كششاط إنتاجي و بالنسبة للديانة فقد اختلط بين الحنفية الإبراهيمية و الوثنية و اليهودية و النصرانية و الطوطمية أحياناً و كان هناك تفاعل مميز و مستمر بين الإثيوبيين و حمير جنوباً³.

لاشك في أن موقع الدولة الجيوستراتيجي يعد معطاً هام و حساس فمن أسباب عدم استقرار ملك الكنعانيين أو العبرانيين هو انبساطية الموقع فمنطقة بلاد الشام لا تحوي سلاسل جبلية أو قواطع صحراوية إضافة إلى ملائمة المناخ الذي قد يرهق سير الجيوش أو مردودية الأرض و حركة السفن التجارية و هاته الاعتبارات الإيكولوجية لها أثر بالغ على سيكولوجية الأفراد داخل الدولة الواحدة سواء كانوا طبقة حاكمة أو جنوداً أو عامة و عكساً لذلك فالطبيعة الموقعية

¹ ل.ديلا يورت ، بلاد ما بين النهرين : الحضارتين البابلية و الاشورية ، تر: محرم كمال ، ط2 ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 ، صص 277-278

² سبتو موسكاني ، مرجع سابق ، صص 70-71

³ حول القبائل العربية راجع:

سميح دغيم ، اديان و معتقدات العرب ما قبل الاسلام ، ط1 ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، 1995.

عباس محمود العقاد ، الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونانين و العبرين ، القاهرة : دار القلم.

ترفيف فهد ، الكهانة العربية قبل الاسلام ، تر : حين عوده / رندو بعث ، بيروت : شركة قدمس ، 2007.

محمد بيومي حمران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، الاسكندرية : دار المعرفة.

و سلسلة كتب الطيب تيزني جد محممة في الفكر العربي مكونة من 12 جزء للمزيد راجع :

طيب تيزني ، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي : في بواكيره وافاقه الاولى ، ج2 ، ط1 ، دمشق : دار دمشق، 1983

الإيجابية للقبائل الفارسية¹ مهدت لها أرضية مهمة للتحرك والإستقرار وكذا الإستقلال الإقتصادي مما أدى إلى نموهم في القوى الإنتاجية التوازنية بين الزراعية والتجارية كثيبة الدواجن و تطور المهن و هته الأسباب أدت بالمجتمع الفارسي الإنقسامي إلى التحول نحو أنموذج المجتمع العبودي ولم تكن الجيولوجيا الفارسية مسرحا لمتغير واحد إجتماعي فلقد كانت تغزى بالحركات الإجتماعية القادمة نتيجة القهر والحاجة المستخدمة لأسلوب الهجرة الجماعية المنتظمة والعشوائية القادمة من المناطق الآسيور-أوروبية فالصراع بين هته القبائل كان ظاهرا ومفارقا لهته القوى السياسية الصاعدة والنازلة في درجة الفعالية المربوطة بالتوسع المناطقي، وقد تمن المديون بالنظر إلى نتيجة تطورهم من بناء قوة عسكرية واختتام فرصة تصدع الآشوريين بخلق تحالف مدي بابلي كلداني للإطاحة بالمركز الآشوري في نينوى وبذلك لم تبقى في الشرق سوى قوتين بارزتين ، الكلدانيينون و المديون ، فتمكن سياخار من توحيد القبائل عن طريق غزوها بإضعاف قوتها تحت سلطة مركزية ملكية موحدة .

و الفاعل اللدي الصاعد المنتمي إلى نفس جيولوجيا يوازي المدين في القوة و التطور العسكري دخل في منافسة صراعية طويلة مهدت الطريق للصعود الأخيمي بالإنستواء والمدافعة بتوحيد قبائلهم على يد قورش الذي تمكن من تحطيم كلى القوتين² وواصل وإبنه قمبيز مصر و تمددت الدولة الإمبراطورية الجديدة إلى اليونان في عهد داريوس الأول³، و يجبرنا هيروdot عن البنية الإجتماعية الفارسية و تكويناتها كالتعليم الذي يقتصر على التمكين العسكري القيمي (الصدق و ركوب الخيل و الرماية) و تطورت منظومة القيم إلى احترام الوالدين و تحريم الإعدام⁴ ومن الفريد

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص ص 195-196

² ول وايرل ديوارنت ، مرجع سابق ، ص ص 280-281

³ موريس كروزيه واخرون ، مرجع سابق ، ص 214

⁴ هيروdot ، تاريخ هيروdot ، تر: عبد الاله الملاح ، ابوظبي: المجمع الثقافي ، 2006 ص 96

جدا النظر ان هاته الدولة دامت حوالي قرن من الزمن وتمكنت من ترويض الفسيفساء الاجتماعية
الضاهرة على المجتمعات التي حكمتها وكانت طريقتهم في توطيد ملكهم عن طريق الاستحداث
الجذري للحركة الاقتصادية والمنظومة الادارية فلقد شقوا الطرق كوسيلة لتسهيل تنقل الجيوش و
اخماذ الثورات (ثورة الجوس) و سن اللامركزية السياسية بمعدل كل حاكم على راس محافظة و
يكون منتبها الى تلك المنطقة و تحافظ المنطقة الى جانب ذلك على خصوصيتها و نمط انتاجها
كوع من الوفاق و بكل محافظة -حامية و مجلس شورى لتوطيد الدرجة الرقابية للمركز و اما الجهاز
الضريبي فكان يقرر الضريبة المعتدلة التي كان مقبولة نوع ما من قبل النبلاء و العامة ، لذلك فهذه
التجربة مكنت الحمينيين من اتباع سياسة التهدئة و اضمار العداوة و ذلك من خلال الاستفادة من
التجارب الدولة السابقة البائدة التي اعتمدت على القوة كعطى و حيد لتغير الوضع القائم¹ ، و امتد
الجانب الاستمالي التواصلي بين المركز و النبلاء و الكهنة لدعم الفوحات و الاستفادة من اقتسامية
الغنائم التي كانت تمثل لهم مصدرا لجلب الثورة و مزيدا من الحرية ، هاته الدولة الملكية الوراثة لا
تختلف عن الدول التي كانت قائمة في الميزبوتامي سواء من حيث الانماط الانتاجية او الخطابات
الحاكية للجمهور (انا حامي البلاد ، محقق العدالة) و اما المعطى الديني كان غير مستقرا و لم
يوجد له احتضان رسمي منقسم بين الجوسية التي انتهت بها الدولة الفارسية او الزرادشية التي
كانت في مضمونها تشير الى تضاد العالم من خلال الخير و الشر و قد لاقت قبولا واسعا في فارس و
الحيط و الازمنة المتاخرة كما ان الحل لنيثشه في كتابه هكذا تحدث زرادشت ، و اما المسبب
الرئيسي في سقوط الدولة الامبراطورية الاخيماينية فيرجع لشساعة المساحة و عدم التجانس رغم
الاصلاحات الاستمالية المتبعة خاصة في الجهاز العسكري فبعد موت خرخس بعد سلسلة واسعة

¹ ف.دياكوف / س.كوفليف ، مرجع سابق ، ص ص 195-196

من الحروب مع الدول اليونانية و الموقعة المميزة للآثنين في موقعة أولمب تراجعت بشكل المخداري مع النهوض المقدوني¹.

بالوصول الى هذا القدر و الذي نراه غير منصفاً لهته البدايات في التجربة الدولية فاننا نرى مجموعة العوامل البارزة في التكوين الدولي المفاهيمي لدينا كمحاولة تحليلية لهاته الانماط الدولية الناشئة: الدين و المتخيل الاجتماعي ، الملكية الثوقراطية ، اوتوقراطية مونوقراطية غالباً ما تتداخل في تكوين واحد و كأنظمة تمثل العموميات السلطوية لهاته الفترات و ذلك عدم الاكتفاء بالتجارة و الزراعة لتحقيق و خلق الثروة بل التعدي النزوعي للاغارات كنوع جاهز المتمثل في اقتصاديات النهب ، لذلك كان هذا الوسط الزولوجي (الحيواني) متمثلاً في علاقات الصراع البينية نتيجة الانقسامية الشديدة و عدم الرغبة في الخضوع و جدوى العلاقات السلمية التي انت ترى فيها هاته القوى نوعاً من التبعية ، و سبب اخر هو احساس الجماعات البشرية بالتغير النوعي و التحول من الصيد الحيواني الى الصيد البشري لتطور اساليب القتال و الرؤية الضيقة في الحل بواسطة القتل و الابادات كرادع حيث كان يمثل الحرق درجة عالية من الوحشية و عقاب انتقامي.

لذلك فالتحليل هاهنا يأخذ اولوية البراكسيس (العملي) على الممكنات لأننا هنا لا نناقش اطارا معرفياً او مفاهيمياً يكون لنا تفكيراً سياسياً بل نوع ممارساتي كمعطى مخرجاتي سلطوي و نعتقد ان السيطرة الاستبدادية كانت تحوي الابتكار و كذلك عدم بروز مفكرين سياسيين راجع الى عدم وجود نتاجات كتابية و توافق في ان الواقع الاستبدادي كبح الانتاج المعرفي السياسي لكن لم يكبح نتاجات العلوم الاخرى التي هي مجسدة في الاهرامات و حدائق بابل المعلقة.

¹ و.ج.دي بورج ، تراث العالم القديم ، تر : زكي سوس ، القاهرة: مكتبة الانسرة ، ص 224

سنحاول التحليل بناء على الثلاثية الجابرية المعدلة (التي لا نراها حكرا على العقل العربي) القبيلة والغنيمة والعقيدة¹ ونرى انها متوافقة و العملية التحليلية للنسق العام لهاته الحضارات المكونة للدول الناشئة و الصيغة التعديلية هاته تمس كذلك التراتبية الرسمية للسيد الجابري فنأخذها بهاته الصيغة قبيلة/غنيمة/ لان القبيلة كان الدافع في صعودها يستقوي بالترف (السبب الاقتصادي) و العقيدة (بالمعنى الأثروبولوجي) كانت اخر الاشياء المثبتة للسلطان و فرض الهيبة و يحوز على الشرعية (الالهة ، ابن الالهة ن خادم الالهة) و تتغير الصيغة كذلك حسب الظروف الاستثنائية كحالة الانقلابات او الثورات او الديانات المنافسة للمركز ، اذن فالقبيلة كجهاز حيوي ضامن للعصبية الداخلية و التفاخر و المدافعة بين الافراد المنطوين تحت جهازه المغلق المعتمد على الناظم الموسي (الاموئي) او الابوسي (الابوي) في تطوره التكويني خاصة بعد الانتقال من الوضع الدائري الاولي المتمثل بمجتمع الجني الى المجتمع البدنة فأتمتت درجة الاستيعاب القبلي بالفعل الاستقراري و كذلك حدة و درجة الانقسام بنفس الدرجة و القوة و كانت الالتحامية الفويائية المصلحية الدافع المهم في وجود عدو خارجي ، و عادة ما نجد المزاوجة بين القبيلة و البدونة في العديد من المؤلفات و هذا لن يكون له معنى ابدا من حيث المنطق الدلالي لان القبيلة نفترض وجود البداوة كما نفترض وجود التمدين ، المهم ان هاته القبيلة بفعل الاستقرار تغير تركيبها الروابطي بتداخل العلاقتين السوسيو/اقتصادية و السوسيو/ايكولوجية² بزيادة درجة الاتساع او الانطواء و البناء الهرمي الطبقي بدخول العبيد في المعادلة الاجتماعية و العوامل السيكولوجية الفردية كالرغبة في التملك و حب السيطرة كعلاقة بين السادي (المستبد المتبع

¹ محمد عبد الجابري ، العقل السياسي العربي :محدداته و تجلياته ، سلسلة مشروع نقد العقل العربي ، ط4 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000، ص 57

² يركز العلامة ابن خلدون على مفهوم الوحشية و تقابلها الرغبة في التوسع و الهيمنة ، و لو راينا مشروع السيد الجابري فانه يعيد صياغة لغوية للثلاثة الخلدونية أي : القبيلة / العصبية ، العقيدة / الدين ، الغنيمة / الترف :

ابن خلدون ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 243

للأفراد) و المازوشي (المتهى لعملية الإبتلاع) ، فتحوّلت القبيلة من بنية الموازية الى بنية التراتبية منقسمة داخليا الى بنيتين -بفعل المعامل الطبقي- الفوقية و التحتية (السيد و العبد ن المالك و الفن الحاكم و المحكومين) المترجم بالممارسة الاسرية لامتلاك وسائل الانتاج و التي تمثلت في الانتقال من الحالة المشاعية العشائرية (الاستفاداة من الغلة توازيا) الى الحالة الاقطاعية العبودية (كخصوصية في نمط الانتاج الأسيوي / و كمرحلة تطويرية نحو الاستبداد الشرقي المستنير) التي كونت واقعا مختلفا تتحرك فيه الاسر المالكة تجاهيا في توفير متطلب القوة و السطوتية على الاسر الأخرى كنوع من السبابة التحصيلية المدعوم بتحقيق الفائض الذي مكن هاته الاسر من التطوير الذاتى بامتلاك و التوسع عن طريق وسائل تقليدية (الحراس الشخصيين ، احتكار وسائل الانتاج) هذا التنافس ادى الاصطدام العلاقتي (التعدي الاسري) ما ادى الى تحقيق العلاقة التفاضلية غانم/منغوم، مما ادى الى فائض مضاف¹ و مزيد من العمال و الاراضي و العبيد و هنا نقطة الاتصال بين القبيلة و الغنيمة ، فبالإضافة الى الزراعة التي لم تكن مركز الاستقرار الثابت و المطلق الوحيد بعل ترابطها بالمعامل الإيكولوجي المناخي و تزايد الديموغرافي الدافع للعمليات الغزواتية الاقتصادية المتواصلة لسد الحاجة - النخبوية قبلا- على الاقاليم المجاورة التي كان الغرض منها تثبيت المركز.

اذن هذا الترابط العلاقتي بين الغنيمة و القبيلة فليس كل مجتمع سياسي دولة لاقتتار وجود المركز و بتالي حتمية وجود فاعل ثالث -العقيدة- كشرعية للسلطة و تكوين المركز و تعبئة الداخل ازاء الخارج فبدخولها الحيز التشكيلي للجماعة تكونت الدولة (وجود جهاز قمعي/وجهاز

¹ الفائض دائما ما يكون محل ربح للفرد المهيمن على وسائل الانتاج من خلال العمل الفائض و تكريس العامل ليتحول من عامل الى قن ، و حتى العلم يتحول كأساس للتوسع، و قد تطورت هاته العقلية مع النظام الرأسمالي ، و اينما وجد فائض وجدت هناك متعاضات تصاعدية لهيمنة طبقة ضد طبقة اخرى لتنفيها و بتالي اختلاق الصراع الطبقي الحتمي الذي و ليس بالضرورة نجاح الطبقة البروليتارية ما كان الحال في ابادتها بعد انقلاب نابليون على كمونات باريس و لكن التدافع نحو صراع حتمي داخل المجتمع المولد للكراهية و الدورة المفرغة و الغير متناهية هاته ستحكم الطبيعة البشرية ، حول الفائض راجع :

كارل ماركس ، راس المال ، تر : راشد البراوي ، ج2 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1948 ، ص ص 6-1

إيديولوجي) ، وكذلك لأنها نظم اقليما ذو اختلافية الاثنوس و الميثولوجيا ، لذلك هاته الفسيفساء التي كانت تضم بدورها اساس مواز (الهة ، لغة ، امتداد رقعي ، ونمطا اتاجيا) ، قد اختلفت الصيغ العقائدية التي انتجت بشكل او باخر الطاغية المستبد السياسي¹ العامل على ذوبان الافراد التام المنخرطين داخل هذا الحيز الافتراضي المنجز و بتالي انتقائهم كذوات فاعلة ، هذا النمط العقدي-العقائدي انتج ضامتين ، الراعي/الرعية اي التكوين العلائقي بين الدولة و المجتمع كما يصف ذلك فوكو وهذا النسق يجع الرعي محتكرا للعقيدة و بتالي فالعقيدة هنا كجمال جمعي هي نتاج الهدم و ليست ملكا لجميع الافراد فالعقيدة لا تساوي بين الراعي و الرعية و لذلك نرى ان الثورات و التمرد الهدام للبنية يظهر من داخل البنية نفسها خصوصا للتعبير عن التذمر من الصيغ الرمزية المجحفة فوقيا (اخناتون) او قاعديا (سرجون الأكادي) او عن طريق الغزو الخارجي الذي كان يعد سببا لاحقا بعد ارتهان البنية و قليلا جدا ما نرى تمردا بروليتاريا متحركا لإسقاط نظام سياسي بعيدا عن الفكرية الدينية اي عن طريق مطالب اجتماعية اصيلة او سياسية للتعبير عن الحرية و غالبا ما تكون دينية في ذاتها .

ولا ننكر انه بالرغم من الاستبداد الضاهر الى ان مؤسسات الضبط الاجتماعي لم تخترق كالأسرة و السلطة الابوية و الهيمنة الذكورية فلاب الحق في حل الزواج البنت او تحقيقه² و ان كان لدوافع اقتصادية عادة المرتبط بالميراث او المصاهرة المصلحية و لذلك كان دور الاب محوريا بصفته الملقب بالحارس المؤسساتي الأسري، و الواقع انه من خلال التفكيك المستمر لهاته العلاقات المثلثة

¹ الامام عبد الفتاح امام ، الطاغية ، سلسلة كتب المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، 1994 ، ص ص 21-22

² ميشال فوكو ، تاريخ الجنسية : استعمال المتع ، تر : محمد هشام ، المغرب : افريقيا الشرق ، 2004 ، ص ص 76-77

القبيلة الغنيمة العقيدة التي تشكل بنية الدولة المشرقية الناشئة (بالمعنى التقسيمي الجغرافي) حولت العلاقات الوشائجية للمجتمع الى اختزالية ولائية بين الراعي والرعية¹.

المطلب الثاني : الدولة تدقيق مفاهيمي

لقد التزمنا الاطناب في التطرق الى تاريخية الدولة ونراه اساس البداية لهذا الجزء، فمفهمة الدولة ازموية التحديد و الإطلاقات الجزافية عديدة فالمفاهيم التي تأخذ عدة انواع تعريفية مفارقباتية و مجتمعة في صيغ متعددة عادة لا يمكن وجود نطاق كامل للتعرف و التواجد المناسباتي لها على وجه دقيق ، فالدولة ليست بالمركب الحالي و لا منذ فترة و هذا الطرح المغالي يحاول ان يأخذنا بعيدا عن المبتغى التحليلي بتركيز الوعي ازاء المركزية الشديدة لتلك البراديعمات الجاهزة التي نستعملها دونما تدقيق ما تبني لدينا نمطا التسيبي للواقع وعقلا اغترابيا بهته الصيغة الاستيرادية التي لا تتكلف عناء فكري لكنها تؤدي لخلق النمط التغبوي فكريا و استكانيا عن تشخيص ازمات البناء الدولتي الفعلي ، فالاجترار الفكري في التفسير يولد الإنتاجية الاعباطية في مواجهة الاخر فكريا وفق الطريقة الفولترية (اذا اردت ان تتكلم معي فعليك ان تتحكم بمصطلحاتك).

لسنا في نطاق تبريرية الاطناب بل في ابراز الاتجاه الضروري في تحسين الصياغي للأفكار و المفاهيم و المصطلحات ، و بتالي علينا التفريق بين الدولة التي هي انماط متعددة (الامبراطوريات / الامارات / المدينة الدولة) و الدولة المكونة بعد و استقليا (الدولة القومية - الدولة المدنية) و الصعوبة الموجودة في التعاريف التي على كثرتها التاليفية لا تقدم لنا تعريفا ليس فقط جامعا لكن

¹ الولاء الاعمى ، لا يجب ان تختزل نظرنا للولاء انها نوع من الاحتقار و اما الولاء ينقسم الى صيغ مختلفة لقد كانت شدة الولاء للإقطاعي اليايمو السبب التركزبي على تحول الولاء الى عقيدة ظهرت جليا في الاستسلام الإمبراطوري الذي تبعته العامة و توقفت المقاومة في الحرب العالمية الثانية: جوزايا روز رويس ، فلسفة الولاء ، تر : احمد الانصاري ، ط1 ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2002 ، ص ص 33-53

منصفاً ومعقولا للدولة¹، فالمفاهيم هاته مقصور على التطرقية الأساسية لمفاهيم الدولة القومية و المدنية و الدولة الاجتماعية الدولية المربوطة بالقانون الدولي و بمحددات السيادة و الإقليم و الشعب و السلطة و الاعتراف الدولي، و بتالي اقضاء الدولة المابعد و استقلالية التي كانت الجوهر الاساسي في تشكيل التراكمي للدولة القومية، و نحن تطرق الى هاته التعاريف اضبنا لا شك بحجة التحصيل العلمي لأننا تراجعنا عن الثقة بآبي من هاته التعاريف و الافتراضات الدوتية و كأننا ارغمنا على ممارسة الكوجيتو الديكارتية (انا افكر ، انا موجود) الامر الذي تطلب اعادة الاعتبار الصياغي لمفهوم الدولة تدقيقيا .

لغويا فهناك منحى اختلافي للمصطلح فالدولة تأصلت في التاج اللغوي اللاتيني من خلال الكلمة Status التي تعني الطراز الموقف او وضع او حالة حصار ذهنية و مازالت على نفس المعنى اللغوي الأنطولوجي في الإنجليزية State و الفرنسية Etat و الألمانية Staat²، و في اللغة العربية فتحمل أكثر من معنى ، ففي النص القرآني وردت على انها تبدل في الحال و تغير في الوضع (و تلك الايام نداولها بين الناس³) و في معنى الغلبة (كيلا لا يكون دولة بين الاغنياء منكم⁴) و في لسان العرب تضمنت معنى الإدالة اي الغلبة و تعني كذلك الانتقال من الشدة الى الرخاء و تعني المداولة على الامر⁵.

¹ و تتوافق و نظرة محمد علويه بحث يرى ان من يتطرق الى مفهوم الدولة يجب ان يكون ملما بتاريخ فكرة الدولة عارفا بالتطورات التي احدثتها التاريخ في الممالك و الامم ن و كذا رؤية احمد توفيق التفسيرية بين علم الدولة العام الذي يعنى به مفهوم الدولة بشكل اشمل من حيث المراحل التاريخية و التجارب البشرية و علم الدولة الخاص المقصور على تحديدية المناطق :

احمد توفيق ، علم الدولة ، ج 1 ، ط 1 ، مصر : مطبعة النهضة ، 1934 ، ص ص 15-20

² طوني بينيت / لورانس غروسيرغ / ميغان موريس ، معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع ، تر: سعيد الغاني ، ط 1 ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، 2012 ، ص 328

³ سورة ال عمران الاية 140 / انظر اسماعيل بن الكثير الدمشقي ، تفسير القرآن الكريم ، ج 3 ، ط 1 ، القاهرة : الفاروق الحديثة للطباعة و النشر ، ص 200

⁴ سورة الحشر الاية 6-7 / انظر اسماعيل بن الكثير الدمشقي ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 485

⁵ ابن المنصور ، لسان العرب ، ج 11 ، ط 3 ، بيروت : دار صادر ، 1994 ، ص 252-254

و نظريا فهي تتراوح بين اطروحات الاختلافية السوسيوولوجية ، المونولوجية ، البوليتولوجية
وسنحاول استعراضها واتباعها بالنقد اللازم ، فالعقد الاجتماعي¹ (هوبز ، لوك ، روسو) الذي
يعد من الكلاسيكيات في التلقينيات الاكاديمية للفكر السياسي ، فهو اوليا يتكون من علاقة
افتراضية بين الافراد / او بين الافراد و الحاكم ، مع التفسير التقسيمي لمرحلة الجماعة البشرية بين
الحالة الاصلية (الناموس الطبيعي) - التي كانت مختلفة التفسير - والحالة المدنية - التي كانت
اجماعيه في دلالات الحياة الفضلى - ونحن نبحت في الاصوليات وجدنا ان النظرية العقدية ذات
المرجعية الميثولوجية التي يشار اليها في الكتاب المقدس Cavenat/Contrat وكان هذا العهد المقام
بين الله ونوح كنوع من الفرصة الثانية The Second chance² لكي لا يغرق البشرية بطوفان ثاني و
استعارته لهذا التضمن يرى ان الدولة اله فان " سيفيتاس " يتجسد في شخص الملك مطلق
السلطوية و لبلوغ هاته المرتبة هنالك طريقتين عقديتين (بالتالي العلاقة التاويلية : الله-الملك/نوح-
الافراد) اما بالطريقة الابوية الطبيعية بفعل الاكتساب (الطواعية الطبيعية :حروب / قوة الاسر) او
السياسية بالتأسيس (عن طريق الارادة: الاختيار الطوعي)³، و اضافة الى ذلك روسو و لوك اي
في كتابي العقد الاجتماعي والحكومة المدنية⁴ يحاولان ابراز الوضع القائم و الوضع المثالي التغيري لو

¹ قد استألتنا اطروحة المدينة City / Town ، فالمدينة تفترض وجود مواطنين Citizen لعملية البناء و التفاعل و على طول التجارب لم
تقدم الولاء للامير بل كانت تعقد الديمقراطيات المباشرة و البلدة التي كانت تفترض وجود افراد Townsman المكونين للإقطاعات الفيودالية و
الملكيات و منازل House للبناء البلدي ، و يركز و نحن نوافقه كذلك على ان الوعي الملتبس بالفارقة بين البلدة و المدينة كان شديد الغموض
خاصة في الفكر السياسي الفرنسي الذي لم يفرق بين المفهومين و بالتالي صعوبة اليقين بكتابات المثلث التعاقدية الاجتماعي هل كانوا يقصدون البلدة ام
المدينة ، المواطنين ام الافراد ؟ راجع احالة المترجم:

jean jacques rousseau , The Social Contract , Tran: G.D.H Cole , New york : Cosimo Inc , 2008 , p 24

² Jamie L. Perez , **Noah: Mankind's Second Chance** , Volume 2 , United state of america : iUniverse Inc , 2002 ,
p 11

³ توماس هوبز ، الليتاتان : الاصول الطبيعية و السياسية لسلطة الدولة ، تر : ديانا صعب و بشرى صعب ، ط1 ، ابوظبي : هيئة ابوظبي
للثقافة و التراث (كلمة) ، 2011 ، ص ص 180-181

⁴ للمزيد راجع :

جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي او مبادئ القانون السياسي ، تر: عبد العزيز لبيب ، ط1 ، بيروت المنظمة العربية للترجمة ، 2011 ص ص 30
و ما بعدها

جون لوك ، الحكومة المدنية ، تر: محمد شوقي الكيال ، القاهرة : الدار القومية للطباعة و النشر ، ص 5 و ما بعدها

تبعنا التفسيرات المقدمة لكليهما فيحاولان التوفيق بين الواقع والافتراضات و لذلك فالتأويلات في الحالة الاصلية والحالة المدنية اختلفتا ، ولم يقصدا الحالة الاصلية ، الحالة الحقيقية للجماعة البشرية -حتى هوبز- بل الحقيقة المقصورة على اوضاع إنجلترا-لوك و فرنسا-روسو .

اما بالنسبة للنظرية التطورية او النشوئية Evolutionism فأنها تضم مجموعة من الاتجاهات، كأفلاطون والتشبيه الدولي بالكائن العضوي ، و ارسطو بالبناء الاسري كمنواة اساسية و مرحلية اولية للنشوء الدولي، و ابن خلدون بافتراض الدولة وتمثيلها بالدورة الحياتية العمرية الانسانية (ميلاد / ولادة ، قوة/ كهولة ، ضعف / التهرم)¹ ، و الماركسية بنفسير المادي التاريخي كطور مرحلي حتمي (مشاعة ، عبودية ، اقطاع فيودالي ، برجوازية ، اشتراكية نحو كسر الية الدولة و التوجه نحو الانتفاء الدولي و العودة لمرحلة اللادولة)²، فهاته التفسيرات تنضوي داخل منظومة مغلقة المرتبطة بالتفسير الاقتصادي على العالم المعاش (مدى ترابط الزمان بالمكان) فهي لا تصف المجال العام الا بنطاق شحيح من حيث المقارنة ، و بتالي سنصل بهاته التهيئات الة علاقة مثلثة ترابطية بين الهوية-الانتماء / الانا/ و الاتاج التجريدي و أحيانا اخري بالآنا ، التجريدي ، اتاج الهوية و لولا طبقنا مثلا توضيحيا:

ماركس - المادية التاريخية-الاشتراكية العلمية.

الدويلات الاسلامية - ابن خلدون - العصبية ، الغلبة/ الترف /الدين .

فالهوية هي مركب من التاريخ الدين اللغة و التجارب التي تدخل في نطاق مهم في الشخصية³ المثالية لتغيير الواقع الهوياتي الحاضري الى مكسب اعم و هذا ما يربط بالاشتراكية

¹ عبد الرحمان ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ص

² منير شفيق ، الدولة و الثورة ، ط1 ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 2001 ، ص ص 125-217

³ حسن حنفي ، الهوية ، ط1 ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2012 ، ص 63

كطابع هوياتي كوزموبولتاني¹ التي تحولت الى هوية انفصالية او توتاليتارية او باتريموتالية (كوريا الشمالية / الاتحاد السوفياتي / الدول العربية الاشتراكية الادهوكية سوريا ، ليبيا) او صيغ اخرى تحويلية فشلت في تقديم التغير الدولي الذي نحاول الوصول اليه .

وكذلك فنظريتي الحق الالهي والتفويض الالهي قدمتا على انهما عمومي و تفسري يشمل كل البني المعيارية² القائمة على اساس ميثولوجي ولكننا نفرق بين المخلوق واللاخلوق ونقد اساسا ربطهما بدولة الخلافة او الدولة السلطانية التي وان كان اساسها الخليفة او الامر او السلطان كصائن للدين وخليفة للرسول النبي في الولاية ولا تحول الحق للنبي او الخليفة للاستبداد في الحكم وقد كان النص القرآني كخطاب الالهي واضحا بصيغة الامر الى نبيه و المسلمين (امرم شورى بينكم) ولدى لم فهو مستقل عن الأفراد وانه كلام الله الى نبيه محمد و لو اننا نرى تأكيدا من داخل المنظومة الاسلامية على ان الخلافة في الاسلام تستمد من الحاكمية و فالحاكمية لله السلطة الفعلية لله و بالتالي فالدولة هي اعادة انتاج للجبرية و محاولة التفسير اللغوي المحض للكلمات القرآنية خاصة كلمتي (حكم ، امر) في 24-28 لكتاب منظر الحاكمية لأبو الاعلى المودودي³ و لو استرسلنا قليلا من حيث التكوين الذي يقدمه حول الصيغة الجديدة للثيوقراطية - الديمقراطية هي الصيغة التي تجمع بين الحكم الالهي و البشري و هذا المعطي كامل التناقض في ان الالهي الزامي علوي لا يقبل التغيير تكون فيه السيادة لله و البشري الذي تكون في السيادة للشعب او الارادة العامة و هذا التركيب الغير متوازن فكريا و لا واقعيًا السنا هنا نحكم بغير ما انزل الله و نعقبه بما

¹ يورغن هابرماس ، بعد ماركس ، تر: محمد ميلاد، ط1 ، اللادقية : دار الحوار للنشر و التوزيع ، 2002 ، ص 43

² فريدريك انجلز ، اصل العائلة ، تر: احمد عز العرب ، القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، ص ص 113-119

³ ابو الاعلى المودودي ، النظرية السياسية الاسلامية ، القاهرة: دار الفكر ، 1968 ، ص 28 و ما بعدها

انزل الله عندما تلتقي الصيغ الالهية بالصيغ الأمرية للحاكم¹ (اعدام شخص بريء او المنافسة الانتخابية على السلطة) ؟

فالقران هو وحدة اساسية الغير قابلة للتأويل النصوي الجزائي او الاحتواء الذاتوي² (قد عنانا الله بغير الاخرين) ، وحتى الدولة المسيحية (اعطوا ما لقيصر لقيصر و ما للرب للرب)³ وهاته الاسقاطات تعتبر وسيلة اساسية لعملية الهدم و البناء الذي قامت به الدولة المعلمنة لاحقا في وصف المرحلة الباقية بالرباط الالهوتي و محاولة التخلص نحو رباط لائكي اي الى اعادة تأسيس لمعطى ديني جديد من الالمخلق الصادر عن مصدر متعال الذي يكون الهوية الفعلية الى المخلق السياسي الذي تكون في فيه المركزة للسياسي البناء للهوية الانتمائية السياسية و الثقافية و الاجتماعية (الحزب ، المنظمة ، التوجهات العلمية ، الاثنوس) و لذلك عادة ما نجد انواتنا تحول الابدستي نحو التحليلات التي تنتهي بتناقف⁴ اي بين انحطاط الثقافة الداخلية المتراجعة بسبب العجز الابدستي المقدم و التعويض بالثقافة المغايرة الخارجية التي تجعل الفرد الاكاديمي مستلبا (مغتربا) و يدنى نحو الثقافة الجماهيرية ذات الصيغة التجارية (منتج / اشهار + مستهلك / اعجاب)فهاته النزعة التي مهدت لظهور الدولة الحديثة (سواء القومية او الوطنية) اي لواقع بديل عن الدولة - الدولة حيث احتوت هاته المفاهيم عن الدولة قداستها و اليتها و مفاهيم السيادة او الاعتراف الدولي المتعلق بها و هاته المسلمة لم تكن متوفرة للدولة-الدولة من قبل ماكس فيبر هي أنموذج معقلن اي هي الية مؤسسية تملك جهاز بيروقراطي يستحوذ على كل وسائل الاكراه المادي

¹ سبينوزا ، رسالة في الاهوت و السياسة ، تر : حسن حنفي ، ط1 ، بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع ، 2005 ، ص 89

² كولين تيرنر ، الاسلام الاسس ، تر: نجوان نور الدين ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2009 ، ص 80

³ هناك فرق بين الدولة المسيحية التي يفصل فيها بين السلطين الدينية و الزمانية و الدولة الكنسية التي تحول النسق الروحي المخلق متسيدا انظر:

انجيل متى الاصحاح 21-22

⁴ المناقفة او التناقف هو عبارى عن صيرورة علائقية بين الماخ الذي يشكل المنتج و المتلقي الذي يشكل المستهلك و لتلك النوعية الثقافية ثلاثة جوانب ، عفوية ارادية ، تناقف منظم و قسري (الكولونيالية) ، تناقف مخطط و مراقب (النيوكولونيالية) :

دينس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2007 ، ص 105-107

المشروع¹، و العقلنة ترتبط بتغير الاجتماعي في المستوى الديني والثقافي وكذا الطابع البرجوازي للدولة الضمني لمشروع الحداثي الفعلي ذو الطبيعة الأوروبية بالإضافة لأنه يشغل حيزا ضيقا زمكانيا قطاعيا من المراحل السابقة² و الدوائر الأيكولوجية المتنوعة يدخل في نفس الذوات الفاعلة بتركيزه على الفعل الاجتماعي لا على السلوك الاجتماعي اي محاولة تشغيل الانا الأعلى المهيمن على نطاق و حركية الانا العقلية و انتاج صيغة اللاوعي داخل الجماعة فمنظومة القيم و الأفكار يجب ان تكون للجماعة و تحفظ قيم و افكار التكوينية للجماعة التي تعد قضايا كينونية.

ولا يقتصر على وسائل العنف المشروع بل يتعداه الى الراس المال الرمز و العلمي الذي يحدث العجز و الاغتراب الذاتي داخل هذا المجتمع المسيطر عليه من قبل الصفوة Elite التي ستكون كسند تحليلي و نقطة انطلاق للاشتراكين العلميين و الفوضويين فهاته الالة التي صنعها الانسان اصبحت تخرج عن ارادة الانسان³ و على هذه الوتيرة يرى هيوم ان الحكومات مهما بلغت العجز و عدم صلاحياتها فهي تستمد قوتها من الراي العام⁴ و مثال ذلك الدولة الشمولية النازية فقد فاز الحزب النازي بالانتخابات الشعبية فالسلوك الاجتماعي الفردي دفع الى الانشاء القاعدي لهته الانظمة و كم اثرنا سابقا في اتجاه لينين الذي يرى في الثورة البروليتارية كاسرة لآلية الدولة و يرى كل من تولستوي و غوركيف ان الدولة الحالية تسير الاستخدام المنهج للعنف و علينا استبدالها بمعطى تعريي افضل⁵.

واما الدولة كرباط مقدس حسب التوليف الهيفلي فيرى انها عبارة عن تطويرة دياكتيكية تحتوي على ثلاثة مستويات ترابئية من الاسفل الى الاعلى ، مرحلة الحق المجرد فالفرد هو مكون من

¹ مولود زايد الطيب ، علم الاجتماع السياسي ، ط1 ، بنغازي: دار الكتب الوطنية ، 2007 ، ص ص 113-114
² ستيفان هابر ، هيرماس و سيسولوجيا ، تر: محمد جديدي ، ط1 ، العاصمة : منشورات الاختلاف ، 2012 ، ص ص 78-82
³ حليم بركات ، الاعتزاب في الثقافة العربية ، ط1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006 ، ص ص 42-43
⁴ هارولد ج. لاسكي ، الدولة نظريا و عمليا ، تر: خالد سرور ن ط2 ، مصر : شركة الامل للطباعة و النشر ، 2012 ن ص 23
⁵ ستيفن دي تانسي ، علم السياسة الامس ، تر: رشا جمال ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2012 ، ص 103

ذات واعية + شخصية و هاته الأخيرة محل التفرقة بين الانسان و الحيوان فالشخصية هي اساس الحق المجرد ووظيفة العقل هي اصله¹ و صيغة الحق المجرد ترتبط بثلاث اقسام²: الملكية ، التعاقد و الخطأ ، و هاته الاسس المبنية للحق المجرد يسقط افتراض التعاقد الاجتماعي للمثلث (لوك ، هوبز ، روسو) فالملكية الخاصة هي عبارة عن تموضع ارادة شخص ما ازاء ارادة الاخرين و بالتالي فالتعاقد هو الاعلان الصريح لتلك الملكية تقتضي توازن ارادة الشخص أ مع الشخص ب اي تهوية (الهوية) هاته العلاقة منحنيًا الى ارادة كلية نسبية³ تقع في نطاق السلب او الخطأ لان الارادة اللاعقلانية (العواطف ، الميول ، الرغبات ، و الشهوات) تمثل الجزئي من الكلي (اتحاد ارادات) فالأطراف يحتفظون بإراداتهم الجزئية في التعاقد و هو ما يوقع في الخطأ فالتعاقد الاجتماعي كإرادة كلية نسبية يحتوي على ارادات جزئية للإفراد المكونين له و بتالي يقع هذا الخطأ من الارادة الجزئية كالاستبداد في الحكم و التمييز الاثني ، و يقع في نطاق تطبيق القانون الذي هو ليس الا محاولة استرداد الممتلكات التي هي في الاصل حق مجرد و نطاق تعدي الشخص أ على ب بالقتل يتطلب تدخل الدولة كحقيقة عليا (مثال اخلاقي متعال) ان تجزي الشخص أ بسلبه حقه المجرد (الحياة) نتيجة سلبه للحق المجرد للشخص ب و بالتالي فالدولة ليست تعاقدًا بين الاطراف يخولها الحفاظ على هاته الممتلكات بل الى استعادتها و دفع الافراد للتضحية بها و في هاته المرحلة تنشأ اخلاق الضمير او الخلاق الفردية اي بذلك الرادع (الاعدام) يعود الفرد الى التوفيق بينه و بين الاخرين اي بين الارادة الجزئية و الارادة الكلية ، اي القانون الفردي بصيغة نفي التقي (الاوامر ، النواهي ،

¹ هيجل ، الموسوعة الفلسفية ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيجلية ، ط3 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007 ، ص 244

² -----/----- ، اصول فلسفة الحق ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيجلية ، ط3 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007 ، ص 10-59

³ هي الارادة العامة حسب المفهوم التعاقداني الاجتماعي الذي يكتسب غيه الافراد من خلال سيادة الامة لكنها محل تنازع بين الهيئة الحاكمة من جهة و الامة من جهة اخرى :

عبد الغني بسيوني عبد الله ، النظم السياسية و القانون الدستوري ، الاسكندرية : دار المعارف ، ص 39

الحرمات) و بالتالي الخير كمنج و صيغة توحيدية بين الجزئي والكلّي وهذا ما يمهد للمرحلة القادمة ، مرحلة الاخلاق الاجتماعية التي يوازي فيها الاسرة بالكلّي والمجتمع المدني بالجزئي و الدولة بالحظة الفردية (المركب الوحدوي بين الجزئي والكلّي) ة بتالي فالدولة هي وجود عاقل لأنها ذات وجود كلي عيني تحتوي الجزئي و سمو فوّه وهي ليست بالصدفة لقوى طبيعية او رغبوية فردية بل هي نتاج تطوري ضروري مطلق للعقل الكلّي و بالتالي فهي نتاج نهائي جوهرى اخلاقي و مجسد له ة للارادة الكلية الواعية لذاتها و المستمدة من ثلاثة مراحل :

الدولة + الافراد = الدستور / الدولة + الدول الاخرى = القانون الدولي - التاريخ العام.¹

ولا حاجة في ان هيغل بتصوره العيني لا يقدم تصورا عموميا للدولة بل يقع في نطاق الخصوصية ، اذ ما ربطها بتوجهاته الاخرى التأليفية فيتحدث بصيغة النحن اي التاريخ الغربي و التوجه نحو الحداثة و العقلنة (التجاوز الرواسي للميتافيزيقيات التجريدية) و النمطية التخلفي للعالم الشرقي² و الوجه الثاني هو من حيث التحليل الاولي فماركس يصف بان هيغل يأسس لفعالية الفرد المغترب اي كفي للذات ككل مركب مشاعر و عواطف و رغائب و الوجه الانساني³ هو في الاسرة مجد ذاتها تغيير بنيتها تبعا للمؤثرات الداخلية (سبب الزواج مصلحي / مشاعري / ديني، الهيمنة الذكورية ، عمل المرأة وحررتها و تأثير القيم المعولمة على الأنساق السيكلوجية للفرد كالأباحية ، الجنس و الجنذر و علاقات ما قبل الزواج او خارج الزواج) و المتأثرات الخارجية (تغيرات القوى الاتاجية و علاقات الاتاج ، الانقسامات الاسرة الامتدادية) مما ادى الى انحلال

¹ هيغل ، فلسفة الروح ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، ط3 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007 ، ص ص 113-111

² هيغل ، العالم الشرقي ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، ط3 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007 ، ص ص 52-48

³ كارل ماركس ، مخطوطات كارل ماركس لعام 1844 ، تر: محمد مستجير مصطفى ، القاهرة: دار الثقافة الجديدة ، 1974 ، ص 151

الاسرة كبناء كلي¹، و الوجه الاخير في اعتقادنا النقدي هو النطاق الذي تقع فيه الدولة بصلة مع الدول الأخرى او سياسة الدولة الخارجية ففي اوقات الحرب فهي القاضي الوحيد المستخدم للمواطنين بقوة الدستور المستلب للحق بحجة الدفاع عن الارادة العليا الاخلاقية وقد تكون متنافية مع المكونات الاساسية للبناء، المجتمع المدني، الاسرة، الفرد فتعود الدولة الى حالة اللاعقلانية (الغزو، الاستعمار) و اما بالنسبة للدولة فهي غاية من اجل ذاتها لا لذاتها او في ذاتها اي نعي غاية وجود الدولة هو تحقيق غاية كبرى ممثلة في امن و رفاهية الافراد بسبب وجودها الفعلي الجسد من خلال المرفق العام الخدماتي وليست هي نهاية الغاية².

و اما بالنسبة للمفاهيم المنولوجية المستفيضة من المسلمات الكلاسيكية للدولة المرتبطة بالقانون الدولي و القانون العام، و نعي بها عملية التوليد الغير منصف للمفهوم فبالإضافة الى انها اختزالية شديدة و بسيطة الطرح تحاول اعطاء عموميات كلية و نهائية للمفهوم اي التحول من المفهوم بوصفه مفهوما مختلف في صيغه بتغير مراكزنا الفكرية الزمكانية النسبية الى المفهوم القانون المطلق الممارس على نطاق اوسع بتداخل مع نطاق التكويني للمفهوم الاصل (الدولة - الفكرة) لعدم التلازم العقلي بين المظهر الدولي الاقدم (الدولة المخزنية لم تكن لها حدود ثابتة فتتقدم و تنقلص بفعل العوامل القاهرة) و الاحداث، لذلك سنقول ان الاقدم هو اللادولة / و الاحداث هو الدولة، لكن ان افترضنا ذلك الانمارس واقعا تغبويا ؟ الدولة الحالية تنقلص و تتمدد بفعل العوامل الموضوعية للكينونة الدولية (هذا الافتراض التنظيري الجديد الذي سنحاول في الفصل الثالث اثباته) و هي (الانقسامية - السودان الشمالي و الجنوبي / الاتحامية القرم و الاتحاد الروسي / التحويلية العراق الفدرالي مع اقليم كردستان / الابتوزيس (الانتقاء و الافول) الدول الاوروبية الشرقية يوغسلافيا)

¹ اليزاب و ليكينز، مبادئ العلوم الاجتماعية، تر: فادية عمر الجولاني، ط1، الجزيرة: المكتبة المصرية للنشر و التوزيع، 2010، ص ص 56-61

² ا.م.جود، النظريات السياسية الحديثة، تر: عبد الرحمان صديقي ابو طالب، ط2، القاهرة: شركة الامل للطباعة و النشر، 2012، ص ص

و بالتالي العودة للحكم ان الدولة الاقدم او التقليدية تغيرت من حيث الجوهر (المجتمع المدني / الاحزاب ، العقلنة ، القانون الوضعي) بالمقارنة مع الدولة الاحداث او الحديثة التي غيرت صيغة الدولة بالجنسية / الوطنية ، المجتمع السياسي ، العلمنة و سنحاول ذكرها عموماً¹:

عبارة عن مجموعة كبيرة من الناس يقطن على وجه الدوام اقليماً معيناً ويتمتع بالشخصية المعنوية و النظام السياسي و الاستقلال السياسي / التشخيص القانوني لأمة ما . / هي مجموعة من الافراد تقطن بصفة دائمة في اقليم معين و تخضع لسلطة معينة . / عبارة عن ذلك الشخص المعنوي الذي يمثل الأمة ، تقطن ارضا معينة والذي بيده السلطة العامة او كما يسمونها السيادة . / مجموعة من الافراد يقيمون بصفة دائمة في اقليم معين و يسيطر عليهم هيئة منظمة تستقر الناس على تسميتها حكومة / انها مجموعة من الافراد يقطنون اقليماً معيناً و يخضعون لسلطان الاغلبية او سلطان طائفة منهم / هي الشكل الاساسي للمجتمعات و هي السلطة التي تنظم العلاقات الاجتماعية و تصوغ القوانين و تنفعاها ، و تقوم على نوع من الاتفاق و الاجماع او العلاقات المحددة بين الحاكم و المحكوم و لها اركان هي الشعب و الارض و السيادة و الاعتراف الدولي / تنظيم له وحدة الحق في الممارسة السلطة على سكان منطقة جغرافية محدودة .

انطلاقاً من هاته التعاريف يتشكل لدينا خمسة خصائص اساسية للدولة حسب هذا الطرح:

¹ للمزيد راجع :

ابراهيم عبد العزيز شيجا ، النظم السياسية : الدول والحكومات ، الاسكندرية : منشأة المعارف ، 2007 ، ص 16
عثمان محمد عثمان ، النظم السياسية ، الإسكندرية : دار الجامعة الجديدة ، 2005 ، ص 22
رجب عبد الحميد ، مبادئ العلوم السياسية ، القاهرة : دار ابو المجد ، ص 105
فضل الله اسماعيل ، تطور الفكر السياسي الغربي ، ط 1 ، الاسكندرية : مكتبة بستان المعرفة ، 2005 ، ص 21
داوود باز ، بناء الدولة : المفهوم - الاركاب - الشكل في الشريعة الاسلامية و الشريعة الوضعية ، الاسكندرية : دار الفكر الجامعي ، ص 15
اسماعيل عبد الفتاح ، معجم المصطلحات السياسية و الاستراتيجية ، ط 1 ، القاهرة : العربي للنشر و التوزيع ، 2008 ، ص 142
وضاح زنتون ، المعجم السياسي ، ط 1 ، عمان : دار اسامه للنشر و التوزيع ، 2010 ، ص 177

الإقليم: هو عبارة عن تلك الرقعة التي ينسب عليها الشعب/ الشعب : هو مجموعة الأفراد التي تشغل حيز الإقليم/ السلطة السياسية : وهو ذلك الكيان الذي يخضع له الافراد / السيادة : او الحاكمية وهي عبارة عن المتغير الذي يلزم الافراد الخضوع للسلطة المركزية عن طريق الميكانيزم القانوني (الدستور ، التشريعات المختلفة) الدولة للقبول بالوجود الدولي البني عن طريق الميكانيزم نفسه/ الاعتراف الدولي: وهو قبول المجتمع الدولي للكيانات الموجودة عن طريق الامم المتحدة مثلا كمنظمة حائزة على الشرعية.

و تمثل العناصر الاقليم ، الشعب ، السلطة المظهر لكل دولة تاريخيا و السيادة و الاعتراف الدولي الجوهر

من حيث المظهر فمثلا:

اينا - Polis - الجمعية العامة / روما - Res-Publica (الشيء العام) - مجلس الشيوخ
الجمهورية القيصرة الإمبراطورية ، الحكم الثلاثي عهد يوليوس قيصر¹ ، المسلمون - الرعية)
عرب/شعوبين / اهل الذمة) - الخلافة ، و حديثا: (اقليم الدولة الحديثة) - المواطنة المدنية -
السلطات الثلاث .

لم يتغير المظهر الدولي عموما لكن ما تغير هو الجوهر (الماهية) والذي يعتبر كمنشوق ممارساتي و بناء اسهمت في إنشائه مختلف التفاعلات التاريخية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية ن كضهور القانون الوضعي و مفاهيم المواطنة و العلمنة و الماكينة التي عبر عنها اوليا بالسيادة هذا المفهوم ارتبط التنظير له عمليا بجون بودان (لأنه مفاهيميا كون في التفكير الارسطي)

¹ عبد الرحمان بدوي ، فلسفة القانون و السياسة في فلسفة هيجل ، ط1 ، (بيروت : دار الشروق) ، 1996 ، ص 162

ابان الحروب الدينية الاوروبية حوالي القرنين 15/16 م وبتالي نظرية السيادة¹ كانت كمفهوم عملي تجاوزي للديني اي التحول من الجيو- ديني الى الجيوبوليتيكي وحد الدولة على اساس هيئة حاكمة لها السيادة المطلقة يخضع لها المواطنين بغض النظر عن مدة اختلافاتهم الدينية (التحول من المواطن -الديني / الى المواطن- المدني) وهاته السيادة غير محدودة اي لا تنتهي بموت الحاكم ولا تقبل الانقسام والحاشية الموجودة في الفكر السياسي لبودان الذي سيمهد لظهور الدولة الحديثة (واستقليا 1648) والمفهوم العملي الذي كان موجودا قبلها متجسدا في الفكر الزعامي (قورش ، حمورابي ، براكليس) او هيئة حاكمة (مجلس الشيوخ ، مجلس الاعيان الالغاركي) او في يد العامة (الهيئة العامة) ، وذلك ان السيادة قديما كانت تنتهي بنهاية الزعامة او الحملات الانقلابية (سرجون الأكادي ، شيشناق) او التدخل الخارجي ، وكانت المواطنة مربوطة بالدين (العبرانيين ، مسلمين في العهد الاموي / تغيرت في العهد العباسي) او الاثوس (الغير اثيني لا يعتبر مواطنا) وحتى تعداه للحالة الجنوسية (المرأة ليست مواطنا) او اللغة او الفكر او المكانة (اسرة تشو الصينية قراراتها الفوقية لا تشمل الاقطاعيين) ، اي انها لم تكن تشمل جميع التشكيلات الاجتماعية تحت صيغة المواطنة-المدنية و اضافة الى ذلك انقسامية بين الجامعات المتنافسة والمتوازية كما الحالة السومرية - الاكادية للمدن ، والعنصر الاخر المتمثل في الاعتراف الدولي فمثلا اسرائيل والسلطة الفلسطينية سلطتان تشغلان حيزيان مزدوجان مع وجودية الشعب لكن الاعتراف تباين بين الدول العربية في حد ذاتها والمجتمع الدولي وتدخل القانون الدولي الذي يعترف بإسرائيل كدولة لها حقوق والتزامات والسلطة الفلسطينية التي حصلت على العضوة في الأمم المتحدة مؤخرا² ، لكن يبقى الاعتراف خاضعا لعلاقات الزبائنية الدولية (الإستمالة-التهديد-الضغط) وكذلك تاوان لا

¹ للمزيد راجع :

محمد اسماعيل ، علم السياسة ، ج 1 ، (القاهرة : دار النهضة العربية) ، 1996 ، ص ص 104-113

² حول هذا المشكل راجع :

Susan M. Akram and Other , **International Law and the Israeli-Palestinian Conflict: A Rights-Based Approach to Middle East Peace** , Usa : Routledge , 2011 , p-p 13-245

تحتل باعتراف الصين الشعبية وإمارة موناكو لا تحضى بالإعتراف كدولة مستقلة و المنظمات الدولية بالرغم من تمتعها بالشخصية القانونية إلى أنها لا تعتبر كدولة و الجماعات الإرهابية بالرغم من شغلها حيزا معيناً متوفراً على سلطة سياسية و تحوي مجموعة من الأفراد فإنها لا تحصل على اعتراف دولي وإقليم القرم بالرغم من انفصاله عن أوكرانيا بعمليات الضم الروسي لا يحضى باعتراف أوروبي و هكذا في نفس السياق الصحراء الغربية .

كل ما حاولنا تفسيره يعكس ضبابية مفهوم الدولة و وهم السياسة¹ وحتى المحاولات العديد التي تعمل على صياغة سهلة تجحف في المعنى البنائي التحليلي ولذلك حاولنا الوصول إلى ثلاثة إستنتاجات ثبتت نسبية المفهوم و مرافعة العمومية :

1. مبدأ الجوهر و المظهر وهو أن الدولة في سيرورتها التاريخية لم تتغير من حيث الشكل (إقليم- شعب- سلطة) لكن تغيرت من حيث المضمون (مؤسسة السلطة، مواطنة، تقسيم العمل، نقابات، البناء الطبقي، الأحزاب، جماعة الضغط) .
2. مبدأ العمومية و الخصوصية فمفهوم الدولة يجمع كما رأينا بين علم الدولة العام الذي يعنى بكافة أشكال الدولة خلال فترات التمرحلت التاريخية أو المكانية و علم الدولة الخاص الذي يتطرق بالدراسة مضمون دولة معينة من حيث نشأتها و حالتها أو حاضرها و مستقبلها فمثلا البنية الأوربية أنتجت دولاً شمولية قومية ديمقراطية ملكية الدستورية و البنية العربية أنتجت المشيخات ، المخزن² ، الدول الرعية الباتريمونالية ، الدول الرعية النيوبتيمونالية .

¹ اندريه توزيل و اخرون ، ماركس و نقده للسياسة ، تر جوزيف عبد الله ، ط1 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر ، 1981 ، ص 87
² الميشخات الدولة التي يديرها الشيخ كامرات الخليج العربي ، و المخزن سنتطرق اليه بتفصل لاحقاً : هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، ط1 ، بيروت : دار الكونز الادبية ، 1998 ، ص 12

3. المبدأ الاستاتيكي و الديناميكي¹: أي بين الثابت و المتغير ونعني أن الظاهرة يجب أن تدرس بالتكافؤ بين الاستاتيكي وهي الحالة الراهنة بغض التطور و التغير وهذا قد يحدث قطيعة أستمية مع السابق لذلك تتدخل الديناميكا والتي هي الدراسة الدولية في حالة التغير و التطور فمثلا بين طرح فيبر و ابن خلدون أي بين المفهوم المقصور على البنية الأوربية و المفهوم المعني بالبنية العربية ، فمثلا ماكس فيبر عندما سيتصيح مفهوم الدولة بأنها توليدية حديثة ونحن نتفق معه من حيث النمط الحديث بالمعنى العلمي للكلمة بانه نظام إداري قانوني له إمكانية للتغيير عن طريق اللوائح و توجيه هيئة إدارية (بيروقراطية) التي يخضع سلطتها كل الأفراد المنطوين تحت إقليمها (سلطة مكانية) وغالبا ما كان يظهر النسق نفسه في الأنظمة التقليدية التي كانت تصل فيها الزمر للحكم عن طريق الثورة أو الانقلاب أو الاستحداث التكيف الهرمي كمجلس البريتاني في عهد صولون ولم تكن الأبوية نظاما متغلبا في جميع النواحي التاريخية وإنما كان هناك نوع من التباين الشذوذي ومن الصعب بما كان أن نصف فترات متعاقبة طويلة من الخبرات البشرية بنوع من الاختزالية و الإطلاقية بمعنى أنها حقبة لها خصوصية واحدة هذا المشروع المادي الذي كان مستحوذا عليه في جملة الأنظمة التقليدية كأسرة التشين وبالتالي الفرق بين الاستاتيكي الذي كان مركزا ف المفهوم الفايبري تعوزه ملكة الحكم الصحيح وحتى الدلالي لأنه كان واصفا لنظام سياسي موجود فعلا وإعادة ترتيبه فهذا ينافي النتاج الإبستيمي المرهون بما هو ميتودولوجي كطريقة للتفكير، و الخلل المتواصل في المنظومية المفاهيمية هي لاشك حاصلة في التحول الإبستيمي إلى الإيديولوجي .

¹ رحيم او رغيف ، المعجم الفلسفي الشامل ، ج 1 ، ط 1 ، بيروت : دار الحجة البيضاء ، 2013 ، ص ص 553-554

المطلب الثالث: علاقة الدولة ببعض المفاهيم.

إن حركة الأفكار الموجودة في كينوتنا نحت كذوات عاقلة و فاعلة و شاعرة بصورة تامة تتأثر و تتأثر بمجالها الحركي بمجموعة المعاملات التغييرية (الدين-الإيديولوجية-التغير الاجتماعي) لأننا نحن المتعامل معها فهي عادة ما تكون ذات مصدر المتعال أو الإنتاج الذاتي أو البين ذاتي لقد لنا نسقا هاما لشكل من الأشكال المتولدة التي تستمر أو تنتهي عبر إمكانية توفيقها أو تلفيقها بالجمع بين المتناقضات أو المتزادات و الكل يرجع لمجال الوعي الجمعي و تقصد تمام القصد الافكار الأشد تأثيرا على موضوعنا الحالي ، الدين ، الإيديولوجيا ، التغير الاجتماعي هاته الاسباب الثلاثة ماثرة بشكل أو بآخر سلبا و إيجابا على نتائج المعادلة التي تربط الدولة بالعلاقات الاجتماعية بين الذات و الآخر أي بين مكونات الدولة المرهونة بالظهور أو الأفول ، القوة أو الضعف حسب احتياج الدولة للؤسسات و عمليات الماثراتية الداخلية و الخارجية التي ترتبط بالحركة الايكو-تاريخية و محاولة التغيير الماحولي للأشياء التي حوت الفرد وداخله و محيطه .

علاقة الدولة بالدين: يختلف في تفسير الدين باختلاف التوجهات و المضامين و لا تحمل كلمة دين معنى واحد و لا مفهوما جامع و نحاول أن نوظف المفهوم حسب علاقته الظاهرية بالدولة فالدين دائما يرتبط بما¹ أعتقد و لو قدمنا تعريفا مختلفا لما يعني ديني حقيقة فإننا نوصف بنوع من المغالاة الهرطوقية لذلك فمهوم الدين هيولي كما هو تصور لنا أنه ثابت ، متغير يخضع للتأويل و التحوير و التوظيف ليخلق الطائفة ، الشيخ ، الفقيه ، المريد ، الكافر . و غالبا ما يأخذ طابعا فرديا صراعيا و صيغة فرضية حيث يتحول الدين إلى الأدلجة الممنهجة .

¹ المشكلة الحقيقية هي في المحورة التي تتم في الديني حيث يتحول الى ان ديني هو الحقيقي : جوزايا رويس ، مصادر البصيرة الانسانية ، تر: احمد الانصاري ، ط1 ، القاهر: المجلس الاعلى للثقافة ، 2007 ، ص 19

و الدين هو مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تأمن بها جماعة معينة تسد حاجة الفرد و المجتمع أساسها الوجدان و للعقل مجال فيها¹ هذا التعريف يجمع بين الدين الرسمي و اللارسمي و تقصد الرسمي مجموعة الأديان التي تعتمد على دلائل قوية كالكتب السماوية أو الكتب التوليفية كدليل مرجعي للأفراد المنخرطين فيه ، و الغير رسمي نعني به التحول الذي يطرأ عادة على الاعتقادات الهامشية² التي لم تكن كالدين الرسمي كمنظومة نظامية اجتماعية لكنها تحولت كذلك لتبني الأفراد لها كالسحر و الأسطورة³ التي عادة ما كانت تتحول من ممارسة فردية إلى اعتقادية سيطرية على المخيال الاجتماعي للأفراد المكونين للجماعة لذلك نفرق بين الطوطمية و التي تعني عضوية العشير المرتبطة بعنصر سلالي حيواني معين يمثل الرمز في العملية الطقوسية كنوع من الجمع بين الفيتشية (الوثنية) و النسب الأبوي الأسطوري و لقد مثلت هذه الجماعة القرابية تغيرها في الأصل و الإيكولوجيا بمجموعة الطقوس التي كان أساسها الوجدان و العقل كذلك وعموما فالمفهوم الشمولي للدين قد ارتبط بمراحل التمرحلت التاريخية للديانة البشرية Animisme (المذهب الحيوي كالطوطمية)⁴ و عبادة الأسفال و نستزيد معها التآليه الأنوي ، تعدد الآلهة كالمجتمع الهليليني و مرحلة التوحيد التي تظم الديانات الكبرى ، اليهودية ، المسيحية ، الإسلام و البوذية⁵ و باقي الديانات التوحيدية الهامشية كالمانوية و السيخية⁶ و لا يعكس ما ذكرناه سيرورة تاريخية بل تمرحل ، و الفرق

¹ إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، 1983 ، ص 87

² اي تلك المستويات المختلفة التي تتحول من فردي الى عام عن طريق استئالة الاخرين كالسحر فهو يعد معتقدا لكنه يرتبط باغراض محدودة لا تتوسع خارج نطاق رغبات الاشباعية للفرد المتحكم للجماعة :

يوسف شلحت ، نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني ، ط1، بيروت : دار الفارابي ، 2003 ، ص ص 55-57

³ كلود ليفي شتراوس ، الأنثروبولوجيا البنوية ، تر: مصطفى صالح ، دمشق : منشوريات وزارة الثقافة و الارشاد القومي ،

1977 ، ص ص 20-203

⁴ موسوعة ميثولوجيا و اساطير الشعوب القديمة ، مرجع سابق ، ص ص 52-53

⁵ شارلوت سيجور ، موسوعة علم الانسان : المفاهيم و المصطلحات الاثروبولوجية ، تر: محمد الجوهري ، ط2 ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ،

2009 ، ص ص 242-243

⁶ حول الاديان في العالم راجع :

هوستن سميث ، اديان العالم ، تر: سعد رستم ، ط3 ، حلب : دار الجسور الثقافية ، 2007 ، ص ص 30 و ما بعدها

بن السيورة و التمرحل هو أنه المعطي الأولي قائم على التطورية عبر فترات ثابتة تنتهي بجمتية و المفهوم الثاني عبارة عن مرحلية تاريخية لا تشكل بالضرورة علاقة مترابطة بين حلقاتها ولا لغاية حتمية ولن ندخل في جدال مستديم الذي خاض فيه مجموع السوسولوجيين و الانثروبولوجيين حول أصل الدين¹ و غالبا ما كان ينتهي التحليل إلى العدمية Nihilism التصوري بموت الآلهة أو تعطلها كما حدث في الفكر التشوي² .

ونجد عمومية النزعة كذلك في تعريف الدين كنوع من الممارسة الفكرية لذا دوركايم حيث يتصور أن أي مفهوم للدين يجب أن يكون جامعا سواءا أكان ذلك الدين توحيديا (مفهوم الألوهة) أو ديانة البدائين أو صيغ أخرى و إنه ينضوي على خصيصة وحدوية من حيث المجال فهو ذو طبيعة زمرية مركبة بين المقدس و الدنيوي ويسمى الرابطة المعنوية التي تجمع المؤمنين بالديانة باسم الكنيسة³، إن هاته المخاطرة تبني هذا المفهوم تدفع المتبني لإعداد لمرحلة قادمة ، مرحلة التسليم بوجود كنيسة و دولة (ولو أنها بدأت بالظهور في البنية العربية) أي القسمة بين الروحي المتسلط - الكهنوتي المترهين و عالم السياسة الخالي من هيمنة الروحي كأنا أعلى مقوض لحرية الهيئة الحاكمة أي كان نوعها ، بصيغة أيسر التوجه من عالم التقليديات البدائي نحو عالم الحدائثة المعقلن .

على نفس السياق يوضح لنا فيورباخ أن الدين مصدر شعور الإنسان بالتبعية و مقولة الفطرة الطبيعية للدين زائفة فهي ترتبط بالقدر على الوعي و التقدم و هاته النزعة ستكون سبيل كارل ماركس في البراكسيس التحليلي فيرى أن الدين متغير مرتبط بالوعي ودرجة التقدم العقلي

¹ مريتشيا لياده ، البحث عن التاريخ و المعنى في الدين ، تر: سعود المولى ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2007 ، ص ص 117-134

² لقد تحولت النظرة إلى دين بتطور العلوم إلى نوع من الاحتقار باعتباره عاملا مشبها للذات الفاعلة ، و بالتالي التوجه إلى هدمها وقتلها بإعلان موت الآلهة ، و لاشك أنها نوع من الراديكالية الشاملة نغني أنها شيء كل شيء يربط الأنا بالتاريخ ، لكن لا يجب أن تهجم عليه بأي حال من الأحوال لأنه لم يعني الدين عموما بل المسيحية بوجه الخصوص لأنها جردت كمارسة كنسية الأنا من ذاته العاقلة للمزيد راجع كتب نيتشه:

فريدريش نيتشه ، ما وراء الخير و الشر ، تر: جيزيلا فالور حجار ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 2007 ، ص 86

-----/----- ، قبض المسيح ، تر: علي مصباح ، بيروت : منشورات دار الجمل ، 2011 .

³ فراس السواح ، دين الإنسان ، ط4 ، دمشق دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، 2002 ، ص ص 25-26

للإنسان¹ لكن الإشكالية تولد بتبني البنية الفوقية للدين كمعطى للهيمنة فيتحول إلى أفيون الشعوب ، فالدين يتحول ليرتبط بعالم الماديات فالنقود قوة مقدسة تحول كل الأشياء ، تحول الإخلاص إلى عدم الإخلاص و الحب إلى كراهية و الفضيلة إلى رذيلة فالمال هو جوهر الإنسان و المسيطر عليه و معبوده إننا نتفق تمام الاتفاق على المال الذي آلت له الأديان و نتفهم وضعية النشوء الضدي للتوجهات الدينية و تمثل هذه المرحلة انقسامية بين الديني و الفكري و النزعة المتخلية تماما على الدين التقليدي² أي الدين المربوط باله فوق ي فوق قوة الإنسان و صيغة العالم الآخر الأبدي إلى دين جديد تبدل فيه الاعتقادات و الولاءات بنحو تغيير الأشياء و المحفزات التشيئية كالتصورات الاقتصادية النظرية كمذهب المنفعة و البراغماتية³ و كذلك أثر أدهكة التصور الدارويني حول المعتقد بالرغم أنه يركز على مفهوم التأقلم التغيري و يجب أن يبقى المفهوم مفهوما علميا لا يتعداه إلى الإيمانيات، لا يمكننا أن تصور إنسان خال من أي معتقد ، فالمعتقد هو حالة الأنا التي تكون فيه مجموعة الأفكار المفسرة لحالتها ضمن أيكولوجية معينة و علاقتها بالأنوات الأخرى لذلك فأنا أعتقد بما هو موجود و أفسر ما هو موجود إن الإنسان حاول التخلص من الدين عموما أي التخلص من الأنا الأعلى⁴ Sur-moi كمنشط ممارس للكبت (غالبا ما ينسب إلى الدولة الكنييسة و هيمنتها على الإنسان و تكريس الوهم في عصر الظلمات الأوروبي) و نرى أن العلمانية⁵ سبقت العقلنة مجملا فقد

¹ فيورباخ ، اصل الدين ، تر: احمد عبد الحليم عطية ، ط1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1991 ، ص ص 41-45

² اوجين كامنكا ، الاسس الاخلاقية للماركسية ، تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2011 ، ص (هـ)

³ Saul Newman , **Power and Politics Poststructuralist Thought** , New York : Routledge , 2005 , p-p 15-16

⁴ لالاند ، مرجع سابق ، ص 1392

⁵ النظم العلمانية الحديثة تعرف تناقضا بين افكارها التي تدعي عدم اشراك الديني في السلطة السياسية لكن نرى ان معظم التشريعات تستمد نصوصها عادة من الدين الميراث مثلا و لا يمكن كذلك تشريع قانوني ينافي الديني كالإجهاض او زواج المثليين او قاعدة عدم التأسيس في العديد من الدول بالرغم انها علمانية لذلك متغير الدين اينما وجود وجدو هناك رفض لإقصائه و دعوة لإشراكه في العمليات الإجتماعية التفاعلية فالسلطة هي كذلك جزء من المجتمع ، بل المجتمع هو من اوجدها و بالتالي يجب ان تعبر عن آرائه ، نتفق ان الانقساميات سببا التطوؤف الديني لكن سببا الاخر التغذية الخارجية التي لن تستتر بدافع العلمنة ابدا :

مايكل ج. بيري ، الدين في السياسة: جوانب دستورية واخلاقية ، تر : عربي ميباري ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2014 ،

حضرت المؤسسة الدينية الاكثيوس كمجلس كسي و كقاب عبر الإصلاحات الدينية القومية الانقسامية اللوثرية و الكالفينية على سبيل المثال و تجاوز مرحلة السكولاستيكية كمهيمن على الحياة العلمية ن لقد تحررت الدولة بمؤسساتها المختلفة من التماثل الحاصل بين السلطين الزمانية و الروحية التي تكونت في زمن اغسطين فقد كان بحاجة الى ذلك الدين المسيحي كمسوغ للشرعية و دافع للسلم خاصة بسيطرة المسيحية المخيال الاجتماعي و ما يصفه ابن خلدون في ان الدين دافع للاستقواء و الاستزادة الى جانب العصبية فيبنزطة كانت محاطة بالهون من الشمال و الوندال من الغرب و الفرس من الشرق و الانقسامات الداخلية بين النبلاء و هذا المعطى الاشتقاقي الممول للمنبوذين المسحين الى اساس في السلطة الجديدة ، احرز تقدما على الوثنيين فالعقيدة عبرت عن حرب من اجل الرب و حتى في الفترة اللاحقة بصراع بين الكنيسة الغربية و الشرقية بتجاوزها المركزية البابوية في روما التي اثرت في هوية القطبان الى أرثوذكسين و كاثوليك مختلفين التوجه و التصور¹ ، اما بالنسبة الى الإسلام فقد كان الخليفة حامي الدين فقد كان يجمع بين السلطين الدينية و الزمانية كما راينا فالقران يعد مصدرا عليا و معطى تنظيمي للجماعة الاسلامية² ، ان المصدر المتعال هو سبب تكوين الفاهمة الالزامية و القوة الدينية فلا احد يمكنه من تأويل النص الى صالحه ليصبح بهاته الممارسة متناقض التوجهات العقلية التي تفرض توافق النص و العقل ، ان القران هو

¹ تعني كلمة في اللغة اليونانية (Ἐκκλησία) Ekklesia و التي تعني مئمة المجلس السياسي للشعب ، وقد اختير هذا اللفظ للمزاوجة بين الصيغتين الزمنية و المدنية بسلطة الاكليزيا في عهد اغسطين و قد تمتعت بمزايا واسعة فقد كانت ما يصف كتاب مدينة الله لاغسطين المؤسسة البيئية ، بين مدينة الله و هذا العالم ، ان عدم طاعة الله هي عدم طاعة للحاكم ، من ثم الزم الافراد و تحول الجمع الكنسي الى مزيد من المؤسسة و الامتيازات الى التحول الى مجلس الاكليروس الذي يجمع الاوروبيين في مركز روما هذا التوجه اليوجيتي (سلطة الفعلية للكنيسة) طان يوجه الدويلات (الاقطاعات) الاوروبية حسب الحاجة باسم الدين - حروب الصليبية ، الحلف المقس ضد فرنسا في حروب الإيطالية راجع :

فرانسوا شاتليه ، تاريخ الأيديولوجيات ، تر : انطون حمصي، ج2، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 1997، ص ص 248-278

² لقد ترك نص القرآني كامل الحرية للجماعة المسلمة في ايجاد الطرق الملائمة في تسيير مجالها العام: محمد عابد الجابري ، الدين و الدولة و تطبيق الشريعة ، سلسلة الثقافة القومية (69) ، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1996 ، ص-

المصدر الاساس للوحدة بين الديني¹ و الزماني و محاولة الفصل تؤدي اليا للفصل الدلالي للنص القرآني فلا هيمنة للديني على الدنيوي (رهينة ابتدعوها) و لا مركزية للزعيم الديني (من كان يعبد محمدا فمحمدا قد مات و من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) الا ان المقولات الاساسية هاته لم تحترم من قبل الانقساميات الفردية و الصداميات التي اولت النص و بتالي التناقض بين النص / الفهم / الممارسة ، التي بررت عقم المفاهيم المصاغة الامامة (غيبة المهدي² و عصمة الامام) كالدولة الفاطمية و عبيد الله المهدي / الموحدين و المهدي ابن تومرت ، ولاية الفقيه³ و الخلافة (الحاكمية لله) الاسر كالأموية و العباسية و الحركات الاسلاموية و الحركات السلفية الوهابية يحث تطوُّف الديني بداعي الفهم الحقيقي للنص ، لا شك في انها الهة مختلقة و فاشلة ، هاته الطريقة لا تختلف عن طريقة حمورابي و اله مردوك اي كسوخ اساس للسيطرة على المخيال الاجتماعي بتوظيف الرغائبيات في الجهاد و محاربة الكفار و التركيز على الغيبات معطى محوري في عملية العصف الذهني هاته التي تخلق مركزا متحكما في الوعي الجمعي و في ركة المأثورات الدينية و اقلمتها مع حاجات المركز المنغلق المقدس و بتالي ثنائية الذات (المؤمنون حقا و الفئة الناجية) و الاخر (الكافر و المرتد) يمكننا تجسيده بعلاقة مثلثية :

¹ يعني الدين في العبرية القانون و اما في الاسلام فيعني الطاعة و الاقياد وتسلم الامور كلها لله للمزيد راجع : عزمي بشارة ، الدين و العلانية: في سياق تاريخي ، ج 1 ، ط 1 ، الدوحة : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، 2013 ، صص 305-338

² فكرة المهدي ليست مقصور على الجماعة المسلمة و عموما كانت مصدرا للالهام في يد الحركات الاجتماعية و التحررية كقوة مضادة للقوة الخارجية المهيمنة مثلا الدولة الصفوية و الثورة الخمينية ، او ضد الاستعمار كالأحمدية في الهند او سيمون كيمبانغو الانغولي ضد البلجيك و نشأة دولة الزاير المنفصلة للمزيد راجع:

ساينو أكوفيفا/ انزو باتشي ، علم الاجتماع الديني : الاشكالات و السياقات ، تر: عز الدين عناية ، ط 1 ، ابوظبي: هيئة ابوظبي للثقافة و التراث ، 2011 ص 168

³ ولاية الفقيه و التي تعني احلال المنصب المؤقت للإمام حتى يرجع المهدي ولي هاته الامة من غيبته فهي تجمع بين الجهاز الديني المرشد الأعلى كمشرع و الاجهزة التي هي دونه كالحكومة حسب المفهوم الشعبي الحديث لكنك باي حال من الاحوال أنموذج متقدم و محاولة جديرة بالاهتمام للتنظيم الناقى :

السيد عباس نور الدين ، ولاية الفقيه في العصر الحديث ، ط 1 ، بيروت : بيت الكاتب للنشر و التوزيع و الطباعة و التوزيع ، 2009 ، ص 40-

توازنية قوة الحاكم وقوة الجماعة الدينية : عهد المأمون والمعتزلة التي كانت العلاقة خطية التأثير والتأثر وخصوصا تميزت هاته الفترة بالحركة تنوير الحياة الاجتماعية والسياسية بغض النظر عن مرحلة الصراع التي تمحورت حول الحكم و قتله لأخيه الأكبر الامين فلقد كان بيت الحكمة مرزا مهما لانتشار العلم في عصره .

تفاضلية ضعف الحاكم وقوة الجماعة الدينية: المعتصم والمعتزلة دفعت النخبة الدينية الى السيطرة على التوجهات الكبرى للدولة و تبني الأدلجة السلطوية و تحولت الاداة القمعية الى اداة تشخيصية للجزائيات الموقعة على من لا يعترف بمخلق القران .

ارتدادية ضعف الحاكم و ضعف الجماعة الدينية : والتي كانت ارتدادية بتراجع الاستبدادي للمعتزلة و تقريب التوجه الجديد السلفي لكنه كان ضعيف الإقناعية و القبول لذلك كان الجاهز القمعي يعمل على التصفية .

ان هاته الثيوقراطية الجديدة التي لا تختلف عن الثيوقراطية الكلاسيكية من حيث التراتبية السلطوية المعتمدة على دور رجال الدين و استمالتهم الدورية للاستقرار النظام و مناعته ، على تقيض ذلك ظهرت الحركات الطورانية الجديدة التي ترى ان الوضع الذي يكون في المركز متمصا فيه للدين ينتج صراعا طائفيا ¹ (كمثلا لبنان) او تدخليا للجماعات التي تتجه بالولاء للمركز خارجي مضاد لتوجهات للمركز الداخلي الفعلية ككوع تغليبي (العراق) و بتالي ضرورة التجاوز الديني نحو التعلم ، و ايجاد معتقد جديد منافس للمعتقد المتجاوز و المقابله بالتوازي انتج ما يسمى بالاسلاموية و هي عبارة عن أدلجة تتخذ الاسلام كخلفية للعبئة الجماهيرية خاصة ان للقاعدة

¹ هاته الفترة المعاصرة احدثت تجاوزا للمفاهيم السابقة فهانا الفرق بين الهوية الوطنية المؤسسة على ميكانيزم العيش المشترك ، و بذلك تم استبعاد الدين كمتغير مهم ، و عادة ما يتحجج به كوسيلة متأججة للخصومات الطائفية: مارسيل غوشيه ، الدين في الديموقراطية ، تر: شفيق محسن ، ط 1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2007 ، ص 143

تنبئها مهما عندما ترتبط بردة الفعل الاجتماعية التهجيرية وبتالي من نتاج الضدي الطائفي الى النتائج الضدي العلماني/الاسلامي ، لذلك فالعلمانية هي عبارة عن أدلجة دينية جديدة تكون طبقة جديدة لها مركز التأويل والهيمنة مما يؤدي إلى التقسيم الإجتماعي القائم على العلاقات الاقتصادية و الثروة و النفوذ أي نوع من التغالب الإجتماعي وكذا تكريس الوهم من خلال تسييس الحياة العامة كالتعليم ووسائل الإعلام¹ و سوء السلفية أو الحداثة لم تقدر حلالا لعلاقة فعلية بين الدين و الدولة ، بين دائرة المعتقد و دائرة السلطة لأننا لو افترضنا هيمنة المعتقد على السلطة أنتجت الثيوقراطية و باتجاه عكسي أي السلطة على المعتقد أنتجت أوليغاركية حتى وأن حملت أوصافا كالديموقراطية وإيمانها العميق بالعلم فإنها دوغمائية تدفع نحو سلطان النهايات أو الرجل المتفوق الأخير الذي يسموا فوق القردة إن هذه الطبيعة المانوية (المنغلقة) الهادفة إلى مثلثة الجماعة (المثال) و أسلبت الخصم (تخلف الآخر) هي ما دفعت الصراع المأسس على أن وجود وجودي مرهون بعدمية الآخر بتحقيق الوحدة الذاتية و تجذوة الآخر كما يصفها غولدمان تعبير عن وهم المركزية و هنا ينتقل بنا الحديث من مجال الدين إلى الإيديولوجيا و المفارقة البينية هو أن الإيديولوجيا تنفي كل مصدر متعال وليست ملكا عام للجمهور² ، فالجمهور لا يفقه ما هي العلمانية سوى أنها فصل الدين عن الدولة و عادة لا يقدم إجابات عنها خارج تلك العلاقة فالفاشية النازية الشيوعية الليبرالية الديكتاتورية العسكرية اليابانية كلها كانت علمانيات تصادمت فيما بينها ، إنها ديانة مجتمع النخبة الفوقي الذي لا دخل للدين فيه .

¹ نعتمد التحليلين الماركسي و الغرامشي هنا حيث يتحول الدين الى اداة للدلجة بتملك البنية الفوقية له ، و التوسير يرى عموما ان الايدولوجية تمثل العنصر الثاني المسوغ للممارسة السلطوية الكلائية على الافراد (الدولة مكون من : جهاز قهبي / جهاز ايدولوجي) و كحالة للربط فترى ان جهاز الدولة الايدولوجي الحديث مرتبط بالعلمنة و مخرجاتها كالمؤسسات العلمية الاحتكارية التي تدخلت في الحياة العلمية كأداة اقتصادية محممة (تريقات المضادة لأفلونزا او ابولا) و انحلال الاسرة عن طريق التكنولوجيا المتنامية :

مالوري ناي ،الدين الاسس ، تر : هند عبد الستار ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2009 ، صص 40-105
² داريوش شايفان ، ما الثورة الدينية؟: الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة ، تر: محمد الرحموني ، ط1 ، بيروت: دار الساقي ، 2004 ، صص

علاقة الدولة بالإيديولوجيا:

تداخل هاته الثنائية الدولة أيديولوجيا مع الثنائية آفة الذكر دين دولة إلى أنه كما أشرنا فالفارقة البينية حاصلة في أن الإيديولوجيا منتج أو مستهلك حلوي في الجسم الدولي ومهيمن عليه من الصفوة السلطوية وواضح أن الإيديولوجيا لا تضم مجموعة العبادات و الصلوات التي تربط الفرد بمصر غيبي متعال ، فهي عملية وغرضها سلطوي فوقي لا يهتم بالإفراد إلى في حدود ما ينبغي له فالرأي العام عندما يتبنى هاته الأدلجة فإنه يكون مستعدا في الدفاع عنها و موازيا بين الثنائية المتولدة (شرعية مشروعية)¹ حيث تحول هذه الأدلجة إلى ايتيقا (أخلاق) مقيدة لا تقبل المساهمة الفردية و تحكيمية حسب الهدف الزمري لتمثل جهاز الدولة الإيديولوجي الممارس من خلال وسائل الإعلام أو نفيذ السياسات العامة التعليمية أو الصحية (مجانية التعليم ، الخدمات العمومية = خلق الرضا) وسيتبع هذه السيطرة على الجهاز الإيديولوجي سيطرة على الجهاز القمعي وهاذين المتعيرين يطيلان في عمر النخبة المتحكمة بالحكومية وعلاقته بالنازية و الفاشية كإيديولوجيتين تحولتا كعقيدة للجمهور ولم يكن سبب السقوط المركزي داخليا بل يعود للإطباقية المعارك و عيد توازن القوة وهذا يعود للقوة الانتشارية التأهيلية وأقليمية المجتمع ليتحول من مجتمع الأفراد إلى مجتمع الهدف الذي تتموقع فيه الصفوة في أعلى التراتبية السلطوية المسيطر عليها بالأجهزة المساعدة ، الجهاز المذهبي و المدرسي و الثقافي² و الاقتصادي المرتبط بتحقيق الثنائية (قمعي و إيديولوجي) تحت طائلة شرعنة الفعل داخل الإطار الدولي كمصوغ للكلانية و الوصاية على الجمهور لذلك فالجواب العفوي أن معنى

¹ ما كان الحال في الثورة الإيرانية بالرغم من ان الصفوية دولة سلطانية تتبني الطرح الال بيتي ، لكن الأدلجة العميقة الاثر و التي كانت تمس و تستميل الحركات الاجتماعية المغلوبة داخليا ، لذلك فلأيدولوجية هي ديانة من نوع ما تمتلك النوات حول الثورة الخمينية راجع : Eric O.Hanson , Religion and Politics in The International system Today , Uk: Cambridge University Press , 2006 , p 6

² نيكولاس بولانتزاس ، نظرية الدولة ، تر: ميشل كيلو ، ط2 ، بيروت: دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2010 ، صص 25-28

الإيديولوجية هي علم الأفكار¹ هو مفهوم منقوص الدلالة فالأفكار هي مرحلة بنائية فلا وجود لأفكار بلا أهداف وبالتالي الفكرة + الهدف = الواقع وتولد الإيديولوجيا . أو العلاقة فكرة + محيط = ممكن و بالتالي لا تعني إيديولوجيا الأفكار دائما صحيح أن هاته العلاقة جد محتزلة للتعبير عن الحقيقة المعرفية لمفهوم الإيديولوجيا لذلك فنحن نفرق بين الإيديولوجيا والفكرية وقد يمتثلان² من حيث الواقع أحيانا جراء التفاعل بين المشكلة والرغبة في الحد ولا شك في أن الفكرية كتاج فلسفي وعلمي تنتهي بالأدلة و بالتالي إما بناء جديد تداولي أو ارتباط مزوجة بين السلطة أو الأدلجة ، الماركسية + إسقاط الرأسمالية = الثورة البلشفية وبناء الإتحاد السوفياتي ، وبظهور إيديولوجيا معينة تظهر إيديولوجيات منافسة أخرى وتعود إلى عملية الأدلجة الإستمالية و التساقية و هاته الحلقة هي المحرك الداخلي والخارجي للمجتمعات الدافع للصراع و الدورة اللامتناهية التي تجعل الدولة تتحرك و تنقسم بنطاق التبني الإيماني للأدلجة (الحالة الكورية) كما يصفها عبدالله العروي عملية تداخل بين مستويين ، مستوى مطابقة الحقيقة للواقع و مستوى الحكم على الأدلجة أنها لا تعكس علاقة الحقيقة بالواقع (ماركسية ليبرالية)³ .

ونعود للقول أن إيديولوجية الرايخ الثالث المعبر عن مدى سيطرة الدولة على المجتمع اللامتناهي للفوهر القائد الكريزماتي للأمة الجرمانية ولا يختلف هذا النمط الإيماني بالأدلجة عن الحال

¹ تداول هذا المفهوم مع Destutt de Tracy يعني به الأيدلوجيا و قد تناها علماء الفونيتيك الفرنسيين و استمر بهذا المفهوم المتداول : Roger Scruton , **The Plagrave Dictionary of political Thought** , T.e , New York : The Macmillan Press , 2007 , p 317

² تفرق بين الفكرية و الأدلجة ، والفكرية هي نتاج قد لا يتضمن بالضرورة مسوغا سلطويا فالناسك الصوفي يقدم فكرا لا يدخل في نطاق الاشتراك السلطوي ، لكن لا نتجزم ان الفكرية هي تمهيد للأدلجة خاصة الآونة فقد تداخلت لتكونا ثقافة الحيز و المتغير الاختلافي و يتعداه ليكون التجاذبات العلمية حيث يحولها الى نزعة علموية (توظيف العلم كهمين كما كان حال للكولونياليات العلمية) كمثلا ادلجة البراديغات السوسيوولوجية للمزيد راجع :

نبيل محمد توفيق السالوطي ، الأيديولوجيا و قضايا علم الاجتماع النظرية ، ص ص 136-140

³ يعود الفضل للسيد عبد الله العروي في الصياغة اللغوية للمفهوم إيديولوجيا ليتوافق و السياق اللغوي العربي و المصطلح العلمي تحت مصطلح الأدلجة للمزيد راجع :

عبد الله العروي ، مفهوم الأيدلوجيا ، ط 5 ، المغرب : المركز الثقافي العربي ، 1993 ، ص ص 9-11

في الشيوعيات فقد اعتمدت على علاقات القداسة و الرمز/الثواب و الجزاء ، تعددت أدوار بناء الإيديولوجية النازية سواء بكتابات Harder او Neesse-Goufried حول العرق ، التاريخ و الوطنية الإجتماعية¹ ، واقعية أدولف هتلر و تمككه من الوصول إلى السلطة و لذلك فبينية الأفكار الأشياء و الأشخاص لا تقتصر على بناء الحضارة بقدر ما تعني بناء الإيديولوجيات وتولدها حتى إذا نظرنا إلى السماء أو استرقنا البصر إلى الأرض و لذلك فبينت الدولة تتحول إلى أشكال جديدة معبر عنها بموناركيات محدثة و بالتالي خلق واقع تشيئي أي تحويل الأفراد إلى أشياء كما لو كانوا سلعا يجري تصريفها و تكريس الصنمية التي تحول السلطة القهرية المسيطرة على الجمهور بواسطة المواد المادية الجيش أو المعنوية الإعلام² و الواضح أن هذا التعدي الإيديولوجي يعود ليجسد للحظة تاريخية معينة محاولة لتسويق الفعل السياسي و تبريره ، فالصهيونية تحاول أن تشرع لدولة قومية لها أحقية بالأرض المقدسة إزاء كيان فلسطيني مربوط بتصور تاريخي/ ديني (إعادة التأسيس للصراع الكنعاني العبراني) و لتلقى قبولا خارجيا و تضامنا للجالية اليهودية عبر العالم ، توسعت للسيطرة على الجهاز المذهبي و الثقافي و قومية الآخر ليتحقق الوعد الإلهي³ ، إن الإيديولوجية تمثل سلاحا بجانب السلاح الحقيقي و معبرا اعتباريا للجهة المنتصرة التي تحول الأدلجة كفكرة إلى قوة مادية حسب تعبير لينين⁴ و غالبا ما ينظر للإيديولوجيا بأنها مرادف للثقافي⁵ أي أنها تصور ثقافي لمجتمع ما و هذا لا يعبر عن المصادقية أبدا لان الثقافة هي نتاج تجريبي و كل مركب من العادات و التقاليد

¹ Peter M. R. Stirk , *Twentieth-Century : German Political Thought* , Gb : Edinburgh University Press , 2006 , p-p 85-91

² ديفيد هوكس ، الأيديولوجية ، تر: ابراهيم فتحي ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2000 ، ص 136

³ عبد الستار عز الدين الراوي ، الأيديولوجية و الاساطير ، ط1 ، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، 1988 ، ص ص 12-13

⁴ جان ماري دانكان ، علم السياسة ، تر: محمد عرب صاصيلا ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1997 ، ص 117

⁵ Greetz يرى انها هوية و نظام ثقافي ، نعم انها حلت محل الدين ، كمثلا استعمال القوميون العرب لمصطلح العروبية لا الاسلام كقدمات لعمليات الوحدة البنينة التي تتم على اسس الدين بعيد عنها و يعزى ذلك ان جل القوميون شرقيين و لا يمثلون الدين الاسلامي كمضادات تجريبية للدولة السلطانية و تأثرا بالحركة الطورانية في تركيا:

بول ريكور ، محاضرات في الأيديولوجيا و اليوتوبيا ، تر: فلاح رحيم ، ط1 ، بنغازي : دار الكتب الوطنية،

تفترض التجانس أو اللاتجانس بين الحكومية و الثقافة تكون مرادفة للإيديولوجيا إلا إذا كانت ضمنيا تسعى للسيطرة على النسق الشخصي ، هاته الثقافة الشمولية تنعكس لتضم مجالات واسعة ثقافية سواء اللباس أو طريقة التفكير أو الأكل¹ ، هذا الإنتاج الهوياتي غالبا ما يزيد في توطيد المركز النخبوي كمصر للشرعية وبذلك تحول العلاقة بين المجتمع و السلطة إلى علاقة بين السادي (الصفوة المهيمنة التي تحاول أن تبتلع المجتمع) و المازوشي (المجتمع الذي يهيب نفسه للصفوة)² و بالتالي تكوين طابع لا شعوري جمعي إزاء المكون الزمري المتعاطم السيطرة ، و بالعودة إلى نتائج السيطرة غالبا ما تكون محمية بصيغة اقتصادية و ذات صلة وطيدة بالنخبة التي تعتنق الأدلجة و التي تنغلق على الالتجنسيا الموجودة داخليا فلا تشاركها التضامن الإيديولوجي و بالتالي هاته العلاقة المطربة تنتج الإقصاء أو الصراع الداخلي بين المثقف و كوربوراتية السلطة ما يؤدي إلى انقسام هاته الالتجنسيا لفقدانها الوحدة الذاتية لغياب الأدلجة الموحدة للهدف³ وحتى الدول الديمقراطية التي تتجاوز البنى الإيديولوجية فإنها تحوي فسيفساء كذلك صيغا مادلجة معتقة من طرف الأحزاب السياسية (يمين يسار وسط) و تسعى هاته الأحزاب الى الاستمالة الجماهيرية و لاشك أنها تركز الوهم ولا تحمل الحقيقة كما وصفها نيتشه و لا تحمل من الحقيقة⁴ سوى ذلك المجال الوقي التعبوي للتخلي عن المجتمع و تعود اليه مناسباتيا و هكذا في هاته الدورة وفق سياق الاقتراب و الانفصال التراجيدي.

علاقة الدولة بالتغير الإجتماعي :

تواصل هذه الثنائية الدولة التغير الإجتماعي بالمتغيرين السابقين في أن الدين و الدولة عاملين في التغير الإجتماعي ، حري بنا معرفة معنى التغير الإجتماعي و هته المفاهيم لا تعرف

¹ ريمون رويه ، الممارسة الأيديولوجية ، تر: عادل العوا ، ط2 ، بيروت : منشورات عويدات ، 1989 ، صص 87-88

² اريك فيروم ، ماوراء الاوهام ، تر: صلاح حاتم ، ط1 ، اللاذقية : دار الحوار للنشر و التوزيع ، 1994 ، ص95

³ كارل مانهايم ، الأيديولوجيا و اليوتوبيا : مقدمة في سيولوجيا المعرفة ، تر: محمد رجا الديريني ، ط1 ، الكويت : شركة المكتبات الكويتية ،

1980 ، صص 211-215

⁴ عبد الرحمن خليفة / فضل الله محمد اسماعيل ، المدخل في الأيديولوجيا و الحضارة ، الاسكندرية : مكتبة البستان المعرفية ، 2006 ، ص27

تضاربا حادا حول الصياغة لأنها حالة ممارسة تمثل ردة الفعل لدى المجتمع العلمي المادج ومدعي الموضوعية ، عموما فالنغير الإجتماعي معناه متداول الإستخدام ينضوي على صيغة تطويرية نحو المثالية أو، صيغة نكوصية تراجعية نحو الماضي ، فالبيئة الإجتماعية باعتبارها تآلف معقد يجمع بين فواعل مؤسساتية مختلفة (عائلة قبيلة مجتمع مدني) بفعل عوامل داخلية و خارجية تأخذ شكلا منفصلا أو مختلطا آنويا أو تراتبيا ويأخذ أشكال محايثة من حيث التأثر و التأثير العرضي و الدافع العرضي في هذا النغير و من حيث القوة قصريا أو إرضائيا و من حيث الشكل عموما أو خصوصا وبالتالي هناك صيغ متعددة للنغير الإجتماعي²:

نمط داخلي:

النغير الراديكالي من القاعدة نحو القمة : تضم هذه الكليشية الشكل المركب من الأدلجة و القمع و لا تقصد بالقمع معناه التطرفي بل من حيث السيطرة و الهيمنة و ضمان الإستمرارية لوضعية المركز الحالي مما سيمح بثبات و ديمومة الدولة المستلبة و تحكها بالنسق الإجتماعي كمنتج للمعايير التحكيمية بنسق الشخصية و بالتالي فإن العلاقة بين النسقين الاجتماعي و الشخصي³ لا تعدوا سوى علاقة منتج و تابع (استخدمنا هاته العلاقة للدلالة على الفرق الموجود بين النخبة و المجتمع الذي لا تمثله ، حيث تتحول النخبة الى مركز الانتاجية و المجتمع الى التبعية الوصائية) لتوليد الفرد المستلب و بفعل قهر الإيديولوجيا و تمكها من قولبة مجمل السلوكيات الشخصية نحو شخصنة ذات

¹ خليل احمد خليل ، المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع ، ط1 ، بيروت : دار الحداثة ، 1984 ، ص ص74-75

² صاعها السيد حوراني في ثلاثة انماط لكننا عدلنا فيها بما يلزم للمزيد راجع:

محمد عبد الكريم حوراني ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، ط1 ، عمان : دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، 2008 ، ص ص

333-326

³ النسق الاجتماعي هو المركب الذي يظم المعايير و القيم و اسلوب التفاعل و نسق الشخصية يمثل التوقعات و الاحداث و الاهداف و اسلوب الفعل النشاطية و تربطها علاقة مفتوحة او منغلقة بعل درجة الاستقطاب و الاستتالية :

اوسيبوف ، اصول علم الاجتماع ، تر: سليم توما ، موسكو: دار التقدم ، 1990 ، ص ص116-117

توجه شبه خطي بإيجاد معايير مطلقة و حياكة تشريعات و الالتزامات و الواجبات و تنظيم حركة الفعل الاجتماعي أي جعل هذه الذوات المستلبة تتغلق حول نفسها عن طريق التعليم مثلا كوظيفة لعملية التأهيل الاجتماعي المعتمد على الكم داخل وضع اجتماعي مستقل¹ و عادة هاته الصورة الروتينية لا تنتهي وفق اهداف المنتج ، فصورة الانا تتحول من ذات عاقلة و فقت علاقات ذاتية هيومانية الى موناك مكافح من اجل البقاء و السيطرة على المجال وفق علاقات الفيزيائية الانشطار و الصدمية بعد فقدان النخبة مسوغات الهيمنة الاستمرارية كالربيع كمخرج نظامي يتأثر بعمليات الارتفاع و الهبوط بسبب التشنجات الاقتصادية للمركز او تنامي المقدرات الاستراتيجية للمراكز المستوردة للمادة يخل بعمليات العرض و الطلب مما يجعل الخزينة العمومية الوطنية تتضائل ايراداتها ، هاته الصعوبة تخلق المعارضين الداخليين ، و ووعي المجتمع المتأفينين) و بتالي ضعف قوى التركيز الضامن لقوة النظام المونوقراطي المهدد للصعود الفردي الموازي المؤدلج لاحتواء المقاومة و الالتفاف حولها للمكاسب المحصلة بعد اسقاط النظام المتواجد ، هاته الحركة التي كونت شعورا جمعيا كاتار موحد و غير رسمي ينتهي عموما بالثورة السياسية التي لن يصل فيها الافراد الثائرين الى مجالات ضيقة و مطالب اجتماعية يستقيل فيها الافراد و يعاد انتاج النظام ليكون المرحلة الثانية ، مرحلة التغير الاسترضائي .

التغير الاسترضائي التكيفي من القاعدة نحو القمة : العرف السلطوي يظهر لنا ان النظام السياسي مهما كانت مسوياته و درجة تعقيده و انماط الحكم فيه ، بغض النظر عن مدى حوكمته او ديمقراطيته او تحلفه فانه يسعى للاستمالة و الاسترضاء في مراحل البناء الوطني او فترات الانتقال الديمقراطي او الاحساس بالضعف في المواجهة الصدمية بالحركات الاجتماعية او صعود الخصوم

¹ جيوفاني بوسينو ، **قد المعرفة في علم الاجتماع** ، تر: محمد عرب صاصيلا ، ط2 ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع) ،

فإنها تلجأ للمجتمع كإطار مناعي ووظائفي و ضامن للتوازنية بين المركز و القوى السياسية للتوقعات الفوقية المركزية في احتمال حدوث تعبئة ضدية ، يكون نوع الاستمالة و الاسترضاء متنوعا بين اشكال و محاولات فقد تمكن التوجه النازي برأسماله الدولي ان يخفف من حدة صراع الطبقات و تحييد الخصومة الناشئة ضد الاشتراكية الوطنية النابع من فرض السيطرة على الاقتصاد و بفعل انشاء الاتحادات الاحتكارية لوسائل الانتاج التابعة للجهاز الدولي و بتالي استمراري الاستمالة العمومية من خلال تولد توليفية بين الوضع الاجتماعي (ما تريد السلطة اثباته) و الدور الاجتماعي (تحركات الافراد) و على نطاق اخر احداث مفارقة في ادوار الافراد داخل المجتمع (اي الشرح بين الدور المكتسب¹ المتمثل في مكانة الفرد في المجتمع "العمل او المكانة" و الدور المنسوب الحقيقي اي تواجد الذات في بيئتها الداخلية "العائلة" اي كوع من الوجود الاجتماعي) بتقديم الهبات (من حيث الزمن) و كسب الولاءات باشرا الافراد في المناصب العسكرية و الادارية (خلق الجهاز البيروقراطي كتحكم في الادوار الاجتماعية و كضابط صارم ضمن تحديد حيز التحركات الاجتماعية " عمل / اسرة") و بالتالي الانتقال من وضع الاقتصادي الى السياسي و تحول الدور المكتسب للأفراد الى دور قني و تشظوي للتوجهات او اي دور تعبوي و تنظيمي للذوات العاقلة مواز لسلطة الرأسمالية الدولية الا في نطاق جماهيري تنظيمي معبر عنه بالصرامة الإيديولوجية للمركز²، و هذا نمط كان متبعا من قبل الحركات التحررية الصاعدة و المستهتة عملية البناء الدولي الوطني هذا النمط التحديثي السياسي قد توجهت به الطبقات الوسطى الصاعدة للثبوتية المركز كوع من الوصاية و المحدث للشرعية (بين الشرعية الثورية / و بروميشية الدولة) اي التداخل بين التحديث كمستوى تقديمي مجالي يشمل قطاعات خارج الجانب الاقتصادي و العملية النخبوية

¹ يان سبورك ، أي مستقبل علم الاجتماع؟ : في سبيل البحث عن معنى و فهم العالم الاجتماعي ، تر: حسن منصور الحاج ، ط1، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع) ، 2009 ، صص 43-45

² افريت اهاجين ، حول نظرية التغير الاجتماعي ، تر: عبد الغني سعيد ، الاسكندرية : المكتبة الانجلومصرية ، 1962 ، صص 108-118

المقصورة على الاقتصاد كسبيل مع تنامي دور الربيع (النفط) من خلال سياسات التأمين مخلق الشركات التي تمثل امتدادا لرأسمالية الدولة لن الفرق بين النظامي النازي و الوطني العربي هو درجة الارتهان الخارجي التي منت النازية من الصعود الحقيقي للمشروع الدولي المعبر عنه بسياسات التوسعية و الجانب العربي الذي كانت فيه مصائرهما مبروطة بالقوى الكولونيالية (العرض الربيعي و الطلب على المادة) .

على نفس الوتيرة التحديثية التي لم تكن مقصورة على الدول الحديثة مثلا التكاغوا لياسو بعد تمكنه من فرض السيطرة العسكرية على نطاق واسع داخل الجيولوجيا اليابانية بالقضاء على التمردات الداخلية و تمثلت سيطرته في اخضاع الدايميو (الامراء الاقطاعيين) المنافين للمركز فقد نطاق تحركاتهم المحلية و فائض اتاجهم الذي كان يمثل بالابتدال الاقطاعي الدوري للفائض كمظهر للقوة (بناء المعابد ، تطوير الجيش ، بناء القصور) الذي ادة تدريجيا الة اضمحلال طبقة الساموراي ، هطا الاحتقان دفع الساموراي للاستقواء بالتجربة الاوروبية التحديثية كخصيصة لمجابهة المركز المتعظم القوة النفوذية¹ ، ان هاته الدورة التغييرية الزمت وجود اتجاهين مختلفين في البنية و الشكل الوظيفي و اطار المعايير و القيم بين النخبة - المجتمع و القوى المقصية - القوى الاجنبية و بالتالي على المركز ان ينجح في الاستمالات التي ستكون اتشارية شمولية تجمل جميع القطاعات (التعليم ، الدين ، الاقتصاد ، السياسة ، القوة العسكرية) و هذه الانماط الاستحدائية كما ذكرنا ترتبط بالضعف المركزي او الصعود الزعامي الوطني او القيادة الثورية و لن يكون ابدا باي حال من اجل التحسين المجتمعي .

¹ ف.ج. رايت ، مبادئ علم الاجتماع ، تر: محمد شيا ، ط1 ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1996 ، ص ص 160-161

النمط الخارجي :

ويؤكد هذا النمط الثانوي على ان التغير الاجتماعي لا تربطه نطاقات داخلية محضة و
انما يتعداها الى الخارج البيئة الداخلية و بهاته النمطية الخارجية يتكون لنا مستويين:

مستوى خارجي : ممثل ببنية خارجية تركيبها اختلافية التكون السببي تمثل النسق الفوق
اجتماعي (ميتا-سوسولوجي) المترجمة بتغيرات الحاصلة في الانماط الاقتصادية العالمية او التقنية
او القيمة لأننا داخل مجتمع افتراض ذو المركز المانع من خلال الثورة التكنولوجية المتنامية و التحوم
الاستهلاكية ، هذا التعولم الشمولي اي انه لا توجد وحدات تستطيع ان تغلق على نفسها او ان
تنعزل عن هطا النظام العالمي¹ و بالتالي احتمالية التأثر البالغة الاثر النخبة- المجتمع نتيجة الاسواق
العالمية و تمددها و بروز شركات المتعددة الجنسيات التي كوتنا تصور الميتود المابعد وطني او الدولة
المتعددة المراكز الموازية للمركز الوطني الفعلي ، هذا التبنين المحدث (اي خلق بنية جديدة افتراضية
تفترق وجود خالق) حول من توجهات النسقين الاجتماعي بحلق معايير و قيم بالترويض العولماتي و
نسق شخصي انفصامي متبني لما تفرضه العولمة و لما تفرضه القيم الدولية في المناسبات الوطنية
مثلا و مقاوم قد يتقدم للشوري و محاولة التغيير المعنف كتعبير عن عدم الرضى المتقدم ، هذا العامل
الخالق لحالات الحرب الاهلية الداخلية او الهجرة ، انها بنية مغتربة معبرة عن تجاوز الهوية الضعيفة
الإقناعية و المتوفية اصلا بنطاقات التواصلية (عقدة الدونية ازاء الليفيتان الغربي) مثلا كعلاقة
الفرد الثقافة الاصلية - التلفزيون ثقافة غيرية ن لذلك لن يجد حلا سوى التقمص² فهاته الوكالة
منوطة بعملية التغير الاجتماعي كما يرى ولبرام شرام ان وسائل الاعلام تدفع المجتمع التقليدي الى

¹ ان الغموض المفاهيمي الذي يكتنف المصطلح يدعونا الى ان نحاول البحث في موضوعه اكثر ، ما هو ظاهر لنا وفق العلميات الكامنة و راء تنامي
الظاهر ان هناك مركز ينج افكارا كوزمبوليتانية و ابنية تبعية تحاول ان تتكيف وفق المنطلق المركزي :

أولريش بك ، ما هي العولمة ؟ ، تر: ابو العيد دودو ، ط2، بيروت : منشورات دار الجمل ، 1999 ، ص ص34-35
² جان كلود برتراند ، ادبيات الاعلام ، تر: ص 97

الدخول في صور افتراضية نتيجة احتكاكها بثقافات تحديثية متقدمة وعجز المنظومة الاعلامية الاصلية عن خلق الشعور بالانتماء الوطني¹، و التوعية المناعية مما ينعكس على البناء الدولي العام نتيجة تأجيج الانقسامات كتهييج الاثنيات - الاكراد او الطوائف - التجربة الإسرائيلية التي انعكست على البناء الوجودي اللبناني كمحاولة لبناء دولة لبنانية مسيحية (قوى 14 اذار) او المجموعات الارهابية عن طريق التطورية من السلفية العلمية الى السلفية الجهادية التي تهدم الوحدة العضوية للدولة كحتمية (العراق / السودان).

المستوى الفهري: ويمثل هذا المستوى بعمليات الربط الإنساني بالطبيعية، ان الحياة البشرية في تطور مستمر²، فالجماعة الاولى استطاعة بفضل الطبيعة و التأقلم من مجتمع الجني الى المجتمع الزراعي، الى العبودي الاقطاعي و بتالي هذا التطور قد لا تواكبه تطورية طبيعية مثالا النمو الديموغرافي و الوضعية الزراعية فالمرجات الطبيعية لا تواكب مدخلات الجماعة، و بتالي تنشأ الحروب و تقوم الجماعات و الحلات المرضية الابدائية، او التطورات الاقتصادية و التقنية التي تحتاج الى المادة و المادة لن تبقى بوضع الثابت الحالي فهي تتطور بشكل متعاضم او تناقصي ما يؤدي الى الخلل بمرحلة السوق و بالتالي الحروب الغزواتية فالثورة الصناعية حتمية وجود كولونيالية، و النفط ولد نيوكولونيالية، ان معبود الحاجة يولد لدينا اللاتبات و التغير الزمني اننا لن تقدم له قربانا لكننا نحاول اشباعه الوحشي وفق حركة الانسان و الطبيعة³.

¹ عاطف عدلي العبد / نهي عاطف العبد، الاعلام التهموي و التغير الاجتماعي: الاسس النظرية و النماذج التطبيقية، ط5، عمان دار الايمان للطباعة، ص 38

² من بين تلك التطورات الاجتماعية رابطة الجوار اثر التقارب المنزلي بين الافراد و بالتالي هو نوع من الخدمة الاجتماعية الغير رسمية كالتعاون من اجل تنظيم الاحياء او مساعدة الفقراء ما يؤثر في الحيز البيئي و الشكلي الكشغول:

مارتن دايفز و اخرون، علم اجتماع الخدمة الاجتماعية، تر: شمحاته صيام، ط2، القاهرة: مصر العربية للنشر و التوزيع، 2004
³ كارل بولاني، التحول الكبير، تر: محمد فاضل الطباخ، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص ص 257-263

المبحث الثاني : ترمينولوجيا الدولة الوطنية المعاصرة.

تتضمن تكوينية الدولة الوطنية المعاصر خصوصية عكسية من حيث صيغة البنية ونحن هنا تأثرنا بتحليل الجشطالتي (الكلي Wholeness) في علم النفس¹ (الصيغة (الشكل) -البنية- الحركة) الذي يرى انه لا يمكننا تحليل الظواهر باعتبارها أجزاء لان الاجزاء وان تغيرت فانه لا يمكننا ان ندركها ، لكن على نقيض ذلك فتغير صيغة الكلي تعمل على تنبيهنا للتغير الحاصل باعتبارها اكلاالا ولحظنا تميز صيغ البنية كذلك من بين بنى مغايرة مثلا C.V.Ehrenfels يصف هاته الثيمة (بين الميلوديا التي هي كلية مكونة من اصوات موسيقية تحتوي بداية و نهاية اجزاء والتي يمكننا نفرق بينها وبين الميلوديات الاخرى حتى وان ادخلنا اليها اجزاء اضافية او نزعنا منها اجزاء المكونة اصلا فإنها تبدو مشوهة او غريبة ، انه لا يمكننا تمييزها في حالة الحركة من حيث الاصوات الموسيقية لكن من حيث تبديل الصوتي (يتعلق بالشكل البنائي) فانه يمكننا ادراك التغير²، وبالتالي هاته العلاقة التغيرية جشطلتية العربية الاسلامية (بنية الدولة الوطنية المعاصرة) مثلا بالرغم من وجود ابن خلدون لم تتغير الى بنية مختلفة في ضل وجود الدولة المخزنية و جشطلتية الغيرية (بنية الدولة المدنية المعاصرة) مثلا بالرغم من وجود توما الاكويني كجزء لم تتغير الى بنية مختلفة في عصر الظلمات الاوروبي ،نعني ان التكوين (اي اننا نعني الربط بين توجه جون بياجيه النفسي الابستيمي و موضوعنا) مرتبط بالبنية المفترضة الانتقال من البنية أ الى ب التي ينبغي من التحولية Transformation هاته ان تكون أكثر تقدما وثباتا من الحالة أ ، وفق نسق التحولات هذا الذي لا يفترض ان تكون التحولات و التغيرات موجودة خارج هاته البنية او متحكم بها خارجيا

¹ Jean Piaget , **Structuralism :Psychology Revivals** , F.e , (New York : Psychology Press) , 2015 , p 55

² بالرغم التضاربات الموجود بين الاتجاه التحليل الفيزيائي (الدارة الكهربائية و فاقعات الصابون) و الاتجاه التحليلي الميلودي فاننا وجدنا ان علاقة الميلودي تعبر عن ما نحن نبحث عنه :

بول جيوم ، علم النفس الجشطلت ، تر: صلاح مخيمر - عبده ميخائيل رزق ، القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، 1963 ، ص - ص 27-30

تكون تنظيمية ذاتية Self-Régulation من بنية متجرجرة الى بنية مستقرة وثابتة¹، لكن البنية الاصلية - هاته التي تعبر عن الخصوصية (التاريخ ، اللغة ، الدين / القبيلة ، الزاوية) المربوطة بالأرض (قواطع صحراوية و الريف الجبلي ، الريف ، الساحل المقابل للبنية الغيرية) - لم تتمكن من تحقيق عملية تطور وفق المعايير النسقية الذاتية لكن عامل التدخل الیوجيني الهدمي من قبل الجشطلتية الغيرية ذات النزعة الكولونيالية الناكوسوية (النرجسية) عملت على تكوين البنية عكس الافتراض الذي قدمناه مسبقا وبذلك نعمل على التعمق في محددات البنية لان عملية التحليل الجشطلتي لا تعني الاهتمام بسطحيات واما طريقة التحليل الظاهرية المرتبط بتجربة الشخص او العالم المعاش ، اننا بطريقة ميكروبوليتية (تفكيك الوحدات المكونة للعملية السياسية و المتأثر بعمليات الفصل و التركيب التي تجعلنا تتجاوز السطحية الوصفية للبنية) لقد قصدنا بالتفكيك محاولة ربط المفهوم بواقعه الفعلي و يقصد بالتفكيك عملية فصل وحدات الظاهرة المنوطة بالدراسة و اعادة تركيبها بعيدا عن اي معيار نسقي مطلق (الغيبات / ميتافيزيقيات)².

المطلب الاول: بنية الدولة الوطنية المعاصرة : مقارنة تفكيكية.

لابد من ضبط المفهوم لغويا ، في اللغة الانجليزية Nation-state او في اللغة الفرنسية L'état- nation يقابله في اللغة العربية الدولة القومية و الدولة الوطنية و يدلان على منطوق واحد في اللغات الاجنبية ، فان قلنا فرنسا France - القومية Nationalité الفرنسية - الدولة الوطنية او القومية L'état-national الفرنسية و القومية مفاهيمها هي الامة و لا اختلاف بينهما (القومية هي الايدولوجية التي تحفظ وجود الامة) و تعني اختزاليا المقوم الارتباطي المؤسس على اللغة و التاريخ و العرق و

¹ جان بياجيه ، الاستيمولوجيا التكوينية ، تر: السيد نقادي ، (دمشق : دار التكوين) ، 2004 ، ص- ص 25-26

² حول التفكيك الذي وضاه في بحثنا مقتبس من منبج التفكيك الديردي راجع : احمد عبد الحليم عطية ، جاك دريدا و التفكيك ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 2010

الأرض والمفهوم النيو-تركيبى للقومية - الأمة الذي تكون بعد الثورة الفرنسية والذي يرتبط بالقومية باعتبارها جنسية أو مواطنة فهي ترتبط بتجاوز الماضي بحيث هو تاريخ والتشبت بالحاضر و الرغبة في العيش المشترك كأساس لبناء الأمة و اما بالنسبة لتعبير الوطن فهو تغير لغويا تراتبيا:

Patria اللاتينية التي كانت تعني المجموع الكلي للأشياء و الأفكار التي تعطينا ولاء للوطن التي صيغ منها كلمة Patriotes و Patriotism الوطنية ، و اما Tierra اللاتينية تعني المكان أو البقعة أو الإقليم مكان الولادة ، و كلمة Natie اللاتينية التي كانت تدل في اللغة الإسبانية على التجار الأجانب و في اللغة الألمانية كانت تعني كموازية لكلمة Volk الأفراد و التي تغيرت لتصبح ذات الدلالة على الأمة Volkstum و طور معنى Natie بعلم الفونيتيك (اللسانيات) الفرنسي لتدل على معنى Natal الأصل ، و تغيرت بعد الثورة الفرنسية لتدل هاته الكلمة توظيفيا في مسودة إعلان حقوق الإنسان والمواطن 1797 على Nationalité أي هؤلاء الذين يشغلون حيز الإقليم الدولي و تحكمه حكومة واحدة و يمتلكون السيادة المطلقة أي عملية المزاوجية بين Natal/Civic¹ و تعني القومية / الأمة و بتالي يجب ان نفرق بين الدولة - الأمة:

ذات النزعة القومية الأيديولوجية (الاشتراكية) التي كان يشار إليها Estern-Natinalism أو النزعة القومية العرقية (النازية) Ethnic-Nationalism والنزعة القومية الغربية (الولايات المتحدة الأمريكية) Western-Nationalism والنزعة القومية المدنية Civic-Nationalism² و النزعات

¹ E. J. Hobsbawm , Nations and Nationalism Since 1780 : Programme , Myth, Reality , S.e , UK : Cambridge University Press , 1992 , p-p 14 - 20

² تعني Civic المدنية ، و Ethnos العرق بالصياغة اليونانية هاته النزعة تمارس وضعية Xenophobia رهاب الأجانب أي كراهية الأجانب أو الاعراق الأخرى للمزيد راجع :

Ernest Gellner, John Breuilly , Nations and Nationalism , S.e , (Oxford : Blackwell publishing Ltd) , 2006 , p XVii .

حول النزعة القومية العرقية :

Thomas Hylland Eriksen , Ethnicity and Nationalism: Anthropological Perspectives , S.e , (London : Pluto press) , 2002 , p 03 and after.

الأخرى القومية الوطنية (العصب الوطني) Banal-Nationalism و التوحيدية (نزعة الضم كم كان الحال في الإمارات الإيطالية) Irredentism و نزعة الحركات الوطنية Anti-Colonialisme¹.

وفي الجلسات العربية الإسلامية هاته المفاهيم لا تعنيها أبدا فإننا نرى: ان القومية التي هي الكل المركب من الدين واللغة والتاريخ والأرض تقابلها العربية الإسلامية، والوطنية التي تعني الهوية الجزئية المرتبط بالتاريخ الجزئي (نعني به انه زمني محدد بفترة التركيبة والكولونيالية و هناك هويات تستزيد الفترة التحريرية مقوم مقومن) تقابلها مثلا الجزائرية - المغربية، وحتى على مستوى الوعي الجمعي فإننا نتحدث عن انتماء جزائري جزئي وانتماء كلي عربي اسلامي (شعب الجزائر مسلم و الى العروبة ينتسب) لذلك فالدولة الوطنية هي الدول الجزئية (القطرية) التي تنتمي لمجال أكبر للكلي الوحدة العربية الإسلامية التي تنتج الدولة القومية.

بتالي الترجمة تجحف كثيرا في ابراز مدى اختلاف بين هاته القطاع التي كونت دولا حديثة² و بالتالي فمفهوم الدولة القومية او الوطنية Nation-state له معني واحد حسب العقل الاوروبي و ذلك يعني حسب نظرنا الى علاقة المثلثة بين اللغة و الفكر و الواقع بحيث ان الواقع يحكم السياق

حول Civic و التي لها نفس دلالات Liberalism :
Yael Tamir , **Liberal Nationalism** , (Uk : Princeton University Press) , 1993 , p-p 78 – 89.

حول Banal-Nationalism و التي تعني النزعة المتقدمة حب الوطن و لا شك اننا نعاني منها في مجتمعات الكيانات العربية القطرية و نحن نتفق مع Hobsbawm انه على المؤرخين الابتعاد عن القومية في التطرق لمبتودوهات المفهمة الامتية و هو هنا ينقد Herder فيلسوف التأسيس الامتي الجرمانى لذلك على القومية ان تحترم الاختلافية المربوطة بالنزعة التعلقية بالوطن - الارض Patriotisme (الاكراذ ، زواوة) اي التوفيق بين Our و Other :

Michael Billig , **Banal Nationalism** , F.e,Uk :Saga, 2010 ,p-p 14-16

¹ حول Irredentism و التي ترتبط باعادة تشكيل الامتي من خلال توحيد الكيانات اللاتوافقية ميلان-فلورنسا او الحركة الفاشية و الحزب الواحد :

Margarita Di Az-Andreu, Timothy Champion , **Nationalism and Archaeology in Europe** , F.e , (New York : Routledge) , 2015 , p-p 108-117

حول الحركات التحررية Anti-Colonialism على سبيل المثال :

Penny M. Von Eschen , **Race Against Empire: Black Americans and Anticolonialism, 1937–1957** , F.e , Usa : Cornell University Press , 1997 , p –p 96-120

² Richard Little / Michal smith , **Perspectives on World Politics** , T.e , Usa: Routledge , 2006 , p-p 22-23

الانبثاق للغة¹، وتقصد بالقول انه لا حاجة في ان العقل الاوروبي يحاith العقل العربي² من حيث ان الايكولوجيا الاوروبية لم تعرف العلاقة بين الجزئي التعدد- الواقع الفعلي / الكلي التمثلي الانتماء- الوعي- الروح الا من حيث ان تاريخ خارجي (التوسع الروماني) و الخصوصية لا علاقة لها بهذا التاريخ الخارجي وبالرغم من الصدمة المسيحية للشمال الوثني الكارولنجي على وجه الخصوص لم تمثل المسيحية دين الوحدة فقد نمت نزعة الكنائس القومية كما كان الحال للسلاف و الجرمان وحتى الكتاب المقدس جرى تغييره المساري الدلائلي ليواكب الانفصالية المقومنة (هاته المرحلة هي مرحلة **التغير القوقزي** من التشكل الذاتي (القطر) الى التضايقي (القومية)، هذا المبدأ القطاعي مع الماضي ومع ما هو ديني وحدوي مع نمو الحركات البرجوازية الوطنية اذ نعزوه للتطور الاتجاعي وكذلك مدى الارتباط الفردي بالجيوس وفق هاته العلاقة "انسان + ارض + وقت³ هاته العوامل لا تساهم في الحضارة كما يصف السيد مالك بن نبي بل تساهم في عملية التطور المرحلي (الفرد الغربي + الوقت (ما بين القرنين 14 حتى 17) + الارض (الاقطاع الفيودالي) = بنية غربية / غيرية .) لان البنية العربية لم تكن مربوطة بالحدود ولا بالأرض لاتفائية الوجود الاقطاعي الفيودالي الذي كان فائضه يعود للبنية الامر الذي ساهم في بناء البلدة Town (اننا نفرق بين البلدة (الاقطاع) والمدينة City (البرجوازية الوطنية)) ، صحيح انه كان وجود للإقطاع لكن كان عسكريا (الاتراك السباهية التيمار) الذي كان يعود فيه الفائض للمركز و تقوية الجندية .

¹ يستعمل برتراند راسل هاته العلاقة للدلالة على قبليّة المعنى بانه حدث وقائي في عالم المحسوس:

جون لاينز ، **اللغة و المعنى و السياق** ، تر: عباس صادق الوهاب ، ط1 ، بغداد : دار الشؤون الثقافية ، 1987 ، ص 47

² استخدمنا مصطلح العقل العربي للدلالة على الاداة المنتجة للفكر اي كأداة تجميعية تتميز من حيث التجارب و الثقافة و الحاضر و المستقبل في خصوصيتها العينية و التجريدية :

محمد عباد الجابري ، **بنية العقل العربي** ، سلسلة مشروع نقد العقل العربي ، ط4 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،

2000 ، ص 11 و ما بعدها

³ بوراس يوسف ، **الفكر السياسي عند مالك بن نبي** ، الجزائر : دار هومة ، 2013 ، ص 202

اننا نجد صعوبة في عدم الثبات المفاهيمي فنجد ان الكيانات العربية المابعد كولونيالية تربط
 بمفهوم الدولة الحديثة ، و الدولة المدنية ، و لا مندوحة انها محاولة فساحيه (صوتية) لا ترتبط
 مستوى الانضباط الاصطلاحي ، و هاهنا نحن نستخدم مصطلح الدولة الوطنية المعاصرة ، فمعني
 كلمة حديث و معاصر متمايزة كما يصف السيد محمد اركون ان الحداثة هي معيار الفصل بين
 الحديث و المعاصر و لا يرتبط بالماضي و الحاضر و المستقبل بل بنمط التفكير¹ ، اننا نتفق معه في
 هاته النقطة التي ستكون بنائنا المفاهيمي فنفرق بين الزمن كنظام و الزمن كمجال و نقصد بهذين
 المتغيرين ان الزمن كمجال مرتبط بترادية مع مع عامل الوقت او التوقيت و هو لا اني خاضع
 للحركة الاناسترومية (حركة الارض حول نفسها - الليل و النهار / حول الشمس النظام الفصلي)
 و توقع الذوات في الجيوس الخصوصي و هي خاضعت قهريا وفق الناموس الطبيعي غير مساهمة
 تغييره و هو ازلي (الانفجار الكبير) و بالتالي علاقة الزمان بالمكان فهو ادراكي حسي² (غروب
 شروق) و هو ونسي و عياوي ذاتي - طبيعة + نسق الشخصية - (مثال نسبية الزمن أينشتاين عن
 الصديقين و الجلوس على مادة ساخنة) و اما الزمن كنظام فهو مركب من قيم و عادات³ و تقاليد و
 تاريخ من جهة و مرتبط بحركة الزمن من جهة اخرى (الان و اللحظة)⁴ وافكار خارجية غيرية و
 بالتالي علاقة الزمكاني بالعقل الجمعي كمحصلة تحوي العلاقة بين العقل المكون (الوعي الذاتي) و
 العقل المتكون (الوعي الجمعي المتفاعل بين مكوناته) هاته المعادلة تخرج بنتاج يمثل النسق
 الاجتماعي من حيث التفردات الميمية الثقافية التي تتميز من يحث البيئة و الشكل عن صيغ ميمية

¹ لا نتفق مع السيد محمد اركون في النقطة التي يثورها و هي ان المجتمع قد يكون معاصرا لكن ليس حداثيا ، و بالتالي قد يكون هنا وجود لانسان
 الرجعي الى الفكر السائد في العصور الوسطى و بالتالي ينشا لنا نمط تمايزي بين الاتلجنسا في ذاتها تدعي الحداثة بالثقافة و تحاول ان تكون لها
 وصاية على المجتمع المتخلف ، و بالتالي ننظر للمجتمع انه بنية متماسكة غير منفصلة (جشطلتية) فردوايا بادعاء الاهلية الفكرية و بالتالي الصناعة الأثانة
 للفكر و اعادة الرسكلة و اختلاف التمثلات داخل البنية الواحد التي تؤدي للاقسامات (انت سلفي انا حداثي متحضر) :

² عبد اللطيف الصديقي ، الزمن و ابعاده ، ط1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1995 ، ص ص 90-93

³ محمد توفيق الضوى ، مفهوم المكان و الزمن في فلسفة الظاهر و الحقيقة ، الاسكندرية : منشأة المعارف ، ص 64

⁴ بالمفهوم السينيوي (ابن سينا) :

ابراهيم العاتي ، الزمان في الفكر الاسلامي ، ط1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1993 ، ص 187

غيرية و هذا النتاج يمثل العلاقة المماثلة او المفارقة بين السائد و الفاعل ¹ ، بعلاقة ايجابية طردية (صعود الفاعل يساهم في صعود السائد) او سلبية عكسية (هيمنة السائد على الفاعل) و بالتالي الزمان كنظام هو ما يحدث درجة الحديث و المعاصر (الدولة العباسية في عهد المأمون كانت تمثل الحديث و كانت قادرة على المعاصرة و الغربية كانت التقليدي و لوجرى توسع شيزوفريني نهبي (الأتراك) كولونيالي يوجيني(القوى الاوروبية) كما كان الحال بالنسبة للبنية العربية لما تقدمت الى البنية الغربية الى الحديث و تراجعت العربية الى تقليدي مسير للبنية الغربية لتتحول الى معاصرة كما هو الحال الغربي) .

ان هاته المرحلة اصالة - حديث - معاصرة لا تمثل الثيمة الزمانية المحلية القديم - الماضي - الحاضر فالبنية المتكونة - العقل جمعي ، تتميز بالدينامية التاثيرية و التاثيرة الداخلية بين الفواعل و الخارجية بالعقل الجمعي الغيري ، فالمتكون في فترة الاستكانة ² (فضل كلمة الاستكانة التي تقبلها كلمة الوهن على التخلف) يتحول العقل الجمعي الى سايكو (مرض الدونية) يعتمد على العقل الجمعي الغيري الناركسوس (جنون العظمة) الخارجي كفاعل مؤثر في العملية التكوينية للثقافة المستكينة بالمناقفة (مثال حي عمليات التجنيس الاجنبية للعماللة في الخليج ، فواعل غيرية تنتج و سائد يستهلك او عملية التقارب الفرانكفوني - الانغلو ساكسوني) و بالتالي تعذر الحركة في غياب الذوات الفاعلة التي تمتلك نقدية الوضع و العمل على تحسينة لتحويلها للمطلقية (لقد سخر الله لنا الغرب للخدمة / قد كتبه الله علينا) فجرى ابتلاعها من قبل السائد او تحولها الى جمهور كذوات ناطقة و غاذية او خيانتها للقضية .

¹ محمد عباد الجابري ، تكوين العقل العربي ، سلسلة مشروع نقد العقل العربي ، ط4 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 ، ص ص 16-14

² المتكون هو العقل الفردي و المتكون عو العقل الجمعي يبحث يكون فاعلا في تشكيله ، لا ناخذ بمقولة العقل المعقلن و المتعقل نلانا مربوطة بصيغة التحديث و التفريجات :

اندرية لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ط2 ، بيروت : منشورات عويدات ، 2001 ، ص ص 1167-1170

والتغير من الحالة أ إلى ب إلى ج يجب ان يكون راديكاليا (جذريا) بحيث يتحول فيه النسق الاجتماعي - الثقافي (المعرفي بالتاريخي) بصيغة تراتبية تواصلية اي انها كانت وفق صيرورة ذات التجربة الذاتية والارتباط المرحلي (لانفسي التحسين الخارجي الإيجابي كحركة الترجمة لكن لا يجب ان تكون مقصورة على التحسين الخارجي) ، و قطاعية اي انها تشوهية لا ترتبط فترات تحولها اي في اتاجية مرحلية قهرية مترابطة بتغير صيغ البنية المانحة (الغيرية - الناكوس) و مثال ذلك تواصلية - دولة مدنية معاصرة/ قطاعية -دولة وطنية معاصرة ، اننا نعود لنؤكد ما قاله توينبي حول الحضارات كاقتراب لدراسة سوسيو-تاريخي لإيفرق بين مفهومين السقوط الحضاري و الاضمحلال الحضاري ، السقوط الحضاري و هو المتغير الذي تكون فيه الحالة الجشطلتية غير قادرة على الاستجابة للتحديات و الاضمحلال الحضاري متغير ينتج عن التحلل التدريجي للمخلفات التي أنتجتها الحضارة كالبني الثقافية و التقاليد الاجتماعية و المؤسسات السياسية التي لا تتواكب و السقوط لكن السقوط هو نقطتها الاولى¹.

ان العقل الاوروبي هو ليس بنتاج اهلليليني بل اللاتيني-المسيحي تحول من الاصاله- الحالة أ (هلنستي / النظام الكنسي) الى حديث- الحال ب (انوار + نهضة - التحررية السياسية) الى معاصر- حالة ج (عمومية الأنموذج اللبرالي و الاقتصادي الرأسمالي)، و بالتالي النجاح التدريجي للمشروع الحداثي الذاتي (الحداثه " تحديث تنويري" تحديث معقلن" ، المابعد حدثه) الذي غير العقل الاوروبي الى بنية متسيدة ، و الحداثه Modernism هي ذا معنى سكوني توقيفي يمثل القطيعة الزمانية مع التقليدي (البناء الاسطوري و النظام الابوي و القبيلة و البربره و الاقطاع الفيودالي و قيم الكنسية و القطيعة هنا قطيعة زمن كجمال الماضويات اي كتاريخ) و نقي الذات² خاصة مع الثورة

¹ اشرف منصور ، الرمز و الوعي الجماعي : دراسة في سيكولوجيا الاديان ، ط1 ، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2010 ، ص ص 83-84
² عبد الوهاب المسيري ، التحديث و الحداثه ، في: السيد ياسين واخرون، الحداثه و ما بعد الحداثه ، الندوة التي نظمتها جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس: جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، 1998 ، ص ص 60-62

الكوبرنيكية (نسبة الى كوبرنيكوس الذي وصف ان الشمس هي مركز الكون) وتجاوز البنس التقليدية (الاقطاع) الى العقلنة الحداثية وفق العملية التحديثية Modernisation التي هي جملة من السيرورات التراكمية ، المترابطة بعضيا كتحديث الموارد ورؤوس الاموال و نموقوى الانتاج وزيادة الانتاج العملي و انشاء سلطة مركزية تتمثل بالأنموذج الرأسمالي و الجهاز البيروقراطي و تشغيل الهبات و القومية و المجتمع المدني و التعليم العام و علمن القيم و المعايير¹ ليصل في النهاية الى المفهوم الخلاصي المختزل في السحر او الخلاص الميتوسي و الحداثة ترتبط بالمفهوم الفيبري ان الحداثة تجسدت من خلال احقاق الابعاد الخلاصية العلمانية و العقلانية و المساواة و الدين و الفن و الاباحية² و لا ترتبط الصيغة التحديثية فيبر بل بالتغيرات السابقة خاصة بعد الصاغة الجوهر لمفهوم الفعل الحداثي اي من حيث هو ممارسة المرتبطة بتطور ثلاثة مراحل :

التحديث التنويري³ الذي ارتبط بحجرة النهضة الرومانسية (الادبية) التي طورت من اللهجات الداخلية لتتحول الى لغات قومية مستقبلية منفصلة عن اللغة اللاتينية الجمعية التطور المحلي الذي ساهم ببروز الاتلجنسيا و الاعتمادات التجارية المعوضة للزراعة كنمط تعوضى اسهمت في القوى الكشوفية و توفير الموارد و كذلك بالتوينات العلمية المتقدمة الحاثثة على التفكير كالكوجيتو الديكراتي او الترسندالي الكانطي او اسهامات غاليلو و نيوتن و لوك و هيوم و ادم سميث و بروز الوعي النفعي، و بالإصلاح الديني كحركة ليس هدفها التحرر الانساني من سلطة الكنسية بل عملية للتفصال عن التبعية للمركز البابوي الروماني الذي كان يقوم بعمليات تحركية لا

¹ يورغن هابرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر: فاطمة الجيوشي ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 1995 ، ص ص 9-10

² Maurizio Passerin d'Entrèves , **The Political Philosophy of Hannah Arendt** , Usa : Routledge , 1994 , p 25

³ يختلف في اصل النزعة التحديثية بين الاصل الفرنسي باسكال و يكون و الانجليزي نيوتن و لوك و ليبنتز و كانط ، و الالماني هيغل و الفلسفة النقدية :

علي عوبد الحمداوي ، الاشكالية السياسية للحداثة من فلسفة النوات الى فلسفة التواصل هابرماس نموذجا ، ط1 ، الرباط : دار الامان ، 2010 ، ص 89-90

توافق والرغبة الاثنية لهاته الجماعات الصاعدة و بالتالي هاته الحركات الوثرية و الكالفينية و التوماسية كونت المعطى الثاني الانفصالي للقومون اللغة و الدين القومي مع بروز حركات الترجمة اللغوية المقومنة للكتاب المقدس ، و الفترة اللاحقة التي تنامت فيها الصدمات الداخلية حروب بين الإمارات الايطالية او حروب المائة عام و حرب الثلاثين بعد عمليات البناء المركزي المتقدمة بتاثير كاتبات هوبز و ميكافلي و بودان الاساسية التي انتهت ب بروز الدولة الحديثة القومية واستفالي 1648 و البروز التدريجي لمفهوم المواطنة المدنية .

التحديث النهضوي و الذي ارتبط بحركات الانفصال التدريجي عن الكنيسة و تحول المؤسسات الجامعة الكنسية الى مدنيات و بالتالي هناك ثلاثة اطر في هذا التحديث النهضوي ، الحركة المثالية و التي اتبعت بمؤلفات الالمانية خصيصا هيغل ، شلنج ، فيخته ، فيبر و الحركة العقلانية الراديكالية و التي اتبعت بالحركات الصدمية التي تبني النزعات التحررية و التي ترى في القومية انها نطاق تجاوزي للترسبات (الدين ، التاريخ) و انها مرتبطة بالعيش المشترك و الاراد العامة و الارض ككتابات فولتير ، بلزك ، روسو بروز الموسوعيين كيدرو و النظرية التطورية لداروين و بروز الوضعية مع اوغيست كونت ة دوركايم التي اتجت ثوارت التغيير اللبرالية الانجليزية و الفرنسية و الأمريكية و معيارين اعلان الاستقلال الامريكى و اعلان حقوق الانسان الفرنسي و التي تقوت فيها الحركة الكولونيالية بسبب الحاجة للمادة التي حتمتها الثور الصناعية و بروز كتابات جون ستوارت ميل و دافيد ريكاردوا و الحركة العقلانية المضادة تمثلت في بروز القوميات الشمولية النازية ، الفاشية ، العسكرية اليابانية ، نظام الاسباني (التي كانت خليطا تأثريا بالحركة المثالية فيخته و الرأسمالية) الحرب العالمية الثانية ، و كذلك بالكمونات الاشتراكية المثالية سان سايمون الماركسية كارل ماركس و انجلز و لينين و غرامشي و ماوتسيونغ و لوكاش و الفوضوية تولستوي و الفابية التي كانت كبراديجيم مناف للرأسمالية او العقلانية الراديكالية .

وما بعد الحداثة Post-modernisation¹ تمثل النسق التعميمي للمعايير الموجودة في البنية الغيرية² (الذاتية ، العقلانية ، الحرية)³ التي تكونت بصورة واضحة في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية و استقالة الاتحاد السوفياتي و التزعية الامريكية و فرض هاته القيم على انها أنموذج يخص الجماعة البشرية بالعصا التدخل في فيتنام او الجزرة البنك الدولي او المتغير الجديد القوم الناعمة و كالبنوية التي يعبر فيها كلود ليفي شتراوس عن ان الغرب وصل الى اعلى درجات التقدمية و كعدمية ككتابات نيتشه التي تنهي بها ما هو الاهي و تركز الذاتي التي تعلن انها تجسيد لنهاية التاريخ و الانسان الليبرالي المتفوق.

اما بالنسبة لبنية الدولة الوطنية المعاصر هاته البنية الاصلية فقد ارتبطت و على خلاف الدولة المدنية المعاصرة بمجموعة من التفاعلات التي كونت هاته البنية الاختلافية لتغير المنبهات النشطة التي ساهمت في عملية البناء الدولي :

و كرجوعية نحو التاريخ فقد تكونت التجربة العربية في بناء الدولة ، بظهور النبي محمد⁴ و هجرته نحو يثرب التي ستتحول الى المركز الذي عرف بالمدينة المنورة⁵ و على خلاف العبرانيين الذي لم تتجانس لديهم رغباتهم و الرغبة النبوية كمسوع من الولاء التعاوني في البنائي القاعدي للمجتمع و الاقليم و السلطة ، و لو تتبعنا حركة الدين الجديد المحمدي سنلاحظ ان وجود الامة اسبق من

¹ انه زمن انحلال التاريخ للمزيد راجع :

جياي قاتمو ، نهاية الحداثة : الفلسفات العدمية و التفسيرية في مرحلة ما بعد الحداثة ، تر: فاطمة الجيوشي ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 1987 ، ص 12

² ليندا هتشيون ، سياسية ما بعد الحداثة ، تر: حيدر حاج اسماعيل ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2009 ، ص 67

³ يعقد هيغل المقارنة بين هاته المسلمات عبر المراحل التاريخية البشرية للمزيد راجع :

محمد الشيخ ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2008 ، ص ص 262-411

⁴ حول النبي محمد راجع :

ابن كثير ، البداية و النهاية ، ط2 ، بيروت : مطبعة ابيكس ، 2010 ، ص ص 6 و ما بعدها

⁵ يرى برتراند راسل ان قوة الدين الجديد تتمثل في سهولة استيعابه و بعده عن الرهبة لذلك انظمت اليه الامم المختلفة للمزيد راجع : برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ج2 ، تر: زكي نجيب محمود ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 1970 ، ص ص 181-187

وجود الدولة¹ حيث ان البناء اقتصر اوليا على عدم الجاهرة بالدعوة او الدعوة السرية كتكوين اولي للجماعة وهذا النوع الاصلاحى اتسع ليعم افراد أكثر و نطاق اوسع و دخلت الدعوة في نطاق الجاهرة التي اصطلمت بالفرض القرشي للدين الجديد ككوع من القيم المنافسة و بغياب الادوات الدفاعية و الخوف من التقسيم الجماعاتي كانت الهجرة الاولى للحبشة التي ككانت تربطها بقريش الخطوط التجارية الهامة ما ادى الى ضعف النظري القرشي في مواجهة الدعم الحبشي للدين الجديد ككوع من التضامن الذي دعم الحركة الاجتماعية الصاعدة ، و ككوع من التنظيم البعيد عن المخاطرة و كعملية محاولتية لبناء المركز كانت الاتصالات بقبيلتي الاوس و الخزرج في بيعتي العقبة الاول و الثانية و بهذا تكونت العلاقة الاحتضانية لهاته القبائل للدين الجديد و كان الهجرة الكبرى ليس كعطى هروبي بل كعطى تنظيمي بعيد عن التأثير القرشي الفوقي (مكانتيا و ليس طبقيًا اجتماعيًا) ، لقد كانت اللبنة الاولى كيفما تذكر لنا المراجع السيرية او التاريخية في عملية بناء المسجد او الجامع² الذي له دلالات قوية لنهاية سلطان البداوة و بداية العمران ، فقد كانت وضيعة المسجد متعددة النطاقات فبالإضافة الى انه كان مركز صلاة و مركز لسير الاجتماعات التشاورية و الاتفاقات التي تخص الحرب او استقبال الوفود المتبعة للدين الجديد او المتحاورة حول العلاقات البينية او مقرا للتوجيه و الخطابات الاصلاحية (خطبة الجمعة)³ ككوع الهليلي (الجمعية العامة و الديمقراطية المباشرة) الا ان السلطة الفعلية لم تكن في يد العامة لأنه و بساطة كما يصف ذلك الجاحظ ان العامة تضم الجاهل بالتسيير و المريض و الخبيث و بتالي قصور الجانب التقدمي للغوغاء الجماهيرية ، و مما وطد التكون الدولي وثيقة المدينة التي عبرت عن توجهات الكبرى للجماعة

¹ تبين ذلك في الفرق صيغ للنص القرآني المكي و المدني للمزيد راجع :

مناع القطان ، تاريخ التشريع الاسلامي : التشريع و الفقه ، ط 2 ، الرياض : مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، ص ص 53-59

² لقد تمكن النبي محمد من تحقيق الاندماج الاجتماعي بين المكونين الاوس و الخزرجي ، و المهاجرين :

ابن تيمية ، الخلافة و الملك ، ط 2 ، الزرقاء : دار المنار ، 1994 ، ص 112

³ حسن السيد البسيوني ، الدولة و نظام الحكم في الاسلام ، ط 1 ، القاهرة : عالم الكتب ، 1985 ، ص 28

المسلمة وعلاقتها بالأخر¹ ولقد كان مكاننا للتعبير عن الراي بكل حرية كنوع من قياميه المجتمع الاهلي وكانت هناك حياة حزبية هامة بين اتجاه الانصار (الاوس و الخزرج) و المهاجرين (الحزبان سيظهران بشكل رسمي بعد موت النبي محمد)² التي كانت وظيفتهم محولة بهذا الامر لتجميع المصالح بين الافراد و الوجهاء (الوجهاء هنا كانوا اقرب الى حكومة الجدارة) الذين كانوا ضمن مؤسسة الحل و العقد³ هاته المؤسسة الوظيفية المشاورتية و رقابية و قبولية للإقرارات و تعبئة الجماهيرية كانت نطاق تقديمي في عملية البناء السلطوي للدولة الذي تدعم بوثيقة المدينة هاته الوثيقة التي حددت النقاط الكبرى و التوجهات الضمنية لعملية البناء المجتمعي -الديني و العلاقات الداخلية بين المسلمين و الموالي (اهل الكتاب) و الخارجية بالقبائل و تأخريا بدول الكبرى (فارس و روما)⁴ التي حددها النص القرآني كمعطى هام و الزامي متعال و تناسقي بالعقل البشري اي كنوع دافعي للابتكار لا كواقع عبئي لان الجماعة كانت تجهل التاريخ و التشريع (الحدود ، الميراث) و عمليات بناء العلاقات و القيم و تصحيحها (تحريم الوؤد ، صلة الرحم ، الصدقات) و العبادات⁵ و ابعده من ذلك حوى الاجوبة التوجيهية الداعية لبحث عن الكماليات داخل الحركة التنويرية العقلية لتحريك الوعي الفردي (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) و المحدد لقيام نصوصه الشارحة عن كيفية الخلق و تسيير الخليفة و النهاية المؤقتة نحو عالم الخلود و الجزاء الاخروي، و بالإضافة الى ذلك فانه قام جهاز ضريبي هام (بيت مال المسلمين المتمثل في الزكاة و الصدقات و تأخريا بالجزية و الغنائم) كنوع من الدعم الدولي القبضي الذي يعين على القيام بالوظائف في الحالات الدفاعية كبناء الجيش النظامي او البناء القاعدي كدعم الفقراء ، و ما يلاحظ هنا هو ان الجزية كذمية⁶ ركز

¹ محمد عابد الجابري ، فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول ، ج3 ، ط1 ، الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، ص ص 7-18

² باقر الشريف القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، ط4 ، بيروت : دار المعارف للطبوعات ، 1987 ، ص 71

³ محمد احمد مفتي ، اركان و ضمانات الحكم الاسلامي ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع ، 1996 ، ص ص 177-188

⁴ وهبة الزحيلي ، العلاقات الدولية في الاسلام ، ط1 ، دمشق: دار المكنبي ، 2000 ، ص ص 11-12

⁵ محمد المبارك ، نظام الاسلام العقائدي في العصر الحديث ، ط1 ، الرياض : الدار العالمية للكتب الاسلامي ، 1995 ، ص ص 17-20

⁶ لا تتوافق و الطرح القائل بان الجزية كانت كميكانزيم ضغطي للدخول في الدين الاسلامي و لو كان كذلك لفرضت الجزية في المدينة و مكة :

عليها كثيرا المفكرون العرب الحداثيين في انه لم توجد مواطنة حقيقية ، لكن في المدينة وحتى النطاقات المجاورة لم تفرض الجزية على يهود المدينة ولا نصارى الطائف وكانت الجزية التأخرية عبارة عن هبة حمائية تسقط بسقوط الوضع الحمائي ونجدها مقبولة لأنني اقوم بخدمة (حماية الغيري في نفسه و حماية المسلم في دينه كذلك) و اتلقى نصيبا منها (الغير مسلم بالدينار كتعويض مالي و المسلم بتجنيد الجهادي مثلا كتعويض بدني) ، لا يجب كذلك ان نحقر الفترة الجاهلية فقد وفرة حركة التجارة علما مهما بالجغرافيا السياسية للجزيرة و الدول المجاورة¹.

بعد موت النبي محمد لم تحدد خلافته المنصيبة السياسية التي لاقت صراعا فكريا طفيفا بعده مباشرة التي عرفت بمجاذة سقيفة بني ساعدة بين الحزبين الانصاري و المهاجرين (لقد انقسم المهاجرين بدورهم الى القرشيين ابي بكر و الهاشميين علي بن ابي طالب)² الذي اتهمت بشرعية ابي بكر للحكم الذي سمي خلافة اي خلافة للنبي محمد الذي واجه فيه ابي بكر³ حركة ارتدادية عرفت بالردة و الامتناع عن تأدية الزكاة و حركة ادعائية دجالية بدعوة النبوية⁴ لعملية للمزاوجة بين القبيلة و تقويتها هوياتيا بالعقيدة كتقليد للمركز النبوي الحمدي و كادت ان تحطم المركز و صراحة كانت الاستراتيجية الانتحارية البكرية غاية في الذكاء الاستراتيجي حتى و ان خيلت على غير ذلك حاليا و كذلك هشاشة المعطى الايماني للحركات الادعائية التي لم تنافس المركز عقائديا و لو انه اثرت بدخول تحت تأثير مسيلمة لكن كانت مصلحة لذلك لم تدم ، و بعد ابي بكر عمر بن الخطاب الذي تداعم في فترته الجهاز الاداري الدولي " الدواوين " و تأسيس التشريعي لدولة الرفاه

محمد عبد الحى الكنازي ، نظام الحكومة النبوية : التراتيب الادارية ، ج 1 ، ط 2 ، بيروت : دار الارقم بن ابي الارقم ، ص ص 312-324

¹ (-----/-----) ، نظام الحكومة النبوية : التراتيب الادارية ، ج 2 ، ط 2 ، بيروت : دار الارقم بن ابي الارقم ، ص ص 182-183

² محمد محمد شمس الدين ، نظام الحكم و الادارة في الاسلام ، ط 2 ، بيروت : مؤسسة الجامعة للدراسات و النشر و التوزيع ، 1991 ، ص ص

83-57

³ محمد عمارة ، الاسلام و اصول الحكم لعلي عبد الرزاق ، ط 1 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 2000 ، ص ص 182-183

⁴ عبد الحميد اسماعيل الانصاري ، نظام الحكم في الاسلام ، قطر : دار قطر بن النجاري ، 1985 ، ص 67

الاجتماعية ، و التقديمية التوسعية السريعة للدين الاسلامي و الصداميات مع القوى الكبرى البيزنطية و الفارسية¹ و تحقيق مكاسب واسعة² سببها الاوسع هو قوة العقيدة الاسلامية و سهولة تقبلها كما يصف ذلك برتراند راسل و بعد عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان الذي جرت في فترته تجسدية القران من خطاب (ملقي -متلقي) الى نص (لغة كتاب) التي طورت مستويات اللغة العربية (الحركة النحوية و البيانية البعيدة لدراسة القران) التي كانت مقصورة على التمرس الشعري و من جهة المحافظة على القران لموت الحفاظ في الغزوات الفاتحة و سهولته الاستيعابية على الداخلين الجدد في الدين الاسلامي (أكثر العلماء اللغويين كان من غير العرب كسبويه الفارسي)، و في فترته تحديدا تمكنت قبيلة بني امية من التوسع السلطوي و النفودي المناصبي للتمهيد للفترة المقبلة الانقلابية الذي كان قائدها الزعامي معاوية بن ابي سفيان و هنا الاشكالية هل كانت قضية مقتل عثمان اموية تديرية ؟ اكبر مستفيد من الاحداث هو من يقع خلف حدوثها هاته المسلمة تدفعنا للربط بين الاستنجد الجماعي لقاتلي عثمان بعلي و قبولهم جهلا ، و عدم الملاحقة الاموية الفعلية للقاتلين التي ستضعف جبهة علي بانقسامية ال البيت الداخلية بين الجبهة الاقتصادية الممثلة بنو العباس و عائشة زوجة النبي محمد و الزبير بن العوام و اولاده و جبهة علي الحائز على الشرعية الخليفية و اصطدمت القوتان في موقعة الجمل³ ، و جبهة الخارجية الممثلة بمعاوية ذات المكاسب الغنائمية الكبيرة (بلاد الشام و مصر) و تحالف الاستراتيجي المحقق مع عمرو بن العاص الذي سيؤدي الدور الهام في موقعة التحكيم ، موقعة التحكيم هاته التي جرت بعد معركة حطين و حادثت شهر المصاحف لتوقيف القتال الذي كان سيبيد الجبهتين (العلوية / المعاوية) هذه الحادثة ادت لظهور

¹ قد كان نظام الفتوحات غرضه إنهاء الاستبداد المركزي الذي بناهته يمكن للناس ان يتبعوا الدين الجديد فالناس على دين سلاطينهم للمزيد راجع :

أكرم ضياء العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، الرياض : مكتبة العبيكات ، ص ص 329-381

² محمد يوسف موسى ، نظام الحكم في الاسلام ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ص ص 153-155

³ للمزيد راجع:

محمد بن عبد الله الغبان ، فتنة مقتل عثمان بن عفان ، ج 1 ، ط 1 ، الرياض : مكتبة العبيكات ، 1999

جبهة صدامية جديدة (الخورج) ¹ تاولية للنصين القرآني والحديثي بان الحاكمية لله ، وهنا نفرق بين الفرقة التي تجمعها رؤية وهوية جمعية واحدة والجبهة التي تضم العديد من الفرق ، التي تسيدها الفرقة الامومية الاصل وتضعف ازاء عدم التزامها بالمعطيات الجمعية الاساسية المقبولة لدى الفرق الاخرى ما يعطيها سببا متينا للانقسامية والخروج الجبهي لتكوين جبهة منافسة مكونة من فرق داخلية وهكذا ضمن هاته الدورة ذات الخصوصية الاسلامية التي يترجمها الشهرستاني في عبارته المختزلة ما اخلف الى في قضيتا الإمامة والخلافة².

بعد سلسلة من الاحداث الدرامية (مبايعة الحسين لمعاوية كمحاولة تقاربية المرفوضة من قبل الحسين ومقتل الحسين في كربلاء) انقسم التفكير الجمعي العقائدي (كمحاولة لتفسير التأويلي النص كمثالا العدد 12 الموجود في سورة يوسف نفسه يطبق كفكر تسويغي للأئمة الاثنا عشر) و ربط بالاختلاف الصراعي الزعاماتي كمسوخ للشرعية اي بين الفكر الشيعي (الامامة لآل البيت و التركيز على القضايا الغيبية كالمهدي المنتظر المخلص ،والامام المعصوم وقداسة ال البيت) والسني (الخلافة القرشية) و هامشية الفكر الخوارجي كذلك (احقية الخلافة لأي فرد مسلم) لم يقتصر هذا الوضع على التبادل الفكري الاختلافي بل تعداه الى جانب تكفيري صراعي ، فالدولة الاموية الاسرية الوراثية كانت ذات العلاقة القطعية الاساسية والموروث السياسي الاسلامي المبنية على الشورى والتداول السلطوي وتحييد الاجانب الغير عرب عن المشاركة السلطوية في المناصب الادارية العليا كان السبب التضامني الفكري للجماعة الصاعدة الصاعدة العباسية المتحالف مع الشعبين (الفرس) والتسويغ السلطوي الديني المتمثل في ان الهاشميين اعمام النبي هم جزء من ال البيت الذي

¹ مصطفى حلمي ، نظام الخلافة في الفكر الاسلامي ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004 ، صص 135-157

² حول الامامة والخلافة راجع :

ابي المعالي الجويني ، غياث الامم في تيات الظلم ، الاسكندرية : دار الدعوة ، 1990 ، صص 15-20

محمد جواد الشري ، الخلافة في الدستور الاسلامي ، ط1 ، بيروت : دار المرتضى ، 2000 ، صص 91-97

اثر على تراجع الفكر البيتي الشيعي شديدا كعموض، هذا الصعود الانتقامي ضد الامويين مع ضعف مركزهم ترجم بآبادات ابو عباس السفاح للأسرة كاملة و القصة الاسطورية لهروب عبد الرحمان الداخل الاموي الوحيد الناجي من الاسرة الملكية ، الحقة العباسية هاته التي كانت مستقوية بالشعبوية الفارسية تقدمت فكريا في عهد هارون الرشيد التي كانت تضامنية الافكار الداخلية بين العرب و الموالي و خارجية كالجهد البينية الثقافية مع شارلمان هاته التدفقات الفكرية دعمت حركة الافكار التوفيقية بين الفكر العربي و الافكار المشاركة (الفارسية ، الهندية ، اليونانية) المدعوة بالفكر الاسلامي العام ، الفترة التابعة الاساسية و الهامة الممهدة للتحديث الفكري للمنظومة العربية الإسلامية كان بعد الصراع الاميني / المأموني بين الاخوة الذي انتهى بمقتل الامين ، حكم الامين الملك الفيلسوف خاصة بعد تحذره عن منامه التحفيزي بوصاية ارسطوله لترجمة كنهه و الاعتناء بها له دلالات واضحة فالفترة هاته كانت المرحلة التحديثية الكبرى للمنظومة ببناء بيت الحكمة هذا المقر الفكري النظامي التابع للجهاز الحكومي و المشرف عليه ماليا البعيد عن الأدلجة (اي لم يكن هناك توجه رسمي اساس يعبر عن افكار السلطة و حتى وان كان هناك تقارب نوعي بين المأمون و الفرقة المعتزلية خاصة في قضية خلق القران و التقارب المحدث لعهد الولاية لعلي الرضا بن موسى الكاظم و هذا تقارب نوعي بين ال البيت و المركز العباسي) فيقول في كتابه ان الافراد كانوا على درجة كبيرة من الحرية الفكرية فتجد في البيت الواحد معتزلي و اشعري و إسماعيلي و تقدمت العلوم كثيرا كمحاولات الخوارزمي و ابن الهيثم و تداعمت الحركة التحديثية كذلك بقيام المدرسة النظامية التعليمية في الاندلس و التقدم الفكري و الحرفي التجاري الذي ادى الى توافق الديانات الثلاث الإسلامية ، المسيحية ، اليهودية، فتكونت هناك ثلاثة دوائر كبرى كان لها تأثيري فعلي على الجانب السياسي :

الدائرة الكلامية ، الدائرة الفلسفية ، الدائرة السلفية¹ ، كانت الدوائر في وضع تعايشي مميز حتى موت المأمون ، وبعد موت المأمون جرت الانقساميات داخل العائلة للتسابق نحو الحكم بين المعتصم والعباس فتحول الاسلوب من تعايشي الى صدامي لضعف الحكام المتنازعين والسيطرة الزميرية الفكرية بين المعتزلة والحركة السلفية بمحنة ابن حنبل² التي انتهت بمقتله وابن تيمية ، التي تغيرت درجتها النسقية في عهد الحكم المتوكل الذي قام بتغيرات هدامة فعلا بانقلابه على الحركة المعتزلية بالجزائيات الاعدامية وتقريب الحركة السلفية بقيادة ابن تيمية (انما انا متبع) التي سيطرت على الفكر عموما و توقفت حركة الاجتهاد بتحولية من مركزية القران الى مركزية السنة فغيرت المحيط باعتبارها العلوم خاصة الفلسفية اخذت للكفر و عوضت مجموعة العلوم بمعطيات جديدة كمحاولة ابن القيم بتعويض الخلافة (الطب الجراحي) بطب النبوي ، و الامر الاخر هو اشراك الاتراك الرعويين والاستقواء بهم ضد المد الفارسي المبتدأ في عهد الواثق ، هاته الجماعة المملوكية قضت على الحياة المدنية في بغداد و ادخلتها في التقهقر التخلفي من خلال المركز الموازي في سمرقند التي بناها المعتصم الذين تحكموا في قضايا التولية اما بالقتل كما جرى الحال بالنسبة للمتوكل او الخلع و ازداد الصراع بين العرب و الاتراك في عهد المستعين³ هذه التراجيديا تداعمت موازية كذلك بالانقلابية الكورر بوراوية المملوكية في مصر التي سيقضي عليها العثمانيون و هاته الممارسات المحجفة اوقفت المحاولة التحديثية الاسلامية بسيطرة الكهنوتية على المدارس و تغير نظمها التعليمية خاصة مع تقدم الحركة الصوفية ، فكان الحكام يستقون بعمليات التعبئة الدينية الخدمانية للحركة السلفية ، فالحكام كانوا يذعنون للداعية او المفتي كسوق جديد ازدواجي سلطوي بين الحاكم و الشيخ و كنوع

¹ لم نجد افضل من هاته الكتب للفرق الاسلامية و المنفصلة عنها للمزيد راجع : محمد او زهرة ، تاريخ المذاهب الاسلامية ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1980.

محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني ، الملل و النحل ، ط3 ، بيروت : دار المعرفة ، 1993

محمد عابد الجابري ، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملل ، ط1 ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998

² محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، ط2 ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 ، ص ص 65-115

³ محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة : مؤسسة الهداوي للتعليم و الثقافة ، 2014 ، ص ص 24-27

من البناء الكنسي في الاسلام الذي مارس النكبات على مفكري الاسلام المستنيرين (ابن رشد و تعذر دعمه من قبل المستنصر الموحيدي) هاته الحضارة التي انتهت بسقوط المركز الريادي شرقا بدخول التتري لبغداد و التمدد الصليبي في بيت المقدس، و غربا بموقعة حصن العقاب و انتهاء الحكم الاسلامي في الاندلس .

ادى السياق التكويني الجمعي لمخلق الهوية الاسلامية الجمعية للجماعة الرعوية التركية- المغولية¹ التي دخلت في المرحلة التحضرية التمدينية بتطور العمراني للدولة المركز السلجوقي الذي وفر وحدة المجال المحتوي للتكوينات الاجتماعية الرعوية المتقدمة للهوية المدعومة بالاسلام كأساس جمعي و تحفيزي عن طريق المعطى الجهادي الذي جعل هاته القوى في حالة تأهبه التحامية اي بتحول من نسق ثقافي انقسامي رعوي تحركي غير ثابت بين عالم بداوة و عالم متحضر يفرض الولاء المركزي للانقساميات الثقافية المتوازنة رعويا و المركز و التي تفترض عكسيا تهميش المكونات الغيرية اي قيام اللادولة داخل الدولة ما يكون قاعدة انزلاقية للثبات المركزي الذي مهد للصدام العصبي العثماني و انقلابه على النسق السلجوقي (الدولة المستجدة) المهترئ و المعتمدة على الحركة الصوفية الجهادية كسوق ثقافي شرعوي و وفتي لهاته الدينامية البولي-سوسيولوجية المتشكلة² التي تداعم بالتطور الغنائي و التحديث العسكري للأتراك- المغول بتوسع اغتناما لفترات الفراغ التي شهدتها الجماعات الاسلامية المنقسمة فكريا و ممارستيا الى بناء الدولة السلطانية المعتمدة على فكرية الاطراف و استنزافها لخدمة المركز هذا اقتصاد الغزو التركي الذي كون حالة الدفاع عن

¹ اصل الاتراك من المنطقة الملقبة بتركستان و هم شعب الهونت "الغرز" الواقعين بين هضبة منغوليا و شمال الصين شرقا الى بحر قزوين غربا و من السهول السيبيرية شمالا الى شبه القارة الهندية و فارس جنوبا و قبائل الكبرى و عرفوا بالترك و قد التي تنامي القوة الرعوية التتريية - المغولية الى الدفع بالقبائل التركية الى الهجرة الى شمال العراق و قد كان أول إتصال بيني إسلامي-تكري بين عبد الرحمان بن ربيعة و ملك الترك شهريراز : علي محمد صلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ط1 ، بورسعيد: دار التوزيع و النشر الإسلامية، 2001، ص ص 25-26

² حسن الضيفة ، الدولة العثمانية : الثقافة المجتمع و السلطة ، ط1 ، بيروت : دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، 1997 ، ص ص

الوراثة المجالية للبلاد الاسلامية (كتحريير السواحل المغاربية من الغزوات الاسبانية) كمسوغ للاستيطان العسكري النفعي المقبول اوليا من قبل الاهالي و الوراثة النسقية لدولة الشرقية التي تكلمنا عنها سابقا و للدول السلجوقية و الایلخانية (الفارسية) المعتمدة اساسا على العادلة الرفاهية كمنحة و هبة من الحاکم المستبد كمارسة ريعية لان الثورات او التمردات لم تنشب من الداخل المركزي ابدا حتى الثورة الطورانية ذات المطالب السياسية اي كسوع علائقي مجسد في الفكرية الرعوية / الباتريمونيالية (الراعي و القطيع)¹. لم يعمل على التفاعل و الاندماج الاجتماعي كسوع من الترجسية و الاستعلاء العرقي عن المكونات العربية ما ادي بتراجع التمرسي للسلطة و الخبرة العسكرية (بسقوط المركز الساحلي تسقط الاراضي المشغولة تباعا و كأنه لا وجود للمجتمع لقيادة الحركة المقاومة حتى و ان اقتصرت على مناطق مدودة فإنها تعبر عن العجز التمرسي بالحرب و التكتيك) و انغزالية البنية الاصلية داخل السببية المجالية و الفكرية و المورفولوجية و اشرت كذلك على حال اللسان العربي لأنها كانت تفرض على المفكرين الكتابة باللغة التركية الى جانب العربية كما يشير ذلك عبد الرمان الكواکبي ، لقد عومل الاهالي كعبيد و استغلت ثوراتهم المواطنة ما احدث شيزوفرنيا اجتماعية (اسلام استغلالي و اسلام شعبي) و تقوت باشارك الانكشارية (اولاد السبي ، و الغير شرعيين الاجانب) و تغليب دور اليهود و تقسيم الجحف للبنية الاصلية² بين المشرق المعتمد على نظام الحرف كنمط انتاجي و نظام الملل المرتبطة بالحلي الطائفي و المنوح

¹ لقد تأثرت الجماعة العثمانية المكونة من تداخلية النسقية بين الناطمية الاسلامية ، و التقاليد التركية-المغولية كقوانين تورو او اليباسا الفارضة لسيادة السلطان / و التقاليد السلطوية الفارسية المترابطة بقدرة الحاکم على التحكم في الرعية من خلال الهبات الفوقية الممنوحة التي تترجم بعبارات محمد الفاتح " الدولة لا بد ان تجمع الثروة و لكن لا بد للحاکم ان يتصرف بعدل و الا يثيره عساكره بالتوقف عن دفع مستحقاتهم" و كذلك من حيث الجانب المؤسساتي للسلطة : السياسية/المالية / القضائية/الادارية و الديوان الامبراطوري-السلطاني ، و كذلك تأثرت بكتابات نصر الدين الطوسي المقسم للمجتمع الطبقي بهاته الصيغة : البنية الفوقية العسكرية ذات السيطرة الفعلية- الموظفين المعفيين من الضرائب و البنية التحتية المنقسمة نشاطيا بتوازي بين اربعة مجموعات الفلاحون ، التجار ، الرعاة و الحرفيين و اخذت طابعا قانونيا بتسجيلات السجلية لنظام الطبقاتي هذا السلطاني المستوحى من كتاب "سياسة نامه" لنظام الملك التي دعي فيها لاحترام نظام الطبقات لكي لا تعم الفوضى:

خليل اينالچيک ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ، تر: د. محمد.م. الأرنؤوط ، ط1 ، بنغازي : دار المدار الاسلامي ، 2002 ، ص- 103-109

² خير الدين حسيب و آخرون ، مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات : التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي ، ط2 ، بيروت : مركز الدراسات الوحدة العربية ، 2002 ، ص ص 109-118

الاستقلالية الادارية و السياسية للزعيم الطائفي هذا الحي الطائفي كان متداخلا بنظام الحرف بدوره ادى الى التمكين الطائفي المركز على الفاضل القيمي الذي كان يمنح المكانة الاجتماعية المقدمة و المنافسة للطوائف الموازية و بتالي انقسمت الوحدة الهوياتية الدينية الى طوائف تعددية نوع من الولاء الخطي (الصيغة نفسها بالنسبة للقبيلة / و الطبقة) الذي كان من السهل استمالتهم بدخولهم في وضع "الرعية المعفاة" (المعفاة من الضريبة كأساس ولائي كسي) و اما بالنسبة للخليج العربي فلم تدخل القوة الرعية بذلك القدر الكبير الى من حيث الوصاية على المركز الاسلامي الروحي (مكة ، المدينة) الذي نهبت مواده الأركيولوجية و كان النمط الاتاجي فيها تبادليا / مقايضا الذي كانت فيه القبيلة تشغل المجالية الهامة في أرجائه الجزرية هذا المعطى ادى الى تعاظم هاته البني كسيبة التي ستكون اساس خروجها القوي السيطرة البرتغالية-الهولندية على طرق التجارة و التصيق الصدامي مع النمط الاقتصادي التقليدي للبني القبلية الخليجية الامر الذي ادى الى الصراع الغنائمي بين البطون كأساس للجني الغلي الذي تدعم بالأدلة الوهابية¹ ، و اما في بلاد النيل فقد تباينت بين مصر المميزة بمركزيتها العالية و غياب الانقسامية و هذا ما نراه ممكنا لمحمد علي من الانقلاب و بلاد السودان الشرقي التي كانت منطقة امتدادية لمملكة FUJI التي تأسلمت بمحركات الدعوية الصوفية ، هاته الطريقة خلقت التضامن العرقي / القبلي / الديني مما قضى تدريجيا على وضع المملكة و تحولت الى وضع قبلي مستقل حركه نفوذ واسع لقديس الزوياتي و التي انقسمت بدورها كذلك الى كيانات اجتماعية تغيرية عرقية طبقية و طائفية ضمها محمد علي الى نطاق المصري و في بلاد المغرب كان وضع تقسيمي دوائري ولائي للدولة المخزنية مهما² (المخزن المركزي / شبه المخزن كمنطقة امتدادية موالية كرعية معفاة ، شبه السببية منطقة

¹ امنة محمد نصير ، محمد بن عيد الوهاب و منهجه في مباحث العقيدة ، ط1 ، بيروت :: دار الشروق ، 1983 ، ص ص 222-240

² لقد كانت ازمة قطائعية حضارية متواصلة كما يصفها نبيل راغب انها الدخول في الغيبوبة للمزيد راجع :
نبيل راغب، الغيبوبة العربية، القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، 2007، ص 233

تتزامن وتصادم تمتد و تقتل كالأرواح الحسونة معسكر بابل في المغرب
الأقصى ، و سبب ككلمة ماشى (التوارق هذا اللقب غير محبب لديهم للإشارة) كان للمناطق
الزراعية دور تدعيمي للمركز العلي كنمط انتاجي استغلالي خاصة مادة القمح و هنا لم يكن المتغير
الشيزوفرنى بل كانت هناك وجودية مهمة لمعطى الدياتسبورا Diaspora كقسيم الايكولوجيا اللبية الى
ايلات ذات المعطى القبلي (برقة ، طرابلس و فزان) لازالت لحد الان موجودة و بلاد المشرق
توافق و هذا النمط التقسيمي الذي كان طائفيًا و هاته الممارسات قوبلت بالرفض الداخلي
كثورات الزاوياتية في بلاد المغرب و العربية في مصر و المهديّة 1881 في السودان و الحركة الوهابية /
ال سعود (محمد بن سعود) و الصدام مع محمد علي و كذلك الثورة المدعومة من القوى الأوروبية
التي قسمت القوى المركز العلي و الوالي محمد علي و تحكّم القوة البحرية التركية-الجزائرية ، صعود
القوى الكولونيالية بعد عمليات التحديث التي قامت بها داخل بنيتها الاصلية (المثلثة لدينا)
عبرت عن العجز السكوني للقوة التركية الغير تطويرية بالثورة الصناعية التي عجزت عن السيران
وقفها و تحولت تجارة الترانزيت هاته من النطاق السيطري التركي الى العزلة بوجود طريق الهند عبر
راس الرجاء الصالح و عبر المحيط الاطلسي نحو العالم الجديد .بالإضافة الى العبء الخزني لتمويل
الجيش المتفرغ بعد توقف مرحلة الغزو الذي لم يعد مجديًا بمنوحات الجندية للأراضي (سباهية
التيمار) ما رفع من ازمات التضخم من خلال المصروفات المضخمة للجندية و تزايد الطلب السلعي
الأوروبي على المواد الغذائية و من خلال سياسيات الصك النقدي " التمشيش" اوجدت ازمات
اخرى و هي انخفاض القوة الشرائية للعملية لأنها لا تعبر عن قيمة حقيقية للمواد النفيسة او الذهب
المملوك خاصة بعد انفصال محمد عل و عقد الاتفاقية التبادلية مع الدول الأوروبية¹ الى جانب ذلك
ان الصراع داخليا في المركز بين القطاع العسكري (السباهية التيمار ، الانكشارية / القابو قلي هاته

¹ احمد آق كوندز- سعيد اوزتورك ، الدولة الثمانية المجهولة ، اسطنبول : وقف البحوث العثمانية ، 2008 ، 718-706

الفرقتان مكونة بواسطة قانون الديوشيرمة الذي ينص الجمع والالتقاط للصغار الاطفال و تهجينهم فكريا و دينيا و تعليميا و عسكريا للخدمة) و داخل الاسرة (كل سلطان يسعى لتصفية اخوته بدعم القبائل العصبوية المركزية الغازية و النظام الآخيانية (الطريقة الصوفية رجال الدين) وكذلك بصعود الصفوي¹ هذا الاهتراء البنيوي العلي انتهى بالثورة الطورانية مع تنامي المد القومي التركي (مصطفى كمال اتاتورك) وقيام الدولة - الامة التركية² الذي تدعم بصعود الحركات القومية العربية ضد المركز العلي هاته الحركات التي كانت بقيادة الشريف حسين 1916 المدعوم من المد الكولونيالي الانجليزي و الفرنسي ضد العثمانيين ابان الحرب العالمية الاولى.

بعد هاته الحركة الكولونيالية الواسعة³ التي اسقطت النظام السلطاني العثماني توسعة لتشمل المجال و جرى تقسيم البنية الاصلية (الدياسبورا) في مؤتمر سايكس بيكو الى مجموعة من الكيانات على شكل دوائر لخلق توازنات و تخفيف درجة الصداميات و المغالبة البينية لكي لا تقوم الحركات المتدخلة الاستغلالية و الانتقامية الى احداث صيغة فراغية تنمو فيها الحركات المقاومة و بالتالي الانتقال من مرحلة الدياسبورا التي لم تقتصر على التقسيم و الذي كان سلطانيا تركيا بل الى شتات⁴ و الشتات هو مرحلة تقدمية للانقسامية بحيث تتحول علاقات هاته الكيانات الوضعية البنيوية الاصل الى كيانات منقسمة تنافست للضم كنوع من الوصاية التثبيتية من قبل القوة الكولونيالية و احيانا كنوع زعامي ايماني ديني داخل اطار دائر الحرب كوعية الهامية و فوبيا من قبل القوى

¹ سيد محمد السيد محمود ، تاريخ الدولة العثمانية : النشأة و الازدهار ، ط 1 ، القاهرة : مكتبة الاداب ، 2007 ، ص- ص 348-378

² قيس جواد الغزاوي ، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، ط 2 ، بيروت : دار العربية للعلوم ، 2003 ص ص 139-148

³ حول الامتدادات و الماحة المشغولة راجع :

عبد المالك خلف التميمي ، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1983.

عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المسلمون و الاستعمار الاوروبي لافريقيا ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1989.

⁴ لان الحركات الكولونيالية تباينت و اختلفت سياساتها الاستعمارية:

موريس كروزيه ، تاريخ الحضارات العام ، ج 6 ، بيروت: منشورات عويدات ، 1987 ص ص 212-300

الاستعمارية بتهديد مصالحها حولت البنية المنقسمة الى عملية الاناتوميكا و هو مفهوم استعرناه طيبا و نعني به تشريح البنية الاصلية لتوافق مع مصلحة الكولونيالية و التي عدت كنوع من التمهد للمرحلة المابعد كولونيالي لأننا على ان القوى الكولونيالي كانت على يقين انها لن تسيطر ابديا خاصة مع نهوض قوى الضدية الشمولية التي دعمت الحركات التحررية كمفتي القدس / القوة النازية ، الاتحاد السوفياتي / الحركات التحررية املا منها لتضعف العدو الاصيلي لذلك عدو عدو صديقي و لا نقول انها تحمل علاقة تحالفية رسمية بل هي علاقة خدماتية منتهزة الضعف الداخلي للخصم) انقسام البنية المثالية الى عقلاني راديكالي الدول الليبرالية / و عقلاني ضدي الدول الشمولية (هاته العلاقة اضعفت القوى الاستعمارية كعمليات التضعيف الصدامية البنية في الحرب العالمية الثانية و كالأحداث الانفصالية الانقلابية كحكومة فيشي في الجزائر الكولونيالية التي دعمت من قبل الداي التونسي ، ضمن هاته الفترة الكولونيالية تمكن الجماعات الداخلية الاصلية من الاستفادة من التعليم الاوروبي و التأثير بالنماذج الغيرية في عملية البناء الدولي ، لقد كانت العلاقة بين المستعمر و المستعمر علاقة متناظرة مرآئية¹ لم تكن علاقة سيد و قن و بالتالي تأثر المستعمر كثيرا بالمستعمر و هذا ما نلاحظه في عقلية النخبة في الفترة المابعد كولونيالية .

ان مرحلة المابعد كولونيالية هي مرحلة التي تكونت فيها البنائيات الاول للدولة للوطنية المعاصرة التي برز فيها صعود الطبقة الوسطى و التحول من وضعية القيادة الجماهيرية للمشروع الى رأسمالية الدولة (سونطراك مثلا) المتوسعة على حساب التعنون التقدمي المناهض للإمبريالية ، الذي ابرز و على خلاف اتجاهه الرغائي في ابراز العديد من الازمات التي هددت كينونة الدولة المابعد كولونيالية نتيجة تسارع وتيرة التحديث السياسي المتغير لعملية النخبوية في تعبئة المجتمع من

¹ ك. نولوف و اخرون ، القرن العشرين: المداخل التاريخية و الفلسفية و النفسية ، تر: اساعيل عبد الغني و اخرون ، ط1 ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2005 ، ص ص 240-241

خلال سياسات التصنيع و دفع النمو الاقتصادي التي كان هدفها حو تحقيق المكانة السياسية في المورفولوجيا الدولية الذي انتج ازمت حادة كما ذكرنا كأزمات الاندماج ، الهوية ، التوزيع¹ ، المشاركة ، و بعد سلسلة من التراجيديات بالرغم من التقارب البني العربي - العربي الذي اتسم بالصراع في فتراته الاولى لم يكون هرمونيا نتيجة اعادة الاناتوميكا للجشطلتية العربية بإيجاد حليف قوي في المنطقة (دول الخليج) و ضرب القوى الزعامية التي ورثت المشروع بموت الزعيم لذلك فالجشطلتية العربية ربطتها بالغيرية علاقات التأثير و التأثير التي انتجت حالات مرضية ، الايكوبراكسيا (هي حالة الدول العربية جميعا عموما) والتي نعني بها التقليد اللاطوعي للجشطلتية الغيرية المثلثة في الشكل التطوري للبنية الدولية المدنية المعاصرة و البارانويا حالة الهذيان التي اصيبت بها الجماعات الراديكالية التي ترى انها مرضيا مهددة في وجودها بوجود الاخر (الجماعات الطائفية ، الحركات السلفية) مما يأخذ مرى ثوري محتوى من قبل القوى الغيرية و توظيفه في عملية التحطيم الدياسابورا (الدول المارقة كيف ما هو الحال للسودان و سوريا الان و العراق) ، و الحالة الثالثة هي حالة الاتراكسيا (حالة الدول المغاربية خصوصا و الخليجية لأنها بعيدة عن محور الصراع و تعيش حالة تقدمية² نوعا ما) و هو تعبير رواقبي يعني حالة السعادة الوهمية و تطبيقه هنا يعني ان هاته الدول ترى انها في وضع مثالي .

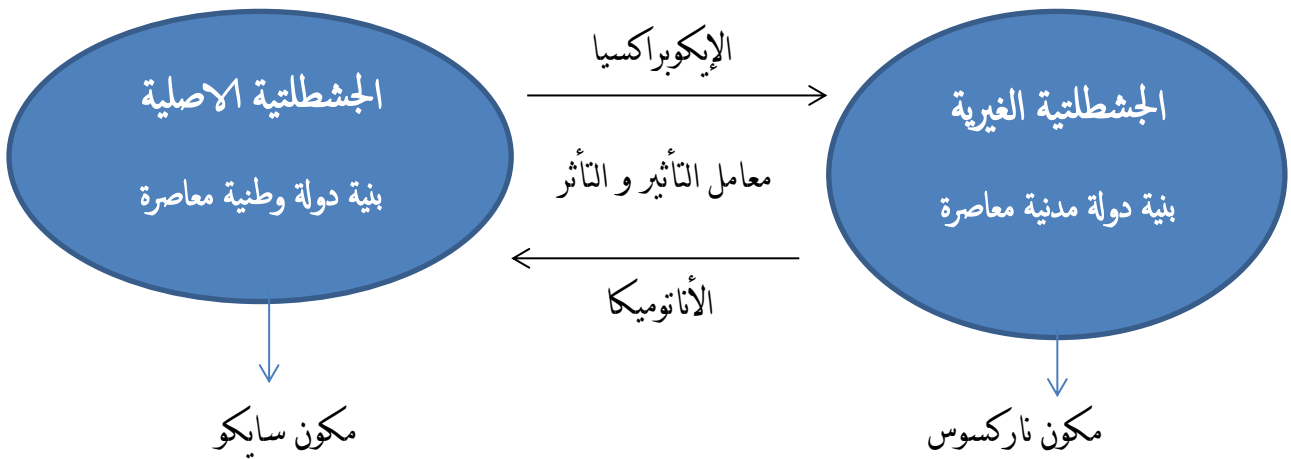
¹ للزيد راجع :

اسامة الغزالي عرب ، الاحزاب السياسية في دول العالم الثالث ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 187 ، ص 163-186

² استنادا على العلاقات الربعة الخارجية و التي ستكون السبب الهام للتدخل الدولي و هي عموما المشبط الابرز لحركة الوحدة: حافظ برجاس ، الصراع الدولي على النفط العربي ، ط1 ، بيروت: بيسان للنشر و التوزيع و الاعلام ، 2000 ، ص ص 5-11

المطلب الثاني: مفهوم الدولة المدنية المعاصرة.

من خلال تفكيك البنيتين - الوطنية و المدنية المعاصرة- تكون لنا تصور عام حول المفهوم ومعناه بعد عملية الهدم الترسبي للمفاهيم الجاهزة المكونة قبلها (اعرف نفسك)، وبالتالي قد يأخذ منا هذا التفكيك مبادرة قوية في عملية التكوين المعرفي العام للسهولة التي سنتلقاها في المفهمة التي تتعلق بالبنيتين ، و المقارنة بين البنيتين كونت لنا مجالين عامين و كيانين اساسين :



و تماثل البنيتين المتأليات و الاصلية من حيث التصور(الشكل)، و محائثان في الماهية (الجوهر) ، و نظرا لصعوبة الفصل الحالية بين البنيتين الغيرية و الاصلية للاحتوائية سواء من حيث الصيغ الاقتصادية (منج+سوق) او السياسية (عقلنة/دمقرطة/حكم راشد / تنمية) او الثقافية (ماكينة/تقدم+تقليد/ استهلاك) ، ستتحول البنية الاصلية الى بنية المغتربة ووفق التمرحلات الالية للدينامية التقليدية ستنهي الى بنية هيولية (حالة اللابنية) و ذلك لعدم القدرة على التأقلم مع عمليات الجذب العنيفة (الاناتوميكا) التي تصدر عن المركز و كذلك لعمليات التقليد

(الايكوبراكسيا) المستمر كمحاولة للتقدم بصيغ تشيئية مفروضة كاقصاد السوق ، نظم التعليم ،
الانظمة السياسية المهيكلة والمتابعة من خلال الاجهزة الدولية المختلفة ن واستعملنا مفرد
الناركسوس و سايكو للدلالة على التفوق الغيري و الدونية العربية كعلاقة نفسها معكوسة على
نطاق بشري بين علاقة الرجل القاهر المستغل و المسيطر و المرأة المذعنة المستغلة و المستسلمة في
رضوخ و معاناة اي بين مبتلع السادي و مبتلع مازوخي و لن نستمر في تعبيرات قد تحيد عنها
موضوعنا لأننا اتبعنا نفس النمط الفرويدي في وصف العلاقة بين الرجل و المرأة . و الى جانب ذلك
فقد افرغت البرامج النهضوية المصاغة على طول الحقبة التحررية من محتواها الفعلي المستقبلي
العادل للبناء النسقي الذاتي فمركبات القيم التحررية التي صيغة على اسس تفاضلية الرقوعية /
الوحدوية ، الهوية القطرية / الهوية الجامعة . . التي كانت لازمة نشوية لعمليات الضم الداخلي و
اثارة الزخم الخارجي كالتحرر من اجل الوحدة العربية او الجهاد في سبيل الله او بناء دولة وفق
المبادئ الاسلامية او التضامن في مؤتمر بانديونج لم تكن ذات اهمية في الفترة اللاحقة المابعدكولونيالية .

فالدولة المدنية المعاصرة هي اطار و شكل تجاوزي لشكل الدولة التقليدية المحتوية للدين
كأساس للتشكيل البنائي و بتالي فالدولة المدنية هي اطار وضعي مبني وفق نسق حدائي مفند
لظواهر الروحية كأساس في العملية السياسية التعاملاتية القائمة على العقلانية و العلمنة كمتغيرين
ثابتين في المنظومة المدنية و بتالي فالدولة المدنية المعاصر هي الشكل الديموقراطي المكرس من خلال
التفويض و التمثيل الشعبي و المشاركة السياسية كأساس للتداول السلطوي من خلال الصندوق و
العملية الانتخابية و بناء دولتي خاضع للمعوضات الجديدة القانونية و المؤسساتية كالتقابات و
الاحزاب و مبرز لتكوين الهويات الغير مرتبطة بالتاريخ او الدين او اللغة و انما بتزاوج الانتمائي

¹ اننا نرى انها العلاقة نفسها بسيكولوجيا رجولة / انوثة منذ التمييط الكولونيالي :

جورج طرايشي ، شرق و غرب : رجولة و انوثة ، ط4 ، بيروت : دار الطليعة للطباعة و النشر ، 1998 ، ص 16

المشترك و الولائي للأرض ، ان الدولة المدنية المعاصر هي نموذج اصيل غربي تحول من خلال التراتيبات الزمنية التاريخية الى حالة تقدمية فكرية و تقنية تجاوزت الازمة الفكرية و المادية للعصور المظلمة و التوترات التي اعقبت التشكيل الدولي المدني المرتكز حول الثلثة الحرية / العقلانية / والعلمنة .

المطلب الثالث : مفهوم الدولة الوطنية المعاصرة

ان الدولة الوطنية المعاصرة هي بينة (حالة) المهترئة للجشطلتية العربية اتجهت نحوها وفق عوامل القهر و عوامل الذات المستكينة التي حطمت المشروع التنظيم الذاتي ، ان محاولات الدولة المابعد كولونيالية (دول جديدة) المحبطة للمجتمع الذي اعتبرها مندمج جديد يوفر له الرفاهية و الاستقرار و التعبير الحر التي كانت تنادي به الحركات القائمة و الذي كان متجسدا بصيغ نسبية مع التواجد الزعامي الاولي و التحفيز الطاقوي الاجتماعي في عمليات البناء الدولي الوطني، و الذي تغير بموت الزعامات لتتحول نحو دول متحولة و مارقة¹ و ليصبح التعبير الاجتماعي الحركي نفسيا حنائيا و روائيا بطوليا² و الذي ربط البناء المابعد زعامي بالاحتقان الصيغوي التدجيني (بسبب الاناتوميكا) و التقليد المرضي (الايكوبراكسيا) للبنية الغيرية التي كونت شبة اعياء فكري و اجهاد ممارساتي بحيث ان البنية الاصلية لم تتحول لتصبح متماثلة و البنية المثالية في درجة التطور

¹ سالم توفيق النجفي ، ازمة الدولة الوطنية المعاصرة ، في أحمد عوض الرحمن واخرون ، الدولة الوطنية المعاصرة ازمة الاندماج و التفكيك ، ط 1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2008 ، ص 18

² مصطلح الدول الجديدة لا يلقي قبولا منطقيا لان الجديد New يتغير بالضرورة الزمنية ليصبح اقدم Old ان الجديد هنا له دلالة تمييزية عن الدولة المدنية المعاصرة كخرج مبنثق عنها ما بعد كولونبالي و حتى النماذج الغير مستعمرة كإيران و اثيوبيا : كليفورد غيرتز ، تأويل الثقافات ، تر : محمد بدوي ، ط 1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2009 ، ص ص 467-469

والتقنية و لا في درجة الأنطولوجية للأفكار التغريبية (علمانية / مجتمع مدني / حرية) بل كونت كيانات مفارقة بممارستها التقمصات التجريبية للبنية المثالية و بتالي تكونت مجموعة من المفاهيم الغير موجودة في البنية المثالية (اسلاموية ، ازمت النظام السياسي ، التحديث السياسي)، و لذلك ربط المفهوم الدولي العربي / المغاربي بأساليب ممارستية استبدادية و باستيلا ب مجتمعي عام .

المبحث الثالث: اتمولوجيا القطر و الوحدة.

ان عملية البناء المفاهيمي التي سعينا لها مطمئنين و متكلفين على نحو متواضع ترتبط بعملية انتاج رؤية مفاهيمه مرتبطة ببنية الدولة الوطنية المعاصرة و قد تبين لنا مدى الاختلاف التكويني بين بنيتها و بنية الدولة المدنية المعاصرة سواءً من حيث التطور و التقنية او القيم التحريرية التي تعنيها و لا تعني الاخر و الامتداد الضمني للتشظية بين الوعي الوطني و الوعي الجمعي القومي العام.

لقد ارتبط التفسخ المتجذر في كنف الشخصية النمطية لأنظمة الحكم العربية الوطنية الصاعدة بعد الفترة الكولونيالية التي دبست شرعيا و اثبتت مضيها في عملية البناء المصلحي المحتوي للنخبة و تطلعاتها و شكل المجتمع التابع لما هو داخلي و تشكيل نظمية اللاوعي للنسق الحاضر و المستقبل سواءً بتشكيل ارخيه التغيير او التوجه الريجيمي المتجدد.

و اما واقع الوحدة المترهل بفعل عوامل القاهرة على ما يبدو لنا امر الوحدة مستحيلا بتشكيل هاته الحدسية الغلودباخية ، لقد سادة تطلعات الوحدة التي اختنقت و تخندقت خلف الرغبة المنمقة للجماعات الوصية على غوغائيتها الجماهيرية الداخلية التي تؤمن بداخل يوفر لها الاستقرار و خارج يمثل لها تاريخ معنوي و امتدادي شعوري فصلي من خلال المنبهات الخارجية

المؤقتة ككاركتير الرسول او العدوان الإسرائيلي فان كان الضامن هو التجاوب مع الحدث لا البناء على الواقع المتصل بالفكر و العاطفة لترجمة كل هاته المخارج الى بنية تؤمن باستمراريتها .

المطلب الاول : سيمنطيقا القطر و الوحدة

السيمنطيقا هي علم المعاني في تعريفها المختزل و تدل على علاقة الظاهرة اللغوية - المفاهيمية بدلالة او الموضوع السيمنطيقى التي تتغير المعاني خلالها بتأثير الظواهر التاريخية والاجتماعية و السياسية و الثقافية باعتبارها أشياء تأثر في عملية البناء اللغوي - المفاهيمي¹ و قبل ان يكون المفهوم مفهوما فهو يتأثر بمعامل الانبثاقات المتتالية و التزامن المرحلي كعبارة عن مجال منطوقى تنمو فيه و تنظم حركة التغيرات المفاهيمية في قانون دلالي اي نعني ان المنطوق هو عبارة عن المجال الاستخدامى للقضية (القطر)المربوطة بالفاعل (البنية العربية) التي تمثل في النهاية حقل دلالي بين "الكينونة" بالتجربة العربية و الواقع الحالى و "الرابطة" بعملية الوصف قطري و الموصوف الكيان الدولتى الوطنى تكزن النتيجة (القطر - جزء و الوحدة - الكل)² اي هنا في هذا النطاق نستعملها للدلالة على تكرار هاته الثنائية القطر / الوحدة في الاوساط الاكاديمية ، فعلاقة الدال (القطر و الوحدة) و المدلول (القيمة اللغوية للصياغة هاته) ، لكن الازمة المفارقية استعمال القطر للدلالة أحيائية للارتباط بتجربة الكيانات الغير العربية كوع من الفلسجة (تناغم صوتي) ، الأوروبية على سبيل المثال بالرغم عن عدم توافق مقولة القطر مع الدول المدنية المعاصرة الحالية لأنها ليست جزءا من الكل الا من حيث ان الوظيفة النفعية للتاريخ تجعله كمعطى دفاعى هوياتى مؤقت الذى يعنى

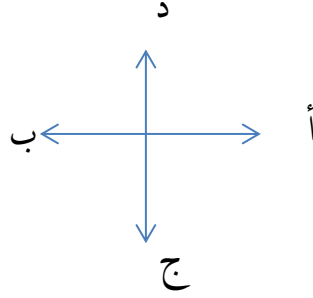
¹ علي عبد الواحد الوافى ، علم اللغة ، ط9 ، الجيزة : النهضة المصرية للطباعة و النشر و التوزيع ، 2004 ، ص 23
² عمر ميميل ، البنيوية في الفكر الفلسفى المعاصر ، ط3 ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ، 2010 ، ص ص 142-149

الدول الغير اوروبية القريبة ضمن ما يعرف بالحضارة الغربية (الامريكية - اوروبا الشرقية) و الذي لا يعينها الا بذلك القدر الداخلي النفعي (اسباب اقتصادية او تحالفية عسكرية) فقد تمكنت من بناء قوميات لا تنتمي بالضرورة الى قومية عامة و كلية و هذا لن ننفي انه حصل نتيجة الممارسة القطرية الطويلة التي اندفعت لتشغل حيزا اكبر (ثقافي / ديني) ، فالاتحاد الاوروبي لا يعد قومية هوياتية بل تشكيل وظيفي اقتصادي متمكن من التقدم الوحدوي لا على اساس التاريخ و الدين و اللغة و الارض بل على توليفية اقتصادية كبناء وحدوي مدفوع خارجيا (مشروع مرشال) و بالتالي تسقط مقولة القطر الذي يفترض ان يكون مقابله ضمينا حيز هوياتي اكبر ينتمي اليه و بتالي قد يكون هذا التمرس نوع من الاقتصاد اللفظي (المفارق البيني "الجهد العضلي و الجهد الذهني") الذي يفترض انه حتى و ان اقترب الشيين لفظيا فإنهما لا يرتبطان من حيث المعنى هكذا قطر عربي / قطر اوروبي المرتبطان بدلالة القطر لكنهما في نطاق المدلولي يتشكل المعنى الملتبس لهذا الاستعمال المتعدد (علاقة القطر بالقطر الاوروبي ؟ علاقة القطر بالقطر العربي ؟) و تكمن المفارقة هنا بين ذينك التركيبين كما اشرنا سابقا (القطر - القطر الاوروبي لا تربطه الوحدة المعنوية المجسدة في القومية الجمعية) فكل ما كان المعنيين مفارقين للفظ الواحد كان احدهما اجنبيا على الاخر المكون لمفهوم الخلف¹ لكن هاته القلعة الترابطية بين البنية و القطر في التجربة العربية يمكنها التغير لتتحول الى اللامعنى بتأثيرات الموضوعية التي ذكرناها سابقا و كذا عامل الزمن و المكان و وهذا التداخل الزمني ينتج محورين :

محور التوافق (أ. ب) الذي يمثل العلاقة بين الاشياء المتزامنة = القطر / الوحدة

¹ ترفتيان تودوروف، نظريات في الرمز، تر: محمد الزكراوي، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012، صص 421-429

محور التعاقب (ج. د) يمثل شيئاً واحداً فقط في لحظة واحدة و تظهر عليه اشياء المحور الاول مع تغيراتها = الدولة الوطنية المعاصرة و البنية العربية¹.



هذا تقاطع في المركز يرمز للحظة التي تتغير بحدوث تغيير جذري في البنية كثورات او الحروب ، و نحاول فيما يأتي ضبط مفهوما القطر و الوحدة.

تأخذ كلمة قطر أكثر من دلالة فهي مفهوم رياضي هندسي Diameter ، وهي اشارة الى الوطن Country, Land, Quarter, Region, Territory ، و توظف كذلك بمعنى Qatar، و تدل على الجانب في النص القرآني (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)²، و لاشك ان الدلالات لا تتفق على سياق واحد فهي تشكل الساق الجذموري الذي يفترض التوظيف المعلوماتي للكلمة المترتبة نسبيا و تعدديا بصيغ

¹ ان اللغة عبارة عن قيم خالصة مرتبطة بحركات الاشياء و علاقتها بالطبيعة و التأثير بمعامل الزمن :
فردينان دي سوسور، علم اللغة العام ، تر: يوثيل يوسف عزيز ، ط1، سلسلة دار الافاق العربية ، (بغداد : افاق عربية للنشرة الصحافة) ،
1985 ، ص ص 98-99

² سورة الرحمان الاية 33

تكوينية غير ترابطية ، ترتبط اساسا باللفظ الاصل فقط و بالتالي يحتاج المتكلم الى نطاقات واسعة من التأويلات للكلمة ¹.

و نحن هنا كذلك نحاول ان نتجاوز مفهوم البيغائية (الترييد) او الخوارزميات (مفاهيم جاهزة) الى نطاق القصدية التي تبرز العلاقة بين الفكر و اللغة بفعل الواعي للواقع اي الفعل العقلي ضروري لتكوين المقولة / المفهوم و بتالي سنربط القطر بمفهوم الدولة الموحدة (المركز) ² و هي ذلك الشكل الذي ليست تمت فوارق بين مواطنيه فهم ككل يخضعون لقانون واحد و دستور واحد و مركز واحد مباشر ³ و اما الشعب المكون للقطر فهو الافراد الذين يشكلون الاقليم لكن لا تجمعهم بالضرورة المحددات التاريخية و الدينية و اللغوية ⁴.

و اما بالنسبة للوحدة unity , union او الاتحاد فهو مفهوم تداولي لن نجد صعوبة في ربطه بالدولة الاتحادية سواء ذات الشكل الكونفدرالي الممثلة كجمعية تضم مجموعة من الدول تجمع بينهم مجموعة من المحددات و الاهداف النفعية على اساس الاتفاق في انشاء مركز فوقي تتجاوز فيه الدول المنضوية حدودها و مستويات و لائها الى هذا المركز الفوق-قومي بينما الفيدرالية تؤسس من خلال الدستور ⁵ و هي مرحلة متقدمة من الوحدة و ترتبط الوحدة بالأمة، اي النطاق الاعم المحتوى للشعوب المرتبطة في تكوينها بالأرض و التي يحتويها المكون الاعم الاقوى المرتبط تاريخيا بتشكيل الوعي الجمعي كاللغة العربية و الدين الاسلامي و بتالي ربطت الامة بمصطلح القومية و الذي هو الرابطة التي تميز الافراد المكونين لمجال معين عن باقي الافراد في العالم و التصور المفاهيمي للامة يتغير من خلال المدارس ، فالمدرسة الالمانية ترى ان وحدة التاريخ / اللغة / الارض هي اساسيات

¹ جان جاك لوسركل ، **عنف اللغة** ، تر: محمد بدوي ، ط1، بيروت : الدار العربية للعلوم ، 2005 ، ص- ص 259-260

² سيلفان اورو - جاك ديشان - جمال كولوغلي ، **فلسفة اللغة** ، تر: سام بركة ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، ص ص 309-313

³ سامي جمال الدين ، **النظم السياسية و القانون الدستوري** ، ط1 ، الاسكندرية : منشأة المعارف ، 2008 ، ص 106

⁴ ماجد راغب الحلو ، **النظم السياسية و القانون الدستوري** ، ط1 ، الاسكندرية : منشأة المعارف ، 2005 ، ص 36

⁵ جواد الهنداوي ، **القانون الدستوري و النظم السياسية** ، ط1 ، بيروت : العارف للطبوعات ، 2010 ، ص ص 30-31

التكون القومي الامتي واما المدرسة الفرنسية من خلال مبادئ الثورة الفرنسية لا ترى انه من الضروري الاهتمام بالجوانب التقليدية و التركيز على الارادة و العيش المشترك كأساس واما المدرسة الماركسية فترى ان وحدة المصالح هي المتغير المباشر في الوحدة القومية¹ و المصطلح العربي للامة و القومية يتقارب و المدرسة الالمانية لكن هذا الشعور القومي قد لا يجد ارضية مادية متحققة فهناك صراع حول المرجع هل الوحدة تتم من خلال اللغة ووحدة التاريخ ام الدين كرابط فوقي ؟ هاته الاشكالية لاشك ثبقت المسار الوجدوي العربي .

المطلب الثاني: القطر و الوحدة : مقارنة تاريخية .

التوضيح القبلي يشير الى ان القطر من يحث هو الدولة الوطنية المعاصرة التي حاولنا تبسيطها بانها الدولة الموحدة / دولة الحيز ذات الارتباط الترابي/الدولة الاقليمية، و الوحدة باعتبارها دولة المجال العام او الوجدوية ذات الارتباط المعنوي الهوياتي و كتقريب استيعابي هي دولة اتحادية المتدرجة النشوء تقوم على سلطة الفوقية للمنظمة *supranational organisation* و كذا الدرجة النزوعية الفوقية *supranationalisme* التي تستوعب المراكز المشكلة لهته الوحدة حيث تتلاشى سلطة الدول المكونة لهذا الاتحاد البيني² فالتوجهات و العلاقات الاتصالية تكون على شكل لولبي مخروطية الشكل تصل القاعدة بالمركز فوقي والشاغل للقاعدية الجمعية الشاغلة للمجال التعيني، فالمركزية الشديدة لا يمكنها التواصل لأنها لا تدفع الى مرونة المؤسساتية المشكلة من

¹ سعيد بوشعير ، القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة ، ج1 ، ط3 ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1992 ، صص 51-54

² تقصد مبدئيا التكامل الدولي المتركز على الجوانب الوظيفية التي تشغل اهتماما قطاعيا معيناً بالتدرج التوسعي (كالمط الانتشاري *Diffusivity* على سبيل المثال لدافيد ميتزاني ، لا تتوافق مع المؤلف فهو يستعمل لفظة *Planification* للدلالة على الانتشارية و التي تدل كما هو مبين *plan* على التخطيط لذلك استبدلنا بما سبق وهكذا الاتجاه الانتشاري *Diffusionism* "يرجى التصويب و الامعان") و المرحلي الذي يدفع الفواعل الاقليمية الى الاندماج الدستوري الكامل على شكل اتحاد فيديرالي كهدف جمعي نهائي ، انها عملية مجهددة اذا لم تكن هناك نوايا صادقة و عملية هدفية و تركز على الدعم الخارجي و الخوف الخارجي كشرطان ، لقد توفرا الشرطان في فترات التقارب السوفيياتي كداعم و اسرائيل و القوى الكولونبالية كخطر لكن النوايا لم تكن صادقة:

حمادة عودة ، النظام الدولي نظريات و اشكاليات ، ط1، (المنيا: دار الهدى للنشر و التوزيع) ، 2005 ، صص 98-103

الوحدات التي تبادل المنافع البينية كأساس تشكلي ولن توفق في عملية الاستقطابية الولاية ولا الوظيفية للمفارقة الحاصلة بين الرغبة في المزيد من المكتسبات (الاستفادة من اهداف سياسية و اقتصادية تعاونية) و شعورية بالاستقرار الحماي (حل النزاعات ، الدفاع المشترك) / استبدادية و الاذعان المتوقعان للمركز القومي في المعادلة الجمعية و هاته الاشكال لا تطول فترات تشكيلها كما كان الحال بالنسبة للجمهورية العربية الموحدة بين مصر- سوريا التي نعتقد انها المثال الأبرز لهته العلاقة التي تشعر فيه الوحدات المشكلة للمكون انها فقدت سيادتها باتجاه واقع استعماري حمائي مركزي للدولة القوية (نظرت البعث للكاريزمية الناصرية) التي هي اشبه بالمحاولة الماركسية لإنهاء الحدود الوطنية بين الدوائر الشيوعية كمنظمة الكومنترن Comintern المولد للنقيضة anti-comintern الألمانية النازية (الناصرية nasserism / البعثية anti-nasserism) او الكومنفرم Cominform المتاخرة¹ التي انتهت بالعجز لتبعيتها الروسية المركزية تحميلة الاعباء .

ان المركبات العلائقية بين المتغيرين كقفاؤلية ايجابية مقارنتية و الميكانيزم الأوروبي و كتجربة سالبة في الوعي- التاريخي العربي المتأزم لاتجاههما المتعاكس القوتي و التكويني و التطوري يدعونا ذلك للتساؤل هل انتهى النظام الزماني للفكر الوحدوي بنهاية الزعامات الثورية التقدمية (جمال عبد الناصر ، محمد عارف ، معمر القذافي ، صدام حسين ، هوراي بومدين ، الحبيب بورقيبة ، محمد الخامس) ؟ هل نحتاج حقيقة الى الوحدة حاليا ؟ اذا ما افرزنا جانبا انطباعيا مقربب التشاؤمية فالوحدة لم تكن سوى ردة فعل حمائية للأقطار العربية ليس الغرض منها الوحدة في حد ذاتها بل استعماها لذاتها كذريعة او كقربان لكي لا تنتفى الوحدة الداخلية محاولة لنقل الصراع كدافع تشاركي و استقوائي على النخب الداخلية او تهديد خارجي اقوى من ان تواجهه كمركب مغلق

¹ Comintern 1919 - 1943 (Communist International) / Cominform 1947 - 1954 (Communist Information Bureau) :

جوزيف فرانكل ، العلاقات الدولية ، تر: غازي عبد الرحمان القصيبي ، ط2 ، جدة: تهامة ، 1984 ، ص- ص 39-40

للضعف التركيبي العضوي وكذلك كسب القاعدة الداخلية للنزوعية العاطفية الجياشة للجماهير العربية المحتضنة للعبارات المنمقة كالثورة والتحرر والمساواة وحتى الانتلجنسيا بالنشاط الادهوكي الماركسي و صراع الطبقات كتحليل وضعي عربي مركزي ، إساءة إبستيميا الى بنية الاختلافية العربية وتجسد حديثنا في الوحدة المصرية - السورية 1958 - 1963 والتي ستدارك النقائص بوحدة ثلاثية كمحاولة و تداعمت بدخول العراق في 1967 (بعد ثورة يوليو 1958) ضمن الوحدة لكن لم ستمر طويلا و تلتها النكبة¹، كما ذكرنا في ان العامل الأيديولوجي القطري (خاصة الأدلجة البعثية الغير مفهومة صراحة فهي شديدة الالتوائية) لم يكن على نفس النسق السطري الذي كان مبية الوازع القطري المهمل للنشاط القبولي الوحدوي الأكمسوغ استقوائي داخلي كالتحديد التركي في الشمال السوري و و الفوبيا من الانتقام المضاد بعد عملية الكسر لحلف بغداد بالثورة الضدية للملكية بالنسبة للعراق، و حتى المحاولات البعدية التي اثارته زحما تنافسيا للزعامة و التسهيل الاختراقي كجامعة الدول العربية كما كينة معطلة و وصائية تبعائية الممولين و التي غيبت ما يسمى بثقافة "الحل الوسط" بين الدوائر المقوطة الراديكالية المنحى التي تعتبر التنازل عبارة عن فشل و هزيمة التي ستحول من مضمون الاستقلال التاريخي التام للذات العربية كهدف مشكل مختلف عن الآخر الغربي الى الاستقلال العضوي التام للقطر العربي عن الآخر القطري العربي² هاته النواميس تنتج كليشيات القطر - الانا ego و الهوية الجمعية - الهو Id و الرجوعية الوحدوية

¹ لا نعتقد ان الفشل مقصور على الجوانب الهيكلية و ان كانت اساسية ، و لكي لا نعلق نكساتنا على مشجب الغير ، كان المتغير اللاتوافقي المصلحي / الترجسي الشرخي حول العملية الوحدوية الى قطائع بين الوفود الثلاثة العراقية/السورية/المصرية و كذلك المتغير الفوبي لجماعات البترو-دولار كان محما و يروي احمد عبد الكريم المحاولة السعودية لتكوين تحالف اختراقي داخلي استمالي لفض الوحدة بالانقلاب او اغتيال جمال عبد الناصر ، فالوحدة شكلت خطرا استقراريا للداخل السعودي مع ظهور الحراك المساند للأقطاب المتحدة :

احمد عبد الكريم ، **اضواء على تجربة الوحدة** ، ط2 ، (دمشق : الاهالي للطباعة و النشر و التوزيع) ، 1991 ، ص ص 105-109

² سواء على مستوى الخيال النخبوي او الاجتماعي هاته الثقافة مغيبة بيننا ولو ان المجتمع لا يمكننا لومه كثيرا لان الافراد المكونين له يعيشون في وسط افتراضي ، ووصفناها بالراديكالية لأنها كذلك :

حسن محمد وجيه ، **مقدمة في علم التفاوض الدولي الاجتماعي و السياسي** ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت: المطبعة السياسية)، 1994 ، ص - ص

الهوياتية - الانا الاعلى super-ego كواقع لما تحدث عنه الصراعات العربية- العربية صراع الاردني / الفلسطيني 1970 ، الصراع المغربي / الجزائري 1963 ، العراقي / الكويتي 1990 و هزيمة 1967 اظهرت عقم توجه الواحد ، لاشك اننا سنواجه تقدا شديدا موجه الينا كقصور تحليلي تاريخي فهناك مواقف مجابهة للخارج و وحدوية التوجه لكن لم تكن كذلك ، كانت اداة صراعية كونت زعامية جديدة نقصد الوقف التصديري للنفط¹ 1973 مثلا كان الدافع لتراجع الدور القيادي لمصر التي ستدخل في التبعية التمويلية للدول النفطية الخليجية و يدفعها الترددي الاقتصادي الى توقيع كامب ديفيد 1977².

عهدت النخب الى التقومن الذاتي³ ككوليفة محاصرتية حدودية لهاته الدوائر لترويض الداخل كقتلنة الافراد بالأعباء الرمزية الداخلية الثقافية (الاعباد الوطنية ، النشيد الوطني) المعتمدة على ديناميكية التجنيس homogenization التبعاينة للإرادة الفوقية النخبوية⁴ المعبرة بقدرة الجهاز

¹ لقد تغير الموقف العربي الرسمي من التحدي ، الى التسوية ، الى الانغلاقية البينية و الاهتمام بالقوقعة المشكلة : احمد يوسف ، المشهد السياسي العربي 2000 ، في : احمد زكي يماني واخرون ، الوطن العربي بين القرنين : دروس من القرن العشرين و افكار للقرن الحادي والعشرين ، بحوث و مناقشات الندوة التي نظمتها وحدة الدراسات بدار الخليج للصحافة و الطباعة و النشر ، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000، ص ص 157-179

² كانت هاته العملية التقاربية تعتبر شاذة و غير متوقعة في المجال العربي التي ممدت لنكوصية الخطاب القومي العربي من قبل انور السادات المنتهي للمدرسة الناصرية و لكن كانت له الدلالات الواضحة فتراجع الدور الرعايي للجمهورية العربية المصرية و بروز التيار الاخواني الاسلاموي المنافس للمؤسسة البريتورية و العجز الاقتصادي كمؤشر تهديدي و تكويني للتغذية الاسترجاعية التغيرية (الثورة) في البناء النابعة من التقارب الاخواني / المجتمعي من خلال الجمعيات الخيرية و النشاطات الاصلاحية التدينية و الاضطهادات السياسية :

Michael Scott Doran , **Pan-Arabism Before Nasser: Egyptian Power Politics and the Palestine Question** , New York : oxford university press inc , 2002 , p-p 3 - 5

³ استخدم هاته العبارة السيد جورج طرابيشي و التي تدل على العمليات التشكيلية القطرية للقومية المنافسة الاختلاقية من خلال التاريخ ووسائل الإعلام و النظم التعليمية و يرى في السياق نفسه ان اللغة العربية غير ممددة فالهجات الهامشية لا تشكل منافسا لكننا نختلف قليلا مع هذا الطرح لان الانظمة ستحاول الى قومية اللغة من الداخل الدراجي كعملية توفيقية بين اللهجات الهامشية و اللغات الهامشية الاخرى لكسب الولاء كما هو الحال في المملكة المغربية مع القوى البربرية على سبيل المثال الاشهر الميلادية (يناير فبراير مارس أبريل ماي يونيو يوليو غشت شتنبر أكتوبر نونبر دجنبر) هاته العملية القومية لا بحاجة جعلت الخطاب القومي العربي غير قادر على المواجحة ، اي تحول الخطاب القومي العربي لمجرد محاولات طوباوية مغيبة الالية التجسيدية للمزيد راجع :

جورج طرابيشي ، النظرية القومية و الدولة القطرية ، (بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر) ، 1982 ، ص ص 20 و ما بعدها

⁴ التجنيسية هاته تسجل نهايتها لعدم القابلية المواجتمية للقيم المعولة :

Jean-Marie Guéhenno , **The End of the Nation-state** , Trans : Victoria Elliott , (Minneapolis : university of minnesota press) , 1995 , p 112

الإيديولوجي الدولي، علينا التفريق بين المظهر الرسمي المكون فوقيا من قبل النخبة و اللارسمي المنبثق من التكوينات الاجتماعية العربية التي يظهر فيها الفرد متناقضا مع حكامه رغم هاته الهوية القطرية الجامعة عضويا كمعطى انتمائي و اللانتمائي (التناشز الاجتماعي) والتي كذلك تبدو لنا جامعة للشيجتين كعلاقة ارتباطية بين الدولة و المجتمع ، فتناج المخرجاتي القطري يوضح تراجعية الرغبة في الوحدة للأجيال القادمة المصابة بزهايم المكان و الزمان فالوحدة التي لم تحدد بعد معالمها و لا طريقة تفعيلها فهي الحقيقة العلقمية الجاثية في العقل العربي النخبوي كإنتاجيه تكريسية للواقع القطري و كموضوع مسلماتي ، انه حتى على النطاق السوسيو- سياسي ضمن العلاقات العربية - العربية الذرائعية المثلة في البروزية التعويضية للقومية المتبدلة تجسد في استعمال الرموز الوطنية ايجابية الانتماء و تقوياتية النزعة القطرية كرجسية و جنون العظمة كالعلم ، العملة ، الاختلاف في نظم التعليم ، و انماط الإنتاج و النظم السياسة ، النظام الديني كدعاء الجمعات و الخطب الاسبوعية ذات التوجه القطري، تجعل علاقة نحن تتحول من نحن الجمعي "us" الى نحن العملي القطري التوظيفي اليومي "we" مما يناقض المنطق الترابطي بقولته في منطق النفي المتعاطم العلة الفوبائية التريديية المعنوية (البلاد في خطر امني ، نحن بحاجة الى الوحدة الداخلية قبلا) و الكيفية التحفيزية (لما الحاجة الى الوحدة و نحن في تخمة مالية ، لما الوحدة و الداخل يسد الحاجة ، نحن مختلفين عن الاخر) ضمن هذا الاطار الانفصامي السلوكي للأفراد الذي يؤشر لمستوى عال من تراجع الوعي بالقضية الوحدوية حيث تحول المشهد العام التوليدي الى مسلمة ، نحاول ان نحتزل نمطين من القطرية النوعية الحالية التي ترجمتهما العلاقة البيولوجية للنسيج العلائقي العربي (الوظيفة الاستطاعية) : قطرية حيادية (موريتانيا، الجزائر ، تونس ، السودان ، جيبوتي ، الصومال ، لبنان

¹ حيث يتحول نحن us القطري ضدي للنحن we الكلي القومي :

بيتر تيلور- كولن فلست ، الجغرافيا المعاصرة لعالمنا المعاصر : الاقتصاد العالمي ، الدولة القومية ، المحليات ، تر : عبد السلام رضوان - اسحاق عبيد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت : مطابع السياسة ، 2002 ، ص-ص 8-9

، السلطة الفلسطينية ، سوريا، العراق ،ليبيا) و قطرية صدامية (السعودية ، قطر ، الامارات ودول الخليج المتبقية، الاردن ، مصر) .

القطرية الصدامية والتي عادت الى الواجهة الكتيوية في الآونة الاخيرة بزعامات البيترو-
دولارية (قطر/سعودية/امارات/ اما الدول القطرية الصدامية الباقية فهي تابعة لهاذا المركز) هاته
القبائل التي تحمل اعلاما و كعوق من الوسواس القهري هدفها العمل على تشكيل زمر كوربوراتية
انسياقية و خلق ولاءات للتصدي للقيم المنافسة المحددة زمنيا و المتغيرة مصالحيا ازاء الانظمة
المأثرة على الداخل خاصة بعد دخول حسابات و معاملات لم تكن هاته الدول تكتسب المناعة
اللازمة لمواجهتها الا بالاشترك الصدامي المدفوع بحروب الوكالة كعوق من الثورة المضادة او التطعيم
فكريا بجماعات الاختلاق الميتودولوجي بسيطرتها على المركز الروحي للجماعة المسلمة و هنا
نوافق P. Ricœur قارئاً C. Geertz في طرحه حول ان الأيديولوجيا تقتزن بالممارسة و كعامل
مثير تكويني ازاء توترات اجتماعية و نفسانية مرتبطة بمستوى التأثر النظمي الرمزي الخارجي المترجم
فيزيائيا برودة الفعل الصدامية الغير المنسجمة مع العالم الخارجي و ابعده من ذلك عندما تمتلك القوة
الرمزية الفكرية الصيغة التوسطية بين الاساسين الفوقي و التحتي المؤطر للفعل الرمزي / الاجتماعي
كحارس للهوية (ووصي كذاك و المتحكم في المستويات الدينامية) ماذا نقصد بذلك ؟ نعني اننا
نعترف بوجود الطبقة العمودية بمعناها السياسي لكن لم توجد بالمعنى الاجتماعي فهي كما سنرى
موازية لأنها تفترض ان المكون الاساسي في تركيبها الاساسي مبني على قاعدة المؤسسة القبائلية او
العشيرة فتأخذ شكلا دوائريا افقيا فالحدد التغيري هو التفريق بين الوضع او المنصب السياسي
الذي كون التفاضلية الاجتماعية و الوضع او المنصب السوسيو- اقتصادي الذي كون التفاضلية
الاجتماعية المهم هنا ليس العرض التكويني للبنية الخليجية بل ابراز دور ثلاث عوامل مترابطة

مكرسة للقطرية الصدامية ، المركز الروحي (مكة و المدينة) ، الزعامة العربية للجامعة ، القاعدة
الربعية (النفط و الحج) .

المطلب الثالث : علاقة القطر الوحدة: جدلية ام توفيقية .

ان ارتباط المفهومين ليكونا لنا العلاقة الثنائية في ذاتها اي ان هاته الثنائية القطري/ الوحدة تكون لنا
علاقة اختلافية مسارية عن الدرجة العلائقية بين تاولية في المعني الواحدوي نتيجة انفصام الواضح و
الفشل الظاهرين لفواعله و التأثير بالمسارية الغربية المتمكنة من تحقيق الوحدة الجمعية للكيانات
المنفصلة و المتصارعة تاريخيا بالاستناد على المتغير الاقتصادي كأساس وظيفي لتحقيق هذا
النتائج .

و لا مندوحة ان ما يحدث في البنية المثالية تتأثر به فوريا كنوع من التناظر المرآتي التأملي
الغيري الذي يحاول ان يشكل المفاهيم للتوافق و المعطيات الناتجة للبنية المثالية و كمكون متعالي
منتج للمفاهيم كمكرس لمفهوم الغياب اي نوع من محاء الذات امام الاخر المولد لدينا الهوية الغائبة و
الفكر الغائب و التاريخ الغائب¹ البالغ التقدم لذلك نحن اما نطاقين مهمين في الفكر العربي ، نطاق
العلاقة الجدلية الذي يركز على التجربة العربية و الالهية الهوياتية الذي تحول الى انتج معياري و
تكوين يوتوبي للوحدة، و نطاق العلاقة التوافقية الذي يركز على التجربة الخارجية كأساس اعتباري
و بناء عقلائي للوحدة و كلا التوجهين لديهما ما يكفي من الدلائل التمثيلية و الممارسية التي تجعلنا
كهاية و نتيجة ان نسط المعطيات الممنوحة في نطاقها الصحيح و البعيد عن المثليات و استشراف
ما يجب ان تكون عليه هاته البني الانفصالية و قعيا ذات البنية الموحدة الاصل معنويا و كمجازة
للتوجهات المعبرة عن الماضي الذي كان زعاميا حميائيا رغم قوة الأدلجة و الحاضر الذي عادت فيه

¹ أودنيس ، موسيقى الحوت الازرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، ط 1 ، بيروت : دار الآداب ، 2002 ، ص ص 5-6

البنية الاصل للاستكانة الفكرية و الممارسة لان الحفزات الاجتماعية النشطة (الجامعات ، المحاولات التصنيعية ، النفط ، الاكتفاء الذاتي ، التعاون العربي-العربي) جرى احتوائها عولميا و العودة الى سياسات التوازن بدعم الكيانات الهامشية للصعود و التبعية بتهيئة البني السياسية تدجينيا للعودة في نطاق المجال النيوكولونيالي وفق الاستخدامية المخبرية للأدوات القطرية الصدامية لتروض الاقطار الاخرى المنافسة لتطوي الدينامية القطرية التطورية الى مجالية أكبر و العلاقات البنية الغير اذعانية لقوى التغريب التي كانت قبل النكبة 1971 قادرة على الخروج و التقلب البنياني للبنية الاصل للخروج من سديم الاعتقاد الايماني بالعجز امام البنية المثالية. و سنحاول عرض التوجيهين كمحاولة لتكون ملكة الحكم الاستنتاجية سلبا او ايجابا .

العلاقة الجدلية: نبي هذه العلاقة على افتراض واقعي التحليل / يوتوبي الطرح مضمونه ان الوجدتان القطرية و الوجدوية تقعان في مجال صراعي ضدي احدهما ينفي الاخر ضمن منطق لا تعاشي، فالمفكرين القوميون العرب يركزون على مفهوم الحلوية اي التعويض الذي جسده التجزئة بالدولة القطرية و النزعة القطرية و الأيدولوجية القطرية و الهوية القطرية مكان الكلية الهوياتية القومية العربية الجامع الذي تحول فيه هذا الكل الجامع الى مجرد معنى غير مجسد و صعب التجسيد لتضخيم دور القطر و تعالیه عن المشروع العام الذي وجدت من اجله هاته الدولة المقومنة ، هاته الانقلابية للأقطار العربية التي لا تتسم بالمعقولية. و لا يمكن الجمع بين التقيضين القطرية و الوحدة لان الخيار القطري خيار خارجي كرسه المحاولات الخارجية لتفتيت الداخل و بتالي يجب العمل على تهيئة ذلك الركود الكولونيالي و لو ان هذا النزاع كان مشرقيا بصورة أكبر بخلاف الجانب المغاربي الذي لم يعرف تلك الحدة الصراعية بين الحركات الوطنية البينية.

العلاقة الترابطية : و تشمل بان القطرية ما هي الا مرحلة عابرة من التجربة العربية كما يصف ذلك جبار الانصاري بان الدولة الوطنية هي اول تجربة لدولة مركزية محددة بمحدود في تاريخ الجماعة العربية¹ و بانها تجسد المرحلة الاقطاعية ، وهذا التوجه يتجاوز التشمسية و نعي تماما مدى التقارب الحاصل في الفكر العربي / الغربي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي و كفه عن الدعم العربي الضدي للتوجهات الرأسمالية الممتدة في الخليج و بتالي ضرورة التقارب مع الضفة العربية و تمركزها كمثل يقتدى به بعد انظام كتلة اروبا الشرقية نحو التغريب الاوروبي الغربي و بتالي يمكننا ان نعي التحليلات القائمة على نقد التراث و بناء واقع مغاير مرتبط بالجوانب الاقتصادية كأساس تعويضي للجانب الروحي المؤسس لبروز الصحوات الاسلامية المتأثرة بتشكيل دولة امامية إيرانية في المشرق و بتالي تنامي التيار المضاد للصحواتية كالأنصار المدافعين عن الخيار الوظيفي و الديمقراطية كأساس لبناء اتحاد عربي فعلي خاصة بعد نكسات الجامعة العربية².

و حتى ان حاولنا التسليم بهذا الطرح الذي نفترض انه واقعي ، فحركة التطور القطري العضوي لن تتم بتداخل الحسابات الفواعلية الخارجية التي لا يخدمها التطور الهوياتي الداخلي ، فالدول القطرية العربية لا توجد في نطاق كوكبي مختلف بل هي تعيش في وسط تأثري و تأثري واسع المرتهن بوضع الاستقالة المعنوية (الاسلام ، العروبة / أدلجة قطرية هوية قطرية) و تأثيرها على تحركات الدول القطرية الصدامية او الانعزالية على حد مماثل سيكون تحطيميا و اسقاطيا تدريجيا كنوع مقارب للقفز الطفولي الطابي على القطر تلو الاخر (العراق ، اليمن ، سوريا ، ليبيا ، السودان) .

¹ محمد جابر الانصاري ، تكوين العرب السياسي و مغزى النولة القطرية ، ط3 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 ، ص ص 168-

170

² برهان غليون ، المحنة العربية : النولة ضد الامة ، ط3 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2003 ، ص ص 275 ، 283

الفصل الثاني: واقع الدولة الوطنية المعاصرة في
المغرب العربي.

ان التكوين المفاهيمي الذي قمنا به في الفصل السابق يعمل على تمهيد توجه العام الذي نحن بصدد التطرق اليه فقد التزمنا بالعمومية لتفسير الظاهرة الدولية الوطنية، لنحاول هاهنا المطابقة بين المفهوم كبناء نظري و التوجه نحو البناء الوقائي كأساس ضمني للممارسة و تحليل العمليات المنوطة بهذا البناء الفعلي، و النتائج التي وصلنا اليها في العملية التوليدية السابقة تضعنا اما مضمار معين و هو ان الدولة الوطنية المعاصرة خصوصية عربية من حيث انها تمثل الجزئي و تجسده على الواقع الذي يدفع الشعور الانتمائي الكلي للجماعة الاصلية حيث اغتربت البنية العربية في مكونات تشوهية و لم يعد العقل العربي ، عقلا انتاجيا بالنمط المعرفي للكلمة حتى بعد فترة التحرر التي تعتبر منطقيا فترة للتحرر بكافة مجالاته السياسية ، الاقتصادية ، الثقافية ، الاجتماعية .

الا ان التمثل الكلي لا يبني هذا الافتراض في ان هاته الدولة المولدة هي كذلك عن فترات كفاح متعاقبة و احدية التوجه فالكفاحية او التحررية او الحركة الوطنية تضمن لهاته الأنساق المحدثة الخصوصية القسمية و الشرعية لأنها تصادمية و الاستعمار نعني ان المنطقية العربية لم تكن مشابهة التشكل في مجالها الدولي فالمشرق العربي قسمت بنيتها الموروثة عن الرجل المتداعية اوصاره عبر سايكس بيكو و دعوة للوحدة العربية الاسلامية و المضادة العروبية المتعلمة كما جرى التطرق له هذا النمط لم يكن على نفس الوتيرة في بلاد المغرب الجمعي بين ما هو قومي عربي و ما هو اسلامي فالخطاب القومي المغاربي هو عربي اسلامي و كعوع من شيزوفرنيا الوعي فلم تكن قاعدة جمعية مبنية على معرفة المستعمر الحقيقي البنية التركبة او البنى الأوروبية ؟ و لم تخض بلدانه ذلك الكفاح الذي يبني الهوية الوطنية التاريخية للمجتمع القطري للبناء الشرعي / المشروع فهي تحاول على مضدد ان تستحدث شرعيات بديلة وطنية دينية، وطنية زعامية ، وطنية

تاريخية حتى كان الحال من قبل مجموعة من الباحثين لوصفها بالقبائل تحوي اعلاما و توسع هاته الانظمة الجديد المكونة باليد الخفية لتكون دفاعية للبناء الوجودي لأغراض الحفاظ على الكينونة ازاء التقدم المنافس عقائديا او على الارض (ايران-الخليج) وينتج هذا البناء الوهمي توحد من نوع الفوبي الذي لا يمكنه اساسا الصمود داخليا لاختلاف المدركات ازاء الخطر الخارجي او اختراق للدوائر التي تشكل هاته الوحدة بالاستمالة او المدافعة او التهديد الاعتباري لان المصالح مهما كانت قوتها الانية فهي تمثل الان ، فالحسابات المصلحية توافق و تعير في الطبيعية البشرية و لان الدول و المنظمات و الاتحادات المختلفة خاضعة لمثل هذا التصور اذ انها افكار تجسدها ذوات فهي تخضع و التعير في المضمون فلا وجود للمبادئ او قوانين فعلية قد تمثل مثل عليا او لوائح ضابطة للفعل السياسي (الذي هو فعل اجتماعي اصلا) ، و الهلال الخصيب منطقة لا مستقرة شديدة الانقسام العضوي الذي توارثته خلال الحقبة التركية من خلال نظام الطوائف الحرفية الذي وسع من صعود الاقليات و استقوائها كنظام الجنسية او المواطنة كما جرى في عهد فيصل ملك العراق و تجدد الاصطدامات الفسيفسائية على ارضية الهلال الخصيب المهترئة بشكل دوري في غياب المركز المستبد و التغذية الخارجية المتضامنة عقائديا (سنة/خليج، شيعة/ايران) او مصليا (تركيا ، اتحاد اوروبي)، فلم تفلح الدعوات الوجودية العربية بالرغم من التجارب الاصلاحية الاسلامية او المتعلمة كالاتحاد العراقي-الاردني ، او المصرية- السورية لأنها نخب متطوئفة اي نخب الطائفة لا تمثل العام كتركيب تفويضي، و بالوجود الصهيوني على هاته الارضية كطائفة مماثلة و منافسة و هزيمة 1970 و كامب ديفيد اعيد انتاج النفوذ النيوكولونيالي من إنجليزية الى الأمريكية التي تقدمت مع حربا الخليج الاولى و الثانية و بدا واضحا الاصطدام العربي-العربي و لو ان مصر كانت تمثل المركز الموازن بين البنتين المغربية و المصرية - التي تلاشت بعد كامب ديفيد - خاصة بعد صعود الزعامة الناصرية و القومية العربية التي توالد البعث كمنافس لها بعد انقسام الجمهورية العربية

المتحدة و البعث العراقي - البعث السوري كمنافسين شديدي التصادم الأيديولوجي ، فالفاعل الصهيوني في المنطقة المشرقية يجعل عملية الوحدة كفاحية أكثر منها توافقية و بروز دول الخليج البيترو- دولارية التي هي من بين مخزجات الانديجينا الكولونيالية الشاملة يحول الوحدة الى استحالية .

ولا حاجة في ان العقل العربي المستكين انقسم الي بنيتين تشابه و الواقع الأوروبي التاريخي بعد فترات الاصلاح الديني لكن باتجاه عكسي مشرقى أرثودوكسي / مستقر نسبيا/ تقابله بنية مغربية، غربي كاثوليكي / حروب داخلية و اعادت انتاج جيوبوليتيكية/ تقابله بنية مشرقية ، ان اي عملية انقاد للوحدة العربية يجب ان تستمد من خلال هاته البنية المغربية المتوافقة عضويا الا في نطاقات نرى انها مقتعلة أكثر منها رغوية على نحو شقاقي موسمي اثني - ميثلوجي (امازيغ، إباضين ، توارق) ، او محدود سوسيو-تاريخي (موريتانيا ، ليبيا) ، التي لاشك انها ستحول مستقبلا الى بنية مهترئة تباعا لما يحدث ترحليا مفتعلا خارجيا كالثورة المضادة الليبية و حروب الوصاية او متعمدا نخبويا داخليا كالصحراء الغربية في نحو دياسابوري داخل سراديب التشظية الداخلية الوجدوية .

المبحث الاول: كرونولوجيا الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي .

تعود كلمة كرونوس Κρόνος الى الميثولوجيا اليونانية¹ و معناها الإبستيمي يعود لدراسة الظاهرة وفق ترحلاتها التاريخية اي من خلال الوقوف على نتاج الماضي لتفسير النتائج الحاضر الضام و - مع متطلبات الدراسة- لعمليتي التكوين الاجتماعي و التركيب السياسي

¹ و قد كان اله الزمن اصغر ابناء أورانوس اله السماء و قد شوه اباه بناء على نصيحة امه غايا الهة الارض و تمكن من السيطرة على الكون بإيعاز من جنوده التيتان و انجب اولادا ابرزهم زيوس الذي استطاع بعد فترات من الصراع من تقيده و سجنه: عزت القرني، محاورات افلاطون، ص18

تداخلهما كأساس للبناء الدولي (حكام/محكومين) المشكل للهوية البنيوية او المنفصم التراجيدي بوجودية قطائعية مع الماضي وفق عملية الاسببية العلاقة بين السبب و الاثر¹ فالمراحل التاريخية متميزة البنية الاجتماعية لأنها تخضع مرحليا للتأثر بعوامل التعرية او الاستقواء رجوعا الى درجة التأثير و التأثر المتبادل و التقبل و كذا صعوبة التعميم النتائجي بين التحولات النطاقية ولا ضرورة بالربط بين البنية السابقة/ اللاحقة و المادية التاريخية Historical materialism و صراع الطبقات في تحليل الانتسامية على اساس بنائي عامودي و لا نقصد التاريخانية Historicism اي باعتبارها نزعة تاريخية تدفعنا للتنبؤة Predictivism او النشوئية Evolvability و التطور التاريخي وفق العلاقة الخطية تنتهي بنتيجة فرد متوحش/ فرد عاقل (لقد اجحف كثيرا في سرقة أنموذج التطور الدارويني و تبنيه تفسيريا) بل باعتباره مكون تدريجي للظاهرة الاجتماعية و متأثر بها و ليس واحدا في تأثيره بل يرتبط بجملة من الفواعل كالعلم و الثقافة و الأدلجة و ليست درجة التمرحل تطويرية خطية تنتهي بنهاية التاريخ وفق أدلجة منضوية تحت الشرعية البرادايغمية، بحيث نلتقي في التحليل مع ميتودولوجية كارل بوبر في نقده للنزعة التاريخانية².

أي ان البنية أ تختلف عن البنية ب و تختلف عن البنية ج من حيث المكان الاجتماعي المتميز بما ندعوه الخصوصية لان المكان يكتسب الشخصية الاجتماعية لمروره بمجموعة من التفاعلات و الصراعات المحصورة في نطاق جغرافي معين و على خلاف النظرة العادية فان المكان غير ثابت بل هو متغير سواء بفعل العوامل الطبيعية كالبراكين او الزلازل او الفيضانات او التمدد الصحراوي و البشرية كالصراعات او التضامات او الضميمات و بتالي هاته العلاقة المعادلتية :
التجارب+ مكان + النسق + درجة التفاعل = البنية.

¹ مهدي عامل ، في تمرحل التاريخ ، ص-ص 13-16

² كارل بوبر، نقد المذهب التاريخي ص 15 و ما بعدها

وب وج كذلك تختلفان لكن عادة من حيث النسق الاجتماعي تماثل أ مع ب مثلا لكن بالنسبة لدرجة التقدم المرحلي الإبستيمي او الاقتصادي او السياسي تبقى تقليدية ، صحيح ان نطاق التنبؤية متواجد لكن مجسر شديد مقرون بمجالية محددة كالاقتصاد او الاجتماعيات او السياسة لكن تحديد الحدث التاريخي صعب التحقق والتصديق ، لأننا عادة ما تتوهم ذلك و تقدم تبريرات من شأنها ان تدع الحالة على نطاقها

لذلك سيأخذ التحليل هاته الثلاثة : المسار التاريخي ، التركيبة السياسية ، التكوين الاجتماعي كمغيرات تكوينية لأي بناء دولتي وفق الخصوصية المغاربية ، و الماهية والتصور ، و الشقان الديناميكي والاستاتيكي للظاهرة الدولية .

المطلب الاول: المسار التاريخي .

وفق المراحل العامة في الايكولوجيا المغاربية فانه تجانس مجموعة من المتوضعات Postured المختلفة من حيث البنية و الشكل التي كانت تبتلع مرار البنية الاصلية للبربر الجماعات المشاعية التي كونت الحيز المغاربي الأولي او تنقسم هاته البنية على نفسها الى بني متصارعة خاصة في المرحلة الاول للتكوين الدولتي النوميدي وعادة ما يحسم الصراع مجليفي خارجي ، و عموما تعرضت المنطقة المغاربية الى صدمات متوالية كانت دافعا للتغير الاجتماعي و لم يكن الداخل بتلك القوة المبتكرة التي دفعت للإشياء الدولتي او التقدم المعرفي لقد كان المجتمع النوميدي انقساميا عصبويا ، على نفس الوتيرة حتى الوجود القرطاجي كنمط تحديشي مركبيلي و الروماني التحديشي العسكري / ثقافي و الوندالي استدماري / انقطاعي ، و العربي الاسلامي التحديشي اللغوي / الديني/الثقافي بدا تلاشي البنية الاصلية للبربر في بنية خارجية الى بنية بديلة .

لقد تمت عملية التلاشي الدولي بعد سقوط الموحدين كأرضية وحدوية و عصبوية دينية، وبرزت قوي صاعدة مهددة للكيانات المحدثة الانقسامية المرينية و الزناينة و الحفصية و التي كانت على الأغلب لادولتية سوي انها تشغل مجالا عاما يتبع سلطة ذات الانزلاقية المتكررة نحو الهلامية و عدمية ، تقصد الدول التي كانت تقوم و تنتقى وفق الدورة الخلدونية ، و توالت الانتشارية الاستعمارية بعد عملية التوسع القشتالي في أيبيريا ، التي امتدت للسواحل المغاربية ليتكرر النمط نفسه على نفس الوتيرة بتقدم العثماني المستمکن للدعامة القوية التي يملكها الجيش البحري من مدفعية و نظام ملاحى متقدم ، انتهت بإعدام الرجل المريض و وراثته ممتلكاته و سهولة التوسع في المناطق المشغولة ، للشغورية التي خلفها نظام مركزي قائم على المناطقية و المساومات و الغزو الاقتصادي ، لتكون الكولونيالية الفترة المبتلعة للمجتمع و المنتجة للنخب التي ستقود مرحلة البناء الدولتي مهما كان شكلها الثوري التحرري او السلمى التحرري الم لقد كان هذا العرض العام توضيح المبتغى من عملية التقسيم المرحلي التاريخي و التي تكون على النحو التالي:

مرحلة الدويلات البربرية وقرطاجنة ، مرحلة الغزو الروماني و الاجتياح الرعوي الوندالي ، مرحلة العودة الرومانية و الغزو العربي-الاسلامي ، الكولونيالية المبكرة و مرحلة الاستعمار الرعوي التركي ، الكولونيالية .

لكن قبل التطرق الى هذا التقسيم سنحاول ان نعرج على بعض الاشكالات العالقة حول المنطقة ، و تقصد بالتجلية هاته ان نفصل قطعا في احقية الروايات المتداولة عن التسمية ، و

الامتداد التي ارغمتنا على قبولها بطريقة بروكرست السريية¹ في تحليلاتنا المتداولة الفردية البحثية او
الجمعية التدريسية .

فيما يخص التسمية فهي تختلف بين بلاد المغرب و المغرب العربي و المغرب العربي الكبير
و بلاد المغرب الاسلامي و شمال افريقيا و غرب شمال افريقيا .
رواية شمال افريقية تلقى قبولا واسعا في الادبيات الغربية و العملية التقسيمية للنسيج العربي بين
الشرق الاوسط و شمال افريقية لاختلاف تكوينهما و تفاعلها فالإمبراطورية الفارسية امتدت على
طول المنطقة الشرقية و اما شمال افريقية يعبر عن امتداد روماني تقليدي مرتبط بإرث تاريخي
توسعي متوسطي² و نرى ضرورة لتفنيد هذا الطرح لأنه تكسيري للبنية العربية اولى و المغاربية و
تغريبها عن هويتها الامتدادية ، فقورش ضم الفرس و البلقان كوحدة اخيمينائية و الإسكندر الاكبر
كذلك ضما إيكولوجيا مختلفة التراكيب و لا يمكن الحاق منطقة بأخرى كامتداد سوى للارزمة
توسعية تاريخية او اعادة ترجميه للتوسع الامبريالي الثقافي كأدلجة هيمنية و شمال افريقية تنضم في
فحوها مصر التي لا تترابط و التمييزية المغاربية كواجد القبيلة كمكون اساسي في الأنثروبولوجيا
المغاربية .

اما بالنسبة لرواية المغرب العربي او المغرب العربي الكبير هي عادة لا تتميز من حيث
المفهوم لكن لمعنى الكبير دلالة على وجود اصغر داخلي تونس ، الجزائر ، المغرب الاقصى البيني

¹ Prokoptas قاطع طريق في الميثولوجيا اليونانية كان يرغم الافراد على النوم في سريه، و من طال عن طول السرير قطع الزيادة و ان كانوا اقصر
شدهم حتى الموت، يستعمل ذلك للدلالة على فرض الافكار القبلية :

هيجل ، العقل في التاريخ، ص 42

² Michael Dumper, Bruce E. Stanley , **Cities of the Middle East and North Africa: A Historical Encyclopedia**, united states of america , p introduction

كذلك بنفس المعنى الموضح بربط الروماني الأركيولوجي :

Ethel Davies , **North Africa: The Roman Coast** , usa , p-p 2-25

الاستعمارية التاريخية التابعة لفرنسا مع اقضاء تعمدي لليبيا و موريتانيا و التي كانت مقربة للمعنى الفرنسي الكولونيالي افريقيا الشمالية Nord L'Afrique du¹ .

و للمغرب العربي الكبير² دلالية تناقضية ترتبط اساسا بالحس الزعامي العربي الذي له دلالات سوسيو-سياسية ارتبطت بالقومية كضرورة للانتماء الهوياتي ذلك ما يوجب الهويات الهامشية للإحساس بخطر التهديد المنافس لوجودها و عوربت اصولها كخصوصيات المحدث المبنية على توليفات سوسيو-تاريخية³ .

و اما بالنسبة لإطلاقه اسلامي على المغرب ستأخذ كعملية تمييزه خاصة مع احتدام الصراع الإسلاموي / العلماني و استخدام المصطلح للسلفيات الجهادية الصاعدة و لا يصح استخدام هذا المصطلح الجزافي لأننا نعتقد ان الاسلام لا يرتبط بالأمكنة بل بأفراد و بتالي هاته العملية ليس سوى اتاجية وهمية للدلالات على اسلامية⁴ مكان معين .

على نحو اخر مقولة شمال غرب افريقيا⁵ لا تعكس خصوصية هوياتية و لا مناطقية و بهته الوتيرة نحن لاشك نفصل ليبيا فهي شمالية شرقية الجهة كمثلا اوروبة كمنطقة لا تضم روسيا و لا

¹ Jamil M. Abun-Nasr , **A History of the Maghrib in the Islamic Period** , (Uk : Cambridge University Press) , p-p 2-5

² يجد هذا المصطلح تدولا أكاديميا كذلك للدلالة على المنطقة الممتدة من موريتانيا حتى ليبيا :

Henry Louis Gates, Jr. Emmanuel Akyeampong , Mr. Steven J. Nive , **Dictionary of African Biography**, Volumes 1 a 6 , Uk : Oxford University Press , p 03

³ كهلي حامي و الخصوصية الاسلامية / الامازيغية كبنية مفارقة للمشرق العربي او بلاد البربر او بورقية و الهوية الاقتراية من الضفة الشمالية على سبيل المثال راجع :

علي حامي ، ادريس : **رواية شمال افريقيا** ، تر: محمد الناصر النفاوي ، ص ص 13 - 35

⁴ اي كنوع من الهجنة الخارجية المصطلحية لتحويل الشيء الى مقدس و الاقصائية البعدية لذلك يجري هاهنا تجاوزها :

حسن سلهب ، علم الكلام و التاريخ: اشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الاسلامية ، ط1، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ص ص 42-45

⁵ Charles G. Guedon , **Who's Who in the Arab World 2007-2008** , (Usa : K.G Saur munchen) , 2007 , p 1117

تركيا بالرغم من شغلها حيزا لا باس به في المنطقة لذلك لا تنعكس هاته المقولات حسب علمنا
الا في مرصد الاحوال الجوية .

وكلمة المغرب لها دلالة قوية كما يصفها محمد العروي فهي دخيلة على اللغات الاجنبية من
جهة ولا تفيد في المعنى اللغوي العربي فهي مفهوم توفيقى على ما يبدو و لو اننا نختلف مع العروي
في تسمية المغرب الاسلامي¹ على المنطقة الاندلسية المضافة للمغرب فنقول المغرب الكبير والمغرب
مفهوم لغوي عربي دلالي تميزي عن المنطقة التي تغرب بها الشمس حسب التصور العربي الاسلامي
وبالي قد تتداخل التسمية المغرب كجمال عام مع التسمية المغربية و لو ان المغرب كقطر هو مربوط
تاريخيا بمراكش سواء من حيث التلقيب المشرقي او البروتوكولات الدبلوماسية² وكذلك يجري
التقسيم على اساس التوضع المناطقي لبلاد المغرب بالبعد او القرب من بلاد الحجاز³ اي منطقة
المغرب الأدنى ويقصد بها ليبيا و تونس / المغرب الاوسط الجزائر/ المغرب الاقصى المملكة المغربية
لكن لم تدخل في هذا التصنيف موريتانيا لذلك قد يعد قاصرا من الوجهة الجمعية و سنعمد هاته
التسمية الذاتية بلاد المغرب و تضم ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المملكة المراكشية (المملكة المغربية) ،
بلاد شنقيط (موريتانيا) .

مرحلة الدويلات البربرية و قرطاجنة : يختلف في اصل البربر ، و تسميتهم ، و غالبا ما كانت تسم
المحاولات بالتأويل الامتدادي او الاسطوري المخلوق الغير مقبول منطقيا ، جمالا يذكر لنا ابن خلدون
انهم و على خلاف ما ينسب لهم ان افريقش حل بمصرهم و حكم هناك و خلف بطانان عظمين
كأمة و صنهاجة و هو من ملوك التبابعة و منطقيا لن يستتب ذلك في الاذهان بما كان و هو ان

¹ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص ص 31-32

² للمزيد راجع :

مصطفى بوشعراء ، الاستيطان و الحماية بالمغرب: 1863-1894 ، ج 1 ، الرباط: المطبعة الملكية ، 1984 ، ص ص 12-18

³ سعدون عباس نصر الله ، دولة الادارسة في المغرب ، ط 1 ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1987 ، ص ص 15-16

المدخل الى افريقيا واجب الكون من بلاد النيل و الفراعنة صعب مجاراتهم، و جنوبا بلاد السودان
صعب التحرك فيها خاصة لجيش ضخم فاتح و مشقة تأمين العدة و الجبهة الخلفية من انقلابات
داخلية او الخطر الفارسي، الاشوري البابلي، الاحباش كما ذكرناهم مقدما يصعب من عملية
الفتح تلك فالعرب المسلمين مكثوا

50 سنة لفتحها لصعوبة تضاريسها لجيش اعتاد على الحروب ذوات الاراضي المنبسطة و
حمير من الجزيرة العربية و هي بنفس السيرة و لا وجود الى اثر اركيولوجي معاصر يثبت ذلك حتى
غزوات الهلالين، و الرواية المقبولة هو انهم من ولد امازيغ بنوا كنعان قدموا الى بلاد المغرب عبر
مصر فبرقة فالمساحة الكلية التي انتشروا بها و هم مجموعتان برنس/البرانس، ماذغيس/الابتر¹.

ويرجع الاصل في انهم من بلاد الهلال الخصيب هو مدى ثلاثهم و القادمين من فينقيا
كموجات التجارية الاولى او الاستيطان القرطاجي و كانت القبائل الامازيغية او تامازيغت او
تامازيرت منقسمة على ايكولوجية معتمدة على الزراعة المشاعية و الجوار و تبادل المنافع البيئي ذو
السلطة الابوية في مناطق الريف المستوي و الى جانب ذلك كانت اجزاء منهم تهتم برعي كنمط
انتاجي كبداوة او في المنطقة الريفية الجبلية ولم تكن هنالك سلطة فعلية توحد هاته القبائل للرفض
المستمر من قبل هاته القبائل الدخول في احوال التحاميه او تحت سلطان ملك مركزي كما كان
الحال للتطورية البابلية او الفرعونية و لم توحد هاته العصب على طول التمرحلات التاريخية الامع
وجود خارجي او في عهد دولة الموحدين² وقد كان نمط الوحدة الشكلية مقوماتي انقضاضي في
فترات الرخاء و هددويي بيئي في فترات الوهن و قد تأثروا عموما بشكل اللغات التخومية

¹ ابن خلدون، المقدمة، ج6، بيروت: دار الفكر، ص-ص 116-128

² محمد العربي عقون، الامازيغ عبر التاريخ - نظرة موجزة في الاصول والهوية، ط1، الرباط: التوخي للطباعة و النشر و التوزيع، ص-ص 17-

كالهيوغلفية و التافيناغ الفينيقية التي تجاوبوا معها بشكل اعتناقي و استبدالي للغتهم الاصلية فيمانينغا¹، لقد كان اثر الفينيقي تحديثيا في الوسط الامازيغي لانهم كانوا يعتبرون فينيقيا اصولية لهم و فينيقيا بدورها كانت تعتبر تامازيغت منطقة امتدادية و قد طورت على طول الجيولوجيا الامازيغية مجموعة موانئ مهمة لعمليات التبادل التجارية مما اعطاها سييلا للعمران و التمدن² و القيام تدريجيا ببناء المجتمع السياسي المتمايز عن المجتمع الرعوي او الزراعي في نمط اتاجه و حتى مجموعة المخلفات الدلالية على الوجود المكاني كالقبور الميجاليتية³، و بدأت تظهر الصناعات و الحرف و نمور أسمال التجاري مما مهد لظهور الأرسقراطيات سواءً الجيوتولين (ليبيا) او نوميديا (تونس ، الجزائر المغرب و موريتانيا) و ليس كل مجتمع سياسي دولة فلا بد من وجود سلطة سياسية مركزية⁴ تضمن التساوي امام هذا المركز و الطاعة كعلاقة بين حكام و محكومين الامر اللذي كان مفارقا على نحو غير سليم في البيئـة الامازيغية الموسومة بضباة الوحدة و الانقسام الموازي المبني على قاعدة الدم و الاقرب فالأقرب ، هذا ما اضعف اية وسيلة لقيام دولة مركزية موحدة في بلاد المغرب ، اما بالنسبة لقرطاجة فهم المنحدرين من اصل فينيقي و قد اسست عليمه الهاربة من بطش اخاها المدينة الجديدة بإيعاز من الملك هرباس الماكسيثاني⁵، و ضمت قرطاج بلاد المغرب اسميا تحت سلطتها الا انها لم تكن على النحو الاستعماري الاضطهادي بل بنوع الحمائي الإيجابي فقد ساهمت في عمليات التحديث المتواصلة في إيكلوجيا المغاربية من خلال الاشراف في الجيش و التمدن و الزراعة التصنيعية و كذا الاسلحة و السفن بالإضافة الى الضريبة السنوية التي كانت تدفعها قرطاج للبربر ، هاته التدابير ساهمة في التطوير المجالي للبربر و الاستقلال الذاتي ببداية

¹ عبد الحميد العوني ، الامازيغ و الامازيغية في 26 لغة قديمة ، فاس: الاورومتوسطية المغربية ، ص ص 7-9

² محمد علي ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 1 ، ليبيا: مؤسسة توالث الثقافية ، ص ص 97-100

³ محمد الصغير غانم ، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري ، عين مليلة: دار الهدي للطباعة و النشر و التوزيع ، ص ص 27-28

⁴ جورج بوردو ، الدولة ، تر: سليم حداد ، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية ، ص 18

⁵ فتية فرحاني ، نوميديا ، متيجة: منشورات ايبك ، ص 42

عصر الملوك النوميدين ، الفترة الجديد مكنت من توحيد شبه مستقر و بناء مركز سلطوي اوليغاركي ، وقد كان نفس النسق القرطاجي ، المركز السياسي المتطور في قرطاج و الاداري و التراتبية السلطوية ساهمت في قوتها الداخلية طويلا و السلطة السياسية على حد وصف ارسطو كانت مكونة من :

الشفطين ملكين مكونان لتجمع بين عائلتين عرقيتين ، عائلة تهتم بالأمر الحربية و الاخر بالأمر الداخلية ، و الى جانب ذلك مجلس الشيوخ للنبل و مجلس الأربعمائة و مجلس الشعب مع الوجود الفعلي للأخويات او الجمعيات الفاعلة الدينية و السياسية في المناسبات¹ فلم يكن الكهنة يتمتعون بنفوذ واسع في السلطة القرطاجية و نعتقد ان قرطاج تبنت مثل هذا النظام المختلط (ملكان / أسبرطة ، مجلس الشيوخ / روما ، الشعب/ايننا) للتأثير البالغ عبر التجارة التبادلية و الاستفادة من النماذج التسييرية التي كانت آنذاك مهيمنة، الا ان معطى الضعف كان سوسيو - عسكري نعي ان المجتمع لم يكن يشرك في العمليات الحربية للدولة القرطاجية الا كأفراد اداريين او مخططيين او قادة و كان يحمل الافراد مرتزقة من اسبانيا و الغول و البربر ما لم يحقق التجانس بين هؤلاء الاجانب و الروح المشبعة بدفاع عن الوطن كانت غائبة و هذا لا شك كان له اثر اغتنامي للهزيمة المتأخرة في عهد حنبعل على يد سكيبيو² في معركة زاما بعد سلسلة من الحروب في البحر الابيض المتوسط عرفة بالبونيقية بين قرطاج و روما ، بين قرطاج و سيسليا الهليلينية و قد كانت على ثلاثة مراحل البونيقية الاولى (264-241 ق.م) ، الثانية (218-201 ق.م) الثالثة (149-

¹ محمد الهادي حارش ، التاريخ المغربي القديم ، الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ص ص 74-76

² بهذا الصدد راجع :

146) هزمت فيها قرطاجة مرتان والثالثة تم تخطيطها و حرق مدينتها المركز و شغل مجالها من قبل الرومان¹.

على غرار ذلك تأسست مملكتان بربريتان متنافستين مملكة ماصييليا و ملكها سيفاقس و ماصيليا ملكها ماسينيسا² الذي كان ثوريا يعتبر ان الوجود القرطاجي و جود دخيل في البيئة البربرية و مما يلاحظ هو التغير في المصالح و موازين القوى في المنطقة المغاربية فصراع الصدامي كان بين هذين الملكين للسيطرة على المحيط البربري لكن كانت القوتان متكافئتين على التوالي يتدخل الطرف الخارجي لترجيح الكفة ، من تحالف مصلحي عسكري قرطاجي-ماسينيسي / روماني- سيفاقسي الى قرطاجي- سيفاقسي / ماسينيسي- روماني (بعده ثورة زويطل) و بهذه الوجهة ضمنت روما حليفا استراتيجيا مجاورا لقرطاجة ، و احتدم الصراع البيني البربري- البربري حتى سقوط قرطاجة الوحدة الوصاياتية الرومانية للملكة الماصيلية الموحدة على راسها ماسينيسا .

تحولت المملكة الموحدة بعد ماسينيسا الى مناطق منقسمة متصارعة تغذيها روما ، خاصة الصراع الثلاثي اليوغرطي ، الازربلي ، البوكوسي و استطاع يوغرطة الرجل القومي ان يتحالف مع بوكوس ملك موري الغربية الامر الذي سهل من استحواذ يوغرطة على املاك المملكة الموحدة³ ، و بموت يوغرطة بعد تحالف بوكوس ضده اصبحت منطقة المغرب متهيئة للكولونيالية الرومانية بالرغم من الانتفاضات التي كانت تحدث باستمرار ازاء الوجود الروماني و تقسمت المملكة الموحدة الى اربعة اقاليم : افريقيا ، نوميديا ، موريتانيا القيصرية ، موريتانيا الطنجية⁴

¹ حول الحروب البونيقية راجع:

Nigel Bagnall , **The Punic Wars, 264-146 BC** , north america , osprey publishing , 2002 , p-p 36-74

² عبد الكرم الفيلالي ، تاريخ الجزائر الكبير ، ج1، القاهرة : ناس للطباعة و النشر، 2006، ص 176

³ مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج1، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ص-ص 174-230

⁴ محمد بومي مهران ، المغرب القديم ، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، 1990 ، ص-ص 288-297

و اما غربا وتحديددا في برقة كان هناك تواجد لبربر اطلق عليهم اسم الجرمنتيون و لم يختلفوا كثيرا عن الامازيغ سوى انهم لم يكونوا دولا بالمعني الذي كان سائدا في فترات الممالك النوميديّة فتكوين الجرمنتي كان مقصورا على قبائل غزو تشغل محيط الليبي الحالي و لم تكن تتجانس في وحدة واحدة و الجهة الغربية لبلاد المغرب فقد كانوا حسب وصف ثسيوس قوما لا يخضعون لاحد¹، و لم تكن العلاقات اللبية -الفرعونية تتسم بالاستقرار فقد تميزت بالدخول المستمر في حروب طويلة بين الفراعنة و اللبيين ابتداء من فترة حكم الملك سينفرو². و كذلك جنودا مرتزقة في الجيش الفرعوني خاصة بعد طرد الهكسوس و التنازل عن عمليات اشراك الأثيوبيين في الجيش و استبدالهم بليبيين و تقلدوا مناصب رفيعة في الجيش الامر الذي اكسبهم تمرنا و دراية بتنظيم و العسكرية ما ادي في نهاية المطاف الى الانقلاب الشاشاقي الليبي على المكون الفرعوني و تأسيس الاسرة الفرعونية الثانية و العشرين³.

بالإضافة الى ذلك و بعد التمرد الهليني و خاصة الثيرانيين كما يسميهم هيروdot في ليبيا او موئل الاغنام في تعبير هوميروس او منجبة القمح حسب بنداروس⁴، من شغل مساحة ساحلية استراتيجية في التراب الليبي بعد عمليات الهجرة التشجيعية الهليلينية التي كونت الدولة المدينة القورناثية و دخلت في حروب طويلة مع الجانب الفرعوني خاصة بعد الغزو المقدوني و تأسيس اسرة البطلمية التي عادة و سقطت في العهد الروماني ابان حكم يوليوس قيصر، و كذلك

¹ تشارلز دانيلز، الجرمنتيون: سكان جنوب ليبيا القدماء، تر: احمد اليازوري، ط1، طرابلس: دار الفرجاني، 1991، ص33

² مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي: المطبعة الاهلية، 1996، ص 12

³ ف.دياكوف س.كوفاليف، تر: نسيم واكيم اليازجي، مرجع سابق، ص ص 143-145

⁴ فرانسوا شامو، في تاريخ ليبيا القديم: الاغريق في برقة، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط1، بنغازي: منشورات قاريونس، 1990، ص، ص

المميز في العلاقات الجرمنوتية - الفرعونية العلاقة البنينة اللاحقة بين يوبا الثاني وزواجه من كليوباترا
سليبي¹ .

مرحلة الاجتياح الوندالي و العودة الرومانية: غياب الوحدة الفعلية و التجانس الامازيغي اكسب
الوافد الخارجي ميكانيزم التغيير في الإيكولوجية المغاربية بعد سقوط قرطاجنة المنافس الوحيد و
الفعلي للقوة الرومانية المتنامية بعد عمليات التورث الهليلينية و التقدم الذي حققه روما ابانا
الجمهورية و القيصرية و التحول نحو الامبراطورية راجع للتجانس و القوة و الانضباط العسكري² هاته
العوامل كانت المؤثر في التوسع الروماني و على خلاف قرطاجنة فان روما تقمع اي تواجد عرقي
منافس للعرق الروماني بذلك لم تستقد القبائل البربرية في هاته المرحلية من التحديث الذي كان في
الفترة القرطاجية الا من خلال الاشراك المرتزقي في صفوف الجيش الذي كان الرومان يستعملونهم في
حروبهم ضد برابرة الغول و الجرمانية، و عملية التقسيم التي اضطلع بها الرومان في بلاد المغرب كان
الغرض منها التحويل الاداري للمركز القبلي للأمازيغ و دفعه نحو السبية اي الريف الجبلي او الى
الجنوب و البداوة و كذا تشجيع عمليات الاستيطان خاصة في العهد القيصري، و التمركز الروماني
كان مقتصر على المناطق الساحلية لبلاد المغرب و بالرغم من الموروث الأركيولوجي الذي خلفه
الرومان من اثار معمارية كالحمامات و الاقواس دلالات على التقدم التمديني³، الا انه لم تتجانس
وحدات البربر و البنية الرومانية و قد كان التأثير هامشيا ، للقمع المتواصل للحركة الامازيغية
المناضلة ضد التواجد الروماني فقد مثلت ثورة تاكفاريناس⁴ نموذجا ثوريا ووحدة شعورية بين
الامازيغ و الجرمنتيون الا ان غياب وحدة القضية و الانقسامية العصبوية غير من اسلوب التوجه

¹ هيروودوت ، احاديث هيروودوت (425-487/489 ق.م) عن الليبيين الامازيغ ، تز: محمد مصطفي اعشي ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة
2004 ، ص 15 .

² Nic Fields , **The Roman Army of the Punic Wars 264-146 BC** , Osprey Publishing ltd , 2007, p-p 16-90

³ David S. Potter , **A Companion to the Roman Empire** , blackwell publishing ltd , 2010 , p 79

⁴ محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس عبر العصور ، ط3 ، تونس : دار سوس للنشر ، 1993 ، ص 27

البربري دوريا وهذا المميز الظاهر على العلاقات البربرية وغالبا ما تستند على القوة الخارجية لتحقيق الامن القطري الذي استفاد منه الرومان مرار بتحطيم الجزئي للقوة المنافسة المتنامية، يجمع القوى المنافسة الاخرى و -التي تصبح الهدف التالي- لتصويب الوجهة لعملية تحطيم المنافس القوي وهاته الاستراتيجية كانت معممة على مناطق النفوذ الروماني¹ بتقديم التنازلات الظرفية للحلفاء و الى جانب ذلك كان الاهتمام بالغالب بهته المنطقة بعد الصراع الروماني- الروماني بين ابيروس و اغسطس و تدخل الفيلق الثالث لقمع التمرد الامازيغي² .

ومع بداية عصر الاضطرابات بعد تقسيم دقلديانوس الامبراطورية الرومانية و انفصال قسطنطين عن الجزء الغربي من الامبراطورية بتأسيسه لبيزنطة العاصمة الموازية لروما³، تنامت الروح التوسعية للجماعات الرعوية الشمالية لآسيا (The Huns) واوروبا (Visigoths, the Ostrogoths) التي تقدمت و خاصة في الجهة الغربية لتستولي على كافة المنطقة المغاربية بقيادة الملك جنسريق و لا يختلف نمط الغزو الوحشي هذا عن نمط الغزو المغولي لبغداد ابان حكم المستنصر بالله ، بعد ان استقدمهم الملك بونيفاس المنفصل بإقليمه المغاربي عن الامبراطورية الرومانية الغربية لإعاقته على رد الهجمات المتكررة على مناطقه ، الامر الذي مكّنهم من التوسع عبر الاقليم المغاربي و دخول قرطاجنة بعد عملية السلام المشروط مع الامبراطورية الشرقية و قد دعم البربر عمليات التوسع الوندالي لكنهم لم

¹ و قد استخدم يوليوس قيصر و اغسطس النمط نفسه لكسر التمردات في اوروبا الشمالية راجع :

D. J. Mattingly , **Imperialism, Power, and Identity: Experiencing the Roman Empire** , Princeton University Press , 2011 , p-p 75-80

² مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ج1، ص258

³ الجمعية المصرية، الموسوعة العربية الميسرة، ط3، مج 3، بيروت: المكتبة العصرية، ص 1690

⁴ و كان ينظر الرومانيون و اليونانيون الى هته التجمعات على انهم منحطين و لا آدميين و متوحشين و ما يميز هاته التجمعات ان الافراد كانوا يتميزون بالولاء و الائتاء على اساس رابطة الدم :

Rita J. Markel, **The Fall of the Roman Empire**, Colorado : twenty-fisrt centry books, 2007, p-p 46-49

يتمازحوا معهم ونحن بالتمازج عمليات الاعتراف الديني او التبني اللغوي اللساني او الاختلاط
التزاوجي .

لم تكن السلطة السياسية مستقرة عند الوندال فلم يكن الحكم مركزيا على النمط الروماني،
كما كان جنسريق ملكا شرفيا على الاراضي القوطية يجمع بين التوجهين العسكري والسياسي ولم
تكن هناك سلطات تراتبية تعطي التوازن السلطوي للمساحة المشغولة و تساعد الهرم السلطوي لان
هذا النمط الزعامي غالبا ما يزول بموت الزعيم، و الى جانب ذلك لكل منطقة قائدها وقوانينها
المختلفة ودرجة التسيير متميزة عن المركز الصوري الذي كان بعيدا عن المناطق المشغولة وهاته
الانقسامية راجعة الى العصب المكونة لهذا الاتحاد القوطي كم ذكرنا فقد حافظت هاته الزمر على
استقلالها منذ العهد الروماني الامبراطوري الموحد¹ ، و قسمت بلاد المغرب الى ستة مقاطعات
قرطاجنة ، زوكيتانيا ، البيزاسين ، نوميديا ، لابريتاينا و باقي بلاد المغرب الاقصى اختلفت كشكل
لكن كأسلوب اداري حوافظ على نفس النمط الروماني، بعد موت جنسريق كقائد زعامي تلاشت
مملكته كموجات زميرية بين اولاده و الاولاد المختلطين من زوجات رومانيات على ارض بلاد المغرب
وكذا الدعم الروماني للانتفاضات البربرية، الى جانب ذلك استزيد النزاع الناشب في اوروبا بين
القبائل القوطية² و الانفصال المناطقي عن المركز الذي كان موجودا معنويا بوجود الزعيم مما غيب
الروح الجماعية المكونة قبلا ضد العدو الفعلي الروماني، و تمكن جستينيان من استعادة بلاد المغرب
و تحرير شبه الجزيرة الايطالية من الهيمنة الوندالية مغتتما الصراعات البينية بين هاته الدوائر
المستقلة³.

¹Kathryn Hinds, **Goths : barbarians!**, United state : library of congress cataloging-in- publication data , 1962 , p 43

²Guy Halsall, **Barbarian Migrations and the Roman West 376-568**, United Kingdom : Cambridge University Press, p 277

³ احمد توفيق مدني ، قرطاجنة في اربعة عصور : من عصر الحجارة الى الفتح الاسلامي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص-ص

مرحلة العودة الرومانية و الغزو العربي-الاسلامي :

بعد عمليات الاستعادة الرومانية للأراضي البربرية لم تكن هناك اية انماط مستجدة تبين ان الحكم الحالي مختلف عن سابقه فقد كان النمط الاقتصادي اتاجيا يحول للمركز و للمفوضين الاداريين و كانت الثورات تسمر بشكل دوري خاصة بعد تبني البربر الديانة المسيحية الدوناتية¹ ، اكسبتهم شرعية اضافية لقتال العدو الوثني الروماني و الذي تحول نحو مسيحي ضدي للدوناتية و في اغلب الاحيان كانت تمارس سياسات الاضطهاد و الاقصاء على هاته الجماعات الهامشية في الحكم الروماني ، و يرجع دخول البربر الى المسيحية بتلك التأثيرة البالغة في سيكولوجية البربر، اي نقصد ان الدوناتية و حتى الايوسية و النسطورية و يعقوبية² ركزت على متغير الاضطهاد بفرض الديانة و التقرب الاستمالي من العامة الفقراء فشهدت بدورها قبولا واسعا لدى البربر للواقع المتبدل الذي كانوا يعايشونه و برقة اول منطقة احتوت المسيحية للجهود التي قامت بها الافلاطونية المحدثه في مصر نعتقد ان على طول الفترة الرومانية الثانية هاته لم تنجح اية ثورة بالمعني الذي تمكن فيه البربر من طرد العدو الخارجي فمهما كانت الدوناتية او باقي الاقسام المسيحية الاخرى عقيدة صلبة و انتشارية (لا نريد ان ندخل في جدال هل كان المغرب على قدر بير من التنصير لأنه اشبه بعلاقة من اتي اول البيضة ام الدجاجة) فإنها كانت انغزالية لا تدعوا الى التغيير ولم تكن بذلك القدر الجمعي الشعوري .

¹ الدوناتية فرقة مسيحية تنفي صفة الالهية عن المسيح :

عقون محمد العربي ، الاقتصاد و المجتمع في شمال افريقيا القديم ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ، 2008 ، ص ص 293-295

² بديعة الخزازي ، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الاقصى ، ط1، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة ، 2007 ، ص ص 13-18

وفي الشرق تصاعد التوسع العربي الاسلامي باتجاه المغرب¹ ابتدائيا مجملات طرابلس في عهد عمر بن الخطاب و عمرو بن العاص صاحب الفضل في فتح الثغرة بتحطيم القوة التي كانت متمركز في مصر القبطية² و الحملة الاساسية كانت بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري حوالي 27 هـ -647 التي قضت على القوة المحورية في بلاد المغرب بقيادة جرجير و توالى الحملات على بلاد المغرب تباعا و البارزين عقبه بن نافع ، مهاجر بن دينار ، موسى بن نصير³ و لم تكن بشكل خطي ثابت فكان التفهق عادة سببه خلافات المركز و تقصد فتنة عثمان مثلا او ثورات العباسيين، اي انقسامية الوحدة الروحية المشككة للنواة الى وحدة مصالحية اسرية مؤجلة و نرى ان سبب طول فترة الفتوحات لم يكن كما يرى الايتوسيين الجدد ان سببه عدم قبول البربر للعرب و شدة الثورات ، و انما سببه عدم ثبات المركز و كذلك صعوبة تضاريس المنطقة⁴ الغير مألوفة و المفصولة بمجموعة من القطائع الجبلية و الهضاب ما كان يدفع المسيطر على ارض المغرب الاكفاء بالتمركز على طول الشريط الساحلي السهلي بالإضافة الى ذلك قوة البربر العسكرية في مجال الرماية على الاحصنة و الجمال التي طورها البيزنطيون فيما بعد و التي ترهق الخيالة الفرسان و المشاة القوة الاساسية للعرب المسلمين⁵ و عادة ما كانت تستفيد من المعطى الجيولوجي القبائل المقاومة للعرب، فمنطقة اللبية كانت مستقرة على النحو الذي كانت فيه منطقة خلفية تتراجع نحوها مجمل الجيوش

¹ و هناك العديد من الاحاديث الغريبة تروى عن النبي محمد انه عرف البربر و تكلم عنهم كمن لا يجهلهم عن سعيد بن ابي وقاص قال ، قال رسول الله صلعم قال لا تزال طائفة من امتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة :

ابي زكريا يحيى (اخو ابن خلدون) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الجزائر : مطبعة بيبير بونطانا الشرفية ، 1903 ، ص ص 7-8
² Kevin Shillington , **Encyclopedia of African History** ,Volume 1 , United state : library of congress cataloging-in-publication data , 2005 , p734

³ راجع مجموعة الخرائط المبينة لمسارات الفتح العربي الاسلامي :

حسين مؤنس ، **اطلس تاريخ الاسلام** ، ط1، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، 1987 ، ص ص 155-177

⁴ على سبيل المثال لا الحصر وصف نقولا زيادة لرحلته في المغرب العربي يصف أجزاء منها و خاصة بين قسنطينة و البليدة تحوي السلاسل الجبلية و الوديان الجافة و له وصف في ذلك لأنه يحدث مقارنة طفيفة بين لبنان و اجزاء من قسنطينة:

نقولا زيادة ، **افريقيات دراسات في المغرب العربي و السودان الغربي** ، ط1 ، لندن : رياض الريس للكتب و النشر ، 1991، ص 18

⁵ و قد جرت محاولات سبتيموس سفيروس الروماني للتوسع على حساب هاته القطائع بمساعدة فرقة التباين السورية التي كانت تتمتع بدراية كبيرة بالتضاريس الوعرة و كل محاولاته باءت بالفشل :

ا.ف.غوتيه ، **ماضي شمال افريقية** ، تر: هشام الحسيني ، ليبيا : مؤسسة توالى الثقافية ، 2010 ، ص ص 107-109

المتهجرة¹ واما ما تبقى من المغرب فعرف مقاومة شديدة، و عموما المقاومين الاساسين الذي يتم ذكرهم عادة كأبطال قوميين كسيلة و الكاهنة² و نرى ان سبب الرفض راجع لثلاثة اسباب، السبب الاول الرفض العقائدي كان ظاهرة اعتيادية و ابتداءً بقريش فقد حارب معظم الصحابة في الجاهلية النبي محمد خاصة ان كانت تلك تعاليم العقيدة تمس منصبا حساسا و محوريا في القبيلة فإنها ستكون كقيم منافسة للقيم الاصلية داهيا مثلا، و السبب الاخر متعلق بالدين الاسلامي في حد ذاته ، انه حرم الاسر و الاعتداء و المساواة و غير ذلك من القيم الأخلاقية في التعامل مع الغير الذي كان يدفع بصورة دائمة الى عقود الصلح ، لا مندوحة في انه المركب الذي دفع الايكولوجية المغاربية عادة ليكتنفها الفراغ و بالتالي الحاجة لسد الفراغ المخلف من تفتت القوة البيزنطية و العودة بالغنيمة لا شك يدفع كلا كسيلة و الكاهنة الى الانتفاضة حتى و ان تبناوا الاسلام فنظام الدوافع و الحوافز يحكم الطبيعة البشرية فيصبح المعنوي تابعا لمجموع الماديات ،ولو كانت هنالك حقا مقاومة لاستمرت بشكل دوري و ابرز وجودا لأخرين مقاومين على طريقة داهيا و كسيلة الامر الذي يدحض فكرة المقاومة الكلية فقد اسلم البربر بصورة واسعة و اندمجوا في الحياة الاسلامية العامة كالجيش و الادارة و الدفع بعملية الفتوحات لاحقا³ و السبب الاخر هو العصبية القرشية لبني امية و اجحاف منطقة المغرب بضمها لولاية مصر و عدم اشراك البربر في المناصب العليا قبله سخطا عصبويا عاما ليس في المغرب فقط لكن حتى اولئك الذين ساندوا العباسيين في الانقلاب ، توسيع نطاق التمدين ببناء المراكز المحورية كالقروان في عهد عقبة بن نافع و اثرها في حملات التعريب

¹ و يحوي هذا الكتاب مجمل التراجم و السير الخاصة بأخبار الفتوحات في بلاد المغرب من كتاب فتوح مصر و افريقية لصاحبه ابن عبد الحكم حتى كتاب اتحاف اهل الزمان لابن ابي الضياف للمزيد راجع :

احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، ليبيا في كتاب التاريخ و السير ، بنغازي الدار اللبية ، 1968 ، ص ص 29-237

² مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2، بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ص ص 28-34

³ و مثال على ذلك طارق بن زياد :

نهي الزيني ، ايام الامايغ اضواء على تاريخ السياسي الاسلامي ، ط1 ، القاهرة : دار الشروق ، 2011 ، ص 33

و نشر الاسلام بنوع تساحي و- نشدد على هاته العبارة تساحي¹ - امر مهم للاستقرار و التخلي التدرجي عن البدونة و الاشرار الانسجامي للبربر، هذا مهد لظهور الدويلات المنشقة في منطقة المغرب بعد عصر الولايات اي بعد التبعية للمركز الاموي و بعد الانقلاب العباسي تحولت بنية المشرق الموحد نسبيا تحت سلطة العباسيين باشرار الشعوبيين الفرس/البرامكة و باقي الموالي في المراحل التكوينية الاولى و الاشرار المملوكيين في العهد المتأخرة و بعد الخلاف الذي كان بين بني الرشيد و قتل المأمون للأمين، ازدادت الدعوات العلوية و الحرطقة و هكذا حتى قتل المتوكل و استقلت الامارات تباعا و تقوت بالقانون الجديد للمعتضد المقسم للأقاليم كنوع من اللامركزية السياسية التي انحلت تدريجيا فانفصلت القوى عن المركز العباسي ، و استقل بنو الاغلب ببلاد المغرب² كقوة انفصالية تمهيدية ، فبلاد المغرب بنيت الانقسامية حولت سوسيولوجية المغاربية الى دوائر قائمة على روابط القرابة و النسب الانكفائي غير الترابطي المشكل بالمركزة التي تزيد اتساعا عن المركز المثل للأسرة الاصلية او تراتبية تمثيل النسب الشجري كما يصف ارنست ان العصب هاته تتضمن الغياب التام لوجود زعامة موحدة لهته البنى المنقسمة و لا وجود لبناء مؤسساتي سياسي فعلي بين دويلات ناشئة المنشقة عن المركز في بغداد على طول المنطقة الممتدة بين دولة بني الاغلب و الدولة الاموية الجديدة في الاندلس و يضيف ارنست ان الانقسامية كانت شديدة عند البربر و اقل حدة عند العرب³ و لا نعتقد ذلك فالعرب في تكوينهم الاسلامي الاولي عرفوا النزاع البيني بين العصب كحروب الردة او ادعاء النبوة او القرامطة المتأخرين- و لا تختلف البنية البربرية مع البنية العربية الامن حيث نظام القيم و العادات و التقاليد ، انه لا شك يعقد علاقة مقارنته

¹ علي محمد محمد الصلاحي ، صفحات من تاريخ ليبيا الاسلامي و الشمال الافريقي ، ط 1 ، عمان : دار البياق ، 1997 ، ص ص 350-355

² ابن خلدون ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 269

³ Ali sidqi azaykou , **histoire de Maroc ou les interprétations possible** , rabat : centre tarik ibn ziyad , 2002 , p-p 30-31

المقتصرة بالهلاليين والبربر و الفعلي تماما هو عدم الاستتباب الدولي او وجود دولة موحدة¹ حتى عهد الموحدين و ذلك لسبب العصبية المتواجدة على ارض المغرب تحوي قبائل كبرى ككثامة و صنهاجة و زناتة و مصمودة المتوازنة من حيث القوة و كان لهاته القبائل دورا مهما في تغليب الكفة لصالح الدولة الناشئة او تحطيمها بتحالف معها و دعمها و غالبا ما كان يزيد في قوتها الأدلجة الدينية كالرستمية الخوارجية و الإدريسية العلوية ، لتغير الاوضاع بعد الدعوة المهدية الفاطمية القائمة على التعصب المذهبي الاسماعيلي المنافس للمالكية السنية و الاباضية و الصفرية من الخوارج و الاستعانة بالعصبية الكثامية و تحطيم القوى الثلاث الاغلبية ، الرستمية ، الادريسية² و اي منافس على الإيكولوجيا المغربية ، التنافس بين هاته القبائل و حتى كثامة التي كانت ترى في هذا المذهب غير منطقي و غير مقبول لتعصبه الشديد و تباعده و المالكية اصل نشأت توجهاتهم فقد كانت المذاهب المهيمنة المالكية و الخوارج كما تقدمنا، و هاته الدولة العبيدية دوريا تخمد الثورات الناشئة لتعاود الظهور مجددا ، و قد امتدت الدولة الفاطمية حتى القاهرة و تطلعت لتحطيم المركز العباسي لكن كانت الثورات تخمد و تعاود النشوء لرغبة الزناتيين في تحطيم الكتامين كمنافسين و الفاطميين كمؤدجين للتوجه الإسماعيلي المنافي لأهل السنة بثورات ابي يزيد صاحب الحمار و الهواريين من قبائل الاوراس، و على هاته الفترة دخل ال الزير الصنهاجيين في حلف الفاطميين و اعانوهم على استرداد الامن في المغرب الاوسط و الاقصى الامر الذي قربهم كثيرا نحو الفاطميين و فوض اليهم امر بلاد المغرب الذين سينفصلون به في عهد المعز بن باديس

¹ و كانت الدولة اما تحصل بعصبية القبيل او الدين او الترف و الدعة (الاقتصاد بالمعنى الحديث) ، فالدولة كثيرة العصب قل ما تقوم فيها مركزية ثابتة و لاشك ان ابن خلدون هو مؤسس التوجه الواقعي في الفكر الاسلامي:

ابن خلدون ، مرجع سابق، ج1، ص ص 193-209

² و يتركز وجود العلويين في المغرب الاقصى الذين قدموا بهجرة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب في عهد هارون الرشيد : عبد القادر ، مفاخر البربر ، ط1، الرباط : دار ابي رقراق للطباعة و النشر ، 2005 ، ص 85

و تقابلوا تنافسيا بعد سياسة التشرذم الفاطمية بين الثلثة الصنهاجية ، الكثامية ، الزناتية¹ و انفصل بدوره حماد بن بلكين بجاية و اسس الدولة الحمادية، الامر الذي مهد لغزو اعراب المعقل (بنو سليم ، بني سعد ، بني رباح ، بني حسان) الى المغرب و كان اثرهم بالغاً في بلاد المغرب فقد كانوا سبب تفتيت الدولة الزيرية و حتى الحمادية و عدم استقرارها و تسببوا في الفوضى لعدم تعودهم التمدين و القصور على البداوة و الترحال و الغنيمة من الغزو هذا الغزو الهلالي امكن من ايجاد وحدة شعورية للبربر لمحاربة العدو الخارجي الاثني القادم من اليمن و الحبشة²، و هكذا كان الحال حتى ظهور المرابطين للمتونيين الصنهاجين اهل اللثام الذين انتفضوا ازاء العقيدة الخاطئة المنتشرة في بلاد المغرب فقد كانوا اول الامر رجال مصلحين اقدموا على بناء مجتمع ممد لبناء الدولة الاصلاحية على نحو يزيل العقائد المتجددة الخاطئة بدعوة وجاج بن زلو اللمي³ الاصلاحية لعودة المذهب المالكي و شيوعه في بلاد المغرب بعد الدعوة المهدية الاسماعيلية و لم تغلق على الجانب الاصلاحى فتكلفت بنشر الاسلام في دول الساحل الافريقي و يعود فضل المتونيين في ادخال نظم الاسلام و التعريب الى موريتانيا و ما تلاها من بلاد السودان الغربي و مدينة ازوكي الموريتانيا المركز الذي اتجهت منه هاته الدعوة و لو انها لقيت رفضاً من قبل الموحدن المتأخرين ، و في فترة شغل عبد الله ابن ياسين لزام الدعوة تكلف بإنشاء الرابطة الاتحادية بين قبائل الصنهاجية الثلاثة لمتونة ، مصوفة ، و جودالة تحت قيادة ابن يحيى و كان المسعى الاساسي هو اضعاف الجبهة الغربية بسيطرة على الطريق التجارية الرابطة بين زناتة العدو التقليدي لصنهاجية و السننكي

¹ تكونت الدولة الفاطمية بدعوة المهدي الإسعيلي المذهب المنقسم في المشرق و توالي الهجات العباسية المركزية على اجتثاث هذا المذهب الصاعد المنافس مما دفع المهدي للمغرب و نشر دعوته هناك و قبول كرامة و من بعدهم ال زير الصنهاجين : محمد السهيل طقوس ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر و الشام ، ط2 ، بيروت : دار الفانس للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007 ، ص- 218-74

² جورج مارسيسه ، بلاد المغرب و علاقتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، تر: محمود عبد الصمد هيكل ، الاسكندرية : مطبعة الاشهار للطباعة الاوفست ، 1999 ، ص-ص 230-231

³ Kevin Shillington , **Encyclopedia of African History** ,Volume 3 , United state : library of congress cataloging-in-publication data , 2005 , p734

المواجهين بغينيا و السودان الغربية (انما الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوة ، و الرئاسة تكون في العصبية الغالبة) ، ثم بدا توسعهم بعد موت ابن ياسين ، بقيادة ابو بكر بن عمر الممتوني المعتمد على التقارب الصحري بين القبائل المتحالفة و يوسف بن تاشفين بعده¹ و تمكنوا من شغل مساحة لا باس بها في الاراضي المغربية و بتوالي العهود المتعاقبة بدأت دولتهم تتلاشى وفق المنطق الدولي الخلدوني و كل دول المغرب كانت بهذا الشكل الهيكلي من الولادة حتى التهرم و على انقاضها يظهر الشكل الجديد او الدولة المستجدة² .

تداعت قوة الحمادين فانفتحت جبهات الحروب المتعددة التي انهكت قوها في المركز و الاطراف ، النرمانديون في الشمال (صقلية) بنو هلال و ال زير في الجنوب و في الغرب و المرابطين قبل ذلك جنوبا³ ، و اما الغرب فكان هناك صعود لقبيلة برغواطة المصمودية التي كانت شبه مستقلة عن النتائج الدولية الدورية و تميزت بتعاليمها الخارجة عن الاسلام⁴ ، بلغت اوجها بقيادة طريف ابن شمعون⁵ و في الجنوب نمت دولة جديدة عصبوية القبيل المصمودي من هرغة الساكنة ببلاد سوس (المغرب الاقصى) اشرف فروع عشيرة مصمودة⁶ و استقوت بالأدلة الدينية لدعوة المهدي المنتظر

¹ عبد الكريم الفيالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ط1 ، ج2 ، القاهرة: شركة ناس للطباعة ، 2006 ، ص-ص 313-323
² الدولة المستجدة / الدولة المستقرة هاته الثنائية تبرز العلاقة بين الدولة المركز و الجماعة التي تحاول النشوء بدعوة او عصبية هامشية ، في غياب السيطرة المركزية الفعلية للدولة المستقرة هاته الدولة المستجدة تحاول البروز بالمطالبة (حروب الاستنزاف بالمعنى الحالي كجنوب السودان حتى استقلاله ، الحوثيين و حروبهم في اليمن ، دعش و المنظمات الارهابية عموما) ، هذا النوع بخلاف المناجزة (الحرب الشاملة) لا يحصل بشكل مباشر face to face بل يكون على فترات (حروب سجال تتكور) حتى سقوط المركز او تراجعها :

ابن خلدون ، مرجع سابق ، ج1 ، ص ص 372-375
³ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، المنصورة : دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، 2002 ، ص ص 201-202

⁴ لقد كان هذا الصعود هرطوقيا بارزا في محاولة الادعاء النبوي (البكري بن طريف) و انه تلقى قرانا من الله باللغة البربرية للمزيد راجع :

محمد طالب / ابراهيم العبيدي ، البرغواطيون في المغرب ، ط1 ، البار البيضاء: تانسيفت ، 1999 ، ص 50
⁵ سحر السيد عبد العزيز سالم ، من جديد حول برغواطة: هراطقة المغرب في العصر الاسلامي ، الاسكندرية : شباب الجامعة ، 1993 ، ص ص 12-26

⁶ حسين خضيري احمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ط1 ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ص ص 88-89

التي كونها ابن تومرت و النافية للتوجه العقائدي للمرابطين و تكفيرهم¹ و اختير عبد المؤمن بن علي كأمر لها ، و كجربة اولية يتوحد داخلها الكل المغاربي و الاندلسي في هيكلية واحدة² و هذا الامر جديد و بالغ الاهمية حيث ان الالتحامية كانت قوية على خلاف الفاطميين فقد كانوا اهلا غرباء عن المغرب حتى و ان تحققت لهم العصبية الدينية فلم تكن كرامة التحاميه في ذاتها و كانت في الاغلب الثورات تنشب من داخلها بقرب طائفة من الفاطميين دون اخرى ما خلق تنافسيا كآما/كآما سيكون سببا في تحطيم عصبية هاته القبيلة و تراجعها على الساحة المغاربية.

و مازالت الدولة قائمة حتى موقعة حصن العقاب في 1214م بالاندلس التي انتهى بها نفوذ الموحدين في عهد الناصر الذي تراجع نحو مراکش حتى موته وخلفه امراء ضعيفو النفوذ العصبوي الذي نمت في عهدهم³ الاسر الموازية لقوة المركز و نمت الحركات الانفصالية الثلاثية الحفصية/بني حفص، الزاينية / بني عبد الواد وبنو الزين، المرينية / بنو مرين وبنو وطاس⁴، و هم جميعا بطون زناتة الطبقة الثانية ، فالطبقة الاول هم زناتة بربر اللغة المكونين للمقاومة الاولى بقيادة الكاهنة⁵ ، واما هاته الطبقة الثانية فإنها تبعت بني هلال في اللغة و النمط العربي لأنها ببساطة انهكت تماما عبر غزوات الازدواجية من ال الزير و الكتامين و بالتالي اهتمت بالهلاليين و ما تبقى منهم كان في بلاد السببية في المغرب الأقصى و أكثر العرب الحاليين بالمغرب هم من بين هاته الفروع الثلاثة الذين

¹ لقد كان كتابه التالي بمثابة الشارح للعقيدة المهدوية للدولة التي ستقوم باسم الموحدين (من التوحيد و ليس الموحدين من الفرقة الموحدة الموجودة في الشام):

محمد بن تومرت ، اعز ما يطلب ، الرباط : مؤسسة الغني للنشر ، ص ص 20-21

² عبد الكريم الفيلاي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ط1 ، ج3 ، القاهرة : شرة ناس ، 2006 ، ص ص 7-33

³ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، المغرب: دار الفرجاني للنشر و التوزيع ، 1994 ، ص ص 265-273

⁴ هاته القوى كانت تغالب المركز كنوع من المدافعة التي تحولت الى مناخرة كما تحدثنا عنها ، و الغزو الخارجي لمناطقها اكسبها وحدة شعورية كضرورة التحاميه ازاء الخطر الخارجي هذا نراه مثال عند ارنست كالفويا و الوحدة القبلية كما ذكرنا ، و المميز كذلك هو سبب العداوة البيئية (مرأة) ، اي بين هاته القوى البدوية الصاعدة بني مرين و بيني عبد الواد الذي كان مثلا على الاستكانة الحقيقية :

علي ابن زرع الفاسي ، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية ، العاصمة: مطبعة جول كرونيل ، 1920 ، ص ص 26-29

⁵ و لا يعرف لهم مركز واحد سواء الطبقة الاولى او الثانية فهي قبائل رعوية تنشط بالريف الجبلي ، و الصحراء :

ابن خلدون ، مرجع سابق ، ج7 ، ص ص 101-12

استفردوا بأقاليم بلاد المغرب لضعف قوة القبائل التقليدية ، عموماً لماذا ؟ لأننا نعتقد انه كان انقسام واضح للعصبيات الكثامية بتقويتها عبر مصر و المغرب¹ عدا زواوة التي كانت تموضع بين جبال بجاية و تدلس و زواغة ما بين قسنطينة و طرابلس و مكناسة بالمغرب الاقصى المختلفة التموضع و باقي البطون الكثامية المتبقية كسدويكش و بني ثابت وهم جميعاً من البتر و كذا لإقحامها في حروب الدفاع الفاطمية و تغليب ال الزير الصنهاجين عليهم الذين انقسموا بين ال الزير و الحماديين الطبقة الاولى من صنهاجة و المرابطين قبائل الملثمين الطبقة الثانية و وقع الخصام بين هاته الفروع كما اشرنا و فروع المرابطين داخليا و اختلاطهم كلياً ببني حسان قبائل المعقل (الهلاليين) و القبائل العربية الاخرى ذات الوجود الهامشي و من ضمن مخرجات هذا الاختلاط العرقي تحولت لغة اللتوميين و باقي صنهاجة الطبقة الثانية من البربرية الى الحسانية التي تنبسط على كامل الايكولوجيا الموريتانيا و بلاد السودان الغربي و ليبيا و تميزت هاته التركيبة سوسيو-تاريخية بالاتشارية الاجتماعية للنمط البدوي التي عرفته المنطقة التي تسمى بمنطقة الساحل الافريقي الان و العرب الفاتحين تشلحوا بدورهم ضمن العلاقات البينية التي ستتداخل باللغة الحسانية و الزناكة² و كذلك تحول الرباطات و التي كانت امكنة للعبادة و كمنظمة للدفاع عن المذهب المالكي ضد الفرق الموجودة في المجال المغاربي كالصفرية و الإباضية و الاسماعيلية و تقدمت لتكون محل العبئة الجندية الى تاج جديد بعد صعود المد الصوفي هذا المد الصوفي الذي كان يمثل الرجل ذو الكرامات و المتعبد الزاهد في زاويته (محل النسك) جعل الجمهور يلتف حوله رمزياً كرجل صالح حل محل شيخ القبيلة كمنط زعامي معوض³، و كذلك التقسيم البديل للملثمين الجدد التوارق المكونين من

¹ لقد لجأ العبيديون الى استخدام الاتراك المملوكية للقضاء على الهيمنة الفعلية للكثامين ما ادى بعد فترة طويلة الى انقلاب الاتراك المملوكية على الكثامين و طردهم من مصر :

الهادي روجي ادريس ، الدولة الصنهاجية : تاريخ افريقية في عهدين الزيري من القرن 10 الى 12 م ، تر: حمادي ساحلي، ج 1 ، ط 1 ، بيروت: دار الغرب الاسلامي ، 1992، ص 203

² محمد المختار ولد اباه ، الشعر و الشعراء في موريتانيا ، ط2، الرباط: دار الامان ، 2003 ، ص ص 15-16

³ للمزيد راجع :

موصوفة التي كونت الدولة التارقية لفترة من الزمن و عاصمتها تومباكتو، بعد سلسلة الحروب مع السونغاي و السوسو و سراغلة في المناطق الواقعة بين النيجر المائي موريتانيا و سينغال و غانا، المميز قيام الاستقلال النسبي لمالي جنوبا بقيادة منسى موسى المنشق عن امبراطورية سونغاي الممثل للسودان المسلمين¹، و المصمودين بدورهم انقسموا بين الاندلس و المغرب بين قبائل هرغة قبيلة تومرت الاصلية و تليها في القوة هنتاة، و كدميوه قبيلة عبد المؤمن و تينملل وريكسه التي كانت في صراع دائم و هنتاة² و هاته القبائل مجملا كانت تشكل الدولة في اولها مضمرة الرؤية الضيقة في العهد الاول الزعامي و بتراتب الحقب العهد الثاني و الثالث تنامت الحالة التنافسية للاستظهار و الاستحواذ على المركز لكن المهم هو ان العصبية كانت متكافئة و هكذا تراجعت العصبية الموضوعية و جرى بين هاته المكونات صراع جناحي لمحاولة التغلب و التسيد على الامر و نعي تماما مدى تغليبهم العصبية الجانبية للزناتين كثقة بالقبيل كحال الحفصيين³ بعد تداعي الدولة و الاستقواء بهم، مما مكن هاته القوى الصاعدة من التغلب على المجال العام لبلاد المغرب و العودة نحو الانقسام.

ان التغير الاجتماعي و السياسي الواضح بعد زوال الموحدين هو ان العصبية خفت حتى اتقنت و حلت محلها علاقات اجتماعية ثنائية الشيخ / المرید ، كونت المؤسسة الاجتماعية البديلة (الزاوية) البارزة صوريا في العهد المرابطي، فالمرابط يعني الرجل التابع للزاوية على عكس المدلول الاساسي للكلمة التي تقرب لمعنى الجهاد، و ستشرف على عمليات التوازنات و توريث الزعامات و التأهيل الاجتماعي و الاسس التعاقدية بين الشيخ و الاتباع كعلاقة مقدسة تضم

ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ط 1 ، البار البيضاء : دار الرشاد الحديثة ، 2000 ، ص ص 174-184

¹ Nacer eddine , *chroniques de la Mauritanie sénégalaise* , paris : Ernest Leroux ,1911 , p-p 5-7

² ابن خلدون، مرجع سابق، ج 6، ص ص 265-366

³ كتولية المستنصر لأبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ محمد ابي حفص على افريقية / تونس و ليبيا : الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، ط 2، تونس : المكتبة العتيقة ، ص ص 18-19

الاستيلاء و تبرز الولاء الرمزي للولي او المولى ، اي الانتقال من وضع القبيلة كعصية الى وضع الزاوية كمقدس لا يؤلف تاجا خلدونيا فالعامل الديني لا يقوم بدون عصية و انما القيام بالاختلاق الميثولوجي المربوط بالنسق الاجتماعي العام المسيطر على التخيل الاجتماعي و كمنتجات هذا المجتمع تنشئ علاقات الازعان و الطاعة ، و السيطرة بالتأبوكحد و كأننا اعلى sur-moi الموضوع امام تحركات الوعي الاناتي ككوع من الضبط الاجتماعي من خلال القيم العلوية للزاوية ، هذا كان له الدور لتمهيد المرحلة الثانية مرحلة السيطرة الاسبانية ، البرتغاليين الهامشية / الاتراك / و الاشرف السعديين و العلويين خلفهم¹.

الكولونيالية المبكرة و مرحلة الاستعمار الرعوي التركي : بعد عملية الاستكانة التي حلت ببلاد المغرب ببروز الدروشة و الانحلال الاجتماعي و الثقافي و تراجع الدور الاندلسي الحمائي لبلاد المغرب بسقوطه في لامواجهة و الاحتماء و ضعف العصية، تمكن الاسبان من التقدم بعد تنامي القوة القشتالية و الانسحابية الإسلامية² التي مكنت قشتالة من التمدد و بناء اسطول قوي و تحطيم القوى الانفصالية في شمال المغرب و دفعهم الى التراجع نحو المناطق الداخلية ، لقد كانت القوى الانفصالية شديدة الخصومة و الاغارات التبادلية بالرغم من الوهنية العامة البادية على بلاد المغرب ، لقد اهتزت المجال الدولي العام و لم تتمكن القوى الانفصالية من الذود عن المناطق المسلوبة الا بطلب من القوة المتنامية التركية الرعوية العسكرية التي حققت تقدما هاما في اوروبا و اسيا و ما ذكرنا في الفصل الاول عن اصل هاته القوة و بدايتها ، عموما تمكنت من بسط نفوذها على كامل الشريط الساحلي لشمال افريقيا، فالأهالي كانوا بين خيارين اما القبول :

¹ ابن الاحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ط1، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية ، 2001، ص 8
² لقد ذكر السيد ابو قاسم سعد الله ان حتى العلوم الشرعية تراجعت تراجعا حادا مقتصرة على التقليد و الاتباع و الحفظ و تعطيل باب الاجتهاد ، وهكذا باب التفسير كذلك و باقي العلوم التاريخية و الاجتماعية و الفنية فاقصرت على التصوف و الزهد:
ابو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي: 1830-1500 ، ج2، ط1، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1998، صص9-12

• بالاعتداء الخارجي ذو الصبغة الدينية (الصليبيون) المنافس للبنية
الاصلية الاسبانية البرتغالي.

• او الاعتداء الخارجي ذو الصبغة الدينية (المسلمون) المماثل للبنية
الاصلية الاثراك.¹

وللزوم فان البنية الاصلية قبلت الخيار التقاربي (التركي) املا منها في الحماية، هاته البنية
الاصلية المكونة عبر فترات من الصراع و التمازج و التأثير و التأثر من الماضي و الحاضر كونت هوية
مغاربة بالرغم من الانقسامية الشكلية فقد كان صعود الزوايا بمثابة شكل من اشكال الضم
المختلف عن البنية القبلية فعلية الضم الزاوياتي كانت اوسع من الاحتواء القبلي ن قأسيس
القاعدي للزاوية اعتمد ثلاثة ميكانيزمات (1) النسب الشريف (سواء النسب المباشر - اولاد
المباشرين / بني العمومة ، او الاقتراب النسبي - اولاد الاخوال -) ، و (2) وجود قبائل بعيدة عن
المركز المهترئ (وعادة ما تكون بلاد السببية بيئة مساهمة) (3) و العلم الديني (الطريقة الصوفية التي
كانت تتبع التقشف و العزلة)² ، كونت الزاوية كاطار جمعي اتمائي غير انتاجي يضم الخطوط
التابعة فلم تكن بعمليات النسب بل كانت بحسب الوظيفة (الموظفين-التلامذة - المريدين)³ ، هاته

¹ لاشك ان كلا الدولتان ورثت الجانب الروحي للمركب الكلي الاسلامي / المسيحي من الكل المكون لهاته الجماعة و كان دافعا لتوسعاتها و تعاطف
مسلمي بلاد المغرب مع الجماعة الاندلسية التي تشاركهم نفس المركب الجمعي الاسلامي و كدافع للبحث عن قوة متكافئة (كانت محاولات الاستغاثة
الاولى متجهة الى مصر المملوكية ، و الاسبانية (فرناندو و ايزابيلا) ، كانت القوة الرعوية التركية (في عهد بايزيد الاول) اساس الاستغاثة:
عبد الجليل التميمي ، **الدولة العثمانية و قضية المورسكين الاندلسيين** ، ط1 ، باريس: مطبعة باريس ، 1989 ، ص ص 67-68.
حول محاكم التفتيش التي انشئت بدافع الترحيل الديني القصري الممنهج للقضاء على التواجد الاسلامي في الاندلس راجع :
محمد رزوق ، **الاندلسيون و هجرتهم الى المغرب: خلال القرنين 16-17** ، ط3 ، (الدار البيضاء: افريقيا الشرق) ، 1998 ، ص ص 61-65

² و نوافق السيدة رحمة بورقية حول تساءلها ، اليست هاته الميكانيزمات نفسها التأسيسية للمخزن العلوي ككل ؟ انه الى حد مشابه الوضعية نفسها
(النسب الشريف - مولاي بن شريف/ التضامن القبلي و اهتراء المركز السعدي / العلم و قد استفادة من العلماء للسيطرة على الخيال الرمزي
الاجتماعي و ابراز الشرعية) لقد كانت الزاوية مؤسسة مصغرة عن المخزن في المجال السياسي المغرب العام :
رحمة بورقية، **الدولة و السلطة و المجتمع : دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب** ، ط1 ، (بيروت: دار الطليعة للطباعة و
النشر) ، 1991 ، ص 33

³ يجب ان نشير الى ان الزاوية بالمعنى المبرني (كان يشرف المرز على تشكيلها كدار للمبيت و الضيافة) كزاوية النساك بسلا (الغير بعيدة عن
الرباط) لا تتشابه في النسق الزاوياتي الذي ظهر في العهود المتأخرة كالسعيدية و العلوية بوجه خاص:

الوظيفية الانتمائية توسعت بصيغ فريدة كانت قادرة و نعتقد ذلك على التوسع و المزاوجة بين الاقطار المنقسمة و خاصة المغرب و الجزائر و موريتانيا و الجهة الجنوبية لليبيا و لمالي و النيجر كيجانية او القادرية او الناصرية لو تركت كقطورية تواصلية بين الأنساق التابعة للنسق الكلي للزاوية الاصل اي كعوع من التضامنيات الداخلية فحتما ستألف كبنية اكثر شمولا عما هي عليه الان كحويطات او اربطة حازمية غالبا ما تردد اسم الوي نفسه، سنظهر هنا بمظهر متناقض مع ما تقدمنا به سابقا ، و نعني ان الزاوية حادت عن المسار التأسيسي الاولي فأصبحت من كل جمعي الى علاقة دسائسية بحكم الشخصنة الهرمية للفقيه و اغتراب الميردين¹ كعوع من الوصاية في هذا المجال الزاوياتي و التحكم الخارجي اي خارج هذا الاطار حيث جرى تسييسها لشرعنة الحكم و مركزة النظام السياسي اي تحولت بصورة فصلية من الزاوية الى الكنيسة - اكليروس كجماعة تسييرية تضم الاسر او الجماعات الزميرية ذات النفوذ و يكون فيها الشيخ او المولى ك مقدس و منصبه وراثيا او بالانتخاب من قبل الاكليروس الزاوياتي ، تناوبت المحاولات المتكررة للسيطرة على هذا المجال من قبل الاتراك ، قبلها كانت العلاقة استمالية كتحريير ليبيا من التوسع التبشيري لفرسان القديس يوحنا و تأسيس الاسرة القرمانية و في تونس بسلسلة الهجمات التركية المدعومه من الاهالي - الاسبانية و التواطؤ الحفصي الداعم لشركان² و الجزائر بعد التحرير الجزئي للسواحل و الذي له دلالة توطيده لفرضيتان هاته بتلقيب هاته النزعة بالاستدمارية التركية فان كان التحرير هو الهدف فلماذا الفارق بين تحرير السواحل و المرسى الكبير قرابة الحوالي 300 عام ؟ نظن ان السبب راجع للاكتفاء بالسواحل و المناطق الداخلية و كذا الاهتمام البالغ بالمركز و اقتصاد الغنيمة لان القوة

ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 2 ، ط 1 ، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة ، 2000 ، ص 138

¹ كرواية التي خصت المؤسس الاول للدولة السعدية ، بان ديكا طار و نزل على راس محمد الشيخ و صرخ مرتين او ثلاث فنادى الفقيه (رجل صالح من اهل القرية او شيخ الزاوية و نعتقد انه ذو مكانة لا يمكن لرجل حتى و ان كان صالحا ان تسمع كلمته ان لم يكن له نفوذ من نوع ما) ان محمد الشيخ و اخوه احمد الاعرج سيكون لهم حكم بلاد المغرب :

مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة السعدية التكميلية ، ط 1 ، مراكش : درا تينبل للطباعة و النشر ، 1994 ، ص 12

² محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي : العهد العثماني ، ج 8 ، ط 2 ، بيروت: المكتب الاسلامي ، 1991 ، ص 517-523

الاسبانية في المرسى لم تكن بتلك القوة التي تقوض التقدم التركي¹، وتحوّلت بعد فترة من التمكين التركي الى الاستبداد و العنف المواجهاتي الامر الذي غير من الوجهة البنينة الى المواجهة الزويائية- التركية انفرجت احيانا الى علاقة غيرية تحررية كأحداث الثورة التيجانية 1785² او الدرقاوية³ و تقدمت حتى الى الأدلجة التكفيرية كفتوى السلطان بني جلاب التقرتي⁴ لكن لم ترقى الى ان تكون بتلك الصدامية التي كانت عليها الثورات العربي في المشرق لأنها كانت تفتقر لعامل التوقيت الحاسم (كالحرب العالمية الاولى و دخول القبائل العربية المشرقية لجانب الانجليز) و الدعم الخارجي فقد كان هامشيا كدعم المخزن العلوي المغربي للزوايا ضد النظام التركي . و الى المغرب فقد انقسم بين القوى الزاويتية الصاعدة المتنافسة فيما كالوطاسيين و دعم الاتراك لهم الخيار الغير استراتيجي التي وتر العلاقات بين مغرب ما بعد الوطاسيين ، فقد تمكن السعديون الاشراف (النسب العلوي) الصاعدون من التقدم و اسقاط الوطاسيين ، و لاشك ان المميز لهته الحقبة السعدية هو انتصار معركة واد المخازن في 3 اوت 1575 بقيادة عبد الله السعدي على البرتغاليين و تلتها الاصلاحات المهمة التي قام بها المنصور لتوطيد اركان الدولة السعدية كالجيش و الفتوحات الاقليمية في الشمال و الجنوب كإمارة تومباكووا او امارة سونغاي و جنوبا فالقوى الموريتانية الحسانية (بقايا عرب المعقل او بنو هلال) خاضت حروبا بينية مريرة عرفت بشرب، للزعامة الجالية اي بالمواجهة ضد

¹ و كذلك ما نبه عليه هو وصل التواجد التركي بتكوين الدولة الجزائرية ، لكن معاهدة الاستسلام التركي بعد موقعة حصن الجزائر اظهرت الكثير من عيوب هذا التمازج الوهمي :

توفيق مدني ، حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر و اسبانيا،

² لا يمكننا انكار ان في هاته الفترة علماء مؤرخين امثال ابن سخنون الراشدي لكن جلهم كان يستال داخل البلاط السلطاني كأحمد بن هطال التلمساني :

ودان بوعقالة، الثورة الفرنسية الكبرى عند علماء معسكر ابن سخنون نموذجاً ، في عبيد بوداود ، معسكر: المجتمع و التاريخ ، سيدي بلعباس : مكتبة الرشد للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1، 2004 ، ص35

³ لقد حاولت الثورة الدرقاوية بقيادة العربي الدرقاوي ان تجد تحالفا عقديا مع مولاي سليمان المتأثر فكريا بالحركة الوهابية لكن كل محاولاتها باءت بالفشل رغم التقدم النسبي ضد الاتراك و الكراغلة الامر الذي كان سيسهل خطورة الى النظام العلوي القائم من درقاوة الداخل المغربي:

عبد الكريم فيلالي ، تاريخ المغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، القاهرة : شركة ناس للطباعة ، 2006 ، ص ص 17-21

⁴ لبصير سعاد ، دوافع الهجرة الدينية و العلمية من الجزائر في العهد العثماني 1830/1516 ، في كمال فيلالي ، سوسيولوجية الهجرة في تاريخ الماضي والحاضر ، اعمال الملتقى الاول ماي 2008 ، قسنطينة: الكسندر ، 2009 ، ص 59

الزوايا الصنهاجية الداعمة لبعث الفكر المرابطي بقيادة ناصر الدين (مؤسس الزاوية الشمشامية في موريتانيا، ابي بر بن الابهيم الابهيمي الشمشوي) وكمخرجات لهاذا التصادم قيام أمارتي الترارزة و البراكمة هذا النمط كان زعاميا بالغلبة العسكرية و اخضاع القبائل الاخرى المنافسة و الاستفادة من الامتيازات كمياه الابار و مناطق الرعي ، و القبيلة هنا ليست بمعناها القروسطي المبني على الصيغة العصبية بل تغيرت نحو نمط اتشاري متداخل بالزوايا¹ و الجنوب عموما عرف حركة واسعة في التأسيسيات للزوايات الكبرى كلقادرية و الشاذلية المتأثرة بتعاليم الولي محمد بن سليمان الجزولي المنتشرة بدعوات تلميذه احمد ابو دنانة ، التي امتدت من خلال الهجرات من السودان الشرقي نحو مالي و موريتانيا و المنطقة الجنوبية للمغرب الأقصى ، هاته القوى المنافسة للتقدم المخزني شمالا و المتحالفة مع الامرات الجنوبية السودانية التي تأثرت بتوجهات الصوفية كمملكة سونغاي و فوجي شكلت تحد هام للدولة المخزنية المغربية و متأثرا فكريا و عقائديا مستحدثا قائم على اساس الاخوانيات²، الى جانب ذلك كان التنافس السعدي مع القوى الهامشية كدلائين بنفاس و الشيوخ (الامغارات) كأبو حسون بإقليم السوس و كروم الحاج بمراكش و المقدم الخيضر عيلان و اعراس بمنطقة الريف خاصة بعد موت المنصور و تقسيم تركه الدولية على بنيه، و القوى المتحالفة الاسبانية و البرتغالية شكلت تحديدا بالغا و لوان التحالف كان مع القوى الداخلية كطلبات ابن المنصور المأمون للنصرة على اخوته³ و لم تتقدم بعد ذلك الدولة السعدية بامتداد واسع الا بالحيز

¹ محمد فاضل و لد احمد ، (المدخ الديني في الشعر الموريتاني الفصح : النشأة و مراحل التطور) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة ام درمان : السودان ، 2010 ، ص ص 16-18

² Nile Green , **Sufism: A Global History** , Oxford : mile green , 2012 , p-p 152-154

³ ونسب السعديين ممتد منذ قدوم اسماعيل الاول الى المغرب كما تقدمنا، (محمد بن المهدي بن محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد المدعو بابي عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن الحسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة بنت النبي محمد) :

عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم ، ج 8 ، المحمدية : مطابع الفاضلة ، 1988 ، ص ص 7-12

الحيط بإقليم فاس هذا المعطي الانتقاصي هو ما غذى الاقاليم المحاذية للحيز وتمكنها من الصعود¹، و التفكك المتواصل ادى الى ظهور الجماعة العلوية بقيادة المولى محمد بن الشريف ، الوارثة لتمام النسق السعدي فهم كذلك ينسبون للأشراف السعديين و الادارسة هاته القيادة الزعامية المعززة بالتصور الميثولوجي كشرعية الشرفة السلالية² نظمت الوحدة الجمعية و استندت على الحملات التحريرية للقضاء على التقدم الجنوبي لمملكة كاغو وكذلك ابراز العداوة للأتراك الاجانب و قد اختلفت فترات التهدة و التناوش كمرحلة مولاي الرشيد بن الشريف التي اتسمت بالهدوء بعد تحديد الحدود بوادي التافنة كفاصل بين القطرين و كذلك التقدم العلوي الاخضاعى المنافسين قيما (الزاوية تدعي النسب الشريف كذلك) و مجاليا (السيطرة على المجالات الحيوية للمخزن كاطرق التجارية و الاراضي الزراعية) ضد الانفصاليين كأصحاب كحركة ايت عياش و الزاوية البكرية و الزاوية الدلائية المتمركزة في فاس و الذين عرفوا بولائم لأهالي تلمسان و كانت دائما البيئية الجزائرية عامل مساعد على انسحاب الحركات الانفصالية المغلوبة³، لذلك لا نعلم من اين اتت مقولة ان تلمسان وطن مغاربي لقد كانت المبايعة التلمسانية سوى محدودة فرديا و وقتيا نعني ان المبايعة كانت تأتي في ظروف العدوان او الضعف او المغالبة ككوع من الالتحامية و تواصلت العلاقات التركية- العلوية في عهد مولاي سليمان - الذي عرف بغزواته الامتدادية الترفية " اقتصاد الغزو"- بين التهدة و الاستمالة و محاولة الدخول في الحلف الفرنسي-التركي ضد اسبانيا و النمسا ، و

¹ Elias N. Saad , **Social History of Timbuktu: The Role of Muslim Scholars and Notables 1400-1900** , United Kingdom : Cambridge University Press , p 193

² و هاته التوليفة استفاد منها المغرب في التواصل المركزي السلطوي للعائلة المشكلة للرمز الوحدوي للمملكة المغربية هذا المنظور التقليدي للسلطة سيحدث (التحديث) بالحماية الفرنسية:

Sami Bargoui and Hassan remaoun , **Savoirs historiques au Maghreb: construction et usages** , centre de recherche en anthropologie social et culturelle , 2006 , p 306

³ حول مولاي الرشيد بن الشريف و الزاوية الدلائية راجع :

ابن زيدون ، تحاف اعلام الناس بجمال اخبار مكناس ، ج3 ، ط1 ، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية) ، 2008 ، ص ص 41-73

استمرت العلاقة في عهد مولاي محمد الثالث و مولاي سليمان¹ الذي تميزت في فترته النمط الانغلاقي لإعادة تكوين الداخل و النمط الانفتاحي كمحتم و ضرورة بالتقاربات الفرنسية - الانجليزية كالمعاهدة التجارية في 1856 بين العلويين و المجلتر².

و في فترة الحكم السلیماني الشرفوي ادخلت اصلاحات عقائدية واسعة ككسر روتيني للتوسع الزاوياتي و تأثرية بالموجة الوهابية في المشرق العربي التي كانت توافد و الحجيج و المراسلات المبعوثية من السعود عبد العزيز لتبني الفكرية السلفية الوهابية ، هذا التبني خلق الثنائية السلفية / الصوفية ذات الدلالات المعنوية النافية (ككبارات السلفية التي لا تزال تردد في اوتنا الاخيرة كالشرك الصوفي و عبادة الاولياء) لكن لم تتطور الى ابعده من ذلك فالقوة الزاوية كانت نظم القبائل البربرية المتحالفة مع الزوايا التي لم يقدر المخزن على التحكم بها و سجل استقالته التقيضية للزوايا الشرقية و الطيبية، و الدرقاوية التي كانت تشكل منافسة حقيقية للمركز³ ، لذلك لم يخاطر المولاي سليمان للصدام و هاته القوى التي لم تكن مقصورة على الجانب العقائدي و ان كان العامل الالهام المؤثر على المخيال الاجتماعي ، لكنها كانت تضم الى جانب ذلك قوى منافسة كسب و لاثها المخزن بإيعاز زاوياتي كنوع من العقد الاجتماعي بين السلطان و القبائل التي تتمركز بينهما الجماعات الوسيطة الممثلة بالزاوية كوظيفة تجميعية و رمزية.

¹ و يتقابل نسب العلويين مع السعديين في اسماعيل الذي اشرنا اليه و يفترون في العمومة القاسم / احمد بالجد محمد بن ابي القاسم ، (مولاي الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفات بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بن احمد بن اسماعيل و بن القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب و فاطمة بنت النبي محمد) :

عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم ، ج9، المحمدية : مطابع فاضلة ، 1988، ص ص 9-47

² عبد المنعم الجميبي ، الدولة العثمانية و المغرب العربي ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 2007 ، ص 63

³ الزاوية تحولت الى حتمية على الريجم السلطوي عدم اهلها و تقبلها للدور التبكيبي الذي تقوم به و احتواء المنافسة، و ابعده من ذلك و كإصاف للزاوية فالحركات السلفية على طول امتدادها في الاغلب كانت اصلاحية لم تقاوم المستعمر ثوريا بحجة تربية المجتمع هذا في دول المغرب ماذا لو اخذنا الحديث الى دول الخليج فهي خدمة المساعي الكولونيالية أكثر مما قاومتها:

هاته القوة التي لم تختلف بتاتا عن الاسرية الاموية و تغليب النسب القرشي ، فالأترك انغلقوا بصيغة نفى الغير و لم تكن كصيغة وحدوية كما سنبين لاحقا ، لأنها وضعت استراتيجية التفكيك الباتريمونيا لية patrimonial segment او اعادة التوزيع الباتريمونيا لى patrimonial redistributive للعامل الايكو-سوسيوولوجي للمكان/الجماعة كمجالات دائرية (الدولة المخزنية كمرکز ، الامتدادات كخط ثاني او الجماعات التابعة ، شبه سبية ، السبية كمنطقة ثورية و مهملة) هذا التقسيم البنيوي يحول البنية الاصلية الواحدة الى بني تركيبية متغيرة تتعد عن المركز¹ و تحميه من التوغل القادم جنوبا او من الاطراف الامر الذي دفع البنية الاصلية للانعزال و الانطواء داخل اصفار انغلاقية تبادل داخليا المنفعة و تقتصر على مردودية اتاجية محدودة كالرعوي و الدخول اللاموقعي في بلاد السبية نتيجة القمع الاهلي و المصادرة و السياسات الجبائية لهذا النمط الاتاجي الغزوي و كان يشرف على هاته العملية الميزان الجهاز المخول بجمع هاته الاتاوات و الجهاز البيروقراطي المدني المفوض من قبل السلطان المسمى بالنيشانجي التابع للمركزية الشديدة للنظام العثماني (لم يختلف النمط التسييري عن النظام البيزنطي) الذي لم يكن يشرك الاجانب غير الاتراك في تسييره او كانت تمنح اقطاعات واسعة للعسكريين المقربين من الدائرة السلطانية كالسباهية بقوة التابو tapu (ليست الكلمة بمعناها الانثربولوجي) الذين اعفوا من الضرائب بقوة ذلك العقد و كان هذا العقد مفارقا عن القانون الاسلامي .

و هاته الكوربوراتية حاولوا التوسع على حساب العائلة فكونوا ما يسمى بنظام شوفليك المعوض لنظام التيمار و الفرق بينهما ان شوفليك مقرون بملاك الكبار للأراضي الذين كانت لهم نفود

¹ Huri Islamoglu-Inan , **The Ottoman Empire and the World-Economy** , United Kingdom : Cambridge University Press , 2004 , p 63

واسع في الريجيم النظامي السلطاني و الى جانب ذلك كان هناك الامام الحنفي التركي المفتي¹ الرسمي للإقليم التابع للمركز²، الاجحاف المستمر دفع الاهالي كرد فعل الى اتباع النمط الاتجاعي الرعوي المقصور على الزراعة التقليدية الريفية الجبلية او البداوة الرعوية كالماعز او الجمال، و حتى شبكة العلاقات التجارية تحددت بالعلاقة الارتباطية المبنية على اشراك العائلات اليهودية و اقتسام الغنائم البينية بين الداوي و هاته العائلات كبوخريص و بوشناق المحتكران لطرق التجارية في الجزائر و كذا علاقات العداوة الدورية لهته الجماعات الرعوية التركية التي كانت ترمى في الحرب خيارا استراتيجيا وحيث هذا المتغير ادى الى الانغلاقية الاقتصادية التي كدست الانتاج الداخلي بفلق الاسواق الخارجية المستوردة للمواد هاته³، و يمكننا فهم ان الاتراك لم يكونوا مهتمين بالجانب الدبلوماسي الى من حيث جزئه الحربي و الضميمي للمزيد من الامتدادات الجيوستراتيجية هاته الفاهمة التركية ادت لضعف السيولة الداعمة بدورها للجانب العسكري فقد انقسمت السلطنة العثمانية الى اقطار مستقلة كمحمد علي في مصر و الدايات في الجزائر و ظهور قوى منافسة صاعدة الصفوين شرقا ، القوى الانفصالية العربية ، روسيا القيصريّة شمالا ، الثورات اليونانية ، مملكة النمسا و اوروبا الغربية ما اضعف المركز التركي و انتفاء السلطنة بعد ثورة الشباب الاتراك 1909، كل ذلك مهد للمرحلة التالية 1830حتى 1912 التي ستحتوي فيها البني الاستعمارية بلاد المغرب ، ايطاليا / ليبيا ، فرنسا / تونس الجزائر المغرب موريتانيا ، المانيا اسبانيا انجلترا هامشيا في المغرب و الصحراء الغربية⁴ .

الكولونيالية الصاعدة و المجالات الانبعاثية الجديدة :

¹ الصراع التركي - الاهلي امتد حتى الجانب العقائدي كحداثة لفرض المذهب الحنفي على العامة و مطاردة علماء الافتناء المالكية و ماثلة على ذلك ما وقع في حق المفتي المالكي احمد و القاضي غلال ولدي العلامة سعيد بن ابراهيم قدورة بحبسها و قتلها على يد الداوي محمد بكداش :

ابن المفتي حسين بن رجب شاول ، تقييمات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها ، ط 1 ، العلة : بيت الحكمة ، 2009 ، ص 102

² Halil Inalcik , donald quataert , **An Economic and Social History of the Ottoman Empire 1300-1600**, Volume 1 , Cambridge University Press ,1994 ,p-p 103-110

³ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج 3 ، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية ، صص 312-313

⁴ Christian Bardot,Guillemette crouzet , fabien perrier , **Moyen-Orient et Maghreb** , pearson éducation France , 2010 , p-p 75-76

على عكس ما يدعيه البعض من المحافظين الاسلاميين ان الدولة العثمانية دولة جسدت معنى الخلافة الاسلامية و الوحدة¹ فلم تكن المنطقة المغربية الا منطقة جيو- استراتيجية كمورد اقتصادي و دافع حمائي في المتوسط للتقدم على حساب المناطق الاوربية الشرقية التي كانت تمثل مجال حيوي للقوة الرعوية التركية، و لم تمثل الا تمهيدا للمرحلة الكولونيالية الصاعدة من خلال الاستنزاف الثرواتي و تكريس الجهل و الالهال و الفوارق، انها مرحلة اخرت الكولونيالية فقط لأنها كونت معطى القابلية الاستعمارية الذي تكلم عنه مالك بن نبي ، لم تتأسس كمعطى دفاعي عن هاته البنية الاصلية التي مهدتها نحو الاستغراب و عملية البدئ الجمهوري الفعلي للعقل المستكين المتحول الى وعاء تفرغ فيه الافكار الغيرية و دليل ذلك ان القوة العسكرية التركية كانت مجندة لحماية المركز وفق علاقات المجاملة التنصيبية بين المركز و الدايات المفوضين /الهبات / رد الجميل ، هاته العلاقات الطردية و الواهية التي ستحدد مصير المنطقة المغاربية ارتبطت بمصير الحاشية الرعوية التي انتهت كدوائر صراعية كبروز محمد علي و التحول من الولاء الفعلي للسلطان المركزي الى كسبه استماليا لضعف المركز وكتيبان ضاهري مشاركة القوات التركية (الجزائر) في المعارك الإستردادية للمناطق اليونانية الثائرة المطالبة بالاستقلال (نافرين 1827) العثمانية / الاوربية التي انتهى بها محمد علي بمكاسب واسعة (مصر و سوريا بدعم روسي فرنسي) و اضعفت الجبهة البحرية المدافعة عن سواحل الجزائر و لا نعتقد الجزائر فقط بل بلاد المغرب كاملة فقد كانت القوة الوحيدة الموازية للتقدم الكولونيالي فبعدها بثالث سنوات فقط تم احتلال الجزائر² و حتى سرعة التوسع الكولونيالي

¹ يذكر ابو قاسم الزباني و هو معاصر لفترة حكم الاتراك انهم كانوا يكرهون من هو من غير عرقهم ، كنوع من النقيضة الاستعمارية التي ترى في الاخرين امتدادا استغلابيا و مثل الاسلام الأدلجة الرائجة لتلك التوجهات:

عبد الله قنون ، **ذكريات مشاهير المغرب** ، تطوان : مطبعة كرماديس ، ص ص 33-36

² ليس نوع من العدوى الوطنية لأنه و ببساطة تلك القوة لا تمثل الجزائر المجتمع باي طريقة و لم تمثل الدولة الجزائرية الحديثة، و تكلمنا عن ان القوة البحرية التركية المتواجدة في الجزائر كانت الوحيدة ، فصحيح هي الوحيدة التي يمكنها الدخول في معارك مباشرة لا كنوع من القرصنة كهوى المنطقة كالسعدين و الدولة الشرفية :

بسام العسلي ، **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي: 1830-1838**، ط2، دار النفائس ، 1987 ، ص ص 35-43

تحمل دلالات من نوع تأكيدي عن ما دافعنا عنه قبلاً¹، ولن نتكلم عن ما قد فعله الاستعمار فنحن هنا سندخل في جانب عقدي ذاتي فقد كان حقاً بشعاً و همجياً²، الا اننا نشير الى ان الكولونيالية كانت خصوصية الأنساق المختلفة بين المدينة كأرضية تمدينية و تجارية و تعليمية اتجت علاقة البيروقراطية الكولونيالية و المواطن الهامشي المشتركة في حدود معينة كالتعليم الكولونيالي، المشاركة البرلمانية و الريف كأرضية قروية و زراعية اقطاعية اتجت علاقة الكولون و الريفي و غالباً ما تكون بين الاقنان و القايد في المناطق الداخلية و بتالي بدا هناك التباين الخصوصي و عدم تداخل بين كلا النظامين ناهيك عن ان النمط الانتاج الكولونيالي لم يعد بالفائدة على البنية الاصلية لكن كان على عكس الاثراك فالتمدين الكولونيالي و مهما كان الغرض منه الا انه كون السكان الاصل و كون المنظومة التحديثة الغربية في المجال المغاربي كالأحزاب، البرلمان، الجيش، و نعتقد ان الاستعمار مهما كان نوعه حمائياً / استغلاليًا / اندماجياً فهو لاشك كون ما يسمي بالحركة الوطنية، بفعل الاتجاهات الصدامية بين المغاربة و الاستعمار عموماً فقد تكونت ثلاثة اتجاهات خطية للحركة الوطنية:

التوجه الثوري التحرري / التوجه السياسي المشاركوني / التوجه الاصلاحى السلفي.

التوجه الثوري التحريري : وقد كان هذا النمط صدامياً بنوع من المناجزة، اي الدخول في حروب المباشرة و هذا الشكل كان يعد انتحارياً في مواجهة جيش نظامي يمتلك المشاة المستحدثة و المدفعية امام وسائل تقليدية و بنية اصليّة لم تكن على دراية تامة بالحرب لعدم

¹ حتى قبائل الموالاتة لم تكن تشرك في الحروب الرسمية بل بالاقصاء على الحروب الجماعية من الامتداد السبيي، فبعد 20 يوم فقط تمكنت القوات الكولونيالية من التوسع في محيط الجزائر، لم يكن عن قوة فرنسية بل عن ضعف ادراكي للأهالي عن مضمون الحرب و الشكل المقاوماتي و حتى الدول المغاربية الباقية لم تظهر مقاومة قوية في الخطوط الامامية الاولي للسواحل او لم تدخل ابدا صدامياً و دائماً كانت السببية و الزاوية اساس المقاومة:

حمدي حافظ، محمود الشرفاوي، الجزائر بين الامس و الغد، القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر، ص ص 11-12

² سعدي بوزيان، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بيجو الى الجنرال اوسارس، بوزريعة: دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2005، ص -

اشراكها طيلة الحكم التركي في الخدمة العسكرية ، وهاته الحركة الثورية قد ساندتها الزوايا بشكل اساسي، كدعوة علي الخطابي السنوسي و إصلاحات محمد المهدي السنوسي التي اعتمدت على المدلول الاسلامي كحس جمعي و الزاوية كخلفية تجنيدية لان الزاوية كانت قاعدة تربية اصلاحية اساسية لدى الافراد وكذا الرباط التناسقي بين الزوايا المختلفة خادما معياريا لنمو الطريقة السنوسية و اتساع نطاق توجدها و ضمها لمختلف القوى في ليبيا وتوسعت هاته الحركة جنوبا نحو السودان الغربي و دخلت حرب بينية و التواجد الكولونيالي الفرنسي في تشاد ، بالإضافة الى ذلك اصطدمت بالأفكار التخومية كالثورة العراقية مصر و الدعوة المهديية في السودان ، و قد تبعه ولدة احمد الشريف بنفس النسق و دخل في خط المواجهة الاستعمارية مع التواجدين الايطالي في الشمال و الفرنسي في الجنوب و كانت هناك وضعيات دؤوبة للتنسيق الوجدوي بين القوى الثورية الفاعلة في تشاد كمحمد كاوصن السنوسي و اغالي المزاوغي (المزاوغة او قبيلة اكيكزن) و شعابنة تونس و توارق توات الجزائر و الفترة التالية بقيادة عابد السنوسي شهد دعما لقوى انفصالية من قبل المنشقين الاتراك المكونين لحزب تركيا الفتاة الثوري كانشقاق خليفة الزاوي و الرغبة في القضاء على النزعة السنوسية و هكذا كان التوارث القيمي للحس الثوري بين شيوخ هاته الطريقة¹، حتى الهدنة الموقعة في 1920 في فترة شغل الحركة لإدريس السنوسي و بعد 3 سنوات من هاته المعاهدة تواصل الصدام بقيادة الصديق سنوسي الذي اسر في 1927 وواصل هاته الحركة الجهادية بقيادة السيد عمر المختار الذي كان مريدا في هاته الطريقة، مع اعدامه سنة 1931 انتهت هاته الفترة الثورية التحريرية الليبية².

¹ علي محمد محمد الصلاحي، الثار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ج1 ، ط1 ، الشارقة: مكتبة الصحابة ،2001، ص ص 12-288
² احسان حنفي ، أفريقيا الحرة بلاد الامل و الرخاء ، ط1 ، بيروت : المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، ص ص 68-69

وقبيل الحركة السنوسية اظهرت الحركات الصوفية الجزائرية مقاومة متواصلة للكولونيبالية الفرنسية المتوغلة في المناطق الداخلية باستثناء مقاومة احمد باي و المقاومين التابعين بتلك الصيغة امثال حمدان بن عثمان خوجة و ابراهيم طاهر و حسونة دغيس الطرابلسي و احمد بن مصطفى باشا التي تظهر القوة الكرغلية الصاعدة لوراثة السلطنة التركية في الجزائر و كانت عموما المقاومة باسم السلطان التركي¹ و على خلاف الأتراك و الكراغلة المتقدمين بالذكر فان اقليم وهران انفصل عن الباب العالي بقيادة الباي حسن و خليفته المصطفى بن اسماعيل المستقوي بالقبائل الامتدادية (و هم الزمالة و الغرابة و البرجية و المكاحلية و اولاد سيدي عربي) للمخزن التركي المتبقي، و دخل في حكم الدولة الشرفية في عهد المولاي عبد الرحمان بن الشريف (عبد الرحمان بن هشام في مراجع اخرى) و ضمن هاته الفترة امتدت الدولة الشرفية داخل الجهة الغربية ضامت بذلك تلمسان و وهران و معسكر و باقي الجهة الغربية من المغرب الاوسط بتقويض مولاي علي و تمخض عن هاته المحاولة الصراع الثنائي للقوى المتحالفة بين الوارثين الاتراك و فرنسا / الاشرافيين (النزعة الشرفية) و القوة الصاعدة بقيادة الامير عبد القادر² التي ستنهي بتحالف مخزني و دخول محمد المزاربي في جيش الامير و لا محاجة في ان الهدف الثوري مفارق بصورة متميزة و ان كانت هاته الحركات هي حركات مقوماتية تواجه العدو يظهر بانه نفسه احيانا لكن الفشل المستمر التصويبي في المعرفة التدقيقية بالعدو " اعرف عدوك" لم تكن واضحة فنرى الصراع يكون ثنائيا المجاهدين/

¹ ابو قاسم سعد الله ، ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر ، ج1، حسين داي : دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 393
² تراجع الدولة الشرفية كان بتهديد كولونيبالي فرنسي رغبة من هاته القوة وراثة جيوبوليتيكية السلطنة التركية و تبعات هذا التهديد التراجع الشرفوي الى فاس ، و تنصيب الاغا صوري لتسيير الجهة الغربية لفترة حكم خير الدين التونسي ، هذا المشهد رآه الصعوبات التقبلية و اغتنام الفرص مما دفع محي الدين و ابنه الامير عبد القادر الى التكوين المقاوماتي ازاء المخزن التركي المدعوم بالقبائل الامتدادية و الكولونيبالية الفرنسية المتحالفة معه وفي خضم ذلك كانت القوات الكولونيبالية تتوسع شرقا مغتمة الوضع الصراع و كذا ما يسجل عدمية الولاء فنرى ان المزاربي مثلا يتحالف مع الامير عبد القادر و في فترة لاحقة يدعم الجنرال كلوزيل في حملته على معسكر كمعركة واد تافنة و هذا ما يؤخذ على الطابع المقاوماتي عموما:
الاغا بن عودة المزاربي ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا الى اواخر القرن 19 م ، ج2 ، ط1 ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ص 182-27

النصارى بهاته الصيغة ويتغير نحو صراع بدواع الرؤى الضيقة الى صراع بيني بهدفية الزعامة كصراع الزاوياتي / الزاوياتي و لم تنجح كذلك في التركيبة العملية للذات "اعرف نفسك" خاصة عندما يحتكر الطابع الميثولوجي كمسوخ نحوي كسبوي للشرعية البيعوية كسلالية العلوية التي كانت المسبب الرئيس في الصراع المتأخر بين الاشرافاوين و الامير عبد القادر و قد ارغمت حتى داخلها الحركة على الاختلاف الهوياتي كتنازع للملكية ، فالمتغير الخارجي كان يغتنم مثل هاته الفرص للتدخل و ايجاد تحالفات اغترابية لضرب القوة المقاومة الاصل ضمن علاقة فرق و احكم، فهاته الحركات التي لم تقم على قاعدة إجماعيه بل على توجهات تحالفية تحفيزية اثارته اشكالات عديدة من يحكم ، من له الشرعية ؟ و تواصلت الحالة المبهمة على شكل تقيضة حتى فترة البناء الدولي الوطني المابعد كولونيالي ، سنعود الى القول ان تقسيمات الباتريمونالية الدوائية المخزنية او الطولية بايلك الشرق ، التيطري ، الغرب اهملت بلاد السببية (كالصحراء و الريف الجبلي كمنطقة القبائل) ذات الحالة الثورانية الدورية و لاشك ان حتى التقسيم المعتمد كان يمايز من حيث الشكل الفارض للطاعة و الولاء فمعسكر و تلمسان كاتتا محل صراع مستمر ثقافيا و عقائديا ذو النسق الجمعي التقاربي مع المخزن الشرفوي في المغرب الاقصى و لدى فهو يتداعم من الجانب الغربي السعودي و العلوي وحتى الزاوياتي الجنوبي على خلاف البايك الشرقي المحاذي للعمالة التركية في تونس و ليبيا المتقارب فكرويا واما التيطري ذو الاهتمام الاكبر للأتراك و المترکز على العاصمة المحاذية للساحل كخيار تسهيلي و مركز متقدم لتحريك الاساطيل ما يؤكد فرضيتنا المتقدمة على انه تواجد استدماري رعوي عسكري¹ فهذا الخطأ الاستراتيجي كون الاستراتيجية الكولونيالية المضادة التي كانت على كامل الدراية ان سقوط مدينة الجزائر سيعمل على السقوط المتوالي لباقي المناطق لأنها المركز الدفاعي الوحيد و الضامن الحيوي لباقي المساحة التركية المشغولة شكليا .

¹ العربي ايشبودان ، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة ، تر : جناح مسعود ، الجزائر : دار القصة للنشر ، 2007 ، صص 30-39

صحيح ان ثورة الباشاغا المقراني والحداد شملت الجانب الشرقي لكن كان اثر الزاوية الرحمانية¹ بالغاً في الدفع بهته الحركة للتقدم باتجاه الاصطدام الكولونيالي وحتى حركة لالة خديجة دعمتها هي الاخرى ، لكن لماذا نشدد على الجانب الغربي ؟ لأنه كان شديد الصلة بالمغرب الاقصى كان نوع من التضامن القيمي والتوسعي كذلك لان المغرب الاقصى كان يرى ان المنطقة الغربية امتداد له اقتطعه منه الادارة التركية فثورتى الزعاطشة او ابو معزة (بومعزة) المباع الامير عبد القادر بعد الانشقاق الذي حدث عن الملك سليمان وتكوين الدولة الجزائرية الحديثة وغير بعيد من ذلك استقوى الجانب الغربي وخاصة بمناطق اولاسيد الشيخ ببرز ثورة بوعمامة زعيم الزاوية القادرية بالبيض الذي كان على تنسيق كبيرين مع الاشرافيين في المغرب الاقصى² و انتفاضة الفلاحين بعين التركي ومليانة و الى الجنوب انتفاضة التوارق بقيادة احمد سلطان والشيخ عبد السلام كانوا على ارتباط وثيق بطريقة السنوسية بليبيا 1916-1918 لأنها ستتدعم بقيادة كاوصن بعدياً³، لكن ما يجب التنبيه عليه ان هذا التضامن لم يكن الغرض منه اللاتونية ، فهؤلاء العظماء لم يحاولوا اقتسام الجزء الغربي لصالح الاشرافيين او الجنوبي لصالح اثنية ضيقة او الشرقي للسنوسيين، بل لأنه لم يوجد هناك وطنية قطرية بل كفاح بتلك الطريقة الصوفية الوجدانية بين الزوايا لأنها متناسقة وفروع لكل الزاويتي الاصل فقد اثرت الحركات السنوسية وكذلك الصعود الشرفوي في سيكولوجية الجماهير داخل الجزائر لمحاولة ايجاد قاعدة للبناء الدولي الذاتي لذلك جرى خنق هذا الحراك بالحماية التونسية (هاته الجهة لم تكن داعمة للكفاح بعد انقطاع ثورات

¹ الزاوية الرحمانية الاصل متواجدة في منطقة القبائل اماكن تواجد قبائل زاوية الكنامية ، و تحوي فروعاً لتلاميذ كانوا مرادين لشيخ الزاوية الاصل ، و من امثلة ذلك الزاوية النفطية بنفط التونسية (تبعد نقطة الواقعة جنوباً 459 كم على العاصمة تونس) التي اسسها مصطفى بن عزوز و الطولقية التي اسسها علي بن عمر بأمر من الشيخ محمد بن عزوز بسكرة التي كانت في منحي صراحي مع الامير عبد القادر و احمد باي:

لسان الصيد ، تاريخ الشيخ علي بن عمر : شيخ زاوية طولقة الرحمانية ، بوزريعة : دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، ص ص 9-20
² لا نعلم على وجه التحديد لما علل فاسي يستخدم مصطلح المراكشي كصورة روتينية في اساءة رجال المقاومة (بوعمامة المراكشي/بومعزة المراكشي)، يصور لنا ان هذا الكتاب يحوي مستوى متقدم من الادلجة العلوية لاشك في ذلك :

علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، ط 1، (القاهرة : مطبعة الرسالة) ، 1948 ، ص ص 10-03

³ عمورة عمار ، موجز تاريخ الجزائر ، ط 1، (القبة : دار الريحانة للنشر و التوزيع) ، 2002 ، ص ص 160-161

الكراغلة المدعمون صوريا من قبل الباب العالي) و المغربية و ليبيا و حتى الجهة الجنوبية للسودان الغربي ، للحد من هاته الثورات حاولت العقليات الكولونيالية ايجاد الموالاة الاستمالية لاختراق الزاوية بشراء ذمم الشيوخ او اعضاء المجلس الزاوياتي، هذا التضامن انقطع بفعل المدركات الاختلافية و الفويا الوهمية بجملة عبد الرحمان بن هشام على جيوش الامير عبد القادر¹ هنا نعتقد بدأت مرحلة النوايا القطرية تبدوا بادية على الساحة المغربية خاصة بعد تأثر الاهالي في المغرب بالمعاهدة الفرنسية-الشرفوية (طنجة 1844) المسببة للاستنفار الداخلي المتأثر بالكاريزمية الاميرية و الخوف من المبايعة الاميرية لعبد القادر² هذا التخوف هو ما دفع المولاي الشرفوي الى استباقية الكبح التهديدي الموازي لسلطته³، لذلك كان يتحاشى عبد القادر لقب السلطان و اقتصر على

¹ يحي بوعزيز ، الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، (تونس : الدار العربية للكتاب)، 1983، ص ص 113-114
² محمد باشا (ابن الامير عبد القادر) ، تحفة الزائر في اثر الامير عبد القادر و اخبار الجزائر ، (الاسكندرية : المطبعة التجارية عزوزي و جاويش)، 1903 ، ص ص 292-293

³ يذكر لنا ابن زيدون انه في الشرط الرابع من معاهدو ازطوط السابقة لطنجة يكون مايلي :

« فالحاج عبد القادر بن محي الدين هو خرج عن الشريعة في ايالة المغرب و ايالة الجزائر ، فعلي ذلك يضربون عليه في بلادهم ، و كذلك اذ هو في ايالة مراكش ، فرعيته يصربون عليه بالبارود حتى يطردونه و يخرجونه من بلادهم ، و اذ تقبض به واحد من الجانبين ، فاذا كان تحت يدي الفرصيص فيتضمن عليه سلطان الفرصيص ان يكرمه و لا يضره ، و ان كان تحت يدي سلطان المغرب فيأمر بإرساله الى مدينة من مدائن السواحل بنواحي المغرب حتى يصير بين الدولتين الاتفاق بشأنه ، لئلا يتجدد الحرب مرة اخرى معنا و كذلك لئلا يقطع الصلح مع المهادنة المقيمين بين الدولتين. »
و اما الاتفاق النهائي نعي معاهدة طنجة فنلاحظ في الشرط الاول و التي تعلق بالحدود اكثر بنودها :
« اتفق الوكيلان على ابقاء الحدود بين اياالتي المغرب و الجزائر كما كانت سابقا بين مولوك الترك و العرب السابقين ، بحيث لا يتعدى احد حدود الاخر ، و لا يحدث بنا في حدود المستقبل و لا تميزا = بالحجارة بل تبقى كما كانت قبل استلاء الفرصيص على مملكة الجزائر. »

اما الشرط الرابع و السادس من نفس الوثيقة:

« ان اهل الصحرا لا حد فيها بين الجانبين لكونها لا تحرث ، و انما هي مرعى فقط لعرب الايالتين ، فالأعراب الغربية هم المهاية و بني فيل اولاد سيد الشيخ الغرابة و عمور الصحرا و

لقب الامير لكي لا يفتح الجبهة الصراعية ويكسر الجهة التعاونية مع الاشرافاوين، ولورجعنا الى الارث الاميري لعبد القادر فإننا نرى مدى اجحاف التاريخ لهذا الرمز لقد تمكن من البناء الفعلي للدولة الجزائرية الحديثة المعترف بها في اتفاقية دي ميشيل 1834 ، دولة ذات التوجه الصوفي المدستر بالشريعة الاسلامية وجيش نظام و سك العملة و بناء المركز السلطوي للدولة بمدينة معسكر و التوسع الهام الذي امتد على كامل المناطق الداخلية الشرقية و الوسطى و الغربية و حتى الجانب الدبلوماسي بالمراسلات الموجهة لإنجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية¹ ، نعتقد و لو حاولنا فهم السيكلوجية الاميرية التي دفعته للانسحابية -المفهوم خطأ بانه استسلام- هو الدافع الصوفي و الاسلوب الطرقي المتمركز على الزهدية او النسكية Asceticism الممثلة بالانعزالية التعبدية او الرياضة الروحية بسبب الصراع النفسي الداخلي interior struggle كنوع اتقالي من الوضع الجهادي العملي الى الجهاد الروحي² لأنه كان مرغما على البيعة (لو اعدنا قراءة خطابه الموجه نحو عروش وهران : "اني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي اليه") لوراثة المكتسبات المنجزة في حياة ابوه محي الدين الحسيني و لأنه سيخير بين الإسكندرية و عكا الموردان العامين للصوفية كحافز (وكبودار توكيدية فانه سيتخذ نفس منزل محي الدين بن عربي سكننا له بجوار مسجد محي الدين

حميان الجنبه و الاعراب الشرقية هم اولاد سيد الشيخ الشرافه و

كافية حميان من غير حميان الجنبه. »

ان الارض التي هي قبلة قصور الفريقين في الصحرا لا ما فيها فلا

تحتاج للتحديد لكونها ارض فلاة. »

و للاطلاع على خريطة الحدود المفصلية راجع صفحة 199 و للمزيد راجع :

ابن زيدون ، مرجع سابق ، ج 5 ، ص ص 190-200

¹ عبد القادر لم يكن رجلا عسكريا محضا بل كان الى جانب ذلك عالما متأثرا بالتوجه الصوفي لمحي الدين بن العربي و النيفري ، فكتاب المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية يؤكد هذا التوجه :

الامير عبد القادر بن محي الدين الجزائري ، المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، ط 1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، 2004 ، ص ص 11-10

² عموما من كون الطريقة الصوفية الشاذلية التي تأثر بها العلماء و العامة في بلاد المغرب هو عبد القادر الجيلاني (بوعلام الجيلاني) و من بين العلماء المغاربة المؤسسين محمد بن سليمان الجزولي او ابو مدين التلمساني (أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري) المتفرعة عنها باقي الطرق الاخرى ، كذلك نحن نستعمل كلمة المولى او المولاي او المولوية هذا اللقب الشرقي الذي عرف تداوله ابتداء من جلال الدين الرومي و تعني تعبيرا قريبا من السيد او الشيخ بنوع من الخضوع التام لنبر عن درجة الخيال الاجتماعي :

John Renard , **The A to Z of Sufism** , united state : Scarecrow Press Inc , 2005 , p,p,p 23, 38 ,155

بن عربي)¹ و الاسباب الاستراتيجية كذلك هامة فتمو القوة الفرنسية المدعومة بالقدرة العسكرية الفائقة و التوظيف المرتزقي للفرق الداخلية و الخارجية كفرقة الصباحية ، و الصراع الشرفوي غربا و ظهور التمردات من داخل الحيز كلفه الاختيار بالعودة الى الحلقة الانفرادية التعبدية .

و كما تقدمنا انه بالحماية الفرنسية المزدوجة لتونس في ماي 1881 و المغرب الأقصى بعد موت الحسن الاول 1894 دخلت في ازمة اقتصادية حادة للتراجع الذي اتاب الطرق التجارية المغربية تحديدا بعد تحطيم قوة القرصنة البحرية التي اتبعتها الدولة المخزنية ، و في عهد مولاي عبد العزيز توالى انتهاكات القوى الاوروبية للسيادة المخزنية ، فمعاهدتي طنجة 1844 و لالة مغنية 1885 قد حدثت من مكاسب المخزن المراكشي حدوديا و معركة تطوان 1860 و التعويضات المقدمة للقوات الاسبانية دلت على التراجع المتوالي للقوة المخزنية التي كانت مستقرة نسبيا حتى عهد مولاي الحسن الاول² ففي الفترة التي تلت موته تمكن الوزير الصدر احمد بن موسى من الانقلاب على النظام السلطاني و تحقيق الحكم الفعلي وراء تنصيبه المولاي عبد العزيز اصغر اولاد الحسن الاول و تحييد ابنه البكر مولاي احمد³ هذا التعديل من قبل نظام المشور عمد الى احلال الخلل في شرعية الوراثة التنصيبية (البكر يرث اباه) و الصراع على الوراثة الفعلية الذي امتد بين ابناء العمومة، و عقب هذا الاحتقان الهرمي تزايدت المديونية الخارجية، وكذا الهزيمة المخيبة في معركة اسلي 1869 ضد

¹ نزار اباظة ، الامير عبد القادر الجزائر : العالم المجاهد ، ط1، (دمشق : المطبعة العلمية) ، 1994 ، 11-15

² لقد كانت فترة التولي الحسيني الاول فترة اصلاحات كاستحداث وزارتي الخارجية و المالية و الدواوين الذي كان الغرض من ورائه تدعيم الجهاز الضريبي للدولة بعد العجز المسجل خارجيا وفي الداخل :

محمد المنوني ، مظاهر يقظة المغرب الحديث ، ج 1 ، ط 1 ، البراط : مطبعة الامنية ، 1973 ، ص ص 29-30

³ انتهاء الشرعية الشرفوية الرسمية محمد للقبائل الهامشية الشبه السبية و بلاد السبية من الانفصال و اعلان الولاء للحيز القبائلي البربري كانفصال الزياني موحا وحمو بخنفيرة و مال اقليم زيان (شمال المملكة المغربية) او الزاواياتي كنورة بوحارة (الجيلاني الزرهوني) 1902-1909 للمزيد راجع :

كريدية ابراهيم ، ثورة بوحارة 1902-1908 ، (البار البيضاء : شركة الطباعة و النشر) ، 1986 ، ص ص 12-18

حول انفصال موحي وحمو الزياني (الواو ليست للعطف بل اسمه الكامل) عن مولاي عبد العزيز التي انتهت هاته الفترة الانفصالية بتحالف الزواج المصلحي (زواج المولاي عبد الحفيظ من ابنة موحا وحمو) و تغيير المركز المخزني من مراكش نحو فاس سياسات التقارب هاته مثلت ازدواجية المركز بين عبد العزيز المدعوم بالزاوية الشرفاوية و الكولونالية الفرنسية في مراكش و مولاي عبد الحفيظ الباحث عن تحالف يحفظ له المركز المخزني في فاس راجع :

فرانسوا بيرجي ، موحي وحمو الزياني 1877-1921 ، تر: محمد بوسنة ، ط 1 ، (فاس : مطبعة انفو برانت) ، 1999 ، ص ص 30-36

الفرنسيين¹ حتما كل ذلك كان واقعا مريرا تراجعت بسببه القوة المخزنية التي لم تعد تلعب ذلك الدور الهام في المضيق او دعم الحركة الثورية في الجهة الغربية ، عموما فقد كانت هناك اربعة فواعل اساسية التدخلية ، الاسباني المتمكن من سبته و مليلة ،البريطاني المستحوذ على المضيق ، و الالمانى في العهد الغيلومي الثاني ذو النزعة التوسعية التي تمثلت بالاستحواذ على طنجة اقتصاديا بالتذرع التقاربي الدفاعي عن المصالح المغربية ضد التوسع الانجلو-فرنسي² التي تراجعت عقب الخسارة في الحرب العالمية الاولى ، لقد حولت الايكولوجيا المغربية الى الاناركية الشاملة التي تفاقم اثرها مع بدايات الاضطرابات بسبب الضرائب المفروضة Tertib على الاهالي³ اتتهت هاته التراجيديا بالحماية الفرنسية بعد المرسوم الجمهوري الموقع في جوان 1912 بتنصيب المفوض العام الجنرال الليوطي⁴ و توزعت المرفولوجيا المغاربية الى الحماية الاسبانية في الشمال عاصمتها تطوان ، الحماية الفرنسية عاصمتها الرباط امتداد المخزن و مركزه الذي سيتغير من مراكز نحو الرباط ، الحماية الدولية (اسبانيا ، بريطانيا ، فرنسا) عاصمتها طنجة ، و المنطقة الجنوبية (الصحراء الغربية) تحت الوصاية الاسبانية⁵.

¹ الحسن السائح، الحضارة الاسلامية في المغرب، ط2 ، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر و التوزيع) ، 1986 ، ص 395
² حصلت المانيا على امتيازات مهمة خلال زيارة الملك غليوم الثاني لطنجة 1905 الامر الذي زاد عداوة الجانب الكولونيالي الفرنسي للمخزن للمزيد راجع:

علال الخديمي، التدخل الاجنبي و المقاومة بالمغرب 1894-1910 ، ط2 ، البار البيضاء: افريقيا الشرق ، 1994 ، ص ص 57-60
³ هاته الضريبة سميت Tertib الترتيب حلت محل الزكاة و العشور و ضمت هذين المتغيرين، لقد ساهمت هاته الضريبة التي ايدت بالجهاز الديني في تقوية العجز المالي للمخزن خاصة في عهد المولاي عبد العزيز بعد المديونية التي ثبقت الوضع السلطاني للمزيد راجع :

Anas Bensalah Zemrani, **La fiscalité face au développement économique et social du Maroc**, rabat: éditions Laporte, 1982, p12

⁴ Guillaume Denglos, **la revue Maghreb (1932-1936)**, paris: l'harmattan, 2015, pp 27-35

⁵ حزب الاستقلال ، المغرب الاقصى "مراكش" ا قبل الحماية عهد الحماية افلاس الحماية ، (مصر : دار الطباعة المعرفة) ، 1951 ، ص 4

لقد استغلت الكولونيالية المتقاربة مع المركز المخزني¹ ان تحتوي اي مقاومة محتملة ضد المفوضية الفرنسية لكي لا تتحمل اعباء الدفاع عن المكاسب او تحالف محتمل مع السلطان خاصة و ان الجمهورية على وشك الدخول في الحرب العالمية 1 و قد كانت اول خطوة هي استراتيجية الفتوى، اي عبارة عن رسالة من الجنرال ليوطي تحمل شرعية الطابع المخزني لمولاي يوسف يخاطب فيها المولاي المهدي بن رشيد ان كل من قاتل بدون اذن السلطان يموت ميتة جاهلية و امتد السند للبحث عن قوة مشيخية لمرور هاته الرسالة و حتى هاته الفترة كانت تعبر عن ازدواجية المركز المخزني بين مولاي يوسف المتفوق و مولاي المهدي بن رشيد المنصب بعد صدامات الداخلية البينية في العائلة و انقلاب مولاي عبد الحفيظ المدعوم من قبل الريفين انتهت عهده بحصار القبائل لفاس و تدخل الفرنسي، بوادر الفصام بدت منذ هاته اللحظة بين السلطان و الزمر الناسوكية Saints و المشيخية الاعيان (شيخ شيوخ القبائل) ، فتكون شبه حراك موازي يفند الرسالة و يبحث على فتح باب الجهاد كاتجاه معاكس بقيادة الشيخ محمد بن العربي العلوي، يعكس الخصومة البادية مع المخزن خصيصا بعد صعود المد الخطابي في الريف المتالف من القرويين و الريفين الواقعين في بلاد السبية، و معركة انوال 1921 ضد الاسبان رجحت الكفة و خلقت دلالة معنوية دافعة لمواصلة هاته الحركة الثورة التحريرية² لكن كانت الحركات الثورية التحريرية منقسمة اختلافية او تعود الى التقارب مع القوى الكولونيالية التي كانت تعتمد سياسات التغليب البيني كما كان الحال مع اليروسوني

¹ المعايير تغيرت بتغير فترات الحكم السلافي في العائلة الشريفة ، فقد كانت ترجع قوة العائلة في مقدار ما تحققه من مكاسب ، المولاي او السلطان بالإضافة الى السند العلوي كشرعية كان يتمتع بكاريزمية (امير المؤمنين الفاتح) و حمل العامة بالضغط الشيوخى ، و انتهت هاته الصلاحية بالعقود الحماية للعدو الكافر بنظر المشايخ و المرادين و الجماهير العامة وعموما هاته اشكالية العائلات العلوية جميعا كالصفويين في الشرق :

محمد امين عال الطويل ، تاريخ العلويين ، (اللاذقية: مطبعة الترتي) ، 1924 ، ص 473

² عبد الكريم الفيلاي ، تاريخ المغرب الكبير ، ج8 ، ط1 ، القاهرة : ناس للطباعة ، 2006 ، ص ص 91-97

الذي كان يبحث عن المركز الذي يوحد به قبائل الريف التي كان من الصعب تجميعها تحت حكم مركزي واحد¹.

و الملاحظ ان الصراع الزوياتي/ المخزني امتد تاريخيا وارتداديا كضامن محدودي الزمن و الصيغ ففي عهد المولاي الرشيد تحديدا و كما ذكرنا زادت حدة الخصومة المخزنية / المشيخية ، فرأس الهرمي للنظام الزوياتي الناصري محمد بن ناصر دخل في صراع وجهاتي غير اذعاني لرفضه ذكر المولاي في دعائه يوم الجمعة هذا الحدث مثل تجاوزا لشخص المولاي الشريف في نظر المخزن تفاقم حد الاغارة على تاماغورت محل الزاوية الناصرية التي لم تكتمل بموت مولاي الرشيد ، وبعده مولاي اسماعيل و برغم من حدة الكراهية البينية للمشور (وزراء المخزن ، و الحاجب هو مستشار المولاي) كالغازي بن شكرى ، الى ان الزاوية الناصرية بقيت في الخط الرفضى للسلطوية المخزنية رغم المحاولات الاستمالية من قبل المولاي اسماعيل² و اما بالنسبة للصعود الكتاني من الجنوب تحت قيادة محمد الفاضل الذي كان مدعوم بالعصبوية الزناتية و خليفته مصطفى ماء العينين فقد كانت كحركة زاويتية- ثورية ضد التواجدين الفرنسي- الاسباني شملت موريتانيا (التحالف مع الحاج عمر في السينغال و استسلام قبائل الترارزة و البرانكة) و الساقية الحمراء (مكان زاوية مصطفى ماء العينين الدار الحمراء 1871) و تندوف (المقر الاساسي للطريقة القادرية التي تتلمذ فيها على زعيم الطريقة يد محمد الحكاني و محمد مولود) و نتيجة افتقار التمكين المقوماتي لجئت

¹ كان الريسوني يمثل الكاريزما القوية الحائزة على تضامن قبائل الجبال البريرية في الشمال الغربي للمغرب الاقصى فكان دعمه اوليا لمولاي عبد الحفيظ و ما فتئت ان اقلبت عليه القبائل نتيجة دعمه للتواجد الاسباني لتوطيد مركزه الضدي للمخزن الذي يبرره اعتقاده ان الكولونالية الاسبانية ليست بالقوة التي يمكنها على اثرها استغلال الايكولوجيا بخلاف الكولونالية الفرنسية التي كان وجودها قويا محاصرا للكيان المغربي من الشرق الجزائري لذلك تفهم الدعم المخزني لألمانيا املا منه لانتهاء التواجد الاسباني في الشمال و بالتالي ستكون الحالة العامة انقسام المغرب الاقصى الى بنية شالية (حالة اللادولة قبائل صنهاجة المتبقية و جباله و لمغاريين) و بنية جنوبية مختلفتان التحديث الذي يمكننا ان نلاحظ تبعاته الان : جرمان عياش ، اصول حرب الريف ، تر: محمد الامين البزاز / عبد العزيز التمساني خلو ، الرباط: الشركة المغربية المتحدة ، 1992 ، ص- 270-261

² Abdelilah Bouasria , **Sufism and Politics in Morocco: Activism and Dissent** , New York : Routledge , 2015 ,

هاته الحركة للتحالف مع المخزن العلوي ابتداء بمولاي بن هشام حتى الحسن الاول الذي بدئت تترجع فيه القوتين اما المد الكولونيالي ، لتغير من مقوماتي الى اصلاحي فهذا التحالف ادخل التوجه الزوياتي العيني الى فاس و مراکش و قضي على المقوماتية جزئيا في عهد ابن العزيز نتيجة الضغط الفرنسي فبعد موت الوزير با احمد (احمد بن موسى) نصت الكولونيالية الفرنسية على ان موريتانيا لا علاقة لها بالمملكة المراكشية و رغم ذلك توال الدعم المخزني لماء العينين حتى انقسامية القوى المتحالفة في عهد المولاي عبد الحفيظ¹ ، لتغير الاوضاع بعد قضية قتل الفرنسيين لمولاي عيبد الحفيظ انتفض ابن ماء العينين احمد هبة الله (الهبة) الذي سيلقب نفسه بإمام المجاهدين و يوحد القبائل بدعم من سعيد الكيلوي زعيم اتحاد القبائل البربرية الجنوبية المعروفة ب"حاحا" و يستأنف عملية الجهاد بمركز تانزيت جنوب الرباط مغتتما فرصة الانشغال الفرنسي بكسر تمردات القبائل الريفية في الشمال (حمو موحا الزباني ، الهجامي ، سيدي رحو)² ، و عموما كان يجري التقارب الزوايتي - المخزني كوضع سبأقي بين الزوايا على اساس الاستفاداة المكسبة للطرفان بدعم المخزن للزواية بالوضع الحماي و المالي لأنها مؤسسة غير منتجة مما يوفر لها ارضية لنشر فكرها الصوفي، و بالمقابل يستفيد المخزن من الولاء المناطقي للمساحة المشغولة من قبل الزواية و بنوع من القداسة بنظام الخطابة المتمد في صلاة الجمعة³، و بثورات الريف المتواصلة خاصة الخطابية المدعومة من

¹ السيطرة المخزنية لم تكن فعلية على الاقاليم الجنوبية كما ذكرنا بل كانت عبارة عن تحالف انضامي من قبل الزواية تحت الحماية العلوية ، لقد تمكنت القوة الكولونيالية الفرنسية الحمايية من توحيد الاقاليم التابعة من شمال فاس حتى جنوبا الى واد النون الاقليم الفعلي للمملكة المغربية:

B. G. Martin , **Muslim Brotherhoods in Nineteenth-Century Africa** ,F,e , Usa : Cambridge University Press, 2003 , p-p 125-145

² للإشارة الكاتب إدوموند بيرك الأمريكي و ليس إدوموند بيرك الايرلندي الذي كتب عن الثورة الفرنسية

Edmund Burke III , **Prelude to Protectorate in Morocco: Pre-Colonial Protest and Resistance: 1860-1912** , (Usa : University of Chicago Press) , 1976 , p-p 190-200

³ مثلا كلاتحاد الكتاني (محمد الكتاني المختلف التوجه عن كتانية ماء العينين- العينينة ، فهي حركة تكونت من مراکش و فاس بايعاز من عبد الكبير) - المخزني (المولاي عبد الحفيظ) التي ستنتهي بجملات العلماء ادعائية الهرطقة الكتانية او كالسيطرة على الوزانيين الشرفيين (انتساب سلالي لآل البيت) المنافسين من حيث القيم الشرعية في الحكم من خلال التقارب المخزني-الزواياتي الوزاني و اقليم الشاوية من خلال التقارب مع الزواية الشرفاوية لقد كانت العلاقات كلها مبنية بين المركز و الزواية لكسب الولاء للمزيد راجع : =

= Sahar Bazzaz , **Forgotten Saints: History, Power, and Politics in the Making of Modern Morocco** , Usa : Harvard University Press , 2010 , p-p 62- 84

قبل الزاوية الدرقاوية (الرحمان الدرقاوي و نجله محمد)¹ وكذلك من قبل الكتانين التي تغيرت وجهتها من المقاومة الاسبانية الى الفرنسية بعد التوغل في مجال بنى زروال (عصبوية الخطابي) و التي كانت هدفها السعي للسيطرة على فاس وكذلك التحرك الزيواتي للضغط على المركز و تنامي نزعة الانفصالات مكنت سلطة الليوطي من التحضير لدور الكاريزمي في ان تحالف مع المخزن و الجانب الكولونيالي الاسباني و تتمكن من القضاء على التعاظم الخطابي و ان توطد مركز المخزن من خلال سلسلة من الاصلاحات كتكوين جيش نظامي و وضع العلم المغربي الحالي و النشيد الوطني ، و تدعيم النشاط التجاري و الزراعي و شبكة المواصلات بوضع سلسلة من السكك الحديدية تربط بين الجزائر و مراكش و الشمال و الجنوب المغربي².

التوجه الاصلاحى السلفى :

هذا الحراك تأثر مجملًا بمجركات الاصلاحية المشرقية لمحمد عبده و جمال الدين الافغانى ، وكذلك للحركة الدعوية الوهابية³ التي كانت ضد التوسع العثماني و بتالي برزت تيارات اصلاحية في المنطقية كجمعية العلماء المسلمين التي كان محركها عبد الحميد بن باديس و البشير الابراهيمي و مؤسسها الفعلين توفيق مدني و عمر اسماعيل العاصمي و محمد عباسه و قد تم دعوة العربي تبسي و البشير الابراهيمي و العديد من الشيوخ الطرقية و اتخذت نادي الترقى الذي اسس في العاصمة مقرا لها في 1926 و انتهت الفكرة للتجسيد في 5 ماي 1931 ، و عموما تتضارب التفاصيل حول انشاء هاته الجمعية التي كان غرضها دعوي اصلاحى كان يجمع مثقفي الجزائر و يحاول اصلاح واقع التعليم و الثقافة الاسلامية و قد حذرت من الدخول في السياسة من خلال قانونها

¹ حول الثورة الاميرية الخطابية و تقدم نحو فاس راجع :

محمد خرشيش ، المقاومة الريفية ، سلسلة الشراع 22 ، طنجة : دار النشر المغربية ادبما ، 1995 ، ص ص 10-53

² عبد الرحيم الوريديني ، فاس في عهد الاستعمار الفرنسي 1912-1956 ، ط 1 ، (الرباط : مطبعة المعارف الجديدة) ، 1992 ، ص ص 21-29

³ عبد الحليم عويس ، اثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الاسلامي الاصلاحى في الجزائر ، ط 1 ، القاهرة : دار الصوة ، 1985 ،

الاساسي وقد لاقت قبولا نوعا من قبل السلطات الكولونيالية لقبولها بعد سلسلة من الاجتماعات بين ابن باديس و الإدارة الفرنسية ، حيث كان ابن باديس رئيسا للجمعية ، محمد البشير الابراهيمي نائبا له وتمثلت الاستراتيجية الاصلاحية عبر الجرائد السنة / الشريعة/ البصائر / الشهاب، و عموما بعد سنة 1939 توقف نشاطها و عاد مابعد الحرب العالمية الثانية فبعد أحداث ماي 1945 تغير مفهوم الجمعية نحو الفكرة المقصورة على الإصلاح كحل و تبنت نموذجا تأطيريا أكبر ما ادي الى توقيفها بعد اندلاع حرب نوفمبر 1954¹ .

و اما في الجانب التونسي فقد تمثلت بحركة الثعالبية التي مثلت هي الاخرى نموذجا مماثلا لجمعية العلماء المسلمين ، و قد انت جريدة الاتحاد الاسلامي التي كان محررها موقع البناء التوجهات الاسلامية الاصلاحية و بعدها مكنت توجهاته من الدفع بالصعود الشبابي الطلابي المطالب و قد كان حينها عضوا في حزب التونسي الفتاة و انت له مساهمات واسعة للمطالبة كالتنديد بالحرب على تركيا في 1911 في المحور الليبي و قد مثل الاتحاد الاسلامي لسان حال الليبيين²، و قد هاجر للقاهرة بدعوة للإقامة المؤتمر العربي العام لمناقشة القضايا العربية التربوية و الاصلاحية التي لم تكن على ذلك القدر الوحدوي لكن كان نشاط الثعالبي مركزا على دول المغرب لأنها التيار الحيوي الذي لم يكن على قدر من الخصومة مع السلطة الرعوية التركية بغية التقارب من جديد بعد صعود الحركة الطورانية لن كل محاولات بائت بالفشل نتيجة التوقع الطوراني³ ، و اما في الجانب المغربي فقد تبينت نلامح الصعود في الشمال للحركة الفرنسية خاصة بعد سياسة الظهير البربري لتغيير القانون الاسلامي بالعرف الامازيغي البدعي الذي كان مشوها بين توجهات الافراد ذو السلطات الابويّة و القانون الاسلامي و قد مثل التيار الاصلاحى فريدا ب ابو شعيب الدكالي

¹ نبيل احمد بلاسي ، الاتجاه العربي و الاسلامي و دوره في تحرير الجزائر ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، 1990 ، ص ص 59-66

² عبد العزيز الثعالبي ، تونس الشهيدة ، تر : سامي الجندي ، ط1 ، بيروت : دار القدس ، 1975 ، ص 11

³ صالح الخرفي ، عيد العزيز الثعالبي ، ط1 ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1995 ، ص 132-133

نتيجة نشاطه في البوادي المغربية لتلقين الفقه و اللغة العربية¹ و الاتجاه الاخر جمعي تمثل بجمعية الجمع العلمي و الادبي المغربي 1911 و مثلت هذه الحركة القاعدة التربوية الهامة و شملت مجال فاس و تطوان و ضواحيها و عبرت عن توجهاتها بجريدة الاصلاح الذي كان عددها الاول في 1917/01/29 و كان جامع القرويين الاساس التنظيمي للمجمع و قد تأثرتا كذلك بصعود الوهابي و الحركة الوطنية المصرية بقيادة سعد زغلول مما غير فكرة المقاومة العسكرية نحو المقاومة الاصلاحية و السياسية و لاشك انها تعد انتكاسة للعمل المسلح المقاوماتي لكنها في نفس الوقت اداة للتعبئة و انتهاز الفرص².

التوجه السياسي المشاركاتي و العمل المسلح:

لقد ادت انتكاسات الحركات المقوماتية التقليدية الى التراجع عن افكار المقامة لأنها لم تكن ذات التأطير الواسع و نتيجة القمع الاهلي ما غير التفكير الاهلي نحو الانعزال او القبول بالوضع الحالي و ضرورة التعايش معه ن في الوقت نفسه تكونت حركات سياسية من قبل طلاب المدارس النظامية الكولونيالية و وضمنا مصطلح مشاركاتي للدلالة على انها كانت سياسية اما معارضة ام موالية و قد كانت مجملا مشبعة بالأدلة الليبرالية كمفهوم الحزب المكون الاساسي في الدولة المدنية الحديثة الذي كوته فكريا المدارس الكولونيالية ، و كذلك عبر السياسات الكولونيالية الداعية لاشراك الاهالي في المجالس البلدية 1850 بعد اقرار ان الجزائر من الممتلكات الفرنسية في 1848 و بداية سياسات التجنيس و قانون الانديجينا 1881³ ، و اول الحركات تمثلت بنجم شمال افريقيا 1925-1926 و كان لمصالي الحاج دور مهم فيها و كانت عبارة عن جمعية هدفها المطالبة بالمساواة اي

¹ عبد الحكيم بركاش ، ابو شعيب الدكالي ، ط 1 ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، 1989 ، ص ص 14-16

² محمد داود ، الحركة الوطنية في الشمال و المسألة الثقافية ، ط 1 ، الرباط : منشورات اتحاد كتاب المغرب ، 1990 ، ص ص 29-31

³ يحي بوعزيز ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 ن ص- ص 27-45

مطالب اجتماعية محضة لم تدخل في نطاق السياسي كإلغاء قانون الإنديجينا ، وقد تغير خطاب الحركة بنحو تنديد بعد مؤتمر بروكسل بعد انضمام الحركة النقابية الى التجمع وقد مثل الحزب الدستوري التونسي بقيادة الشاذلي عبد الله عنصرا مهما في التعبير المطليبي والوحدوي والى جانب ذلك ضم المؤتمر شخصيات مهم كهوشي منه ونهرو وسوكارنو¹ مما غير وجهة الجمعية نحو المطالبة بالاستقلال و جلاء القوات و تأسيس جيش وطني ، وقد مثلت الجمعية اساس نضج الحركة الوطنية الجزائرية فبعد انحلالها نتيجة الانشطار التوجيهي (الاتجاه الشيوعي / الاشتراكي / الليبرالي / الاسلامي) و التوجه الاستقلالي، نتج عن الانحلال احباب الامة والتي تحولت الى حزب الشعب الجزائري في 11/03/1937 و تكثف المطلب الاستقلالي بزعامة الامير خالد و مصالي الحاج كإنشاء برلمان جزائري و التعليم العربي الاجباري و التحضير لما بعد الاستقلال² ، ثم تحول نحو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و قد انشئت المنظمة الخاصة للتحضير للشورة التي حلت و نشأ على اثرها اللجنة الثورية للوحدة و العمل³ و حزب جبهة التحرير الوطني المؤطرة بمجموعة 22 الذي كون جيش التحرير كجنح عسكري باشر عمله في نوفمبر 1954 و توطد بمؤتمر الصومام⁴ ، و اما بالنسبة للاتجاه الليبرالي فقد اسس اتحاد نواب المسلمين الجزائريين 1927 و قاد كان ذا التصور الاندماجي المتمثل بفرحات عباس ، و اما الاتجاه الشيوعي 1935 تمكن من تأسيس حزب اتحاد الجزائريين الشيوعي المطالب بالوحدة الفرنسية و العمل المشترك ، لقد كانت توجهات فرحات عباس مهتمة لتكون حزب النخبة الجزائرية مع ابن جلول الذي كانا في خلافين حول مستويات الأدلجة بين اسلامي

¹ محمد قنانش ، الحركة الاستقلالية في الجزائر ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 182 ، ص ص 35-48

² عبد الحميد زوزو ، النور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحريين 1914-1939 ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ، ص ص 62-75

³ و قد كان هناك صراع بين ثلاثة اطر المصاليون و اللجنة المركزية و اللجنة الثورية للوحدة و العمل خاصو بعد مؤتمر 1947 و قد اختلف في التوجهات من بينها القيادة الجماعية للمزيد راجع :

أحمد محساس ، الحركة الثورية في الجزائر ، الجزائر : دار القصة للنشر ، 2003 ، ص ص 313-418

⁴ بن يوسف بن خدة ، جذور اول نوفمبر 1954 ، تر: مسعود حاج مسعود ، ط2 ، 2012 ، ص 7

وطني و اسلامي فرنسي¹ و بعد حادثة اكتشاف التحضير الثوري للمنظمة الخاصة التي على فرحات عباس القبض 1950 و بعد الافراج عنه اسس حزب احباب البيان و الحرية الجزائري و بعد حلها في 1946 اي بعد احداث ماي اسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1948 و في أكتوبر تغيرا توجه فرحات عباس كليا ليدعم الثورة التحريرية في 25 افريل 1956 فانتخب عضوا في مجلس الثورة 1956 ثم في لجنة التنسيق و التنفيذ في مؤتمر القاهرة في 1957 و في 1958 كلف بمصلحة الاخبار ثم الى رئاسة الحكومة المؤقتة²، اما في تونس فبادت بحركة الثعالي السياسية و كفاحه الاصلاحى كانت الفكرة في تأسيس حزب الدستور 1920 كجبهة وطنية لمحاربة التقدم الكولونيالي و المطالبة بالاستقلال مع ان الدستور المقرر في 1865 مكن من منح استقلالية اكبر للنواب و التمكن من خلع الباى لاحقا و تواصل النضال الوطني عبر الجرائد صوت التونسي / العمل التونسي باللغة الفرنسية و تمكنت من تأطير اكبر للمثقفين و مقاومة اطر التجنيس الفرنسية و ز قد كان بورقيبة عضوا بارزا في المعارضة الذي سينظم الى حزب الدستور في 1933 و انقسم الحزب بحكم الخلافات التي كان بالتقاربات الحزبية التابعة للكولونيالية كالحزب الاشتراكي التونسي و حزب المعمرين التونسي و عموما بعد نفي عبد العزيز الثعالبي تغير الحزب الى هيكلية جديدة و أدلجة برجوازية وطنية و اسم مغير نحو حزب الدستور الجديد³ هذا الصراع يمكننا ان نلمسه تأخيرا بين بورقيبة و الصالح بن يوسف اي بين الحداثة الغربية و الحداثة / الاصلية العربية الاسلامية⁴ ، فبعد احداث 1936 تمكن الثعالبي من الرجوع و حاول توحيد التوجهين الاصلية / الحداثة داخل حزب الدستور لكن كان الخلاف قائما مع بورقيبة الذي كان يزداد شعبية و شخصية للحزب و تلى الاحداث انشاء جريدة

¹ يوسف مناصريه ، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحزبين 1919-1939 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988 ، ص ص

26-9

² علي تابلت ، فرحات عباس : رجل دولة ، ط2 ، الايبار : منشورات ثالة ، 2009 ، ص ص 04-09

³ الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية ، ط2 ، سوسة : دار المعارف للطباعة و النشر ، ص ص 53-74

⁴ توفيق المدني ، المعارضة التونسية : نشأتها و تطورها ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 2001 ، ص ص 15-17

الفتاة (الحبيب ثامر) كمحاولة لتوحد الاتجاهين أيديولوجيا خاصة الوحدة سادت بعد الانتصار الألماني على فرنسا في محور تونس وقيام حكومة فيشي النازية في الجزائر التي دعمها الملك وبعده الانتفاضات الجنوبية للشوار التونسيين حامد المرزوقي و عبد الله الغول التي ساندها حزب الدستور اتجاه الاصلالة وهذا ما كان نقطة قوة اعتبارية لبورقيبة المتحفظ الذي سيدخل في نطاق التغيير حزبه بقيادة الصلح بن يوسف ذو التوجه المحافظ الذي كان الامين العام للحزب ، وبتالي هاذين التجاهين تصارعا بعد قضية الحكم الذاتي او الاستقلال 1951¹، و ننتقل الى المغرب الذي كان مقسما بين الريف الثوري و المتحول الى الخيار التوحيد الثوري بقيادة عبد الكريم الخطابي في القاهرة² ، واما في ال جنوب المغرب مناطق نفوذ المخزن و السلطة الفرنسية فقد برزت كتلة العمل الوطني و حزب الاستقلال بقيادة علال الفاسي³ بفاس و احمد بلافريج بجماعة انصار الحق مع اقرار سياسة الظهير البربري⁴ التي كانت ستكون سابقة خطيرة في امتداد المغرب مما هدد وجود المخزن ككون عربي خارجي و دخل المخزن في خصومة مع القوات الكولونيالية بعد تضامنه مع الحركة الاستقلالية المطالبة بمحل رابطة الحماية الفرنسية مع الملك محمد الخامس ما ادي الى نفيه الى الغابون وبتالي هذا الحدث اكسب المخزن تضامنا شعبيا وحدويا بعد خصومة دامت الى فترات طويلة⁵ ، واما بالنسبة لليبيا فكان منقسمة الى ثلاثة اقاليم برقة / طرابلس الغرب / فزان و كل الاقاليم تحوى قبائل مختلفة التوجه و النسب لكن كان للطريقة السنوسية عاملا توحديا و كما ذكرنا سابقا فقد انقسمت السنوسية حول نفسها بين التيار الثوري و الذي فشل في احقاق السلام بقيادة من تبقي بقيادة احمد الشريف و التيار الاخر سياسي مثله ادريس السنوسي او الملك ادريس

¹ محمد سلمي الميناوي ، تونس بين الاتجاهات ، مصر : دار الكتاب العربي ، ص 191

² لجنة تحرير المغرب العربي :

محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس عبر العصور ، تر : محمد الشاوش / محمد عجينة ، ط 3 ، تونس : دار سراس للنشر ، 1993 ، ص 132

³ عبد الحميد المريني ، الحركة الوطنية المغربية ، الرباط : مطبعة الرسالة ، 1978 ، ص ص 41-44

⁴ جلال يحيى ، المغرب الكبير الفترة المعاصرة ، ج 3 ، القاهرة : الدار القومية للطباعة و النشر ، 1966 ، ص ص 1092-1093

⁵ فؤاد مصطفى ، محمد الخامس و كفاح المغرب العربي ، سلسلة كتب قومية ، القاهرة : الدار القومية للطباعة و النشر ، ص ص 6-18

بمحاولات الاستمالة الإنجليزية للمنطقة لتحريرها من التوسع الإيطالي حتى الاتفاق الذي تم بعد سقوط القوة الإيطالية في الحرب العالمية الثانية¹ ، وقد تولى الملك ادريس الحكم بتوحيد المملكة الليبية المتحدة بين الاقاليم الثلاثة² و تحولت الحركة الوطنية المنقسمة في الاقاليم الثلاثة الى توحيدية العمل ضمن اربعة احزاب اساسية حركة الاخوان المسلمين / حزب البعث الاشتراكي / حزب التحرير الاسلامي / حركة القوميين العرب و خاصة الاتجاه البعثي الذي طالب بالانقلاب على النظام الملكي بعد حركة 1964³

المطلب الثاني: التكوين الاجتماعي.

ان عملية وجود المجتمع ككل تلزم وجود ايكوس (بيئة) و افراد و علاقات ، هاته المسلمات الثلاث تتفاعل لتنتج المجتمع و تحوي درجة تطوره و قوة تكوينه و مدى استمراره، لدى فأى عملية لدراسة هذا المجتمع يجب ان تدرس مقارنة بمجتمع اخر و لا يمكن باي حال من الاحوال ان يدرس في ذاته او لذاته ، ان العوامل التاريخية هي المحفز الابرز الذي يساعدنا على التبيان و الضهور العلني للمبتغى الاساس للتحليل و لا نقصد بذلك اتباعنا للتوجهات المتمركسة حول الحتمية التاريخية⁴ و اشكال التطور او نمط الانتاج الأسيوي و مقولات الاقطاع و البنى الفوقية و التحتية

¹ مصطفى علي الهويدي ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الاولى ، طرابلس : مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، 1988 ، ص ص 155-156

² نقولا زيادة ، ليبيا من الاستعمار الى الاستقلال ، طرابلس : المطبعة الكبالية ، 1958 ، ص ص 163-165

³ للمزيد راجع :

ابراهيم عميش ، التاريخ السياسي و مستقبل المجتمع المدني في ليبيا ، ج 1 ، ط 1 ، برنيق للطباعة و الترجمة و النشر ، 2008 ، ص ص 265-318
⁴ و نقصد بذلك التطورات التاريخية مشاعة ، اقطاع فيودالي ، رأسمالية ، اشتراكية ، لكن الاشتراكية كرحلة حتمية سجلت مجزا نتيجة التحييد الذي لزمها كصراع داخل القوى الاجتماعية و تحول الامميات عن المسار فنحن نرى اشتراكية وطنية المانية و فرنسية و سوفياتية و عالم ثالث و مختلف القوى اليسارية التي لا تقف في اتجاه الرفض في الاصل و حتى ان كان فانه رفض القصورى و كلها تختلف لن تتقابل الا في نطاق الحركة الاجتماعية الثورية ازاء النظام الرأسمالي الغير محتمل اي الاهداف، لكن مما يجعلها في تناقض هو الميثود اللاوفاقي بعكس الاتجاهات الليبرالية تتوافق و الميثود و الاهداف ، ان التطور التاريخي جعل حتى الاشتراكية تتحول نحو البرجوازية في اطار العودة كما هو الحال في روسيا الاتحادية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي و حتى الصين الى ابعد حد فإنها لا محال كما يصف السيد سمير امين بين 3 اتجاهات اما ان تحافظ على نطاق التوجهات بالاستمرار في نطاق السوق الاشتراكية وهذا احتمال غير وارد ، و اما ان تقوم الاقتصاديات الخارجية بتفتيتها و هذا عامل تمهيدي للتحول خاصة و مع ارتفاع وتيرة التصنيع

ذات التحليل العمودي¹ والتي لا توافق الشكل المغاربي الاقضي التحليلي فالقبيلة لم تتركز بدافع التوسع الزراعي الاحتكاري او لم تنجح في ذلك نتيجة الظرف القاهر (الرعي التركي) او الفاضل القيمي المؤدي لوضعية الانتقال البرجوازي واما كان حال القبيلة بناء على مرتكزات تاريخية كامنة في البنية ذاتها اي لها تاريخ خاص وذاتي في التكوين البنيوي او حتى نمط الانتاج الكولونيالي البرجوازي الذي يخلق عمليات التبعية البنيوية للإمبريالي (لان الاخير يحتكر وسائل الانتاج) التي تفترض اختلالات انتظامية تكوينية بل تلازميا للبنية الاصلية تبعا مع العلاقات البنيوية الامبريالية داخل هذا النمط الانتاجي الكولونيالي فتتحول نحو برجوازية الطوائف ، لقد كانت هاته النظرة لمهدي عامل مقصورة على النظام الطائفي و كيفية تبلوره بشدة اي ان الإمبريالية حفزت الانقسامات الطائفية تحديدا لتتحول الى حالة ما قبل المجتمع الرأسمالي كمسوغ للسيطرة²، لكن الحال لم يكن بتلك الصيغة في المجتمع المغاربي بل على العكس من ذلك فالقبيلة (مالكية /اباضية / اسماعيلية/صوفية) و الزاوية (التوجهات الصوفية) ارتبطت بالضمير الجمعي الاسلامي و الجهاد كمحفز ثوري ونمط انتاجها كان مقصورا على التبدلات داخل الحيز القبلي لم يحقق الفاضل القيمي اي تستهلك كل ما

و اما ان تتحول الى قوة رأسمالية عظمى و هذا ما نراه خاصة بعد احداث خفض اليوان و الاخلال بسوق التبادلات العالمية خاصة الدولة النفطية و الشروع التدريجي لكي تتحول الى تعويم العملة كما هو الحال في نطاق حقوق السحب في صندوق النقد الدولي:

سمير امين ، **مناخ العصر** ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الانتشار العربي ، 1999 ، ص ص 147-152

¹ يعترف بذلك السيد سمير امين في النقص المسجل في اللاعمومية في التوجهات الماركسية فهي تشمل التجربة الاوروبية و حتى مع توجهه الجديد في نمط الانتاج الخرجي الخاص بالمجتمعات الما قبل رأسمالية حيث تحتكر السلطة السائدة الربيع بخلاف الرأسمالية الاقتصاد المسود و لا تختلف عن نمط الانتاج الآسيوي عموما لكن نظم التحديث السياسي التي قامت بها البروليتاريا و البرجوازيات الوطنية اثبت الشروع في عملية التصنيع حتى و ان كان مقصورا على الصناعات المصنعة فهي تعد تجاوزا لنمط الانتاج الخرجي و تجاوزا أكثر فان هاته النخب ستتحول الى كمبرادورية و بنالي الربيع مرهون بعلاقات العرض و الطلب و احتكارات السوق من المادة (مثلا المخزون الاستراتيجي الامريكي كمحدد لقيمة التعاملات النفطية في العالم) :

سمير امين ، **قانون القيمة المعولة** ، ط1 ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2012 ، ص ص 14-17

² يتجاوز السيد المهدي عامل فدراسته للدولة البنانية التقسيم الرأسي الطبقي و يعوضه نمط الانتاج الكولونيالي فيرى ان الطائفية (المتعلقة بالربط السوسيو-ديني) غير الطائفة (هي غير الكيان فهي علاقة سياسية جرى تميطها خارجيا في فترة تاريخية معينة حيث تتحول الطبقات الكادحة الى اسيرة الانتماء الطائفي المسيطر عليه من قبيل البرجوازية الوطنية التي تتجدد سيطرتها بناء على تحكها في نمط الصراع الطبقي بتمثيلها للطائفة اي بتحولها الى صيغة مؤسسية الذي انتج الدولة البرجوازية اللبنانية لا باعتبارها دولة طائفية تبرز الانتماء الديني بل طوائفي مصلحي اي نغني ان البرجوازية الكولونيالية هي التي اوجدت الطوائف من خلال دستور 1926 (مؤسسة الطوائف) وورثت البرجوازية الوطنية من خلال مؤتمر الطوائف 1989 النمط نفسه) فهي انتجت بناء على عوامل دينية بعكس الطبقة التي انتجت بناء على عوامل تداخلية سوسيو-اقتصاديا للمزيد راجع :

المهدي عامل، **في الدولة الطائفية**، ط3، (بيروت: دار الفارابي)، 2003، ص ص 257-327

نتج واما الزاوية كانت نظاما غير منتج انعزالي واما هنا فنحن نركز على شيء هم و هو نمط التحديث الكولونيالي الغير اقتصادي الصيغة كعلاقة ثلاثية (الاحزاب السياسية - النقابات - التعليم - التمدين - السكك الحديدية - شق الطرقات - التقيب على البترول) عمل على التكوين الاجتماعي للاتلجنسيا التي ستقود عملية المناهضة و لم تكن البنية في علاقات تلازم تبعي بل تجاوزته من خلال الصعود البروليتاري الوطني (الجزائر - ليبيا) و سياسات التأميمات الذي حققت رأسمالية الدولة (سونطراك مثلا) او البرجوازية الوطنية (تونس - المغرب الاقصى الذي غير صيغة المخزن التقليدية - موريتانيا فترة ولد داه) التي استطاعة نسبيا تحقيق دولة الرفاهية التي ستعود كخب كومبرادورية في اطار نسق التبعية¹، مما يرفع مقولة الانتاج الكولونيالي، سنعود لإبراز المجتمع المغربي ككل فتداخل الجوانب السوسيو - تاريخية قد يجعلنا نعيد مجمل الأفكار التي تقدمنا اليها بالدراسة ، لذلك سنحيل القراء اليها باستمرار في الجزء القبلي في هذا المبحث ، لقد مثلت الجماعة المغربية البنية الاصلية بالنسبة للغزاة الفينيقيين و الرومان و الوندال و البيزنطيين و العرب المسلمين لكن عملية التفاعل الفعلية كانت مركزة بشكل اساس بين الفينيقيين (التقارب التبادلي التجاري - اللغة) و العرب المسلمين (الدين الاسلامي) ، و نعلم هنا تحليل تويني لعملتي التبني و التولد / البروليتاريا و الاقلية المسيطرة²، لقد كانت الدولة القرطاجية (اقلية مهيمنة) دولة

¹ و لما كان التحديث تبعا - خارجيا فان كلا النخبتين الصاعدتين عبر الحراك المجتمعي ابان الدولة الكولونيالية (الباريمونالية بالتصدي او البرجوازية الوطنية بالتبني) عادة حتميا الى نقطة الصفر من بحث تكونت رحما في المجال الكولونيالي ، فتحول الى نخب كومبرادورية هو امر حتمي ، لذلك تتفق مع الجزء النظري للنوماركسية النظام العالمي / التبعية (مركز/تخوم و الذي سنثبت انها علاقة جد موسعة تتكون من تخوم التخوم / تخوم / مركز) لأنه يفرض نمطا استيلاليا يؤدي الى تشوه المجتمع و الانحدار نحو الفقر و التخلف (ضد التطور / التنموي الذي يفرض علاقات متوازنة بين داخل البنية و خارجها) لأنها ليست علاقات ودية بينداتية بل كما شارنا علاقات استغلالية مرضية بين الناركسوس و السايكو لأنها لم تتحول الى علاقة تحديث- تحديث بل الى علاقة تحديث تقدي- تقليد تراجمي :

Patrick D. Nolan, *Statue In the World Economy And national Structure and Development*, In: Gerhard Lenski, *Current Issues and Research in Macrosociology*, (Netherlands: E. J. Brill) , 1984 , p 109-110

² يقصد بعملية التبني ان يكون مجتمعا غيرا ابا روحيا للمجتمع الاصل و اما عملية التولد فتتركز على تقمص الهوياتي للمجتمع الغربي كالدين و اللغة و الاسلوب الحضاري و في وضعية استعدادية ضهورية للاقلاب على المجتمع الغربي ، و اما البروليتارية هنا فتعني الجماعات المكونة للمجتمع الاصل و التي تكون منخرطة في عملية التبني تحت سلطة الاقلية و اما ان تكون داخلية (كالبربر مثلا أي منظمة داخل المجتمع العربي الاسلامي) او خارجية (كروما بالنسبة للمجتمع الهليليني التي لم تكن ضمن المجال الهليليني أي خارجة عنه لكن تأثرت بالسلوب الحضاري الهليليني كالرواقية مثلا) :
أرنولد تويني ، مختصر دراسة التاريخ ، تر: فؤاد محمد الشبل ، ج1 ، ط 2 ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة) ، 2011 ، ص ص 19-26

أرسوقراطية تعمل على التوظيف المصلحي للجماعات البربرية (التبني) التي تميزت بوضعية اللادولة (بداوة تامة - غياب المركز) ونظرا للصعود الزعامي لماسينيسا فقد مثل البروليتاريا الداخلية الشائنة على النظام القرطاجي وفي الحالة العربية الاسلامية فقد تفاعلت القبائل البربرية مع النمط العربي الاسلامي سواء من حيث الدين او اللغة مما جعل الدولة الامبراطورية الاسلامية (اقلية مسيطرة) تبنى المجتمع البربري ليتحول الى مجتمع عربي اسلامي وفي هذا السياق تولدت الخصوصية البربرية و عملية التكوين الذاتي مما جعلها تستفيد من الاسلام كأدلة كبروليتارية داخلية مناهضة (الإباضين/ الدولة الرسمية - النسب العلوي / الدولة الادريسية) مما جعلها تنقلب على المجال الدولي الاسلامي الممثل بالخلافة العباسية مغتمة الوضع العام المهترئ للمركز، لذلك سنعود الى الطريقة الماكرو-سوسولوجية¹ التي تدرس الظاهرة Phenomena بناء على المؤثرات الخارجية عن البنية الاجتماعية كالاقتصادية والتاريخية والدينية والسياسية اي المكونات المختلفة التي تساهم في ميتودية التكوين المجتمعي اي التغيرات المصاحبة لعملية التكون في محل العلاقات والبيئة، هذا يدفع الى التأثير على الافراد المكونين للمجتمع ويتحكم مجملا في درجات التأثير/ التأثير، التفاعل و المساهمة / الانعزالية الاستهلاك، الالتحام / الانقسام، التضامن / الخصومة وهي ما تظهر الصيغ الحقيقية للمجتمع قصد التعرف على اختلافاته البينية عن المجتمعات الغيرية و اما سلوكيات الفردية ترتبط غالبا بنماذج اللاوعي نتيجة التأثيرات القهرية على البنية الاجتماعية كالبناء الطبقي (البنية التحتية / الفوقية) او الخطي (زاوية / قبيلة) الذي لا تساهم فيه الافراد كذوات تملك شعورا

¹ تعني الماكرو Macro الكليانية Large و يتعلق الماكرو-سوسولوجيا بدراسة الظواهر في نبطها الشامل الكلياني مرتبط بالعلائق التاريخية و الاقتصادية و السياسية كمنط الانتاج و الهيمنة الأيديولوجية و طبيعة العلاقات الصراعية و اما الميكرو Micro الجزئي Small الميكرو- سوسولوجية و تعني دراسة الظاهر باعتبارها سلوكيات اجتماعية فردية مرتبطة بالعوامل السيكولوجية و الثقافية الرمزية و تخص المجتمعات المحلية الصغيرة للمزيد راجع :

محركا ووعيا بمخارجاتها، ونحن هنا لن نوظف التوجهات الميكروسوسولوجية المرتكزة على الجوانب الشخصية في التحليل اي بالاهتمام الاساسي على خصيصة العلاقات الفردية (السيكولوجية او الثقافية) وردة الفعل المتمثلة في السلوك Behavior و نعتقد انها متشابهة الى حد ما في كل المجتمعات ازاء العوامل الخارجية فالطبيعة البشرية واحدة تمتلك المؤهلات نفسها (عقل /جسد/وجدان) ، اما نظرية دوركايم¹ فهي تحدث فارقا منهجيا للدراسة المتباينة بين النمطين الميكروي و الماكروي حول المجتمع الاي التقليدي² الثابت المقصر على العلاقات الخطية المرتبطة بالعنصر Segment اي عبارة عن موناتات المتفاعلة اليا في وسط فيزيائي معين معاقة حركيا بفعل العامل القهري (سلطة الاعيان / التأثير النفودي الرمزي للناسك) و المجتمع العضوي المرتبط بموضع تقسيم العمل و الاعتماد المتبادل الذي ينتج بنى متحركة خصوصية حسب درجة التقسيم وفق دينامية معقدة مرتبطة بصيغ فردية (دور Role) داخل التنظيم المهني الذي يمنحها الحرية في التعبير و الابتكار باعتبارها خلايا تؤدي وظائفها معينة³ عموما ان كانت النظرية متحيزة نوعا ما فهل حقيقة المجتمعات العضوية لا تحوى الافراد و تعوق ادائها؟، ان الرسمية المجتمعية هي اكبر دلالات التشيؤ الممكنة فالرأسمالي يعتبر العامل سلعة يتخلى عنها في حالات العجز او الخلل الاقتصادي ، فعليا فنحن لا نهتم بالجزء الذي لا يآثر في البنية عامة حتى و ان افترضنا ان الافراد

¹ عموما فدوركايم يعتبر المنظر الرئيسي لعمليات الدراسة الميكرو- سوسولوجية للمجتمع :

Randall Collins , **Conflict Sociology : A Sociological Classic Updated** , (Usa : Pradigm Publishers) , 2009 , p- p 275

² يكون المجتمع اليا في الحالات التي يكون فيها الجزء و العقاب مرتبطا بإفرازات المجتمع العاطفية التي تخلق انسجاما اجتماعيا بفعل العوامل الوجدانية المشتركة و كلما كان الجزء محسوسا كلما ذا انسجام الافراد بصورة اوسع لذلك فهذا النوع التضامني مبني على محددتين اثنتين الجزء و العقاب للمزيد راجع :

اميل دوركايم ، في **تقسيم العمل الاجتماعي** ، تر: حافظ الجمالي ، ط2 ، (بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع) ، 1982 ، ص 129
³ تقصد مثلا تلك المبتوديات التي تكون نابعة من بسيكولوجيات هيومانية لا دخل للمؤثرات الخارجية بها ، يورد دوركايم كدلالة على التجاوز المعضلاتي في المنهج المتبع على مقولة ان الافراد يخضعون نسبيا في فترات التواجد المهني (العقل المهني) و خارجه يتمتعون بكامل الحرية على خلاف المجتمع التقليدي الذي تشمل فيه الجماعة الاجتماعية المركز الفردي كذلك ، و نلاحظ حتى المجتمعات الحدائية تتوسع للسيطرة على الافراد في فترات العجز الاقتصادي كسياسات التششف و الخلل لن يكون شدا بل دوريا لان ميكانيزمات السوق المفتوحة تفرض ذلك (الكساد-التضخم):
جينيفر م. ليمان، **تفكيك دوركايم: قد ما بعد البنيوي** ، تر: محمود احمد عبد الله ، ط1 ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة) ، 2013 ، صص155-

هم المكونين للمجتمع فهم يلعبون ادوارا متناسبا و البيئة و العلاقات التي تحدد الفعل الاجتماعي فالأفراد يكونون سلوكا Behavior مرتبطا مجالا بالمجتمع الجزئي Small-Society (العائلة-المدرسة- المؤسسة-الفريق) و علاقاتهم هنا يمكن دراستها في النطاق ذاته اي تقصد فعاليتها في المجالات التي تتعلق بالظواهر الخاصة في المجتمع و هي موحدة بشريا كطلاق - الزواج - الانتحار - الجنوسة - استخدام اللغة - الانتحار - الجريمة ، لكن تختلف في كلا الحالتين التفاعليتين بين البيئة و الفرد، نعرف انه من الصعب التفريق بين الصيغتين لان المدارس البنوية Structuralism (الماركسية و الحتمية التاريخية للبنية ، ليفي شتراوس و نظام اللاوعي الاجتماعي المتجسد في اللغة و الخرافة ووحدة الروح الانسانية) و الثقافية Culturalism (اهمية العلاقات البيئية و التركيز على المجتمع المحلي) و الوظيفية functionalism (المركز و الدور لبارسونز مثلا) ، تحول في مدرسة فرانكفورت و شيكاغو¹ لكن الملاحظ عموما ان كلا الوجهين الميكرو و الماكرو هما هامين في مجال السوسيو- بوليتيا للتعرف على البنية التي مثلا قد تتجاوز الميتود-الماكرو كآثار الكارزماتية الفردية على المجال العام انها لاشك تفرض التحليلات البسيكولوجية لصانع القرار²، لذلك فإننا هنا باعتبارنا تطرق للبنية الاجتماعية المغاربية فيجب استخدام الماكرو-سيولوجيا كأداة تاريخية /مقارنتية/ تحليلية تبرز الخصوصية المغاربية التي تميزت فيه الظاهرة بشكلها الاستاتيكي (قبيلة / زاوية/ بروليتاريا وطنية) و لن نربطها بنطاق الحتمية بل نوردتها نمطا خاصا و لو كما نريد الدراسة التخصصية للمجتمع المحلي المتميز بطابعة الديناميكي كما هو حال في المجتمعات الحديثة المعقدة فإننا

¹ للمزيد راجع :

احمد بعلبكي ، المركزي و المحلي و مقاربات تغير المجتمعات : حراك الثقافة و الهوية في تعويق و تنمية القدرات ، في : جاك قبانجي محررا ، اشكالية الدولة و المواطنة و التنمية في لبنان ، ط1 ، (بيروت: دار الفارابي) ، 2009 ، ص ص 95-118

² Randall Collins , On the Microfoundation Of Macrosociology , American Journal Of Sociology , Vol 86 , No 5 , Mar 1991 , (Usa : Chicago University Press) , p-p 1010-1011

نستخدم الميكرو-سيولوجيا¹ لمعرفة التكوين الفردي للشخصية بناء على التفاعلات السيكلوجية او الاتصالية او الثقافية التي تحصل في النطاق المذكور ونحن نتفق مع دوركايم كليا في ان المجتمعات التقليدية تشتمل بحالة الثبات كما هو الحال في الوضعية الاجتماعية المغربية، وانه من سبيل التأثير فإننا سنعمد هاته الميثودية-الميكروية لاحقا في الفصل الثالث من هاته الدراسة من خلالها ربطها بالنمط السياسي .

مجملا فالميكانيزمات الماكروية تعتبر ككلاسيكيات في التحليلات السوسولوجية وتعتمد

على سبعة عناصر كما يجملها C.Wright-Mills :

- 1- الدلالة التحليلية النسقية Systematic / الوظيفية Functional .
- 2- مقدار القوة التأثيرية للسلوكيات المادية Materialist-Behavioral (الاقتصادية او الثورة التكنولوجية الاتصالية مثلا) على التكوين الاجتماعي .
- 3- الاتجاه التطوري Evolutionary للتغيير Change .
- 4- ابراز انعكاسات The-Impact التكوين Structure الاجتماعي (الجماعات Groups القبيلة / الزاوية - التنظيمات Organisations المجتمع المدني) على المعتقدات Beliefs و المواقف Attitudes و القيم Values الانسانية .

¹ المجتمع التقليدي عمليات التغيير فيه بطيئة تأخذ شكلا ثابتا عموما في انها تفترض ان الجماعات هي المكون الاساسي للأفراد المنخرطين داخلها و القيمة الفردية تبقى مبتلعة Engulfed داخل هاته الجماعات ، على نقبض المجتمع الحديث الذي يفترض تطورا متسارعا و دورا أكبر للأفراد على حساب الجماعات فالقيمة الفردية تبقى معزولة Isolated عن الجماعات المكونة (الفردانية Individualism) :

Thomas J. Scheff , **Microsociology: Discourse, Emotion, and Social Structure** , (Usa : The University Of Chicago press) , 1990 , p 10

5- الضبط النظري لشكل Form الانظمة Systems ، من خلال معرفة التأثيرات Influence

المبادلة Reciprocal بين المثل Ideals الثقافية و الثقافات المادية Material في عملية

التكوين .

6- الاهتمام بالتباين Inequality الموضوعي Endemic (شغل المناصب ، تحقيق المكاسب

التخبوية ، وهذا الجزء قد يعني Class الطبقات كذلك لكن استخدمناه هنا لأنه يضم

تحليلات اوسع من الخصوصية الاوروبية اي يعني الانقسامات الخطية Vertical كذلك)

داخل البنية الاجتماعية .

7- تقليد ثري بالمعطيات Data المقارنتية التاريخية Comparative-Historical التي تستخدم

في اختبار الكليات او العموميات Generalization¹ .

و هاته التوليفية ترتبط خاصة بالمجتمع المغربي مرتبطة بذلك بالبناء الاجتماعي المقرد

بالقبيلة و بالزاوية كشكل عام و اولي ، وقد تطرقنا اليها بصورة عامة من حيث الصيرورة و التطور

في الجزء الخاص بالمسار التاريخي للبنية الاصلية ، سنعيد ضبط المفاهيم بصورة اكثر وضوحا في

سياقها التاريخي الذي اوردناه سابقا .

من مميزات الصيغة البنوية الاصلية للمجتمع المغربي حضور القبيلة (Tribe-Tribu) التي لم

تجاوز مرحلتها الصيرورية² كما كان الحال في الخصوصية الغيرية الاوروبية بتداخل الاقطاعي

الفيودالي الذي كون علاقات الولاء المعوضة للولاء المشيخي التقليدي وكذلك الولاء الترابي

بالعلاقات المعتمدة على الزراعة كنمط انتاجي استقراري للجماعات التي لم تكن على نفس الوتيرة

¹ Frank L. Elwell , **Sociocultural Systems: Principles of Structure and Change** , (Canada : Athabasca University Press) , 2013 , p 11

² القبيلة مرحلة عمومية في التكوين البشري من العائلة الى القبيلة الى الجماعة الى الدولة :

M. Ch. Labitte , **De L'État des Litteratures modernes en Europe avant Dante** , (Rennes : Imprimerie De A. Marleville) , 1840 , p-p 1-3

بالنسبة للخصوصية المغاربية والتي على مريض لم تتمكن من الاستقرار في نحو اقليمي واحد فعلى يعكس ولائها للمنطقة بسبب الجرثومة الخارجية (الرعية التركية / الكولونيالية الاوروبية) وهناك فرق مهم بين القبيلة في المغرب (البربرية / العربية) بشكل عام والقبيلة في اوروبا برغم انها تركز على علاقات القربى و الدم و النظام البطيركي المتشابه الى حد متقدم فإنها مثلت اقليما معينا غير قابل للتنازل من قبل الباتريكيان / النبلاء (Patricien) وفي نفس السياق فالقبيلة الاوروبية تكونت من الاسر الغير موازية بدافع السيطرة و الغلبة داخليا من خلال الاستحواذ على وسائل الانتاج (الاراضي الزراعية) و تحقيق الثورة الموحدة للأسرة الرأسية التراتبية المتوسعة مجاليا (الغزو الاقتصادي)¹ و مكاسبه لم تكن اقتسامية بالتوازي مما يخلق عدة ولاءات داخل القبيلة كمكون لأرسوقراطية التي توسع لتضم قبائل-اسرية اخرى و هكذا حتى تكوين مجالا اوسع يؤدي الى خلق الدولة المركز بالغبلة (قد تكون بالثورة او عسكرية او اساس ميثولوجي) الذي حول العلاقة الى نبالة الباتريكيان patrician و بليين plebeian (مواطنين) كما هي الحالة الرومانية المكونة من تحالف أرسقراطيات مسيطرة مثلا Caecilii.Metelli كان يطلق عليها لقب The.House² و اما القبائل الشمالية Celts-Gauls-Germans التي اصطدم بها يوليوس قصير في غزواته فيقسمها بامتدادها الطوبونيمي مثلا عندما يقسم قبائل Gauls يعتمد على الاساس الجيولوجي بنهري Garumna (نهر جارون)/ Rhone (نهر الراين)، فالعوامل الطبيعية هاته ادت الى تركز القبيلة كجماعات Groups (Gaul.Proper/Aquitani/Belgae) في مجال معين و التكيف مع متطلبات الاقليم مما ارتبط بدرجة

¹ اصل قيام القبيلة الاوروبية حسب M.Hambert راجع لمغرين الارض و التوسع للمزيد راجع :

Janine Cels-Saint-Hilaire , **La République des tribus** , (Toulouse : Presses Universitaire Du Mirail) , 1995 , p-p 124-125

² كمثلا ارتباط العائلة بجنوس ممتدة من الالهة مثلا كهائلة Caecilii Metelli التي تدعي انها ممتدة من الالهة Vulcanus للمزيد راجع :

Karl-J. Hölkeskamp, **Reconstructing the Roman Republic: An Ancient Political Culture and Modern Research**, Tran : Henry Heitmann-Gordon , (Uk : The Princeton University Press) , 2010 , p 118

الاختلاف في اللغة و القوانين و المكوسات Customs (الجهاز الضريبي التقليدي)¹ و القوة العسكرية (The.Arvernii/The.Helvetii) القبيلتان تمكنا من الالتحام و الدفع بالقبائل الاخرى للدخول في هذا الاتحاد The.Gauls.Confederation ازاء الخطر الخارجي الروماني بنبالة الدم للزعيم (Vercingetorix) و كان هذا الاتحاد يمتد الى جماعات اثنية اخرى (The.Germans-Suebi)² و عاد الاتحاد الى الانقسام بالهزيمة و موت الزعيم و تبين لنا المصادر ان الطابع التوطيني كان موجودا للقبيلة فمثلا بعد الانقسام دفع The.Helvetii الى الهجرة و حرق معاقلهم Strongholds المنازل و الموارد³ التي كانت تتمتع بها القرية-القبيلة و هذا له دلالات عدم العودة لمدى ارتباط القبيلة بالتراب، و اما القبيلة في هيلينيا فكانت لا تمتد الى اطار جينوسي Genos واسع بجيل او جيلين على اكثر تقدير ، و قد لعبت العائلات التكوينية دورا مهما كأخويات لا تشترط وجود الدم كأساس للالتحام الذي عوض التواجد القبلي هذا سرع لوجود البوليس Polis كاطار جمعي (العائلة-المدينة)⁴ مما مكن مثلا كل من الغزو المقدوني و الروماني من عدم مواجهة حالات التمرد و الثورة فقط بالحفاظ على طابع المدينة، و اما في الشرق الادنى و تحديدا في الصين فلم تعرف القبيلة بل عرفت الاسر المهيمنة التي تشغل المجال و الموارد و الزراعة كنمط انتاج و التي كانت تمثل بالقداسة المعنوية خاصة مع صعود الكونفوشيوسية التي تحافظ على قيم النظام الابوي و التي قضى عليها بتطور المرحلي الى المجتمع العبودي الإقطاعي بصعود اسرة تشين بذلك انهدت التواجد الاسري المتعدد ، و اما اليابان فقد عرفت نظام القبيلة The.Minamoto/The.Taira لكنه لم يمتد طويلا نتيجة الحروب

¹ Andrew M. Riggsby , **Caesar in Gaul and Rome: War in Words** , F.e , (Usa : The University Of Texas Press), 2006 , p-p 57-59

² Carl Waldman / Catherine Mason , **Encyclopedia of European Peoples** , (New York : Facts on file , inc) , 2006, p-p 39-40

³ للمزيد راجع مذكرات يوليوس قيصر:

Julius Caesar , **The Gallic War** , F.e , (New York : Dover Publication, Inc) , 2006 , p-p 2-3

⁴ Anthony M. Snodgrass , **Archaic Greece: The Age of Experiment** , (Usa : The University Of California Press) , 1980 , p-p 25-26

داخل القبيلة و البنية التي عرفت The.Gempei.War مما دخلت في النظام الاجتماعي المعوض و الذي يعرف بنظام الفرق Clan التابعة اسميا للملك المركزي The.Shogun² و التي كانت تحمل اسم المؤسس مثلا The.oda /Oda.Nobuhide و تشغل مجالا تمدينيا ممثلا بالقلعة الاسرية و تعتمد على الزراعة كنمط خراجي يوفر للقائد Daimyō المورد الهام لتطوير الجهاز القمعي العسكري المعروف بنظام الساموراي Samurai³ و التي ازدادت انغلاقا بالديانة البوذية (الزن) فالأسرة و الولاء كانت من بين القيم المقدسة التي توجد في اطرافها الجماعة⁴ فالتنمرد قلما يحدث داخلها الا في حالات انتفاضات الفلاحين التي لم تكن بتلك القوة التغييرية او كان يحدث التمرد الداخلي في الحالات التي كانت السلالة الشرعية (الاطفال من نظام الزواج) تختلط بسلالة غير شرعية (الاطفال خارج اطار الزواج) مثلما حدث في فرقة The.Imagawa⁵ و قد قضي على هذا النظام الفرقي بعد سلسلة الحروب البينية التي عرفت بحروب الاقاليم sengoku-jidai بعد معركة Sekigahara- 1600م استطاع خلالها Takagawa-Leyasu من ان يشرع في عملية التوحيد الراديكالية⁶ و كل التنظيمات الاجتماعية المذكورة تميزت بالتراتبية الرأسية سواءً الاوروبية او الصينية او اليابانية، اما في الهند

¹ Stephen R. Turnbull , **The Samurai: A Military History** , S.e , (New York : RoutledgeCurzon) , 2005 , p 40

² تمكن الجهاز البيروقراطي العسكري من انهاء مرحلة الانقسام الطبقي و حولها الى انقسامات فرق تحولت هته الفرق الى اقطاعات تشمل المحيط الكلي لليابان للمزيد حول هذا الجهاز البيروقراطي راجع :

Donald H.Shively / William H. McCullough , **The Cambridge History of Japan** ,V.2 , F.e , Uk : The Cambridge University Press , 1999 , p-p 326-340

³ حول النظام التعليمي و العسكري للتكوين الجندي المعروف Boshido راجع :

Inazo Nitobe , **Bushido: Samurai Ethics and the Soul of Japan** , F.e , New York : Dover Publications , Inc , 2004 , p-p 57-60

⁴ Joseph M. Kitagawa , **Religion in Japanese History** , (New York : The Columbia University Press) , 1990 , p-p 17-18

⁵ كان هناك نظام وراثي للفرقة مبني على الوراثة للابن البكر المولود عن طريق الزواج و اما الابن المولود خارج اطار الزواج فلا يملك حق الوراثة الفرقوية بما ادى الى انقلاب Yoshimoto على اخوته للمزيد راجع :

Eiji Yoshikawa , **Taiko: An Epic Novel of War and Glory in Feudal Japan** , Tran : William Scott Wilson , F.e , (Tokyo : Kodansha International) , 2000 , p-p 175-192

⁶ Yamamoto Tsunetomo , **Hagakure: The Book of the Samurai** , Tran : William Scott Wilson , f.e , (Usa : Kodansha America, inc) , 1979 , p 11

فكانت الحالة مختلفة فقد استفادة القبائل المنقسمة التي كانت قبائل جني وكذا قبائل زراعية محدودة من الاستفادة من التحديث المقدوني يعد غزوات الاسكندر ، فبعد موته انقسمت الامبراطورية الى خمسة اقليم من بينها بكتاريا التي اشركت السندين في الجهاز الاداري مما اكسبهم خبرة بنشاط الدولي و انقلبوا بظهور الكاريزما (الملك الفيلسوف) تشاندراجوتبا الذي اسس المركز السندي و تلاه اشوكا باربادرشين الذي فرض الوحدة قصريا بسلسلة الابدات لينتهي به الامر ناسكا و ناشرا للبوذية في سنديا و عموما كانت القبائل انغالية الى حد بعيد نتيجة التعاليم البوذية و حتى البهرامية الامر الذي حافظ على وضعية القبيلة الخطية¹ و الطابع الميثولوجي فقد كان الدين اساس الانقسامية في الهند التي كان فيها الكاهن الزعيم الروحي للقبيلة خاصة في المواسم الطقوسية التي كان يستفيد من وضعيتها الكهنة.

الامر الذي كان مختلفا في القبيلة (البربرية / العربية)² التي تميزت بكونها خطية اي نوع من القيادة الجماعية تعتمد على علاقات القربى او الدم او السن او الدين للزعامة داخليا و بحري اقتسام المنافع داخليا ايضا بالتوازي مما خلق دافع الانقسام الشديد داخليا لعدم وجود مركز ضامن لهاته القبيلة الا بوجود عصبية (المكونة بخاطر خارجي قبيلي ووجود زعيم) او الترف (الدافع الاقتصادي كان محدد لفرض الهيبة و الالتحامية) و الدين (العلماء و الوحدة الشعورية بالدين الواحد كانت ارومة مهمة للالتزام) و الانقسام يحدث لضعف او خلل موجود في تلك الصيغ الخلدونية المثلثة ، لم يكن الجيوس (الارض) مصدرا للسيادة لغياب الزراعة كششاط انتاج يربط

¹ هذا المشكل لا يزال عالقا في المركز الهندي للتعارض الواضح بين انغالية الجماعة و ترك الامور على سميتها بالنسبة للمركز مما يحدث الفصام بين المركز المستفيد من قيم الحداثة و الجماعات ذات التفكير التقليدي للمزيد راجع :

Lloyd I. Rudolph / Susanne Hoerber Rudolph , **The Modernity of Tradition: Political Development in India** , (Usa : The University Of Chicago Press) , 1967 , p-p 34-36

² لا تختلف القبيلة البربرية عن العربية من حيث الهيكل و نمط الانتاج ، كالرق و النغني بالقبيلة و الاطعام المعروف بتوزيع : محمد الصالح حوتية ، توات و ازواد ، ج 1 ، الجزائر ك دار التاب العربي ، 2007 ، ص ص 363-369

القبيلة بالجيوس و تضطر للدفاع عنه و الاستقرار في مجاله بل كانت في حركة مستمرة نتيجة الحروب او البحث عن الموارد (كالآبار و الكلا) و عموما انقسم امتدادها حول الريف (بشقيه المنبسط و الجبلي) و البداوة (الصحراء) و لم يكن نمطها الانتاجي بالشكل الذي يوفر لها الفاضل التقدمي بل كان نمطا استهلاكيا (كل ما ينتج يستهلك)، على طول هاته المناطق كانت مجالات تواجدية لقبائل عديدة منقسمة و ملتحمة بحكم العلاقات التفاعلية البينية (الحروب ، الزواج ، علاقات التجارية المحدودة) و اما الجينوس كان امتداديا واسعا و معقدا بحيث اننا نرى مثلا ابن خلدون يقسم صنهاجة الى طبقة اولى (ابن زييري) و ثانية (الملثمين) لمتونة/مسوفة /تريكة /تاوكا /زغاوة / لمطة و هاته البطون تنقسم الى بطون عديدة مثالا لمتونة تنقسم بدورها الى تكوينات بنوورتنطق/بنوزمال/بنوصلان/بنوناسجة ، اما عن الطوبونيميا فلا تعكس علاقات الافراد بالمكان الا في حالات خصوصية كمنطقة زواوة، و يجب اولا الإشارة الى الخلط العملي الذي تقع فيه باستمرار في مفهوم التشكلي للقبيلة مجد ذاته و يعبر عنها مثلا بالمثل الذي وجدناه فهوارة مثلا بطن من بطون كامة تكون امتدادا قريبا اخر كأولاد عمران بالالتحام مع دكالة و الحياينة و الصعوبة الثانية التقسيمات المكانية المتعددة للقبيلة الواحدة فمثلا نجد الشاوية في الشرق الجزائري و الشاوية في الجنوب الشرقي للمغرب الاقصى¹ و السبب الاخر قياسي غيري مربوط برد مفهوم القبيلة الى فترات عشائرية تقليدية في التكوين الاجتماعي الانساني ، و بتالي القبيلة قد امتد تاريخيا في المغرب كأساس لا يمكن نكرانه و مكون اساس في الفيزيولوجيا المغاربية العامة و صحيح ان القبيلة تعني ضدية المركز الدولي لكن و على خلاف هذا التيار فأنا نرى بلاد المغرب أنشئت دولا بفضل عصب القبيلة التي تعتمد على التمدد الغزواتي و جلب الولاءات بالغلبة ، لكن بدت العصبية

¹ عبد الرحمان المودن ، البوادي المغربي قبل الاستعمار ، ط 1 ، الرباط : مطبعة النجاح الجديدة ، 1995 ، ص 140

تراجع مع الصعود الزوياتي في الجنوب و تدهور المستويات الفردية و العقائدية لدى البوادي¹ و تحول الحياة الاجتماعية الى التكوين المدني مما خلق ثنائية البادية و المدينة او المحيط الممثل بالبوادي و المركز بالمدينة كاطار يلجا اليه البوادي للتجارة و بيع محاصيلهم² ، و تختلف كليهما من حيث نمط الانتاج و التفكير و المتوح الثقافي ، و كان نفود الزاوية في تعاطف مه 10 هـ لأنها تضم مجالا أكبر بحكم التوجهات الروحية - الدينية و تحولت لتكون السلطة العليا على التنظيم القبلي³ و تمتد عبر انشاء زويا فرعية في المدن لاستقطاب مكونات أكبر و مما ميزها عن القبيلة ان عملية الضم او التكوين لا تأسس على معامل القرابة او رباطة الدم و انما الانتماء و بتالي كان هناك نوع من التساوي الذي كان يظهر بعض المكانة لان الزاوية لم تكن مؤسسة اتاجية بل تعتمد على موارد القبائل ما اضطرها للبحث عن مركز افضل و بتالي كانت تلجا للمخزن بعقد تحالفات تبادلية الولاء مقابل المكانة و بتالي توسع المخزن على حساب الزاوية لامتداد يعوي أكبر⁴، لكن الزاوية في المجال الموريتاني (و كانت تسمى بتكرور و بلاد شنقيط⁵) كانت تحوي استراتيجية الصف للاختلاط بين الصنهاجين (لمتونة و كدالة و مسوفة) و قبائل السودان المهاجرة من غانا و سينغال و المالي و بني حسان القبائل الهلالية العربية فالصف الاول يمثل رواية الشمس اي اولئك الذين يتسيدون الزاوية و

¹ هناك تركيب زاوياتي مخالف تماما للزاوية كمفهوم متداول (قرابة الولي او النسب الشرفي) و هي زاوية سيدي شمروش و التي اساس بنائها ان هناك جني في الزاوية و بتالي هناك الخدام ، هذا خدام سيدي شمروش متصل بالتناوب بين سلالتين متنازعتين داخل ما يسمى الدوار أيت اوسكا و اين ميزان أي ان هذا المزار احدث انقساماً داخلياً في تركيبة الزاوية بتالي التناوب في مجالي الذبح و الأدوار الطقوسية للاستفادة من عائدات الزوار ، يسمى الطقس ميعيزاً و هناك كذلك نفس النمط في منطقة الاطلس في لزاوية المساة لالا عزيزة و لتجاوز الخصومة فان القبائل التي تتكلف بالخدمة لا تدعي النسب او الصلة بالضح و انما يبقى الضريح الامنتي الا ان لها ثلاثة ظهائر كنوع استراتيجي للزعامة و لا تزال المشاعات المكون الاساس في اقتسام الانتاج للمزيد راجع:

حسن رشيق ، سيدي شمروش : الطقوسي و السياسي في الاطلس الكبير ، تر : عبد المجيد حجة و مصطفى النحال ، الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، 2008 ، ص ص 74-75

² قيس مرزوق و رياشي ، التراتبات الاجتماعية و التراتبات المحلية ، في : محمد مزين و اخرون ، تطور العلاقات بين البوادي و المدن في المغرب العربي ، الرباط : كلية الآداب و العلوم الانسانية ، 1989 ، ص ص 67-96

³ احمد بوكاري ، الزاوية الشرقية ، ج 2 ، ط 1 ، الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، 1989 ، ص ص 27-30

⁴ لتحقيق الاستتالات كان المخزن يعنى الزاوية من صرية المكوس ، و هي عبارة عن ضريبة جبائية للمزيد راجع :

محمد المنصور ، المغرب قبل الاستعمار ، تر : محمد حميدة ، ط 1 ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 2008 ، ص ص 152

⁵ الخليل النحوي ، بلاد شنقيط المنارة ، تونس : المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، 1987 ، ص 19

الصف الثاني زاوية الظل و هم التابعين و يقال في لفضهم والتزاويت اي التخلق مجلق الزاوية¹، يجب الاشارة الى مفهوم المخزن فهو يعني المستودع المحلي الذي تخزن فيه الاموال الموجهة لبيت مال المسلمين وقد عني به هذا اللفظ الخزينة المركزية ايام الصعود الشرفي (الادريسية / السعدية و العلوية) كدلالة ادارية مزدوجة بين البنائين الجهازين البيروقراطي / الضريبي² و كانت الى جانب الجيش هاته المؤسسة تستقوي بتكثيك المحلة و التي تعني السلطة العسكرية-الضريبة المتجولة و هناك نوعان من المحال ، المحال الزجرية و التي تكون وظيفتها تأديبه لقبائل السبية او حماية قبائل الشبة المخزنية الموالية و ككانت هذا التكتيك معتمدا بشكل أكبر في المغرب الاقصى و قد لقب بالحركة و قد اعتمدها المولاي إسماعيل على مدار 55 سنة 1672-1727 لم يمكث سنة كاملة في مركز معين فكان يتنقل بين فاس و مراكش و الحسن الاول³ بنفس النسق 1873-1894 بحوال 19 حركة ، و في عهد الدولة الحسينية بالباي حسين بن علي ضد ابن اخيه المتمرد 1705-1740 و النوع الاخر من المحال هو المحلة العادية التي تخرج بصفة دورية لجمع الضريبة و كانت الجزائر و تونس المثالين البارزين على ذلك⁴ ، و بعد المرحلة الاستعمارية و صعود الحركات الوطنية تغير البناء الاجتماعي و ميزان القوى الاجتماعية اي الزاوية-القبلية الى المراكز المثلة بالمدن نتيجة التقدم التعليمي و تهيئة المدن مما اطر الى ترك البوادي و الالتحاق بالمدن مكان للاستقرار و العمل و بتالي كونت الحركة الوطنية الطبقة

¹ محمد بن ولد باباه ، شم الزوايا ، موريتانيا : المغاربة ، ص ص 58-60

² الجهاز الاداري المكون من الوزارات و الحاجب و المشور للمزيد راجع :

مصطفى الشابي ، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر ، المحمدية : مطبعة فضالة ، 1995 ، ص ص 29-78

³ في عهده تطور الجهاز الدبلوماسي من خلال الاحتكاكات مع القوى الصاعدة الكولونبالية :

الطيب بياض ، المخزن و الضريبة و الاستعمار ، ط 1 ، الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، 2011 ، ص ص 69-71

⁴ المحلة في الجزائر تقسم طوليا أي بين بايلك الشرق / التيطري / الغرب و اما تركيب المحلة فتكون من مركز مخزني و دوائر عسكرية حسب الاولوية و الولاء للمزيد راجع :

دلندة الاقرش و اخرون ، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ، تونس : ميديا كوم مركز النشر الجامعي ، 2003 ، ص ص 129-135

الوسطى و اطرتها هاته الطبقة الوسطى¹ انقسمت و على خلاف الادبيات التي تلقبها بالبرجوازية الوطنية² فأننا نرى انها لا تماثل و الواقع العربي /المغربي لذلك سنعمد ما يلي :

البرجوازية الوطنية و هي النخب التي حصلت على التعليم الفرنسي و اشتركت في عملية التمثل السياسي و التجربة الحزبية و النضال السياسي .

البريتوريا الوطنية و هي الحركات الثورية التي كانت تمثل الجناح العسكري في المرحلة التحريرية او خلال عملية التكوين الدولي الوطنية .

البروليتارية الوطنية و هي طبقات الكادحة التي كانت تمثل فئة العمال و المزارعين و القرويون .

الكومباردورية الوطنية و هي النخب التابعة للخارج فهي ليست سوى تحقيق لإرادة إمبريالية و تبعية داخلية .

الكوميونيتارية الوطنية و مثلت بالحركات الاصلاحية السلفية و الصحوات الاسلامية التي كونت قبل و بعد فترة التحرر الوطني .

¹ من خلال تحليل حلیم بركات يمكننا ان نلخص الى المصطلحات التي سنوظفها للمزيد راجع :
حلیم بركات ، المجتمع العربي : بحث استطلاعي اجتماعي ، ط 6 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998 ، ص ص 430-432

² حلیم بركات على سبيل المثال للمزيد راجع :
حلیم بركات ، المجتمع العربي في القرن العشرين ، ط 1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 ، ص ص 883-884

المبحث الثاني : اتحاد المغرب العربي و الممانعة المغاربية .

الممانعة على خلاف الخطابات الاعلامية التي كوثرت المنتوج الاكاديمياتي هي اسلوب خلدوني في الدلالة الازدواجية على التمتع و الامتناع عن المجال التواصلي العام في حالة وجود العصب بالانقسامية او الاتحامية و لا محاجة في ان الدول-النخب المغاربية هي عصب كما اشرفنا فهي منغلقة غير تبادلية ، رعية مناعية و اعتماميه و يجري تنميط المجتمع مرار حتى و ان كان التغيير الاستلاب تغييرا بالنسبة لنا قد يبدووا ازاحة لنظام يجثوا فوق ارضية المجتمع الذي ليس مركبا الا من حيث هو عامل امتداد او مشروعية للتواجد السلطوي المتلون موسميا الذي تفق على انه مجهول الوجود التاريخي من حيث هو موجود حالي يصنع تاريخ و المستقبل و يحاول تنميط الحاضر القطري الشكل و الدلالة و الديماغوجيات المخرجاتية السببية ذات المصلحة الزميرية التي كثيرا ما تجعل المجتمع نسقيا يتحول نحو الشعور بالوحدة المغاربية كفضية الساقية الحمراء ، و تحوله ضد الوحدة بالعدر التلقيقي في خلق الشلل القهري اللاوجود لحل له الا بفناء هاته الزمر كفضية الصحراء الغربية .

لقد اوجدت هاته النخب التي يمكننا ان نصفها بانها جينز (مجتمعات جني بدائية) هي قليلة العديد حلوقية تخضع لسيد اني و جمعي متغير او مقبول بشرعنة و تبادل المنافع داخليا عبر المساحات التي توفر ما يمكن ان يعين على سد الحاجة ، و الحاجة للجينز-النخبة متمثل في التحركات المصلحية الداخلية و الخارجية لإيجاد صيغ الثبات و مقبوليتها في انها تضم التوجهات التي تترجم على الواقع و يظهر اطر ضبابية غالبا ما تتحول نحو الطوباويات ، ايجاد اتحاد المغرب العربي ذات الصيغ المؤسسية في الهيكلية/ التشويبية في محيال الزمر و لا يملك المجتمع الا ان يكون انفصاميا يعيش الواقع الوهم انا جزائري لكنني مغاربي ، انا مغربي لكنني مغاربي -لا يعلم الجمهور

احيانا حتى بوجود اتحاد للمغرب العربي - ، هاته اللككات لا تهتم في دوائري اليومية فهي لا تمنحني الاساس الواقعي للحياة النفعية و بالتالي من انغلاقه النخبة -الجينز الى انغلاقه مجتمعية المؤجلة عبر وسائل الاعلام او التعليم او برقرطة الحياة العامة لسد الفراغ الانوات التي لا يمكنها ان تجد فراغا يملكها تعي ذاتها و اتمائها و هي عرضة للتهوية العلوية الروتينية .

لذلك سنحاول ان نبرز الاسباب التي نعتقد انها ممتنعات التي ارغم الاتحاد كفكرة الى تحولها الى لافكرة ، لا شيء ، سراب تاريخي .

المطلب الاول : اتحاد المغرب العربي و مسار التأسيس .

الحفزات المكوناتية للعملية الحدودية البينية المغاربية كاللغة ، الدين ، التاريخ ، الارض مهمة على سبيل الوحدة كشعور ضمني و تأسيسي مؤسسي تعاوني بيني لتجاوز الخلافات الجانبية التي عادة ما تنشب بسبب النزاعات المصلحية المختلفة و توسعي يمكنه من الضم الممتد كعضوية مصر في اتحاد المغرب العربي (صفة مراقب) اي كأساس لوحدة اشمل (وحدى عربية)¹ ، لتخفيف حدة التوتر و بناء علاقات بينية حقيقية تزيل التوقع العصبي ، لعلنا لا نخرج من لدن الطوباويات حتى نصطدم بواقع تكون فيه دوائر الاقليم نفسها تتصارع من اجل هدم بناء ساهمة في انشائه ليهمل كما همل شمال رودس البحري لتسقطه التقلبات الفصلية بالرغم من هيكلته و عظمته البالغين و ضرورته كمناعة ضد التقلبات الاقتصادية و عدم الوقوع في التعثر التبعي كالمديونة الخارجية² ، و

¹ مركز زايد للتنسيق و المتابعة ، اتحاد المغرب العربي : الوحدة التاريخية و الجغرافية ، ط 1 ، الامارات : مركز زايد للتنسيق و المتابعة ، 2001 ،

ص 10

² لم تكن المرحلة الممتدة من 1989-1994 أي منذ تأسيس الاتحاد المغاربي الفعلي سوى فترة انتكاسات و بالرغم من وجود الاتحاد كقاعدة فان النخب القطرية انغلقت على نفسها و التجأت نحو الخارج كحل اساس لمجابهة الداخل ما بفسر بمدى فشل الاتحاد و عدم جدواه فعليا :

على نفس التصور كونت فكرة الاتحاد المغرب العربي كآابت لم يفعل وكموجود لا يرقى تماما الى مدى مؤسسته القانونية او التنظيمية، المريب هو مدى التراجع الذي يكتنف الاتحاد منذ تأسيسه كموضع تحلى عنه تماما ، مشت بالريجيم المتبع التصيري و الغير متوجه نحو الفعل ، حتى روح الوحدة المتكئة بالعناصر التقليدية على نسق فيخته لا تكاد تعمل ، تعطلت جدوى التفعيل بهته القيم ، حتى الأنساق الجديدة في الوحدة كالاقتصادية¹ التي يتكلم عنها جل الباحثين و يشددون عليها كتفعيل بالرغم من ايقانهم الشديد بعدمية هذه التحليلات المغالية لا تجد قابلية في التأثير، اننا بصورة دورية نرى هيكله الشكل و التغاضي عن المضامين الاصلية للفكرة.

تعود الفكرة الاتحاد ضمينا لسلسلة التضامنيات الى الفترة الاستعمارية التي أيقظت الشعور الوحدوي ويرد اساسها الاول -السيد الجابري- الى احد مؤسسي الحركة الوطنية التونسية احمد علي باش حمبة ، و توالى المبادرات بتأسيس اللجنة التونسية-الجزائري في برلين و انضمت الجهة المغربية بمساندة العتابي و قد تميزت هاته الفترة بالاقصاء على الدعم العثماني الذي تغيرت توجهاته بعد الانقلاب الطوراني لأتاتورك 1924، توالى المحاولات التونسية -الجزائرية- المغربية / العمالية -الطلابية بعد سلسلة من التأسيسات الجمعية للدفاع عن الحقوق العمالية المغربية تحت مسمى نجم شمال افريقيا 1923 و التي ستحول من مطالب اجتماعية الى العمل السياسي الممثل بلسان حالها جريدة الامة 1926 ، و اما الحركة الطلابة جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين فقد تكونت من الطلاب الذين تكونوا في المعاهد و الجامعات الفرنسية ، و تبلورت المحاولات الوحدوية بالمؤتمر الخامس

محمد علي داهش / رواء زكي يونس ، اتحاد المغرب العربي و مشكلة الامن الغدائي : الواقع و متطلبات المستقبل ، ط1 ، ابوظبي : مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية ، 2004 ، ص 07-08

¹ تقصد بذلك ان خطاب الوحدة العربية ككل قد تغير من النسق الفيختي الى النسق الوظيفي المبني على التكتلات الفرعية الاقليمية و ذات المتغير الاقتصادي كدول مجلس التعاون الخليج و اتحاد المغرب العربي و نرى ان هاته التجمعات اصابة الفيزيولوجيا العربية بتقهقر أكثر مما سهلت عملية الوحدة :

عبد الاله بلقزيز ، اشكالية الوحدة العربية : خطاب الرغبة- خطاب الممكن ، ط1 ، الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، 1991 ، ص 02

المنعقد في تلمسان 1935 لتوحيد التعليم في البلدان الثلاث ، وامتدادا تمكنت الجبهة الشمالية للمغرب الأقصى 1937 من التكوين الخطاب الداعي الى ضرورة التوحيد الجهودي الذي اسس من تونس حركة شباب الشمال الافريقي ، وادت التحركات النضالية اللاحقة للحركات الوطنية في بلاد المغرب (جمعية العلماء المسلمين / حزب الشعب / حزب تونس الفتاة / حزب الاستقلال و الحركة السنوسية الهادي السنوسي) الى المطالبة لتوحيد الجهود و الرؤية العابرة للحدود الاستعماري الفاصلة بين الشعوب المغاربية ، و بعد الحرب العالمية الثانية و تعزيز المركز المصري بالعدم السوفياتي تمكنت من تبني المشروع الحركاتي المغاربي داخل مجالها الذي ستحول من تنديدي مطالبي سياسي الى تنسيقي ثوري ابداً بإنشاء الجامعة التي استأنفت مجموعة المباحثات التوحيدية من 1945 الى 1947 انتهت بإنشاء مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة التي راسها عبد الكريم الخطابي (الذي كان على خلاف حاد مع حزب الاستقلال) ما ترجم بشروع في عملية التكوين الثوري - ثورة الفلاحة في تونس ، الفداء في المغرب ، نوفمبر في الجزائر - ما ادي الى الاعتراف الفرنسي باستقلال كل من المغرب الأقصى و تونس 1956 - 1958¹.

الا انه حقيقة التجسيد الفعلي لفكرة الاتحاد ، تشكلت في مؤتمر طنجة (مؤتمر الوحدة) ابريل 1958² و قد غدت العوامل التجريبية الوحدوية الخارجية متغيرا محفزا كالوحدة السورية-المصرية و الاتحاد العراقي-الاردني ، و جرى تكوين المجلس الاستشاري المكلف بالاتصالات البينية و التحضير للتحضير الفعلي للمؤسسات الفيدرالية للوحدة كقاعدة و يتكون من ستة مندوبين بمعدل مندوبين من كل ممثل (المغرب الأقصى - الجزائر - تونس) و تقسم تسييره الى مقرين الرباط و تونس

¹ محمد عابد الجابري ، فكرة المغرب العربي اثناء الكفاح من اجل الاستقلال ، في : محمد عابد الجابري و اخرون ، وحدة المغرب العربي ، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1982 ، صص 17-21

² لم يكن مؤتمر طنجة 1958 سوى محاولة تخوير للمجهود الوحدوي نحو الريادة المغربية بعد الاستقلال الوطني : عامر مصباح ، تكامل المغرب العربي : الابعاد و المقاربات ، ط1 ، القاهرة : دار الكتاب الحديث ، 2009 ، صص 10-09

لاجتماع الكاتبة¹، لكن المؤتمر تعرض للانتكاسة نتيجة عدم التأسيس الهوياتي بل الاقتصار على الاهتمام العملي المشترك المقصور على الجبهة الاستعمارية التي لا تختلف عن مؤتمر باندونج مثلا، والصيغ الصراعية البنية تباينت بعد الجلاء الكولونيالي بمحاولات الاحتواء المكاسبي فتونس دخلت في نزاعات مع المغرب الاقصى نتيجة دعمها للاستقلال الموريتاني و لجوء المعارضة التونسية الى العمل داخل الجزائر و المغرب الاقصى مما وطد درجة الخصومة و زاد حدتها و كذلك الازمة الحدودية بين الجزائر و المغرب و قضية الصحراء الغربية كنت الانقسام البيني، و كذلك التحول من الاهتمام بالمجال الوحدوي الى المجال القطري الداخلي لتنامي المحركات الانفصالية فتونس برزت المعارضة للنظام البرورقبي من قبل صالح بن يوسف ذو التوجه المحافظ الراض للاتفاقية الفرنكو-تونسية، و في المغرب فقد احدث جيش التحرير المغربي مشكلة موازية للجيش النظامي الملكي ما ادى الى التدخل الفرنسي الى تصفيته و كذا ادماجه في الجيش النظامي ليتحول الى جيش وطني²، و الصراع الداخلي لجبهة التحرير الوطني و التحول الاهتمامي بعد الاستقلال نحو القومية العربية، مما نكص المحولات الجادة للوحدة مع الجلاء الكولونيالي، الذي لو طال لتحققت الوحدة لان متغير الوحدة اساسا الفعلي العملي هو العامل الخارجي ايجابا او سلبا.

و حتى بعد 1962 بتشكيل لجنة الدائمة الاستشارية الدائمة التي كانت ذات خصيصة اقتصادية للطابع العام الذي اكتنفها و حتى من جانبها البروتوكولي الذي عقد بين وزراء الاقتصاد للدول المغاربية طيلة سبعة لقاءات متفرقة لم تقلح في ايجاد تقدم يدفع بحركة الاتحاد، خاصة مع احداث 1975 و المسير الخضراء التي ادت للقطيعة بين الدول مغاربية و المغرب و حتى على

¹ في هذا المؤلف هناك اشادة تأخذ طابع المجاز فيما يخص الحركة الوطنية المغربية مما لا نخبذه كعطي علمي غير متحيز : عبد الأله بلقريز / العربي مفضل / امينة البقالي، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية: 1947-1987 محاولة في التاريخ، ط1، بيوت: مركز

دراسات الوحدة العربية، 1992، ص ص 155-164

² معمر العايب، مؤتمر طنجة: دراسة تحليلية تقييمية، الجزائر: دار الحكمة للنشر، 2010، ص ص 69-70

الصعيد الخارجي ، هذا الطابع الاقتصادي جرى تعويضه بتقارب الاوروبي (السوق الأوروبية المشتركة آنذاك)¹.

وهكذا جرت العلاقات الجوفاء البينية ، حتى سلسلة التقاربات الانبعاثية للاتحاد التي جرت بعد 1988/01 في الجزائر بين معمر القذافي والحسن الثاني وزين العبادين بن علي وشاذلي بن جديد و معاوية ولد سيدي احمد الطابع والذي عرف بإعلان زريدة الذي اوصى باستحداث لجنة مشتركة منوطة بعملية التحضير لعملية الوحدة و تلتها القمم التدميمية كاجتماع مراكش 18/02/1989 و تونس 17/02/1990، الجزائر 22/01/1991 ، أنواكشيط 10/03/1993 ، وفي 10/03 من نفس السنة تراسست تونس الاتحاد بناء على التعديلات التي مست الاعلان و طورت القاعدة الوحدوية بتدعيم المؤسساتي و الجهاز الاداري باستحداث منظومة قانونية² داعمة للرغبة الوحدوية لكن لم تتوفر الارادة السياسية الفعلية ولا المحفزات الوظيفية ولا الضرورية الفوية التهديدية التي تعمل على سريان عمل الوحدة ، هذا الرهاب الوحدوي الذي يمثّل بالمبادرة و الرغبة ثم التحول و العزوف و تر البناء على حاله يتداعى و لا نعتقد ان المجتمع يملك ميكانيزمات انجازه او حتى المجتمع المدني فهو براحة يد النخبة و كما عزفت يمكنها الوحدة ، لا نها ببساطة لا ترى في الوحدة شانا يضمن بقائها سلطويا-تسلطيا .

المطلب الثاني : متلازمات الصراع : النزاعات الوحدوية ، التعليم .

ان محور الانتكاسة الموضوعي يعود الى سلسلة من المثبطات حالت دون تكامل فكرة الاتحاد ككويينة رغائبية لم يجري تفعيلها ووصلها ببعضها البعض لتصل الى المبتغى الاساس ، ان اساس

¹ محمد علي داهش ، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، ط1 ، الموصل : مركز الكتاب الاكاديمي ، 2014 ، صص 75-76
² سيدي محمد ولد يب ، الدولة و اشكالية المواطنة : قراءة في مفهوم المواطنة العربية ، ط1 ، عمان : دار كتوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع ، 2012 ، صص 232-234

الانتكاسة قبل ان يكن خارجيا فهو ممارستيا كان بعيدا عن التدخل الكولونيالي وحتى الان فعليا بل مجموعة الافكار التوقعية المجسدة عبر اليات قد اختزلناها في النزاعات الحدودية والتعليم ووسائل الاعلام كمتغيرات داخلية ساهمة في عملية النخر الحدودي الذي شكلته نخبه لم يكن العامل الخارجي فيها مت دخلا بل بالعكس كان الطابع الكولونيالي محفزا للتأطير الحدودي لكن المؤثر الاساسي هو ان عملية الوحدة اقتصرت على الانبي ولم تضع اساس العمل المستقبلي فبعد سلسلة الاستقلاليات القطرية جرى الانطواء التدريجي الذاتي والاهتمام الداخلي مما وسع الهوة حتى بعد العودة في الثمينينات من القرن الماضي التي لم تكن ولن تكون مجدية فأهداف القطر لا تتوافق و الوحدة .

النزاعات الحدودية: ان عملية الصعود النشوئي التي تكونت على اثره بنية الدولة الوطنية المعاصرة المابعدكولونيالية جعلها تصدم مجتمية التوسع الارثي الممثل بالرغبة النخبوية لتحقيق المكاسب و تراجع الروح التحررية و النضال التضامني من اجل الوحدة فعموما شرعية الحدود الموروثة عن الكولون لا تعد محل اعتراف ثنائي و لا قبول تاريخي لأنه مكون خارجي منمط للوضع الكلي (حسب المغربيين)، و قد خلقت التقنية المشكل اوليا باكتشاف البترول¹، نعي و كما اشرفنا في المسار التاريخي ان الحدود الصحراوية لم تحدد لأنها لم تكن تتوفر على الموارد الدافعة للتفوق الدولي او الخصيصة الداعمة للنشاط الاقتصادي كالنفط وهذا ما خلق سؤال العودة الى الحدود الكولونيالية للاحتكام تاريخيا في ضل الفشل العربي الذي اخلت بأمنه القومي العام هاته النزاعات الحدودية البينية التي لم يتمكن من ايجاد اليات فعالة في الوصول الى تسويات مقبولة من قبل النخب-العصب المتعنتة التي تدعي الحق الكامل و السيادة على المجال كواقع غلبة لا واقع تضامن و تعايش²،

¹ توبي شيللي ، النفط: السياسة والفقر والكوكب ، تر: دينا الملاح ، ط1 ، الرياض : مكتبة العبيكان ، 2009 ، ص 97
² عدنان السيد حسين ، النظام العربي و مطلع اللفية الثالثة ، في : علي محافظة و اخرون ، النظام العربي و العولة ، ط1 ، عمان : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 2004 ، ص 134

و لقد اخذت النزاعات الحدودية عدة مستويات: مغربي-موريتاني / جزائري-مغربي/تونسي-جزائري / الليبي-جزائري و سنشير اليها في خضم التحليل تباعا .

النزاع التونسي-الجزائري / الليبي-الجزائري : كما اشرفنا فان الحدود هي مشكلة اقتسامية كولونبالية و قد اعتمدت النخب اطار التمرد سياسيا و كذلك عسكريا لتأمين المكاسب الوطنية فالبتزل ، المناجم و الموارد الطبيعية بشكل عام عامل مهم لهته الانظمة الغير منتجة لانتعاش اقتصادها كنوع من الانتاج الخراجي الذي ساد في المجتمعات الماقبل رأسمالية و الذي كان الهدف منه الربح الخلاق للفائض المتمكن من البحث عن موقع هرمي في المورفولوجيا الدولية القطرية (موارد= مسوغ للوصاية)، لذلك سعت البرجوازيات الوطنية بعد عمليات القمع المعارضاتي الداخلي للتجاء الى التوسع ، و هاته القضية الحدودية بين تونس و الجزائر لا تتداول بشكل الواسع¹ فقد كانت حكومة بورقيبة منذ الثورة على خلاف مع النظام البريتوري الجزائري لبومدين و تأزم الوضع بعد الاستقلال لمطالبة النخبوية التونسية بنقطة 233 التي تسمى جاسي بورما المتوفرة على المورد الغازي هام ، لكن لم تكن على النحو الخصومات فقد تمت المصالحة بمعاهدة الاستقلال بين الطرفين بإمدادات الغاز للطرف النخبوي التونسي بين البورما و ميناء السخيرة بتونس و تم الاعتراف بالحدود الموروثة بين القطريين ، و قد انهي هذا الخلاف تماما بمعاهدة الاخاء و الصداقة الموقعة في 19/03/1983 ، اما بالنسبة للطرف النخبوي الليبي فقد كان التوغل العسكري الجزائري داخل المجال الليبي استنادا على الوثائق الكولونبالية الفرنسية الموقعة مع الطرف النخبوي الليبي في 1958² و لم

¹ ليس كل نقاش حول الاراضي نزاعا حدوديا كما هو الحالة بين الجزائر و تونس و ليبيا لذلك لم تطرح كمشاكل محورية عكس ما هو الحال بالنسبة للجهة المغربية :

Surya P. Sharma, **Territorial Acquisition, Disputes, and International Law**, (Netherlands : Kluwer Law Inretnational) , 1997 , p 25

² الرسم الحدودي بين الكولونبالية الفرنسية و النخبوية السنوسية ابتداء من 1955 من الجهة الحدودية مع تشاد : Julie Dahlitz , **Peaceful Resolution of Major International Disputes** , (New York : United Nation) , 1999 , p 98

تطور الى تبعات مضاعفة ، لان البيئة عموما كانت تسودها النكسة العربية 1967 و كانت ليبيا طرفا مهما في التكتل القومي العربي ما ادى بها الحال الى التغاضي عن التقدم العسكري الجزائري و التأجيل الفاصل لتطبيق بنود الاتفاق خاصة بعد تشكيل اللجنة اللبية-الجزائرية لدراسة المسالة ، و لم يفصل بشأن ترسيم حدودها الى هاته الفترة بين البلدين¹ .

النزاع المغربي-موريتاني / المغربي - الجزائري :

بخلاف الجانب الشرقي ، قد حمل هذا النزاع دلالات متقدمة ترجمتها صدامات حرب الرمال ، و عادة للرغبة التوسعية في عملية وراثية المجال برده الى حيثيات تاريخية وهمية ، فالمغرب الأقصى و الذي لا يمثل ابدا المجال الذي اراد الاستحواذ عليه و لسنا متحيزين قطريا بل نستند موضوعيا باطار تاريخي مفاده اننا رباط واحد جرى تقسيمه مصلحيا بنحو كولونيالي و لو افترضنا ان جزء من التراب هو جزء من الذات فلا توجد هنالك علاقة بين الذات و التراب² اي اننا نعني ان الجيولوجيا المغاربية ليست ملكا لاحد على خلاف مثلا الجيولوجيا الفرنسية او الانجليزية فقد كانت مبنية بالامتداد التاريخي المحدد و الفواصل الجغرافية سنعود لثلاثة النايبة انسان + تراب (ارض و حدود) + وقت ، و كان هناك وجود للإنسان الممثل بالمركز العلوي و وجود الوقت هو امر حتمي و اما التراب اذا ما ربطنا الوقت بالتراب فلاوجود لدولة علوية في مجال معين (لها حدود) فالمكون الذي تنفق عليه انها دولة مخزنية تتبع نظام اللف ، و لو عدنا قليلا الى معاهدة طنجة كما ذكرنا بين الكولونالية الفرنسية و المولاي عبد الرحمان بن هشام فقد دلت على عدم

¹ شوقي عطالله الجمل / عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر ، ط2 ، الرياض : دار الزهراء للنشر و التوزيع ، 2002 ، صص 374-377

² كل ما في الامر مبني على اساس مصلحة النخب-العصب و تسقيفها للمطالب للاستفادة من أكبر قدر من المجال الحيوي الطبيعي في الصحراء الكبرى ، فالنزاعات لم تكن من اجل الشعوب فالشعوب تشكل صيغة واحدة لكن النخب تشكل عسبا منغلقة ، و في القريب يمكننا نرى صراعا اشد مما عليه هاته البنى القطرية مع تفاقم الازمات البيئية كمشكل المياه :

عبد الرحمان منيف ، اعادة رسم الخرائط : مقالات 2001-2002 ، ط1 ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 2007 ، ص 121

الاهتمام الكلي بالصحراء الكبرى لعدم وجود الداعي وكذلك نعتقد و ما وجدناه تاريخيا ان الحدود الصحراوية لم تكن خاضعة لاحد فهي كانت قبائل بدو راحلة (كقبائل سيد الشيخ) تنتقل بين المجالين المغربي-الجزائري بدون الانتماء الى القطرين الى جانب هذا فقد كانوا يعدون توارق من الملمثين من قبائل صنهاجة و القبائل المدرية الحسانية التي اختلطت سنتهم بلسان التافيناغ و التي تبادل الروايات انها كانت تباع الحسن الاول الذي زارها اي قبائل الصحراء الغربية بين 1882-1886 و هذا ما يستند عليه كقاعدة¹، و المتغير الاخر هو ان العلويين لم يسطروا ابدا سيطرة فعلية على كامل اقاليمهم بما في ذلك الاقليم التابعة الان للتراب المغربي كالريف او الجنوب الشرقي لقبائل حاحا ، لقد كان الامتداد الوحيد للعلويين في عهد مولاي سليمان و كان اقتصاد غزو (دار محلة مقتصرة على مناطق محددة فاس/سوس/مراكش/الرباط/ و دار غزو و قد كانت بلاد سببة او ولاء اسمي استنادا على موقع الامامة في الفكر الإسلامي و المخيال الاجتماعي المقدس للشرفة) ضد مملكة سونغاي التي كانت تتوفر على الذهب و الموارد الهامة لتعبئة الخزينة العلوية و قد امتد داخل المجال الجزائري الحالي في الفجيج 1806 و توات 1808 و تقلص هذا الامتداد سريعا بعد موت هذا السلطان . و لا وجود لولاء = انسان باتجاه المركز العلوي في تندوف مثلا و حتى في المناطق الصحراوية و موريتانيا لقد كان الولاء روحيا كما ذكرنا عبر متغير النسل العلوي (ال البيت) و لم يكن ممارستيا للسلطة بل فقط ضمينا كأعيان او شيخ زاويا في كل من زيز و كير و زوزفانة و توات² (باستثناء ماء العينين الكتاني الذي كانت له ضرورة الامداد في عهد مولاي حسن الاول) و انما محاولة لخلق التوازن و الولاء المخلوق بين شعب الهجرة (المسيرة الخضراء+ الاستمالية بخلق فرص عمل ذات اجرة تفوق مضاعفة) و البوليزاريو بعكس مثلا فرنسا فيقرن الانسان (قبائل Gauls) و

¹ Stephen Zunes / Jacob Mundy , **Western Sahara: War, Nationalism, and Conflict Irresolution** , F.e , New York : Syracuse University Press , 2010 , p 107

² للمزيد راجع هذا المؤلف يعد مما في علاقة المخزن بالقبائل الصحراوية:
روس.ا. دان ، المجتمع و المقاومة في الجنوب الشرقي المغربي ، تر: أحمد بوحسن ، 1 ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، 2006 ، ص ص 50-52

التراب امتداد القبائل (بين نهري الراين و الجارون و جنوبا جبال البرانس) الذي وطد بالفترة
الاقطاعية الفيودالية كالوقت بالتراتبية التطورية و ابعده من ذلك ففي الحرب الالمانية - الفرنسية و
مشكل الازلاسا Alsace و اللورين Lorraine هاته المنطقة التي انتزعت من فرنسا¹ و ولدتها
الامبراطورية الالمانية و التي انتهت بالعودة لفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية و سقوط الرايخ الالمانى ،
و لو عدنا للصراع الالمانى-الفرنسى فصراع كذلك كان من اجل الموارد من قبل الجانب البروسى-
الالمانى التي كان يتمتع بها الاقليم (الحديد)² و قد قبل بردها للجانب الفرنسى في الحرب الكونية
الاولى لارتباطها بفرنسا الامر الذي خلق الحرب المزدوجة (دفاع/امتداد) بالرغم من انها اقليم تابع
لعدة فواعل تاريخيا ، فالدولة الكولونيالية مهما كان شكلها (حمائيا او وصائيا او اندماجيا) هي التي
بلورة فكرة الدولة و الحدود السياسية التي لم تكن موجودة في بلاد المغرب من خلال النصوص
القانونية (معاهدة طنجة) او الممارسية (كخط شارل و موريس الذي حدد الجيوبوليتيك
الجزائري) ، و كذلك ما هو المتغير الذي نعود اليه للقول ان الاقليم أمثلا ملك للطرف ب⁴ ؟ لا
يوجد حقا فقط انه نوع من المونوغرافيات لأنه حتى الميكانيزمات التي شكلت الوطنية هي الحدود
المكونة للربط الجغرافي بالأفراد و المقاومة الكولونيالية فلا وجود لوطنية جزائرية او مغربية او تونسية

¹ يري العديد من السوسيولوجيين الالمان امثال August Bebel ، Wilhelm Liebknecht ان الديمقراطية و حقوق الانسان و الحرية هي
اساس انضمام افراد المنطقة الى فرنسا أي كنوع من تقرير المصير و ذلك ما عبرت عنه بخطابات المعارضة الالمانية المتأخرة التي كانت ضد التقدم النازي
المعبر عنها بجريدة 1917 (Freie Zeitung The free Newspeaper) في سويسرا التي اعترفت بحق فرنسا في الاقليم للمزيد حول المضمون
راجع:

Barry Cerf , **Alsace-Lorraine Since 1870** , F.e , New York : The Macmillan Company , 1919 , p-p 04-05.

حول الجريدة راجع :

Johannes F. Evelein , **Literary Exiles from Nazi Germany : Exemplarity and the Search for Meaning** , F.e , Usa :
Camden House , 2014 , p 40

² Stephen Coubé , **Alsace, Lorraine Et France Rhénane : Exposé Des Droits Historiques De La France Sure
Toute La Rive Gauche Du Rhin** , (Paris : P. Lethielleux . Libraire-éditeur), 1915, p-p 15-19

³ محمد رضوان ، **منازعات الحدود في العالم العربي : مقارنة سوسيو تاريخية و قانونية** ، ط1 ، المغرب : افريقيا الشرق ، 1999 ، ص 7
⁴ الامر سيان بالنسبة كذلك للعراق - ايران فبرغم من تدخل التحكيم الدولي كآطار قانوني لحل الخلافات لم تعترف بذلك ايران لأنها ستعرض
لتنزلات واسعة اذا تم الاقرار بالقانون 1937 المشكل بين البلدين ، فالمشكل هو ارادة الابتلاع لا ارادة التسوية حيث لا يعنى القانوني شيئا اما رغبة
النخب-العصب :

عبد الحبار عبد الوهاب الجبوري ، **غليان الافكار : خواطر و افكار في الجدل السياسي** ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 2011 ، ص 102

اوليية او موريتانية ما قبل الاستعمار و شئنا ام ابينا فالكولون بصيغه اللاشعورية هو من شكل الهوية القطرية (هذا مغربي و جزائري و تونسي و موريتاني و لبيي و موريتاني و كذلك شكل بوليزاريو ضمينا) و نعود لاستخدام الثلاثة التي تكلم عنها السيد عبد الله العروي المكان و الزمان و المدلول¹ و نحن امام هاته القضية يجب علنا المطابقة بين المفهوم المؤلف و القضايا المثلثة ، فمثلا لو ذكرنا ان الدولة المغربية محددة (حدود) و ذكرنا المغرب حدوديا كمكان يعوزنا ضبط الزمان من بحث ان الوطن المغربي كان محدودا لأنه غير مرتبط / مشئت لنفترض انه تم بيعة اهل تلمسان او مخزن وهران في عهدي سليمان و عبد الرحمان بن هشام الذي تخلى عنهما كافة بمعاهدة طنجة ، فمدلول المكاني و الزماني لمفهوم الحدود المغربية يبدو تجريديا أكثر منه تكوينا اصيلا لان المكان تجريدي و الزمان كمتخيل كذلك ينقلان لنا حوادث مختلفة الزمان و المكان ترتبط بالذهن الراوي- السياسي انه حتى المكان كان يطلق عليه في الوثائق امبراطورية مراكش و فاس و سوس او سلطان مراكش كما ذكرنا و لو عدنا تاريخيا فان فاس كانت تابعة الى اىالة ال عثمان لفترة من الزمن ، لكن لو ذكرنا مثلا قضية الحدود في العهد الكولونيالي ستكون مضبوطة الزمان و المكان و كذلك مدلوليا (و حتى موثقا بالخرائط و المعاهدات)، و لذلك انه يجب ان نعيد كتابة التاريخ جماعيا بعيدا عن التوليف السياسي المصلحي، بل الأركيولوجيا و النشاط الاستيمي .

المشكلة الاساسية قد كانت ابتداء بفكرة المغرب الكبير لعلال فاسي الذي جعلنا نرجع قليلا الى ما قبل الثورة و نعيد طرح السؤال هل كان دعم الثورة من اجل الثورة ام من اجل تحقيق

¹ فمثلا يقدر مثلا انه لو ذكرنا الثورة الصناعية في إنجلترا فإننا نطابق المكان -إنجلترا و الزمان-القرن 18 و المدلول في ان المفهوم مطابق للظروف التي انشأته و الجوانب الفكرية التي احدثته و اما الثورة الصناعية في مصر ايام محمد علي فيحاول ان يربط المكاني و الزماني و مدلولها بالمفهوم الاصلي للثورة الصناعية في إنجلترا بنحو مجازي ، بالإضافة فانه يطرح سؤال الوطنية المغربية بيد انه لا يصل الى جواب كاف للتعبير عن الوطنية المغربية سوى عملية الربط بين القديم و الاحداث ، لكن ما يستوقفنا هو الدلالات التي يحملها تفكيره الموضوعي فيرى ان على المؤرخ ان يتجرد من الافكار الموروثة و من المفاهيم العامة و القطرية التي تكون ثقافته للمزيد راجع :

عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ : الالفاظ و المذاهب -المفاهيم و الاصول ، ط4 ، البار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 2005 ، ص ص 248-

المكاسب البعيدة الممثلة بخروج الكولون والاستيلاء على موروثاته¹؟ نعتقد ذلك لان المواجهة الفرنسية لم تكن تقدر الدولة المخزنية عليها²، فبتوظيف المصالحى الهدفي للاتقاء الواجهتي بين جبهة التحرير الجزائرية و المخزن العلوي يمكنها ان تجعل فكرة المغرب الكبير حقيقة فتتحول العلاقة الى مركز علوي و تخوم (باقي بلاد المغرب لأنها تدعي انها الجزء الاصيل في بلاد المغرب) ، لأننا نرى ان المخزن شرع في محادثات الحدود قبل الاستقلال كنوع من المساعدة المشروطة ما جعل الحكومة المؤقتة برئاسة فرحات عباس و -يمكننا التفهم- القبول بالمراجعة حول هاته المسألة ، فبدعم هاته القوة الثورية الصاعدة فانه سيكون شبه حرب وكالية من جيش التحرير الجزائري خدمة لمصلحة العليا للمخزن و بتالي يمكنها ان تقتص مكاسب واسعة بالخروج الكولونيالي من الجزائر و يكون من السهل الضغط على الحكومة الجديدة المابعد كولونيالية ذات القاعدة المهترئة التي كانت حرب الرمال 1963 المعبر عنها، و لو اعدنا قراءة التحركات التي قام بها الملك الحسن الثاني للبحث عن حليف معوض للعلاقات المتوترة بين النخب الفرنسية و المغربية بعد قضية اختطاف المعارض المخزني المهدي بن بركة ، و كانت الوجة نحو الولايات المتحدة الأمريكية³ الطرف الاقوى بعد الحرب العالمية الثانية و المعول عليه لتدعيم الخزينة المغربية و هذا بدوره خلق حليفا استراتيجيا في المنطقة المغاربية⁴ ازاء التمدد السوفياتي¹ عبر الحراك الناصري هذه الترابطات لا

¹ بالرغم من التقدم الذي حققته مؤتمر طنجة فان الحضيصة الاقتصادية الممثلة بالموارد الطاقوية-الطبيعية بقيت كقاعدة ارتكازية من قبل المركز المغربي ، و حتى ان قلنا ان التيار المساند لفكرة الوحدة لم يكن له وجود سلطوي بعد الاستقلال القطري الجزائري بصعود النظام البريتوري، فلجانب المغربي بقي بشخصياته الاساسية كلال الفاسي (الذي تضاربت توجهاته بين طنجة و ما بعد الاستقلال الوطني الجزائري) ، لذلك نعتقد ان السبب هو تغير النخبوي في الجزائر و التخوف عن عدم اللجوء الى التعاون البيني خاصة بعد التحول الجزائري من المقاربة المغاربية الى المقاربة الاشتراكية العربية ، الامر الذي دفع الى تغير في الحسابات الوطنية الى المطالبة بملف الحدود التي نعتقد انه لو بقيت البرجوازية الوطنية في الجزائر كان سيتغاضى عنه : محمد علي داهش ، دراسات في الحركات الوطنية و الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2004 ، صص 190-191

² Nicole Grimaud, *La politique extérieure de l'Algérie (1962-1978)*, Paris : Editions Karthala, 1984, p 185

³ لم تكن الوجة مقتصرة على الجانب الامريكي فقط بل كانت ازدواجية كذلك نحو الاتحاد السوفياتي كزيارة اولية في 1966 للملك الحسن الثاني : Yahia H. Zoubir , *International dimensions of the Western Sahara conflict* , (Usa : Praeger) , 1993 , p 109

⁴ كانت نظريات علال فاسي حول التأويلات التاريخية لمناطق الحدود ذات اهمية كبرى بالنسبة للقصر المتحالف معه (الحسن الثاني) و قد اثار قضايا هامشية كدفن محمد خيضر في المغرب المعتال من قبل المخابرات الجزائرية و سلسلة التأميمات في جيليات الى عودة مشكل الحدود بعد حرب الرمال حيث كان هناك نشاط واسع لمنظمة الوحدة الافريقية ابتداء من 1963 للمزيد راجع :

ترجم الصراع المغربي - الجزائري كصراع مقتصر على حدود تاريخية و إنما محاولة اضعاف كذلك حليف مهم في المنطقة للأمية الاشتراكية بزعامة بن بلا² و تواصل النزاع الحدودي³ بين القطرين حتى يومنا هذا و كلا القطرين يتسابقان في تطوير منظومتهما العسكرية و المتأهبة على الحدود مما يفتح نقاشا واسعاً عن غياب اي امل في ضل هاته الخصومة التي ابرزت حدة العلاقة المتوترة بين البلدين و تصديرهما للنزاع نحو تعبئة مجتمعية ليحتوي هاته القضية و يدافع عنها ، ناهيك عن ان القطرين تحولا الى سوقين هامة لاستيراد السلاح ، عموماً فقد مرت مرحلة التسوية الحدودية بمرحلتين مرحلة معاهدة افران في 15/01/1969 و اعلان تلمسان في 27/05/1970 التي انتهت باتفاقية الرباط في 15/06/1972 و اعيد فيها الصياغة الحدودية المؤرخة في الفترة الكولونيالية اي بين المخزن و الكولونيالية الفرنسية (لالا مغنية 18/03/1845 و اتفاقية 20/07/1901 و معاهدة 20/04/1902)⁴ التي خففت من حدة التوتر البيئي، و المرحلة الثانية بالخصومة البعيدة و ذلك ما عبر عنه استئناف الصراع البيئي في امغالا 1976 بعد تهميش دور الجزائر في القضية الصحراوية و محاولة الحل الثلاثي (الاسباني/المغربي / الموريتاني) للارزمة الامر الذي ادى الى تآزم العلاقات

عبد الرحيم الوردغي ، المغرب من حالت الاستثناء الى التنازل عن موريتانيا 1965-1969 ، ط 1 ، أبوظبي: مطبعة الساحل ، 1995 ، ص ص 63-67

¹ و مما يثبت فرضيتنا ان النزاع هو نزاع بين قطبين بالوكالة (اشتراكي / ليبرالي) و تواصل بصورة أكبر في عهد الرئيس الراحل هوراي بومدين الذي كان على تقارب واسع و الاتحاد السوفياتي و خصومة مبينة مع الطرف الامريكي حيث انه تدخلت كوبا و الحراك الناصري و ليبيا كذلك ككتل اشتراكي و فرنسا و الدول الغربية ككتل ليبرالي، مما يفتح المجال للتفسير أكثر حول الدعم الصحراوي ذو التوجه الماركسي بالنسبة للجزائر ، كنوع من الصراعات الايدولوجية التي كانت سائدة في الحقبة القطبية كالكورينتين:

عدنان السيد حسين ، البيئة الاقليمية و الدولية الضاغطة ، في: محمد جابر الانصاري و اخرون ، النزاعات الاهلية العربية : العوامل الداخلية و الخارجية ، ط 2 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2001 ، ص 110

² لا نعلم حقيقة بالضبط من كان المعتدي لكن حرب الرمال زادت عمقا في الروح الوطنية بالتضامن الانتقاسمي الجزائري و محاولة من الجانب المغربي اظهار جانب القوة و بالتالي التوقع في المنطقة المغاربية كرق صعب في المعادلة و قد كان يرى الجانب المغربي كذلك ان الخيار شتراكي هو خيار تناقضي و المبدأ و هو امتداد للقومية العربي ذات التوجه الناصري في المنطقة :

محمد عبد الرحيم ، اسرار العدوان المغربي على الجزائر ، سلسلة كتب قومية ، القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر ، ص ص 53-55

³ حيث كانت تترجم اية زيارة نحو الاتحاد السوفياتي بزيارة اقتناء دفاعي و تطويري للمنظومة العسكرية كقويا متبادلة بين البلدين :

خالد عمر بن قفة ، اغتيال بومدين : بين الوهم و الحقيقة ، البليدة : قصر الكتاب ، 1997 ، ص 23 .

⁴ راجع بنود المعاهدة التي تمت بتفويض جزائري لعبد العزيز بوتفليقة و مغربي لأحمد طيبي بن حيمة:

Ian Brownlie D.C.L / Ian R. Burns /M.a / D.Phil , **African Boundaries: A Legal and Diplomatic**

Encyclopaedia, f.e , Uk : C. Hurst and Co . Publishers Ltd , 1979 , p-p 75-78

المغربية الجزائرية ، فقد كانت الجزائر تتمتع بثقل لا يستهان به و سياسية توازنية حول عدة جبهات (عدم الانحياز/ الاتجاه السوفياتي / الاتجاه الامريكاني) وبالرغم من ذلك جرى تحييد الدور الجزائري مما ادى الى تفاقم الازمة لولا تدخل اطراف خارجية (حسني مبارك و سعود الفيصل) للتسوية (اعتراف مغربي بتندوف و جزائري بمغربية الصحراء و الاشتراك في الموارد الطبيعية) التي لم تنجح لكنها هدئت من الوضع المحتدم¹ ، و فيما يخص الجانب الموريتاني بالإضافة الى ذلك فقد دعم التيار العربي في موريتانيا بزعامة احمد ولد حرمة ولد بابانا قبل الاستقلال من قبل المخزن للتمدد العلوي و بعد الاستقلال بحزب النهضة برئاسة بوكاي عابدين و قد حوت المعارضة الممثلة بكل من ذكرنا و معهم فال ولد عمير و والداي ولد سيدي بابا و المختار ولد اباه ضد التحالف الفرنكو-موريتاني الممثل بالحكومة الوطنية بزعامة المختار ولد داداه و المختار اندجاي الت كانت ترى فان الدعم التونسي و الجزائري سيؤدي للتقارب بين هاته الفواعل و هذا ما ادى بالمغرب للبحث عن التقاربات العربية لكسب التأييد² ، لكن بعد انسحاب اسبانيا من الصحراء الغربية و خاصة من واد الذهب و الساقية الحمراء بدى الخطاب المركزي العلوي يتراجع عن موريتانيا معبأ نحو الصحراء الغربية التي كانت قبله توسعية بالنسبة لموريتانيا كذلك ، و مع ان التقدم المغربي بجيش التحرير (الجيش الشعبي) كان متقدما في طرفاية و افني³ التي كانت تحت سلطة الكولونيلية الاسبانية، فقد كان متعشرا في وادي الذهب و ساقية الحمراء المنطقتان الغنيتان بالموارد الطاقوية الطبيعية و عموما

¹ لاشك ان المحاولات النخبوية الجزائرية للعب دور مركزي في المنطقة كلفها الكثير اولها تراكم المخلفات الانقلابية في الستينات و ثانيها تكلس الدعوات المعارضة المكبوتة بسبب الخارج و الكاريزمية المقدمة لصانع القرار كله عبر عنه بسقوط بعدي ، و هناك حتمية في علم الخلوي تقول ان تراكم الاخطاء الجسمية يحد من عمل ADN ما يؤدي الى حالة الشيخوخة و الهرم و بتالي تفشي الامراض في الجسم الانساني ، ان الامر سيان بالنسبة للنظام السياسي الجزائري فقد اراد لعب دورا اكثر مما ينبغي له ما ادى به للمواجهة الازمة العويصة بين 1988-2000 ، لو انه فقط اتبع سياسة العزلة لكان افضل بكثير على الواقع الحالي ، للمزيد حول الدور الجزائري في ازمة الصحراء راجع:
علي الشامي ، الصحراء الغربية : عقدة التجزئة في المغرب العربي ، ط1 ، بيروت : دار الكلمة للنشر و التوزيع ، 1980 ، ص ص 232-244
² الى جانب ذلك فيعد هذا المؤلف صياغة تليفية لتبرير امتلاك المغرب لموريتانيا و ان الغزو الكولونيالي فصل الاقليم عن الاصل المغربي للمزيد راجع :

قاسم الزهيري ، مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية-الموريتانية ، الرباط : الهلال العربية للطباعة و النشر ، 1991 ، ص ص 32-48

³ محمد الوديع الاسفي ، ملحمة البطولة : منطقة ايت باعمران ، الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، 1982 ، ص ص 125-143

كانت السلطة الكولونيالية الاسبانية تعتبر ان الصحراء الغربية بلا مالك اي انها لا تدخل في النطاق الملكي لأي دولة وبتالي بغض النظر ان كان في ذلك حق ام لا فان هاته البديهية الاسبانية كلفت المنطقة توترا حادا للتباين الذي عرفه الخطاب الاسباني¹ خاصة في عهد الجنرال فرانكو وعدم رد الصحراء الغربية لمالك معين من بين الفواعل في المنطقة (المغربية او موريتانيا) ، وبتالي هذا ما راكم مجموعة الخلافات حول هاته المنطقة التي تقدم نحوها المغرب الاقصى لابتلاعها وادت هاته الازمة الى الانفراج الفعلي عبر الدعم الليبي و الجزائري لجهة البوليزاريو Polisario² ، المكونة حراكيا في 1973 من بضع مقاتلين مناهضين للحكومتين الموريتانية و المغربية³، المعتم حول هاته المأسلة الصيغة التي نرى فيه الموقف النخبوي الجزائري المتضارب بشكل واضح ففي جوان 1972 اتجهت النخبوية في الجزائر الى محاولة التسوية بين القبول بتندوف من قبل المغرب الاقصى و التخلي الجزائري عن الدعم الصحراوي الذي لم تقبل به النخبوية في المغرب الاقصى⁴ ، لان تندوف تمثل مكون من الصحراء الغربية⁵ عموما و كانت جهود الجزائر متجهة الى تحييد الراي العام عن تندوف و تحويرها و نقلها نحو الصحراء الغربية و بتالي يمكننا تفهم الوضع المركزي الجزائري و التعنت المغربي كذلك ، فبعد مؤتمر مدريد 1975 الذي قسم الصحراء الإسبانية المحتلة (الغربية) الى جنوبية ضمت الى موريتانيا و الجزء الشمالي الى المركز المغربي و استأنفت جبهة البوليزاريو القتال ضد موريتانيا التي تنازلت عن الجنوب في 1979 الذي تدخل فيه المركز المغربي و قبل هاته العملية كانت نداءات نوفمبر

¹ على طول الفترة من احتلالها الصحراء الغربية حتى بعد مؤتمر مدريد في 1976 لم تكن الدبلوماسية الاسبانية ثابتة القرار بين مغربية الصحراء او استقلالها او تقسيمها بين المغربية و موريتانيا ، لكن عمليا نرى ان الصحراء انقسمت بين المنطقة الضامة للشمال الصحراوي أي منطقة افني و طافية الحاذية للبحر و الجزء الثاني داخلي مليء بالموارد الطاقوية في الساقية الحمراء و وادي الذهب للمزيد راجع :

جرمان عياش ، **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1 ، الدار البيضاء : الشركة المغربية للناسرين المتحدين ، 1986 ، ص ص 311-320

² قد حصلت عموما حتى على الدعم المباشر من قبل الاتحاد السوفياتي الممثل بصواريخ Sam-6 ما اخذ بالجانب الامريكي لدعم المركز المغربي :

Dr Erik Goldstein / Erik Goldstein , **Wars and Peace Treaties: 1816 to 1991** , F.e , (New York : Routledge , 1992) , p 174-176

³ Olivier Furley , **Confilt In Africa** , (London : I.B Tauris Publishers) , 1995 , p 120

⁴ Robert Rézette , **The Western Sahara and the Frontiers of Morocco** , (Paris : Nouvelles Editions Latine) , 1975 , p 97

⁵ Erik Jensen , **Western Sahara: Anatomy of a Stalemate** , (Usa : Lyunne Rienner Publishers . Inc) , 2005 , p 14

من قبل الملك الحسن الثاني للتوجه الشعبي نحو الاراضي الصحراوية التي عرفت بالمسيرة الخضراء المقدرة بحوالي 350 الف شخص ، لقد كان الدعم الجزائري عبر تندوف المركز النخبوي للجمهورية العربية الديمقراطية 1976 بقيادة محمد ولد عبد العزيز وقد جرى وقف اطلاق النار بين البوليزاريو والمركز المغربي في 1991 برعاية امنية و الذي لم تحدد له تسوية فعلية في كل مرة يؤسس فيها موضوع الاستفتاء يشار فيها مشكل الهوية و من يصوت ؟ انه حتى داخل النخبة الصحراوية المنقسمة بين ثلاثة تيارات ، تيار الخيار العسكري و يتزعمه ابراهيم غالي وزير الدفاع ، و تيار الاندماج و الحكم الذاتي و الذي يتزعمه محفوظ علي بابا و التيار الثالث الذي يسعى للتوازن و القبول بمخرجات الامم المتحدة الذي يتزعمه مصطفى السيد¹ ، ان ازمة الصحراء الغربية لن تجد حلا في هذا الوسط المتعفن البيئي و الشقاقي المسوغ للدخول الخارجي كحكم و متحكم و كما اشارنا بالإضافة الى تحول العلاقات الى عصاب فوبي شرح نحو اكتساب قوة عسكرية فانه تحولت الايكولوجيا المغاربية الى صراع من نوع حربي بارد غير صدامي و هذا لن يطول بهاته الصيغة اذا لم يجد القطرين متغيرا لإدارة الصراع² بالعمل سويا و تقاربا بدفع المشاريع التنموية³ لتفعيل الوحدة البنينة لتجاوز الخصومة و مشكل غلق الحدود البنينة لقرابة 20 سنة .

¹ للمزيد راجع :

سها رجب ، نزاعات الحدود في العالم العربي : من نهايات القرن العشرين الى بدايات القرن الواحد العشرين ، ط1 ، القاهرة : مركز المحروسة للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات ، 2009 ، ص ص 131-166

² هناك اقتربان لإدارة الصراع الحدودي ، تقليدي كان ممثلا بعلاقات الزواج البنينة (المراكز) ، و الحديثة بالجوء الى التحكم البيئي (افضل من الدولي و تدخل الفواعل الخارجية المصلحية) و العمل كصيغ الاعتماد المتبادل الوظيفية لتجاوز الصراع الذي في مفهومه العام هو التعصب احد الطرفين حول مسألة او قضية تفترض الحل البيئي ، ان اللجوء الى المحاكم الدولية و المنظمات مجمل يعيق اتجاه الوحدة لأنها تفترض طرفان احدها يكسب و الاخر يخسر تلك المكاسب :

Rose Ngomba-Roth , **The Challenges of Conflict Resolution in Africa : The Case of Cameroon-Nigerian Border Conflict** , (Berlin : Lit Verlag Dr. W. Hopf) , 2008 , p,p 11, 16

³ كما في الحالة الهندية - الصينية التي حلت مشاكلها الحدودية بنينا بتكوين لجنة عمل Working Group متكلفة بدراسة المسألة و بتحويل المنطقة الحدودية كمرکز للتبادل التجاري من خلال فتح الحدود للمزيد راجع :

M. L. Sali , **India-China Border Dispute: A Case Study of the Eastern Sector** , New Delhi : Efficient Offset Printers , 1998 , p-p 113- 120

النظم التعليمية: تسيطر السلطة من خلال جهازها الأيديولوجي على عملية صنع السياسة التعليمية من خلال البيروقراطيين والتكنوقراطيين مع اقضاء مابين لمنظمات المجتمع المدني المختلفة التي تعد مكونا اساسيا في عملية البلورة المطلوبة التي تعبر عن حاجات المجتمع¹ ومع ذلك فهناك تدخل واسع للكوربوراتيين² الساعين لإيجاد مكان مؤثر في عملية صنع القرار التعليمي وفي المكون التعليمي بصفة عامة من خلال مساومات التي يلجئون اليها داخل الجهاز البيروقراطي و كذلك لان المطالب التعليمية الاجتماعية التي يعبر عنها المشتغلين في المجال و المدخلات لا تعبر عن شكل المجتمع و لا من بين اهدافها إيجاد بيداغوجيا مختلفة عن الواقع المهترئ بل تسعى و من خلال التنظيمات النقابية العمالية الى البحث عن المكاسب الاجتماعية ، مما ينحصر في اطار صراعي محتزل بين النخبة / المنظمات المهنية و تحيدي للمجتمع (تجمعات اولياء التلاميذ) و التي تشبط الاهداف الحقيقية المرجوة من النشاط التعليمي و تجعل المخرجات مقتصرة على المكاسب المعيشية و تكوثر العقول الجيلية و تستقيل هاته المنظمات عن الدور الاساس في التعبير و التطوير التعليمي اي مطالب محصورة في اشكالية لا نفقه فيها صراحة كالتقانون الاساسي و نعتقد ان الامر كله انحصر حول الخدمات الاجتماعية و محاولة الاقنصاص كالمطعم) / **نظام تعليمي** (تمثله الوزارة الوصية) / **مخرجات**³ مكاسب مطلبية (و تتمثل في الاذعان او الصراع للممثلين التربويين) (اي ان المخرجات عبارة عن اصفار بالنسبة للتلميذ - لمجتمع ، اي بصورة موسعة أكثر ان النخبة بالانكباب الجماعي التربوي (معلمين ، اساتذة) حول المركزية الكسبوية (غالبا ما يمكننا ان

¹ لان السياسة التعليمية عموما هي مجموعة من المبادئ و التوجهات و الاهداف التي تعبر عن المجتمع و حاجاته و المجتمع هو الاساس في تكوين اطاره العام و فلسفته التحديدية :

عبد الحميد بن عبد المجيد بن عبد الحميد حكيم ، **نظام التعليم و سياسته** ، ط1 ، القاهرة : ايتراك للطباعة و النشر و التوزيع ، 2012 ، ص 168

² حول اقتراب الجماعة كمنظور عملي في صنع السياسة التعليمية راجع:

عامر خيضر الكبيسي ، **السياسة العامة مدخل لتطوير اداء الحكومات** ، ط1 ، (القاهرة : المنظومة العربية للتنمية الادارية بحوث ودراسات) ، 2008 ، ص ص 118-119

³ حول العلاقة التنظيمية هاته راجع الشكل التفسيري :

ف.كومبز ، **ازمة التعليم في عالمنا المعاصر** ، تر : احمد خيرى كاظم / جابر عبد الحميد جابر ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1978

نفسرها كمحاولة انتقام من التلميذ المتمرد الحالي) الى السيطرة على الرمز الثقافي ، لماذا قصدنا التعليم ؟ لأنه يمس مباشرة المكون التهيئي والتعبوي النشئي للمثقفين المستقبليين و بذلك فمن السهل التحكم والتعبير عن القضايا النخبوية العصبوية التي سيتقبلها الصاعدون من خلال المدارس التعليمية المختلفة بحيث يتبنى الجيل الصاعد عملية المدافعة عن تصورات النخب-العصب و اختيار المتغيرات الخادمة للمصالح من بين المجموع العام للقضايا التاريخية مثلا¹ و الذي نعتقد ان سببه الفراغ الأيديولوجي الناتج عن القطيعة مع الماضي و المغيب للتشكيلات الاجتماعية منذ موجات التحرر الوطني التي لم يوطر المجتمع من خلالها و بقيا محيدا مما مهد للنخبوية الاحلال التدريجي لمجموعة الادلوجات المتضمنة توجهاتها مع تراجع الحركات الاجتماعية الفاعلة خلال نهاية القرن العشرين التي تمكن من احتوائها او اقصائها و بتالي احياء الايديولوجية السائدة و العمل على اعادة انتاجها² ، و التي تسعى بالإضافة الى السيطرة الداخلية الى ايجاد صيغ ثلاثية و التوجهات النيوكولونيالية و يبدو ذلك واضحا و ماثرا في النسق التعليمي من خلال الدور اللغوي الهام الذي تلعبه اللغات الاجنبية في عمليتي التلقين المرحلي و كذلك العالي مع تراجع ملحوظ للغة الاصلية (العربية) و يمكننا ملاحظة تطبيق افتراض رأسمال اللساني في المجتمع المغربي مجملاي ان درجة الاصطفاء يعدو للكفاءة اللسانية³ (الفرنسية و التي نرى انه الان تغيرت كنوع من المهاندنة الى توظيف فئات تتكلم اللغة العربية المتوسطة) الظاهرة في المجتمع و الترقبي المنصبي العادي او المتقدم الذي كان

¹ صحيح ان السلطة التنفيذية عبر جهازها البيروقراطي فاعل من الفواعل الرسمية في عملية صنع السياسة العامة لكن لا يجب ان تكون عملية الصنع منغلقة لا تتجاوب و المدخلات الاجتماعية و كذلك في قصور الجهاز التشريعي الغير مشارك تتوسع سلطة النخب العصب بدرجة متفاوتة ، حول عملية الصنع راجع :

جيس اندرسون ، صنع السياسة العامة ، تر: عامر الكبيسي ، عمان : دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط5 ، 2013 ، ص 60

² تيري ايجلتون ، النقد و الأيدولوجية ، تر: فخرى صباح ، بيروت : المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ، 1992 ، ص 24

³ اللسان العليم الذي وظيفه "بورديو" معبرا عن الاصطفاء العام للفرد الذي تحوي لغته كلمات لاتينية و اغريقية عن باقي الافراد المكونين للمجموعة ، و في المجتمع المغربي يمكننا ملاحظة ذلك بصورة واضحة ان اللغة الفرنسية ذات مدلول متحضر في المجتمع بعكس اللغة العربية المنتكسة ممارستيا :
بيار بورديو / جان. كلود باسرون ، اعادة انتاج : في سبيل نظرية عامة في نسق التعليم ، تر: ماهر تريمش ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ،

2007 ، ص ص 185-186

اساسه المباشر التلقين الاعتقادي بانه تحضري و المهم هنا ليس الجانب اللغوي لأننا حتما سنصطدم باتهامنا بالعروبية و يملى علينا النص الذي لم يحفظ سواه (من تعلم لغة قوم امن شرهم) ، بل نمط الرؤيا التي تسوغه هاته النظم التعليمية القطرية فيما بينها و فشل سبل توحيد المناهج الدراسية لتداخل العوامل التاريخية في عملية التوحيد¹ اي اننا نقصد ان المخلفات التاريخية التي يجري تدريسها و توظيفها ايدولوجيا داخل الاطار التعليمي لا تتطابق و الثقافة السياسة للمجتمع المؤدجلة و الاستقلالية النخبوية الداخلية التي ستعمل على تقوية الوعي لدى الاجيال الصاعدة عبر قضايا تمثل معامل القوة لدى النخب كالثورة او الامتداد العلوي تاريخيا هاته المتغيرات الدعائية السياسية يمكننا تضمينها في اطار الهوية المزورة² (لأنها لا تعبر عن الشخصية الحقيقية المغاربية بل حدث تاريخي من الكل التاريخي العام) ، ان الجهل التاريخي بالذات من خلال التقومن التميمطي و التلقيقات التجميعية و الحشو الثقافي³ المبين من خلال التقديس الشخصي للأفراد الذين تختارهم النخبة و تعمل على تحييد الفواعل المهمين في العملية التاريخية التكوينية⁴ (مصالي الحاج مثلا او الخطاب و

¹ الثقافة السياسة ليست مشاركة بين الانظمة السياسية المغاربية و المجتمع فهي لا تمثلها ، بل تمثل امتدادا للرغبة النخبوية التي تمتلك المجال الثقافي السياسي و تحاول التعبئة الجماهيرية بمجموعة الشعارات الشعبية التي نرى حتى جمهور المثقفين يتبنون تسويقها : ارلوند ج . هايدنهايمر و اخرون ، السياسة العامة المقارنة : سياسات الخيار الاجتماعي في امريكا و اوربا و اليابان ، ط 1 ، عمان : الاهلية للنشر و التوزيع ، 1999 ، ص 22

² هذا التبتوق الدعائي يجيلنا نحو المعرفة المشوهة حول القيم الوطنية المحددة لما من هم الخيرون و الاشرار ، من هو العدو و الصديق ، انه حتى لو طرحنا سؤال حول هذا يمثل المغرب او تونس فإننا لن توقع سوى جواب الاعلام المتصل بعقل التلميذ او راي العائلة او المعلم حول الاتناء ، ناهيك عن موريتانيا التي لا علم عنها التلاميذ سوى الاسم :

غي دورندان ، الدعاية و الدعاية السياسية ، تر : رالف رزق الله ، ط 2 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 2002 ، ص ص 30-32

³ أي تكرار المضامين نفسها بصور مختلفة كمثلا المسيرة الخضراء / الصحراء المغربية / الوحدة الترابية ، أي انك ستدرس ذلك في درس التاريخ مرات عديدة / و التربية الوطنية / و الجغرافيا من خلال الرسم الخرائطي :

توما دو كوناك ، الجهل الجديد و مشكلة الثقافة ، تر : منصور القاضي ، ط 1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 2004 ، ص 35

⁴ و الذي يمكننا نسميه المنهج الدراسي الخفي الذي يحاول من خلال الرسمي و المبين استغلال خفي للمنظومة التعليمية للتكريس التقديس الفريدي للنخبة ، لم يعبر عن الكلمة بهذا السياق لكننا نرها هكذا توظيف في ان المنهج الدراسي الخفي حقيقة هو القيم التي يزرعها الاستاذ في التلميذ كاحترام الاخر و زرع المحبة ، لكن الاستاذ تحول الى عامل المصنع يقتضي اجرة لقاء عمله و ينتهي دوره في العلاقة العملية لا غير ذلك ، اذن فوظيفة المنهج الدراسي الخفي احتوتها النخبوية :

دنيس بي . دويل ، التعليم لبناء مجتمع انساني : تنقية الفضائل المدنية ، في : د.أ. ايرلي ، بناء مجتمع من المواطنين ، تر : هشام عبد الله ، ط 1 ،

عمان : الاهلية للنشر و التوزيع ، 2003 ، ص ص 117-172

محمد الكتاني ، صالح بن يوسف ، الملك ادريس السنوسي ، ولد داه) ان لم نقل القومية بل فقط
الاقتصار على الوطني الداخلي ، لو اخذنا على سبيل المثال لا الحصر كتاب السنة الثالثة و الرابعة
كذلك من التعليم الابتدائي في نظام التعليم الجزائري لا يذكر الانتماء الى المغرب العربي ابدا سوى
عملية الفتح الاسلامي او تداول الدول من الرستمية حتى الزيانية و صحيح انه لم تذكر حيثيات
الصراعية كاتناء تندوف الى المجال الجزائري لكن الامتناع عن ذكر المغرب العربي هو كذلك جزء
من السياسة التعليمية فالسياسة التعليمية بشكل اخر هي نوع من عملية الحجاة على الذات¹ و
تجهيز تحكيمي قبلي كملكة للحكم يكتسبها الفرد من نخبوتته² ، ولا نريد ان توجه بالنقد للمضمون
فسياخذ منا كثيرا³ انه حتى على نطاق اوسع في المراحل الاخرى لا يذكر لنا الاهتمام البالغ بدور
مصالي الحاج او الحكومة المؤقتة او ذكر ان الرئيس بن بلة هو اول رئيس للبلاد و ستذكر كذلك
الصحراء الغربية ودعم الجزائر للقضايا التحريرية ، اما بالنسبة للجانب المغربي فيدمج التاريخ و
الجغرافيا و التربية الوطنية في مجال واحد مسمى بوحدة العلوم الاجتماعية و في المقرر الوزاري
الخاص بالمادة (الكتاب الابيض) يظهر جليا التركيز على التوسع السعودي و الدولة العلوية و قداسة
العائلة الحاكمة كأساس ، هذا النظام الديدانكي المعتمد من كلا الجانبين الذي لا يختلف من حيث
اقرار اللغة الفرنسية في المستوى الثالث من التعليم الابتدائي و كذلك تونس يجرى التركيز على الحقبة
القرطاجية و العثمانية و الحركة الوطنية و موريتانيا و التي عرفت بحركة مؤرخي نوفمبر بالاشترك مع

¹ كما يقول ماير في تعريف هذا المصطلح الحجاجي انه حجة تقوم على الاختلاف و المسافة بين الافراد ، أي انه باشارك المغرب العربي في عملية
التلقين سيحدث عبنا لصانع القرار في الداخل القطري و يدخله في مسائلة البراكيس (كيف تتكلم عن الانتماء المغاربي و نحن في خصومة مع الذات
في حد ذاتها) :

أرثور شوبنهاور ، فن ان تكون دائما على صواب ، تر : رضوان العصبية ، ط1 ، الرباط : دار الامان ، 2014 ، ص 62
² نفترض وجود الانا "أ" و الانا "ب" ، بمعنى المكتسبات القبلية التي تفرض فوقيا على الاناتين مثلا ان الانا "ب" عدو للمجتمع الذي ينتمي له
الانا "أ" ، اذا سيتحول الانا "أ" للحكم على "ب" و مجتمعه عموما على انه عدو نتيجة المكتسب القبلي الناشئ من النخبوية الفوقية المتحكمة بالمعايير
لأنها تعتبر الوصية بالرغم ان الانا "أ" و "ب" ضمن الانتماء الواحد و يمكنك ان ترى ذلك جليا من حيث الممارسة :

احمد براقوي ، الانا ، دمشق : التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، 2009 ، ص ص 11- 13
³ لأنه ليس مرتبطا بالمحتوى بل بمجموعة معقدة من التفاعلات الفيزيولوجية و السيكلوجية و الإملاءات المأثرة على الكاتب او المؤلف مما لا يعطينا
ثابتا قيميا بل مجموعة من التغيرات تعنون تحت غطاء الاصلاحات :

لوسيان غولدمان ، الاله الخفي ، تر : زبيدة الفاضي ، دمشق : منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2010 ، ص 34

مغربيين يجري فيه تناقض واسع بين البيض و السودان و كذلك عبر الشخصيات التي تراه النخبوية المتأخرة انه كان ذا ولاء فرنسي لذلك يتضارب مقرر التاريخ هنالك و في نفس المنوال اي في موريتانيا و تونس يجري تدريس العلوم باللغة الفرنسية منذ التكوين الابتدائي و اما ليبيا قبل السقوط القذافي كان يركز على الانتماء الامتي العربي و الافريقي و هكذا و لو ان مقارنتنا كانت سطحية - و اننا نعترف بذلك- لكن عموما اهتمامنا بمستوي الابتدائي و هاته النزعة البيوريتانية النخبوية للحد من حرية الطفل - التلميذ الذي لا يملك ابدا حسا نقديا و انما يعتبر وعاءا للتلقي فقط و مع ان التلقين يعتمد على الحفظ فسيزيد من عملية الاستقالة الارادية الفردية للطفل على التحاور و ابداء الراي الذي سيكبح من قبل المعلم ، لذلك مثلا الدولة الصهيونية تعتمد التركيز الصيغة الديدانكيتية التاريخية المبنية على الصقل الإكزيتوفوبي (كراهية الاجانب العرب) منذ التكوين المرحلي الابتدائي كشوء مقوم و مدافع عن المصلحة العليا للوطن اليهودي في فلسطين² و لا يهم ان كان حقيقة تاريخية ام تأويلية فالمهم هو تربية الطفل على البديهيات سيتحول الى مسلمة مستعد للموت من اجلها و هي المكون الاساس للهوية القومية، الهوية القومية لابد ان يشار اليها في خضم الاشارة الى الهوية الوطنية القطرية لأنها و ببساطة و نعتبر ذلك بديها ان القطر هو مبتكر جرى في ظل الفعل الكولونيالي الغير البيولوجي اي اننا نقصد ان المجتمع العضوي يتواجد تكاثريا و ثقافيا من خلال عملية التوالد الذاتي و الهوية الوطنية كانت بفعل التدمير البيولوجي الذاتي الامر الذي خلق الثقافة الوطنية المرتبطة بالحدود و الظروف التي شكلها الكولون ، و بتالي هاته العلاقة نحن Us / الثقافة

¹ البيوريتانية و هي عبارة عن مذهب كهنوتي متعصب لا يفترض هناك وجودا للتصرف البشري او مجال للحرية ، و هنا قصدنا بها النخبوية المتعصبة التي لا تمنح الحرية للأفراد عبر المؤسسة التعليمية كمودج للسيطرة الايديولوجية :

جون ستيوارت مل ، **حول الحرية** ، تر : سعد الرحان و اخرون ، ط1 ، القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2012 ، ص 29
² انه حتى جرى الفصل بين الجهاز التعليمي العربي المخطط بتدريس التاريخ الاسرائيلي و التاريخ العربي الإسلامي الذي جرى التغيير الواسع في مضمونه كهارون الرشيد المصور على انه جزء من حكاية الف ليلة و ليله لا باعتباره خليفة في الدولة العباسية :

مصطفى كبا ، **مناهج التاريخ للطلاب العرب في اسرائيل** ، في : محمود معياري محررا ، **مناهج التعليم العربي في اسرائيل : دراسات نقدية في مناهج اللغة العربية و التاريخ و الجغرافيا و المدنيات** ، الناصرة : المجلس التربوي العربي و لجنة متابعة التعليم العربي ، 2013 ، ص، ص 132 ، 150

الجديرة (و المرتبط بالمكون الأصلي الذي تفاعلنا معه و لم ننبذه و نعني الاسلام / العربية و حقيقة ان مجتمع مغاربي واحد و هي غير خاضع لعامل التغير الفصلي) / الثقافة المصطنعة¹ (و التي هي عملية تداخل بين المكونات التاريخية المحدودة كالثورة التحريرية او نفي الملك محمد الخامس و الرغبة النخبوية في مواصلة الجمهور للقداسة من خلال الاعياد الوطنية مثلا الموثقة في الكتب المدرسية²) و نصل الى ان هاته الشيزوفرانيا الخادرة³ (اي اقسام تحت حالت التخدير) بين الجدير و المصطنع ستنتهي الى خلق مثقف الممارس لفن الاخفاء⁴ ذو العاطفة الغريزية المسبوتة / الحركة بين الصمت التمديدي النخبوي و الخطاب ازاء الخطر المحذق بالنخبوي ، هاته الممارسة المصطنعة التي خلقت الانا المتفوقة على الاخر ضمن المجال التعليمي و التربوي تكون الفرد ليصبح صالحا لنفسه لا للمجتمع ، و متعلما لا ليتكبر بل متجهزا للبحث عن العمل و بتالي لا يمكننا تكوين الفرد الناقد المصاب بالرهاب الاجتماعي⁵ خوفا منه للتعرض للنقد و القطيعة في المجتمع من حيث المكانة او

¹ او هو عملية الذوبان في الماضي من خلال الشعارات و التاريخ المنمط أي ان النخبة - العصابة تفتح زاوية الرؤية للفرد بما يضمن سلامتها فقط و تغلق المنافذ المتبقية :

غالي شكري ، **اقواس الهزيمة : وعي النخبة بين المعرفة و السلطة** ، ط 1 ، القاهرة : دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، 1990 ، ص ص 27-28

² اننا نرز على التاريخية بحيث هي عملية وعي الذات بتاريخ بحيث هي جزء منه و لا نقصد الحرية في ذلك و انما التمازج بين الفكري / و الحرية حيث يمكننا من خلال الوعي الجمعي ان نكون تاريخنا و نعيه حقيقة غير مشوها و مرتبطا بالتاريخيات (تأويل التاريخ) ، فتاريخ عملية عقلية بعيدة عن الغرائز ، فلاشك ان التدوين التاريخي المغاربي خضع لعملية ارضاء الغرائز الضيقة التي حيدت الهدف الفعلي من دراسة التاريخ في اطاره الهادف لتكوين الشخصية الجمعية المغاربية باعتبارنا شعب الحامل لروح التاريخ الجمعي :

ميشال دوشيه ، **تقاسم المعارف : الخطاب التاريخي و الخطاب النيابي** ، تر : حسين قبيسي ، ط 1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2010 ، ص ص 152-156

³ تعني ذلك الشخص الذي يتحول الى حالة التحول الفكري و يصاب نشاطه الذهني بالشلل :

كاترين كيريرات / أوريكويوني ، **المضمر** ، تر : ريتا خاطر ، ط 1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008 ، ص 29

⁴ يعني به نبتشه تلك الممارسة الفردية نتيجة الفوبيا من الخارج للحفاظ على نفسه (غريزة البقاء) ، و بتالي هذا النوع من المثقفين يتميزون بنوع من الشيطنة من خلال تغيير المواقف في حيث انهم يوقعون بجماعة المتبينة لأفكارهم و التبرؤ منهم لانهم يشكلون السلطة حقيقة ، مثلا شكل الكتابة المعنون تحت اطار المذكرات الكفاحية الذي اضحى الموضة الحالية للقدح في الشخصوس الميتين او العلاقات التاريخية كحوادث الخصومة (حرب الرمال ، حقرونا ، امغالا) :

محمد سببلا / عبد السلام بنعبد العالي ، **الحقيقة** ، دفاثر فلسفية ، ط 2 ، البار البيضاء : دار توبقال للنشر ، 2005 ، ص ص 73-74

⁵ يقصد به الحالة التي تدفع الفرد للانزعال و الانطواء الفكري خوفا من التعرض للنقض و الإقصاء و بتالي الانعكاف بالملامة حول الذات و غياب الثقة بنفس للمزيد راجع :

ديانا هيلز / روبرت هيلز ، **العناية بالعقل و النفس** ، تر : عبد العلي الجسائي ، ط 1 ، بيروت : البار العربية للعلوم ، 1999 ، ص 55

المنصب او العلاقات المتقدمة الأسرية او العاطفية ، لذلك ليس من المستغرب الا يمكننا التفريق بين المتعلم عبر التدرج المدرسي او حتى العالي و الغير متعلم عبره فغالبا ما يتشاركون الرؤية نفسها و التفكير نفسه (مثلا مباراة وطنية لكرة القدم يتبادلون العاطفة نفسها) ، هذا الفرد -المستهلك تماما للبرامج المقدمة و الغير كفيلة بتطور المجتمع بالرغم من سياسات الانفاق و الذي في ذاته يتراجع باختلالات مؤشرات الاقتصاد و كذلك لتردي سوق العمل نتيجة المؤثرات الاجتماعية كالجنود و المساومات و الفساد ، فان النخبوية بذلك تدفع الافراد الى عدم المواصلة في التعليم و الالتحاق بالعمل في الجندية كضرورة لتوفير الرفاهية نتيجة الانفاق و الاهتمام العسكري¹ بخلاف القطاعات الاخرى الامر الذي يعود لكي يهيئ لظهور فوارق اجتماعية متقدمة في التربية و الثقافة اي بين الضرورة و التي تعني خلق الفرد العامل و الصيرورة² التي تعني ربط الفرد بالعالم ككل لان الافكار لا يمكنها ان تبقى ثابتة حتى الفكر التاريخي من خلال المعطيات الأركيولوجية لذلك علينا الخروج من الدائرة القصيرة التي تحد حياة الفرد ليتحول الى ما كينة اي يخرج من الدراسة الى العمل نحو التقاعد لينتهي به الامر في الوسط الاجتماعي المستقيل³ ، اننا يجب ان نحذر من عواقب تسميط التاريخ لأنه

¹ هاته المحاولة لا شك تسعى لخلق الطبقة الوسطى ، حتى على نطاق اخر كخيار هجرة الادمغة الذي اصبح الان يقوم على ضغوط واسعة من قبل الغرب لتناهي وتبر الارهاب ، و نحن هنا نعيد طرح سؤال نعتقد انه في هذا الاطار هل التعليم يعني في مجمله فقط التعليم المدرسي ؟ فقط بترك مقاعد الدراسة يتوقف العلم ؟ المشكلة الاخرى تكمن وراء التكوين عن بعد كحال الدراسة بالمراسلة التي تعد خيارا غير متزن لان المنخرطين في هاته الخصيصة يطورون من المكانة الاجتماعية و يلتحقون بالجامعة بسهولة فائقة عكس التعليم النظامي الذي يكتسب فيه الفرد التدهور في شكله المالي و المجهود المضي ، و في اطار العمل لا يمكن التفريق بين الافراد في كلا التوجهين ، و كذلك فخير المكتبات العامة خيار مهم لكن نرى ان نوعية الكتب ميسسة الى حد كبير لأنك ستجد كتبنا تتكلم حول الزعامة و تدعيم المراكز للنخب الحالية و ليس المجال للتحد عنها هنا:

جون هولت ، الحرية و ما وراءها ، تر : نظمي لوقا ، القاهرة : دار المعارف ، 1978 ، ص ص 179-184

² لذلك نرى الاهتمام بالمنهج يقتصر على المواد العلمية دون الاجتماعية و الانسانية و كذلك نلاحظ التطور التدريجي للطبقة داخل المجتمع ليس من خلال المتغير السوسيو- اقتصادي بل من خلال الممارسة الأيدولوجية (بنية فوقية مثقفة و تشغل المجال العلمي و بنية تحتية منخرطة في الاعمال الغير متضمنة للنشاط العلمي أي بين المجتمع النخبوي المتحضر المهني و المجتمع-المجتمع الحشن المتصلب) و من خلال ذلك سيتمكن النخبة-العصب من التوريث النسقي المرتبط بالعائلة و الحيز:

اندرية جوسان ، طبقات المجتمع ، تر : محمد بدوي ، ط2 ، القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2011 ، ص ص 23-26

³ حمى التدخل في حياة الفرد هي عامة حتى في المجتمعات الغربية ، هذا التدخل يستلج حق الفرد في المطالبة و النضال المطلي و نعمنة الذات ازاء النخبوية ، لينتهي الحال بالرفد للعلب بالكرات الحديدية او العكوف على المقاهي كما يتضمن المؤلف المعبر حقيقة عن نشاط الفرد في المجتمع المغربي : بيير بورديو ، نهاية العالم ، في : بيير بورديو مشرفا ، بؤس العالم ، تر : سلمان حرفوش ، دمشق : دار كنعان ، 2010 ، ص ص 105-106

سبب الحروب الكبرى في العالم كما يصف نيتشه¹ وهو محق في ذلك من خلال شحن الافراد وجدانيا .

المطلب الثالث: التقارب الخليجي المغربي .

في عملية توسعية لدول مجلس التعاون الخليجي التي كان الغرض منها تدعيم المجلس بوافدين جديد يتبادلون نفس النظام السياسي و الشكل الدولي كأساس الشرعية الدينية و تقديس العائلة و الشكل القبيلي و كذلك لتنامي خطر الحراك الاجتماعي الداخلي في رحاب الربيع العربي الذي يهدد كينونة هاته الانظمة و يعمل على تغييرها و لاحتواء هاته الموجة عملت على المسارعة في التحرك و المحافظة على شكل النظام الملكي المطلق لكي لا تنتقل العدوى الى دول المجلس الخليجي و بتالي جرى دعوة المملكة المغربية و الاردن لكي تصبح عضوا في دول مجلس التعاون الخليجي عبر قمة ماي 2011² و الذي كان الغرض منه التدعيم السياسي للمراكز الملكية و كذلك للتدعيم العسكري في خلق تحالف يمكنه من التدخل في المنطقة العربية لحماية هاته الانظمة و كذلك لاحتواء المد الشيوعي المحاصر للأنظمة السلفية الدينية ، بالرغم ان المعطيات تشير ان الداخل الخليجي ليس متقبلا لفكرة الانضمام³ و حتى من قبل الفواعل الرسمية فيرون المغرب الاقصى كعقد يونانية في

¹ فريدريك نيتشه ، الفجر ، تر : محمد الناجي ، الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، 2013 ، ص 131
² يورد المقال ان هناك تناقضا بين طلب الانضمام لدولتين بعيدتين جغرافيين بينما الاولى هو اليمن بحكم التقارب مما يدفعنا للتحكيم ان التائل بين الملكيات هو الاساس في دول المجلس :

<http://alkhaleejonline.net/articles/1426166532485544900/%D9%87%D9%84-%D8%AA%D8%B5%D8%A8%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D9%86>

³ خاصة الإمارات لانها تعتبر المغرب كفاعل قيمي خارجي و في دراسة استطلاعية قامه بها مؤسسة ايلاف وجدت ان حوالي 70 بالمائة يعارضون انضمام المغرب لدول المجلس للمزيد راجع:

<http://elaph.com/Web/news/2011/5/654699.html>

التكفل لعدم المواكبة المغربية للتوجهات الاقتصادية الريفية الخليجية¹، ومع ان الظروف المهترئة داخل المغرب العربي عملت على توفير الدافع للانضمام و لو انه لم يكن فعليا لكن ضمينا عملت الفواعل في المنطقة على اقناع الطرف المغربي على التضامن مع الدول الملكية من خلال تضامنها مع المملكة المغربية في حربها الباردة مع الطرف الجزائري ويمكننا فهم الوضع الذي تطلب الترحيب بدول المجلس لخلق استثمارات داخليا من خلال القطاع السياحي و هناك عمالة خليجية معتبرة في المملكة المغربية مما يترجم انه قريبا ستحول المغرب الاقصى الى عضو مهم في دول المجلس الخليجي هاته الرابطة و ان لم تترجم بعلاقة تقاربية اقتصادية بعيدة المدى فانها تترجم بصيغة عسكرية دفاعية قادرة على توحيد الجهود البينية حيث ان دول المجلس الخليجي تعين المغرب الاقصى من خلال تسديد ديونه العسكرية و محاولة لخلق توازن مع الجار الجزائر³ و المشكل الوحيد في المسألة هو ان الجغرافيا السياسية الامر الذي يحول دون الانضمام الفعلي ، هذا لا حاجة له اثر على الوجود الفعلي لاتحاد المغرب العربي فالعمل على الجهة الخليجية سيحول المغرب من المحور المغاربي ذو المكونات الاختلافية و الخليج نحو دول خليجية تسلطية تقمع الداخل و تحصل على الدعم الخارجي ، و سيشارك المغرب في تحالف كما هو الحال في عاصفة الحزم هذا من شأنه ان يؤثر على توجهاتها الدبلوماسية الخارجية و يزيد من اعباء الخزينة المغربية بدخولها في دوائر صراعية مختلفة

¹ التوجه المناهض مثلته كل من عمان و الامارات ، و قد مثل ذلم بتصريحات وزير الخارجية السابق سعود الفيصل و استفادت المغرب كاجراء اولي من خمسة ملايين دولار كمساعدات:

<http://www.hespress.com/politique/42422.html>

² كلا الفعلين الاردن و المغرب رحبا بالمبادرة للحاجة الى مثل هذا التحالف و العجز الاقتصادي لهاته الفواعل و تأتي هاته الاستراتيجية كعامل توسعي لدول مجلس التعاون الخليجي للمزيد راجع :

<http://studies.aljazeera.net/files/gccpath/2015/01/2015114124159988287.html>

³ للمزيد راجع الحوار الذي اجري مع الباحث الاقتصادي كاميل اليساري :

<http://www.france24.com/ar/20110912-morocco-gcc-algeria-three-question-camille-sari-economy-specialist-incorporation-organization>

على أكثر من جبهة ، التطورات الحاصلة في المنطقة تبين ان المغرب الاقصى لا يمكنه ان يلعب هاته الأدوار التي تنخرط فيها التنظيمات الخليجية .

الفصل الثالث: السيناريوهات المستقبلية في المغرب
العربي بين المتنوع و المسكن.

ايساغوجي :

تلك التمهيلات و الايضاحات التي تقدمنا بها لم تكن سوى جزء من المجال العام المغاربي محاولة لفهم حركة الأنساق الخطية سواءً الافقية او العمودية (اننا نجدد الاشارة انها ليست طبقية) و تكوينات البنى القطرية التي تعيد اتاج نفسها بصورة روتينية كصورة مرنة لهيكل ثابت متغلغل يتحرك عبر الثورة (افتعال نخبوي للربيع العربي فهي اعادة اتاج لنظام عصبي انقسم ذاتيا) او الدسترة او افتعال التغيرات الاجتماعية مزاولة لنشاط الحركي امام مجتمع متكلس بثقافة تابعة وزمر تخلق انماط الفعل الاجتماعي التحطيمي البيئي ينقل الصراع الفوقي الى ارضية داخلية للجماعة المكونة للمجال العام، لقد تمكنت البنى القطرية من التواصل عبر التمرحلات التاريخية المختلفة واستطاعة المجابهة ازاء التحديات المنوطة بتغيير هاته البنية كمناعة سياسية ، لكن النموذج الليبي كشف هذا التوقع النخبوي و الضعف المترکز بالعلائقية الرابطة للدولة بالمجتمع ، ان هذا النموذج التحطيمي المتكون من تحالف نخبوي داخلي و دعم خارجي غير راض عن المخرجات النخبوية المهتدة لمصالحه اطبقت على المركز الهيراركي بالرغم من المحيط المؤمن الذي كانت تتمتع به هاته الهيكلية ، بهذا الطرح سنواجه المقولة المتضمنة ان الواقع الليبي كان مهترئا ، مجتمع مكون من قاعدة قبلية نشطة و غياب للركائز الاساسية المقوية للمركز و حتى و ان وافقنا على التكوين البنيوي للهيكلي على انه السبب اذن لما استمر هذا النظام على طيلة هاته الفترة بالرغم من تكوينه المهترئ ؟ النظام العابدني كان محتويا لأدوات العنف المادي المشروع و لم تكن الهيكلية مدعومة من قبل المؤسسات الاجتماعية الممثلة بالقبيلة وفي غمرة كل هاته المعطيات لم يقدر النظام على المواصلة المقاومة المقصرة على الشعب ، لدى نعتقد جازمين ان اي ريجيم سلطوي يتأثر بالمعطى الوقي (نمو الحس الثوري المتأثر بالربيع العربي) و الفرص الاغتنامية للبنى الخارجية و المكاسب المتوفرة (بتزل) و المعارضة القوية الداخلية هي السبب الاساس في هوة هذا النظام.

العدوى التغييرية هاته دفعت الى الفوبيا المستصلحة للجوهر النخبوي وتحييد الزمر الغير مؤيدة بإضعافها داخل علاقات وشائعية مبهمة لهشاشة المعطى الولائي والتقارب من خلال التكيف الرفاهي المؤقت او منظمات المجتمع المدني او الاعلام او الاهتمام بالبنى التحتية لخلق الرضى الداخلي و تامين الجبهة الداخلية لهته البنى القطرية كضمان لعدم المساس بكيئوتها ككتل جاثمة فوق البناء الاجتماعي الوطني، و بنفس الوتيرة الاضطراب على مستوى الدولي عن طريق الاستمالات الاستثمارية او التأييد الضمني الرسمي والغير رسمي للقرارات الدولية، لقد فقدت الدولة الوطنية المعاصرة اي سبيل حاليا للامتداد الخارجي كالرفض او القبول او المشاركة التي تحدد ضمن فضاء مغلق لا يجاز لها تعديه والاستقرار الداخلي كالآمن والرفاهية الاجتماعية و كسب الشرعية لم تعد جدوائية التعبير عنها بعبارات الماضوية كالثورية او الدينية ببروز الذهنيات النفعية الجماهيرية وعولمة الحياة العامة بظهور متغيرات الحرية والتداول السلطوي و لبروز مؤثرات متجددة لا تقدر هاته النخب على مجاراتها خاصة والضعف المسجل المتوالي للاقتصاديات الهشة، التي تعود الى ميكانيزم الاستدانة والتبعية الاقتصادية لأنها ليست مستعدة اعتباريا لأي نشاط يتضمن الاشكال المعاصرة الدافعة للنمو الاقتصادي ما يعيد سيناريوهات الحركات الاجتماعية المناهية بالرفاهية وتحسين الاوضاع التي ستعمل حتما الى استغلالها كاتونات مضمرة تعتم الفرص الهشاشية لأثبات الوجود والمشاركة بالدعم الشعبي والحصول على الرضى الخارجي للتمكن من الاستحواذ على مدارية التغذية الاستراتيجية واحتواء الحركة الاجتماعية ذات المطالب الاجتماعية هاته التي تتوقف املها عند حدود تحقيقها، ستتحوّل في مسار موجه مغلق الخيارات و الفرص لتعود عملية الانتخاب الدوري لهذا النمط القوتي الوظيفي الذي لا يسعى للصدام المباشر لكن يواجه النسق العام الاجتماعي كبيادق وكفرص اغتنامية لتوسع دوائر الاستيعاب والندجة هل يمكننا اخيرا وصفها بالمناعة السياسية او الجرثومة المتغيرة الشكل والنمط والنشاط؟

لاشك ان اي عملية الإجابة تمكن في استشراف الواقع الحالي بممكنات او دراسة تجريبية / نقدية / تفكيكية / تحليلية للتفيد و توشي المستنعات .

المبحث الأول : الدولة القطرية كوضع راهن و خيار مستقبلي:

ان السيناريو دلالة على الممكنات التي تتجه نحوها الظاهرة بناء على المعطيات الموجود في المكون الحالي و بتالي هي مرتبطة بالموجود الحالي أي نعني ان عملية الاستشراف هي عملية بالغة الصعوبة لتغيرات التي قد تطرأ على الحالي باعتباره المركز الذي نضوع منه التوجهات الفكرية المقدمة لتفسير الحالي و توقع ما قد يؤول له ، لكن عادة البنية تتغير الى بني اخرى قد تبدو مجهولة و غير معلومة للدارس ، لذلك نربط الوضع الحالي بما قد تؤول عليه الحالة في المستقبل ، و كعملية ربطية ان الدولة القطرية قد تواصلت من حيث الممارسة كمسلمة لم تتغير طيلة الفترة الممتدة من مرحلة الاستقلال الوطني الى الوضعية الانية قرابة السبعين سنة ، و هي فترة لاشك طويلة لاستحداث فاهمة و ناظمة تغير من الصيغة البنوية للدولة الوطنية المعاصرة اذ ما قورنت بتجارب خارجية كالبنية المهترئة المتولدة عن الحروب البنية الاهلية (الحرب الكورية) او الشاملة (الحرب العالمية الثانية) ، يعود تفسير البقاء السجياتي (ترك الامور على سجيها) الى ان البنية بالرغم من تقدمها النحوي تعود الى مرحلة الصفر ، فالعودة الصفرية التكرارية تشبط النحوي المنتظم الذي يغير الوضع من المرتهن الى امثل ، العودة الصفرية تفسرها علاقات الداخل المثير لانساق تقليدية ماضوية متحولة الى صعود انشطاري و الخارج المحتوي لعمليات التقدمية لارتباطية البنية الاصلية بالسوق الاقتصادية (عرض و طلب) و ضعف الحركي نتيجة جبرية التعلق (مناطق امتداد: ارث كولونيالي) ، لا تعني عملية العودة المحافظة على الشكل و لا تعني عملية الانطلاق التقدمية بالضرورة ، بل يمكنها التفكك الى بني منقسمة صراعية او التصلب في وضع غير قابل للنفاذية وفق الجبرية الخارجية .

المطلب الاول : الدول المغاربية و تراجعها الانقسام الهوياتي .

نهتم في هذا الجزء بموضوع الهوية الجمعية التي تكون الوعي بالذات و قضية الدفاع عن هاته التكوينية بالغ الاهمية فالدولة كمكون فكري و مجسد عبر المؤسسات السياسية و الاجتماعية يفترض وجودا لمفهوم الوحدة كأساس للاستمرارية و المقاومة فوجود الدولة مرهون بمدى قدرتها على التحمل و مسايرة الظروف القاهرة في النظام الدولي ، لاشك ان ديمومة الدول مرهون بتخلف دول اخرى و هذا لا يمكن انكاره مع اتساع الهوة بين التابع و المتبع لا نريد من هذا الطرح ان نعلق كل انتكاساتنا على مشجب الغير او انها نظريا مؤامرة دوغمائية بل نرى انه بدافع الواقعية ان العلاقات الدولية لا تختلف عن العلاقات الانسانية فالمكون الدولي بشري قبل ان يكون مؤسساتي و حتى القوانين هي من صنع البشر بالتالي فصراع محتمل أكثر من احتمالية السلام للأناينة الانسانية في غياب القيمة الاخلاقية منذ ان رأى قابيل ان له كامل الحقوق التي تعدت حق الاخر الشرعية لها بيل ما ادى الى تصفيته كمنافس¹ و عدم قدرة البشر على مواكبة التغير السريع و التفكير الدافع لامتطاء الاخر للوصول الى المكاسب و نحن لن نؤسس لمفهوم الديالكتيك² لكن مضطرين لاستخدامه للفهم باعتباره براكسيس أي عقد العلاقة بين الوضع القائم و ما يجب ان تكون³ عليه الحالة تحليليا، فالتاريخ البشري قبل ان يكون حافلا برجال العظماء او التغيي بالأجماد هو في الحقيقة

¹ هذا الطرح نراه مقبولا كمنشأ علمي ناقد لقصة هايبل و قابيل تبرز مدى انانية البشر في الوصول للهدف و الامتلاك وفق مبدأ اللذة ازاء مبدأ الواقع المؤسس على القيم الاخلاقية:

تركي علي الربيعو ، **العنف و المقدس و الجنس : في الميثولوجيا الاسلامية** ، ط2 ، بيروت : المركز الثقافي العربي ، 1995 ، ص ص 113-118
² لان التحليلات تبني على مستويات ادراكنا للعالم الخارجي فنحن نصف الاشياء بموقعها من الفضاء العام او هيبتها فيه أي في اطار وجودها الموضوعي :

فاسيلي بودوستينيك / افشي ياخوت ، **الف باء المادية الجدلية** ، تر : جورج طرابيشي ، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر ، 1979 ، ص ص 40-41

³ البراكسيس اداة تحليلية تربط النظري و الممارسة بالواقع الاجتماعي :

ابو النور حمدي ابو النور حسن ، **يورجين هابرمس : الاخلاق و التواصل** ، ط1 ، بيروت: مؤسسة ديمو برس للطباعة و النشر ، 2012 ، ص

كان حافلا بتدميريات و التضحيات التي حاولت افناء الاخر و تلك المعادلة توجد طرفان رابع و خاسر ، مالك و ممتلك ، ممتد و انعزالي ، سيد و متسيد ، الا انه هنا نركز على الافكار اكثر مما نوجزها على المادة لأنه في العالم الاسلامي و تاريخية الروحي كانت الافكار هي المغيرة للواقع و فارضة للقيم البديلة و الصراعات لم تكن سوى ترجمة لعدم القدرة على المواجهة الاختلافية الفكرية ، و الان و - لو اننا نتحفظ على مفهوم الان- فمفهوم الخصومة المشبع بتهوية القطيعية النخبوية الكومباردورية مع الماضي اخذ يتسع و يسيطر على المجتمع القطري ضد الاخر القطري الذي برزت فيه ملامح الاختلاف بخلق الرمز الضدي المبني على التاريخ و اللغة و حتى الاسلامة المتقومة و الترويج الى العبرات المختلفة ، و بتالي خلق الصراعات الضدية للتكوين الذي سيجحف الاخر لأنه مبني بصيغة التفرّد النخبوي السياسي التي توافق و الميول الشخصية لصانعي القرار التي تعود لإرضاء توجهات قاهرة للمركز¹ الذي يفشل باستمرار في فرض الولاء الداخلي و خلق المجتمع العضوي الوحدوي ، هذا الصراع سيعتمد على التمرکز الثنائي بين النخبة / النخبة و المجتمع / المجتمع ، هكذا في اطار المجموعاتيّة يمكننا فهما الصراع البيني المولد للشيزوفرنيات فلا نهتم بالأشخاص بل بالأفكار للسعي الى فض الاشتباك الحاصل بين المفاهيم التي عادة ما تكون ذات اتجاه واحد جرى تميطها و ادجتها ليخدم الذاتي ضد الاخر مع انه في الاصل لا يمثل الى فكرة واحدة كالإسلام مثلا.

المستوى الصراعى النخبوي-النخبوي : او المجتمع في المخبر النخبوي:

¹ نعني بنخبة الجماعة السلطوية ، يمكن ان تعني في مؤلفات اخرى بالمتقنين لكن لا تعتبر المتقنين نخبة في المجتمع اولا لانهم يمثلون السلطة او انعزاليون ثانيا افتراض النخبة مبني على مكون أي اتحاد هدي و المتقنين فرادي لا يمثلون مكون جمعي لذلك نعني بها كما يعنى الكتيرون بالنظام السياسي و نعترض على هاته المقولة لان النظام السياسي لا تمثله النخبة فقط (بل هي المستحوذ عليه) فهي تضم كذلك جهاز بيروقراطي ذو المكون المجتمعي و اذا قصدنا النظام السياسي فإننا نعني به المكون هذا كذلك:

مروان بشارة ، العربي الحفي : وعود الثورات العربية و مخاطرها ، ط1 ، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2013 ، ص 32

الصراع الثنائي هذا الممثل بصراع النخبوي / النخبوي المغاربي اولا نعود لتوصيفه فهي دوائر السايكو (الاحساس بدونية مقابل ترستندالية الغيرية) تعيش حالات الاتراكسيا (الهدوء الوهمي) بخلاف المشرق مما دعم لديها محاولات التحول من العقل الواحد المغاربي الى عقول مغاربية خاصة مع تنامي التهديد المحدود لترتكز على افكار وقيم اختلافية مثلثية مثل ما يصف ذلك علم النفس التشكيلي¹ تعتمد على انسحابية الديني بالتعويض العلماني كمسوخ للمرحلة التالية التي يحى فيها المتخيل الديني/ الثقافي ويحل محله الرمزي/ الثقافي كإعادة ترويضية لمجتمع مغاير قيميا (كالمغرب بالرغم من ان الاجهاض مناف للشريعة الاسلامية فقد صرح به رسميا كخطوة تقديمية لفصل الرمز عن الفرد)² وممارسة قطرية اخرى أكثر اجحافا ، اللغة بحيث انه يحاول بشتى الطرق فرض اللغة الدارجة (التي لم نفهم أي دارجة يقصد بها) محل اللغة الاصل العربية والصعود المتكرر الاثني للجماعات الامازيغية لفرض لغة التافيناغ او الألسنة الهامشية للسود السنيغاليين و حتمية التواجد اللغوي الفرنسي كسربات كولونبالية عاقلة و كمنافس للمورفولوجيا المغاربية مساهم في الخلل الميمي للثقافة المغاربية ، هاته الصراعات التي لا تبدوا ذات حدة لكنها كذلك مع مرور الوقت ادت الى تكوثر اللسان المغاربي فنحن لا نقدر حتى ان نصف الواقع باعتماد اللغة المشوهة ، لذلك السؤال يطرح من لدن هاته الصراعات ، لماذا هذه الميودية ؟ وما هو الهدف ؟ ان الإجابة الجدد محتزلة

¹ استخدمنا هذا الوصف النفسي للدلالة على حالات الشخصية المثلثة التي تهتم بالتمركز الذاتي أكثر منها اهتماما بالآخر ، الاهتمام الذاتي القطري نعني به انه يحاول الاختلاف عما يملك الاخر القطري ، هذا كطائر لفرض الهوية الجمعية القطرية فمثلا لو سألت (حتى المتقنين طالتمهم العدوى كالجاري عندما يذكر ان بين ونيف البشارية الموقع كانت مغربية اصلا) جزائريا سيرد باننا بلد المليون ونصف المليون شهيد و الاخر المغربي مثلا يذكر لك ان المغرب كانت ممتدة داخل تندوف و هكذا يربط المكان بمحادثة زمانية محددة كطائر خارجي عن واقعه المعاش لعجزه عن ذكر الانفصال اللغوي او الاختلاف الديني الهوياتي و هو مضطر للدفاع عن ذلك لإيمانه بوقوع هاته الحوادث (هل العدد الشهداء يقتصر على مليون ونصف فقط طيلة الفترة الكولونبالية حوالي القرن ؟ لا نعم متى كانت هاته السيطرة الفعلية من قبل العلويين على تندوف ؟) بعكس الفرنسي او الالماني او الانجليزي الذي سيذكر لك اللغة و الامتدادات التاريخية المفتوحة و المضبوطة :

سوزان ديلينجر ، التواصل رغم اختلافاتنا : التعرف على نظام الاشكال الهندسية النفسية ، ط1 ، (الرياض : مكتبة جرير) ، 2005 ، صص 72-66

محمد عابد الجابري ، حفريات في الذاكرة من بعيد ، ط1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997 ، ص 21

² هاته الممارسة تخلق ثنائية الثقافة بين السيطرة على الرمز و المضمر الشعبي كمناهض ، كبرنامج تليفزيوني مثلا يعرض مشاهدا لا تتوافق و التركيب العائلي لا يمكن للعائلة مجابهتها الا بتغير القناة او الاستنكار المحدود و هناك امثلة عديدة فالواقع المغربي لم نجد المجال لطرهما هنا للمزيد راجع : أوليفيه روا ، الجهل المقدس : زمن الدين بلا ثقافة ، تر: صالح الاشمر ، ط1 ، بيروت: دار الساقى ، 2012 ، صص 187-189

تكن في التقومن اي محاول خلق الاختلاف لفصل المجتمع داخل الدائرة المشكلة لمجابهة الاخر تعبويًا و الاخر متبعًا نفس النمط التقومني يسعى الى ايجاد صيغ مضادة يكون فيها التعليم و الاعلام الدورين المهيمنين فيه لتشكيل المظهر الذي يمتد للتنافس للتطوير القدراتي و ذو الهدفية الاقصائية أي ان صعود القطر أ تقابله انحدارية القطر ب¹، فمثلا منذ بورقيبة يجري التحدث عن القومية الفينيقية و نحن الجزائري يتكلم عن الثورة المجيدة و المغربي يهتم بالواقع الشرفي² و حاليا بالمسيرة الخضراء و الصحراء الغربية التي انعكست كعطى ايجابي للتحرك و اما الانعزاليات الموريتانية و الليبية فيبقى المصير مجهولا امام الانقسامات القبلية الفسيفسائية التقليدية التي عجز المركز عن مجابتهما لحدتها الموازية للمركز ، فطابع الاستمالي لم يعد ذا جدوى باتا فنحن نرى مدى الاختلاق الاعباطي الدوري للأشكال بتنميطيات و اعادة هيكلتها الدورية التي تجعل المجتمع في حالة الغيبوبة التامة و النخب في حالة استنفار شديدة نتيجة العجز الذي يواكبها في الاستخدام الروتيني لنفس المتغيرات التي لم تعد تجدي معنويا (الشرعية الثورية / الشرعية الدينية) او ماديا (خلق دولة الرفاه) ، فالنخب ترى بان عملية التقومن (التحديث السياسي كجزء مهم منه) هي ميكانيزم مجابهة للتقليد و خالق للتطور و محفز اقلاعي للخروج من خندق الاصلالة الى المعاصرة لكن في ضوء هاته الانتقالية ذات الرؤية الواحدة التي لا تفترض ان يكون هنالك منافسا لقصوره الشرعي لم تحترم الخصوصيات الاقلوية المهمشة ببناء سلطوي ينفي الثقافة الكلية المكونة من التقاليد الدينية و

¹ استوحينا هاته الفكرة من مقارنة قام بها جارد دياموند بين مزرعتين الاولى تقدم منتوجا و الاخرى سجلت عجزا و انهارت، و من بين الافتراضات التي قام بها في سبب الاختلافات هو عجز البنيوي بصعود المزرعة أ التي لم تقدر المزرعة ب على مواكبته و بالتالي انحدارها ليعمها على المجتمعات بصفة عامة، هذا عكسناه على دول المغرب فهي تسعى لتطوير قدراتها بناء على قدرات الاخرى للجار الذي لن تكون قادرة على مواكبته مما يخلق جوانبا للعجز اخرى (كمثلا تطوير القدرات العسكرية للجانبين يؤدي الى تردي القطاعات الاخرى نتيجة العجز التوميني كالتعليم المهترئ ميزانيا) للمزيد راجع: جارد دياموند ، الانهيار : كيف تحقق المجتمعات الاخفاق او النجاح ؟ ، تر: مروان سعد الدين ، ط1، السعودية : شركة مكتبة العبيكات ، 2011 ،

ص 21

² يصف بول جين قارنا لفوكو ان التاريخ المقصور على الشخصيات و الاقاصيص هو تاريخ يشغل ادنى السلم ، انه تاريخ ضعيف و هذا المتغير تركز عليه الدول القطرية المغاربية مثلا ترى في قناة معينة نقاشات مع شخصيات تهم اخرى ميتة او لا تملك القوة للدفاع ما يكون التاريخ لدى الجمهور المتابع و المنخرط فمجموعة الاقاول المنسوجة :

بول جين ، ازمة المعرفة التاريخية : فوكو و ثورة في المنهج ، تر: ابراهيم فتحي ، ط1 ، القاهرة : دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، ص 38

الشعبية، بطريقة ما تؤدي الى التحول من اطار ثقافي الى اطار قومي اعم أي الى خلق شعوريات تتحول الى قيم يجري وصلها باطار لغوي واثني تاريخي تثيره ممارسات الغبن¹، هذا البناء المصادماتي نتيجة الاحتقار او محاولة الاستعمالية المناسبة تخلق النفسيات المتمردة التي يؤدي بها التكلس الى التصادم مع المركز و تعاضم احتمالية الانفصال عن المجتمع الكلي اذا ما جرى احتوائها خارجيا (بوليزاريو-دعم جزائري يمكن ان تقابل ضديا اباضية-دعم مغربي) كما هي الحالة السودانية و الكردية - العراقية نحاول ربطه السيميتري على الواقع المغربي فليس مستبعدا الصعود الامازيغي في الشمالين الجزائري-المغربي و حتى انفصال البوليزاريو لن يضمه احد مستقبلا أي نعني ان اصبحت البوليزاريو دولة الا تكون عبئاً مزيدا على واقع الوحدة ؟ ماذا لو تكونت نخبة كومبرادورية داخلية ارادت الامتداد على كامل المحيط الصحراوي تحت المسوغ القومي التارقي كما هي الحالة الكردية في العراق و سوريا و تركيا (الحزبين الديمقراطي الكردستاني و الاتحاد الوطني الكردستاني) او محاولة تأسيس للتقارب خارجي غيري (كإقامة قواعد عسكرية) ؟ لا احد يضمن ما تؤول اليه هاته الدولة ان استقلت لكننا على يقين انها ستكون الثيمة المشبطة حتما لمسار الوحدة كما هي اسرائيل بالنسبة للمشرق، لاشك ان هذا القول يعد تعديا و خطورة لكن اننا نرى انه كذلك في المستقبل القريب فالدول القطرية الحالية تحويها الجبرية الخارجية و اقتصادها هش استهلاكي و تمتلكها النخب و لا يملك الفرد فيها الا ان يكون مدعنا حيث استلبت قيمه التوعوية ، نعم انه مجملا السلوك البشري يشكل اللاوعي فيه الجزء الأكبر لكن في اطر محدودة كالعادة و الروتين لكن التمادي في اللاوعي يخلق نفسية الانسان المهذور الذي لا يقدر على التعبير عن ذاته او الدفاع عن حقوقه الا في اطار معنف كردة فعل كثورات الربيع العربي التي لم تكن قبلية التشكل العلمي بكتابات مفكرين مؤسسين للفكر الثوري و لا عن وعي مجتمعي بتقدم الانتقاضي بل كانت حركة

¹ برهان غليون ، المسألة الطائفية و مشكلة الاقليات ، ط 1 ، بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر ، 1979 ، ص ص 9-10

معنفة نتيجة الصقل القهري ضد نخب مستوطنة ولن تنجح الثورة لان الكل من اساس واحد نعني ان المجتمع و النخبة مهما كان شكلها فهي ذات امتدادات مجتمعية اصلية نابعة من الشكل القبلي من الطبقة الوسطى حيث تتحول الثورة الى حرب الكل ضد الكل كسوريا مثلا او حتى ان كتب لها النجاح فلن ترتقب سوى سيناريو مماثل من داخل النظام الذي سعينا لإسقاطه (ذهب بن علي و خلفه القايد السبسي الذي كان يشغل مناصبا وزارية هامة في عهده) كسيناريو لسرقة الثورة عبر تيممة المجلس الانتقالي¹ الذي ليس الا اعادة لتشكيل النخبوية او ثورة مضادة مثال الحالة الليبية، ان هاته النخب خلقت الأنسان المقصور على الواجبات² فعملية التفرد قد تبدوا لنا شاذة³ و غير متداولة في المجال القطري اذا ما راينا مفكرا و مثقفا متمردا على السلطة - في حقيقته هو مناهض لسياساتها- و بالضافة الى ذلك سلسلة المسؤوليات و التي كما يصفها نيتشه بالوثنية الجديدة التي عادة تكون ليفياتينية كحب الوطن و احترام الشهيد او الولاء للعائلة الشريفة الملكية او احترام العلمنة كقيمة او القبيلة كولاء جمعي مثبت للحركة الفردية، حقيقة قد يبدو حديثنا هكذا اننا في واقع مظلم لكنها حرب باردة (حدود فاصلة ، اعلام تقاذفي ، محاولة التعبئة و الترويج . .) بين الطرفين النخبوي-النخبوي، ان الحالة الاوروبية في سعيها للتقومن مرت بمراحل نحن نسايرها الان كزاعات الداخلية و الاضطهاد و الاغفال عن الحقوق و السيطرة السلطوية الكلازنية على الجمل المجتمعي و الاستكانة العقلية كحرب الثلاثين بين القوى المتقومة الذي لا تستبعد ان تسير وفقه الحالة

¹ لا نعني بالثورة فقط طابعها الحالي (الربيع العربي) بل حتى الانقلابات العسكرية لقت بالثورات و التي تلعب فيها اللجان الشعبية دورا مهما كمحاولة تعبوية او المنظمات النقابية او الجمعيات كسالمة و تحيدية عن الشأن العام ضمن اطار الاستمالة ديكتاتوري:

فتحي المسكينى ، الهوية و الحرية: نحو انوار جديدة ، ط1 ، بيروت : جداول للنشر و التوزيع ، 2011 ، ص 247

² ان الأنسان من حيث هو انسان يلزم ان تتوافق الممارسات و الحق الذي يمتلكه كواقع ارادة لا كواقع تشيؤي مفروض من خارجه :

عبد العزيز بومسهولي و اخرون ، افول الحقيقة : الانسان ينقض ذاته ، الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، 2004 ، ص ص 14-15

³ وفق نظرية التعلم الاجتماعي لروتر فنتركز هاته العلاقة في اطار التعلم الذي يحدث وفق سياق اجتماعي تحدده السلطة و علاقة التنبيه (المخرجات) تتوقعها السلطة مسبقا المثال الجماهيري في عملية الاستجابة (تغذية راجعة) و لن تكون هناك اعتيادية علاقة التعزيز كمحدد ثالث يفترض القبول بالأداء و الابتكار الذي قد يؤدي الى التمرد او التحرر المساري الضدي للنخبة و في انه فردي فيجرب احتوائه قبل التعاطم (الممارسات البيروقراطية و الاحتقار الاجتماعي الذي لا يقبل الابتكار) :

لورانس أ. براين ، علم الشخصية ، ج 1 ، تر: عبد الحليم محمود السيد و اخرون ، ط1 ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2010 ، ص ص 186-

المغربية لان دينامية الصراع كحيثية هي ما تفرض الاعتراف بخصوصية الاخر فبدون الصراع لم تكن لتوجد واستقليا ، ان النخبة القيادية تحاول الاستمرار وديمومة في النسق نفسه أي نعني انها بالرغم من الاصلاحات التي تبديها الا انها تضر عقلية الوصل في الاتحاح السلطوي نفسه (تتغير الوجوه لكن تبقى الكوربوراتية نفسها) و مستوى المناعة السياسية التي يتمتع بها التركيب السلطوي بالنسبة للخارج لكن تعوزها اللحمة الحقيقية الممثلة لمستوى الفكر و الأدلجة الذاتيين التي تحفظ النظام و اساسه الشرعي الذي ينجح في التنشئة الاجتماعية ليتقدم المجال السياسي و الاجتماعي العامين ، و الذي اخفقت في فرضه الطبقة الوسطى باختلاف اتجاهاتها تبني مستوى ادلجي ادهكي يتغير بناء على المعطيات الخارجية (اشتراكي- عدم الانحياز- ليبرالي) ، الاهتمامات بالخارج بارزت لضعف النخبة لا المجتمع كونه مبتلعا ، النخبة هاته التي لا تتبادل الأدوار مع هذا المجتمع الذي لا تمثله ، لا محاجة في اننا نرى ان النخبة تعتمد المستوى الراسي الواحد كمثل للتحالف النخبوي الطويل الامد مما ترجمه مستويات العجز عن ايجاد الممثلين الوارثين للحمل النخبوي (الراسية الهرمية تحولت الى دمي تحركها النخب الظلية) او العودة الى سؤال الاسلام و فصل الدين عن الدولة كمبرر للمضي باطار نخبوي نفسه مقبول القيمة الوهمية (العلمانية - الحرية) لا الشخصية كبتيا (لا يهم الشخص المهم العلمنة) الذي يهدد وجوده باتباعه ما قد يوحي بنقض العروة العلمانية (الحجاب) هل حقيقة نحن امام بناء دولتي حقيقي ام خزعبلات فانية تخرج الدولة من اطار العلمي و الفكري المعرفي الى اطار المقاهي و المنمنمات ، مثلا كالحركات النسوية التي تعد الممثلة - تعتقد ضمنا- للعنصر النسوي بقيادتها الحملات الدفاعية عن شؤون المرأة (لا تمثل سوى العاملة¹) و ضدية الهيمنة الذكورية الكلية على الحياة الاجتماعية و تمتد الى المساواة

¹ لا شك ان عمل المرأة اثرا جدلا حتى في المجتمعات الصناعية ، فدخولها لمرحلة الديمقراطية لم يرفق بعمل المرأة عموما فقد قوب بالرفض الاجتماعي خاصة من قبل الازواج، المهم هنا ليس الدخول في مناهة هل يجب ان تعمل المرأة بل في ادخلها موضع الوضعية الاجتماعية ان دور الام / العمل الماجور و الانوثة / العمل يتضاد بسيكولوجيا و سيكولوجيا حتى امكن القول ان المرأة العاملة ليست امرأة لاستقلالها وظيفيا في المجتمع و احتقار

الحقوقية في العلاقات الاجتماعية لكن فعليا لم يهتم احد منهم بواقع الفتيات الفقيرات (اليتامى - الارامل) التي تؤدي بهم حالات الفقر الى التمرد الاجتماعي على الاتيقا الجمعية ولا احد اهتم بقضية المرأة الماكثة في البيت ، لكن اهتماماتها تصور لنا انها ليست حركة نابعة من قاعدة عريضة مجتمعية حقيقة وممثلة للمجتمع المدني و انما كتنظيم مؤطر فوقيا للدور المتقدم الذي تلعبه و الاستجابات السلطوية المباشرة (الاجهاض : من المطالبة الى تقنين الاجهاض) وحتى المستوى التمويلي (تفاعلات الاعلامية و الندوات) لم تصل الى مستواها التنظيمات المدنية الاخرى و ستمتد الى ابعد من ذلك الى تغيير قيم اخرى عليا مركزها النص القرآني (كمثلا ترى مثقفة منخرطة في الحركة النسوية تقول ان المساواة في المراث باب للاجتهد) مما يفتح تفسيره لدينا هل الخيار الديمقراطي اساسه التخريب العضوي للمجتمع باستلابه قيمه او التعدي على الثابت؟ الا يبرز ذلك شحناء مكبوتة و يهيج الجمعات المكبوتة؟ حتى الاحزاب الاسلامية لا تملك الا ان تندد لأنها ذات اهتمام مقعدي (الخصومة تعني خسارة مستوى اصوات هام من قبل الحركة النسوية التي تسعى لاكتسابها) لا اجتماعي تجميعي فالمجتمع معزول تماما عن هاته العلاقات الوشائجية ، ان القيم لدينا مربوطة بالشحناء المعززة بالقيم الاخرى العملية القادرة على التغيير المعنف باصطدامها بالمنبهات (القتل - الانتحار) نتيجة الاحتقار، فالقيم الاسلامية حافظة على مركزية الرجل (احترام الاب) كصائن للمؤسسة العائلية و الخلل بهذه المركزية يؤدي الى الانيميا الاجتماعية (الفوضى الاجتماعية و انحلال القيم) و الذي نحن في خضمه الان ، لا تعني الحرية اننا نخرج من طابع الانساني¹ الى الحيوانية (بيد ان حتى الايكولوجيا الحيوانية تحوي نظاما) فبدون القيمة تبرز

الدور الذكوري أي خلق المرأة المعتمدة على نفسها مما ينعكس على واقع الما قبل زواجي كشرط و البعدي كخصوصية و مضطربين مستقبلا ان نرضى بالمزيد من القيم الجديدة المختلفة للمزيد راجع :

جيل لييوفيتسكي ، المرأة الثالثة : ديمومة الاتثوي و ثورته ، تر : دينا مندور ، ط1 ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2012 ، ص ص 203-210
¹ مثل ما يقول على حرب انها ليست قضية تحرير اشخاص بل هي قضية تفكيك (بالمعاني السلبية للكلمة) بني ، انه حتى مع جانب الرجل الذي في علاقته يبني اسسها على علاقة بين الجنسين مؤسسة على علاقات غريزية و هذا ما غير التفكير الذكوري حيث يواجه المرأة بانها لزام عليها ان تحتشم

الانانية الانسانية التي يحركها عقله الغريزي الهدام ، ان النخبة على علم بان هاته الممارسة تؤدي الى قدسية الصندوق (الانتخابات) خارجيا اما في الداخل تحسم نتائجه قريبا ، واما صيغة البيعة السنوية فانها لا تخضع لمعيار التحرر بل هي واقع الحال كعادة رمزية مشهونة دينيا¹ و جزء من المقوم الوطني (عيد العرش)، ان المكبوتات تزيد عن حجمها الذي لا يمكن للمجتمع ان يوحىها الى مدة طويلة ، فالغيوبية لابد انها لن تدوم طويلا مع تضائل الجرعات التخديرية و تفاقم دور البريتوريات و القمع الغير الضاهر و تنامي الهوة بين البرجوازيات الوطنية ذات التحول الكومباردوري بتقاربات الاقتصادية ذات الطرف المكسيبي الواحد الغيري و التوسع المجالي للاستفادة من الامتيازات التي تعمل على امتصاص مقدرات هاته البنية حتى النضوب ما يعمل على تنامي الداخل الانتقامي لعدم توفير النخبة للرفاهية التي تعود عليها المجتمع المدعن بالمهيات (ملئ للبطون) .

المستوى الصراعى المجتمعي-المجتمعي : او محاولة التميز الوهمي .

لا يعد الصراع هذا سوى انعكاس لصراع قبلي نخبوي/ نخبوي الذي يحور و ينقل من داخله النخبوي الى المجال مجتمعي/مجتمعي لعدم المشروعية النخبوية أي تقصد ان معطيات الثورة / الدين لم تعد مجدية كشرعية للسلطة ، خاصة مع الثورة التقنية و التكنولوجيا التي قضت على الحدود الوطنية لتواصلية المفروضة بين الافراد و العالم الخارجي الذي يجعلهم يتحولون شعبيا بقيم خارجية منافسة للداخل في اطار العولمة مما يؤدي الى المزيد من الصعوبة في النطاق الداخلي على ايجاد اساس تركز فيه الرغبات المجتمعية على اختلاف اتجاهاتها الفكرية و العقائدية و الاثنية مما ادى الى الانقسام

و ان كان لا بد له و لا هو ان يحتشم ، لذلك نعود للقول ان القيمة تعولمة جعلت تلك الغشاوة الساترة للمجتمع منحلة و متفككة هناك امثلة كثيرة يضمها المؤلف عبر هذا الحوار مع علي حرب للمزيد راجع :

علي حرب ، خطاب الهوية : سيرة فكر ، ط2 ، الجزائر العاصمة : منشورات الاختلاف ، 2008 ، ص ص 223-225

¹ يعنى هنا بهاذ التعبير انها مرتبطة بالمقوم الديني (البيعة/ الخلافة/ امير المؤمنين) لكن لاشك انه لوجود امير يجب ان يكون هناك مؤمنين و كذلك يجب ان يكون هذا الامير من بين اولئك المؤمنين فتمط العائلة الشريفة لم يعد مجديا الان :

ليزا وادين ، السيطرة الغامضة ، تر: نجيب الغضبان ، ط1 ، بيروت : رياض الريس للكتب و النشر ، 2010 ، ص 116

القوقي و الادعاء الاحق بين هاته التفضلات التي لم يكن لها داع الى الانفصال فهي ليس مختلفة اساسا بل تعتقد وهما انها كذلك (الفصاميات لن نجد لها ذات حدة مرجعية - دينية/تاريخية في بلاد المغرب على خلاف المشرق)، سنقادي الخلط بين المستوى الاول والثاني لتداخلهما ، هاته الفصاميات تركز على علاقات فكرية تحولت الى عقائد ايمانية و نبتداً الحديث عنها بسؤال النحن، امازيغ ام عرب ام متوسطيون؟ اولا لتحدث عن ماهي الهوية ، اولا يجدر التفريق بين الهُو و الهُوو هو تفريق تأسيسي للمصطلح ، فالهوية Ipseity تقابلها كلمة ايستن اليونانية في المعنى الذي صاغها ارسطو لمعنى الوجود و عمل الفارابي شارحا له في كتاب الحروف و ابن رشد في كتاب تفسير ما بعد الطبيعة على تغيير صيغتها الى الهُو ، و بعمليات النقل و الممارسة المعرفية حلت محل المعنى الوجودي المنزاح الى محل صيغة الذات Subject بمحاولات الاستخدامية للكلمة الشيء المفكر Res.Cogitans مع ديكارت (الهُو المطابق او الكوجيطو Cogito انا افكر انا موجود بالتالي الموازنة بين الانا / الوجود) و هيغل (الهُو المغترب / الزائل / الذي صار شيئاً / المحض /الفرد / الشخص/الشعب) و ممارستيا اوسع جرى استخدامها من نطاقها الاعتيادي الى النطاق الاثربولوجي- الثقافي بصيغة الهوية Identity¹، لتعني الكل المركب من لغة و الدين و العادات و التقاليد و تاريخ الجمعي و يمكن تقسيمها الى : 1- عناصر فيزيائية و تشمل مجموعة الحيازات كالأسماء و الطوبونيميات -القدرات كالقوة الاقتصادية - التنظيمات المادية كالحُدود الاقليمية /2- عناصر تاريخية و تشمل الاصول التاريخية كالتقاربة و الاسلاف و الاساطير- الاحداث التاريخية كالغزوات او المعارك او الاحداث الفاصلة تدفع بقيم الاعتزاز الذاتية - الاثار التاريخية و تقصد بها منظومة الأركيولوجيا العامة الدالة على الارث الحضاري / 3- عناصر سيكو-ثقافية و تجمع مقومات النظام الثقافي كالفنون و الاداب و العادات و الأعراف العامة - العناصر العقلية كالدين -

¹ للمزيد راجع :

فتحي المسكيني ، الهوية و الزمان : تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن ، ط1، بيروت : دار الطليعة للطباعة و النشر ، 2001 ، ص ص 5-12

النظام المعرفي حركة الافكار و تطورها¹، نعتبر هاته العناصر مختزلة و عامة للتكوين الهوياتي المبرزة للاختلاف بين البنيتين الاصلية لذاتنا و الغيرية ، انها تلك الحدود الفاصلة ، لكن و كما نرى ان الهوية هي ذات تشكل معنوي مجرد يبرز الانتماء² و مرتبط بالحالة النفسية للفرد ازاء الكل أي انها مرتبطة بالرضى عن هذا الكل و عوامل الجذب و غالبا ما تمتد لخارج القطر (القضية الفلسطينية) كضامن امتي او انساني (تفجيرات شارلي ابيدو)³ و ما همنا هو الكل الذي يمثله المركز السلطوي بتكوينه للنسق الاجتماعي الغير مشوه و كذا بالممارسات الديمقراطية كالمشاركة السياسية و التداول على السلطة و تحسين الاوضاع المعيشية للأفراد ، و ما ذكرناه يعد كلاما عابرا فالممارسات لا تمثل ادنى واقع من هاته البديهيات لذلك فالمشكل البارز و المطروح هو ان نطاق الحرية تحول من سياسي مشاركاتي الى اجتماعي تحرري كمارسة بديلة للضغط فالعناصر التي ذكرناها كأساس للهوية تعمل على تداخل بين انماط عديدة تجعل الاعتراف الاناتي هو اساس الصياغة الهوياتية (انا اقرر ما هي هويتي) فمثلا لو افترضنا ان هناك شخص "أ" و "ب" و "ج" ، "أ" يرى ان الاساس الاولي كمنطلق هو الوحدة الامازيغية سيحاول التأويل الكلي لما ذكرناه فيذكر الخصاصات الاساسية كما سينسبها او لغة التافيناغ ، و اما "ب" سينطلق من العروبة سيفتح علاقات العرب قبل الجاهلية و النظام اللغوي و التاريخ كقطاعات امتداد العرب عبر المجال الجيوبوليتيكي الواسع و ازدهار العلم ، و اما ج ينطلق من الأسلمة فيرى ان الدين هو اساس الهوية و منطلقها و منتهاها و يذكر النبي محمد و النصوص القرآنية و السنية ، ان القضية ارتكازية بين ثلاثة اسس : المنطلقات / التأويل / المدافعة، فمثلا "أ" لإبراز خصوصيته سيذكر مواقع صدامية للدفاع عن معتقه ازاء "ب" العربي

¹ اليكس ميكشيللي ، الهوية ، تر: علي وطفة ، ط1 ، دمشق : دار الوسيم للخدمات الجامعية ، 1993 ، صص 18-20

² عبد السلام المسدي ، الهوية العربية و الامن اللغوي : دراسة و توثيق ، ط1 ، الدوحة : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، 2014 ، ص 259

³ خاصة مع الضهور العولماتي و نشر ان العولمة لا تعني فقط الامركة بل تمتد الى صيغ اخر كالحنبلة السلفية او التشيع الفارسي : امين معلوف ، الهويات القاتلة: قراءات في الانتماء و العولمة ، تر : نبيل محسن ، ط1 ، دمشق : دار الحصاد للطباعة و النشر و التوزيع ، 1999 ، صص 15-19

كمثلا محاولة الكاتب ياسين في تأويلية الصراع العربي الاسلامي - الكاهناتي الكلامي (داهية) بمسوغات تجمعية فضفاضة (وئد البنات) تجعل "ب" يرد بها كقاعدة (الغدر و الخيانة) لذلك سيتبعان في دربهما تلمسا لإيجاد ثغرات حضارية للمدافعة ويرتكزون عليها لإفناء الآخر فكريا ، سيجعلنا كل ذلك نعود لنصف ان هاته الصراعات الهوياتية يكون سببها المركز الذي استقال عن وظيفته التثنية المجتمعية بتشويحات تاريخية تخدمه أكثر مما تمثل المجتمع لذلك في القاعدة تجد مراكز موازية متصارعة و منغلقة (كبادل الزوجيات داخليا التزويج الزواوي-الزواوي) للحفاظ على النحن We ازاء نحن Us¹ ، اننا نرى محاولات عديدة لفرض اللغة التافيجانية قصرا مما اعترف بها كلغة جانبية الى العربية دستوريا (لا تقصد فقط الجزائر ، المغربية كذلك) وليس ذلك عن امل الحقيقي للاعتراف باختلافية الزواوة لغويا (كذلك الجزائر و المغربية على حد سواء) بل بمحاولات الاستمالة المواعيدية للتعبة و الحفاظ على النسق النخبوي في السلطة لأننا نرى حتى الاستمالة هاته طالت اشخاصا طالما عارضوا النظام بشدة ليتحول ضحويا الى طابور النخبة² ، ان هاته الممارسة ستجعل الزواوي ينتقل من المطالبة اللغوية الى التأسيس الاختلافي الاثني (بالرغم اننا كلنا امازيغ) ، حتى انه قد يوجه لنا النقد بأن الحركة الامازيغية عملت فقط على رفع شعار "الوحدة في التنوع"³ ، ان البراكسيس يرينا انه "تنوع في الوحدة" ، يفترض انه توجد وحدة ليكون هناك تنوع

¹ ان الاساس التكويني لهاته الجماعة يعود الى اللغة في الاختلاف أي نغني ارتباط اللغة بالتكوين القومي ، و هذا ما يدل به كاتب ياسين عندما يقول انني اخاطب قبائليا بالعربية فيرد بالامازيغية ، دلالة قوية على هذا الارتباط اللغوي لا الارتباط الدموي و يسميها بندكت اندرسون بالجماعات المتخيلة ، ان معطى الامازيغ هو معطى عام لا يجوز لاحد ان ينسبه اليه :

بندكت اندرسون ، **الجماعات المتخيلة: تأملات في اصل القومية و انتشارها** ، تر: نائر ديب ، ط1 ، بيروت : قدمس للنشر و التوزيع ، 2009 ،

ص ص 145-146

² لقد كانت هاته التنديدية و المعارضة لبست علاقة فكر اجتماعي متفاعل جدليا بين الفرد و المجتمع في اطار انتاجية منبتقة من البيئة كوظيفة تعبيرية تجميعية للمصالح المجتمعية (العمل الاجتماعي الغير كسبي) بل هي علاقة الفرد-السلطة الممثلة بتعكير المزاج لجلب الانظار " هتندا" و الاهتمام الرضيخي النخبوي لان عملية التنديد تضمحل بمجرد الهدية المنصيبة :

صوبيل هنتجتون ، **الثقافات و قيم التقدم** ، تر: شوقي جلال ، ط2 ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2009 ، ص ص 9-10

³ الهوية المتعددة هاته تفترض ان نكون مغاربة و مسلمين و أفارقة و عرب و امازيغ و ريفين و بدويين و توراقي و شاويين و ، ففي الدستور المغربي الجديد 2011 في ديباجته ضمن ما يلي : " المملكة المغربية دولة اسلامية ذات سيادة كاملة ن متشعبة بوحدتها الوطنية و الترابية و بصيانة تلاحم مقومات هويتها الوطنية ، الموحدة بانصهار كل المكونات ، العربية-السلامية و الامازيغية و الصحراوية الحسانية و الغنية بروافدها الافريقية و الاندلسية و العبرية و المتوسطية " ، دلالات هاته العبارة تحمل الاعتراف بالمكون لكن لم تخلق له هوية جامعة لدي فهي ذات رسالة أيولوجية (

ولسنا جاهزين فكريا لكي تنوع في الوحدة انها فقط محاولة للتوقع حسب اعتقادنا، فمثلا نرى تلك المحاولة في البلورة الاعلامية بالتوظيف المقصور على العنصر الزواوي في تلك القناة المعينة او شغل المناصب المؤثرة على القرار النخبوي او التحول الى التوسع المؤسساتي الاقتصادي، المهم في الامر انها ترويضية الوعاء التي ستفجر حتما بقصور روتني نخبوي كما كان الربيع الامازيغي (كذلك نشير الى اننا لا نقصد الجزائر بل المغرب ككل) وليس الحل بالاستمالة و التعبئة بل بخلق هوية جمعية و المركز حمل مسؤولياتها بها ، حتى الحراك الجنوبي الأزواوي بمحاولته الانفصال عن المكون الجمعي المالي قد يحرك محاولات شعورية مكبوتة و جانبية في الصعود و المطالبة ليقع الاصطدام الداخلي/ الداخلي بين المكونات الاجتماعية الواحدة داخل المجتمع القطري ، انه حتى على صعيد العقيدة فعمليات الاقصاء فجرت وضعا لم يكن متواردا اساسا كما هو مشكل الإباضية/ الممالكية لانعلم بالضبط المجري و لا اسباب الخصومة لكن لاشك انها ازمة خانقة في مكون الجمعي للهوية عندما يشعر الفرد بانه مقصي و يرد ذلك لاتمائه فهو يرى انه غير الهوية التي هي مفروضة عليه لذلك يطالب بالتنديد لإبراز خصوصيته بانه اساسي في الشكل الاجتماعي القطري العام ، و بعد من ذلك فتائية الانا الاخر لم تعد الان واضحة بشكل ضاهر لأنه و لتلك الممارسات فإننا ننفصل داخليا فنقول مثلا هذا امازيغي و هذا عربي مظهريا (بناء على لغته) ان الانا و الاخر موجود في المجتمع العضوي الداخلي لذلك سيشعر الاخر الحقيقي للتقارب مع الاخر بالنسبة لنا لتوظيف مبتغاه اننا نقصد ان القوى القاهرة يجذبها التعفن الانفصامي الداخلي لتوظيف توجهاتها لديمومة التفوق اللامحدود لأننا لا نستعمل تاريخنا في التعبير عن الذات و لا لغتنا في المعنى بل لغة الاخر و تفكيره و تاريخنا مربوط بتاريخه ان هذا العجز لن ننسبه للنخبة بل للمجتمع لأنه من تبنى هذه الاشكال

وحدة ترابة - صحراوية حسانية) أكثر منها تعبير عن هوية و لا وجود لهوية متعددة فهو مفهوم عامي ، مفهوم الهوية الحقيقي هو المعبر عن الهوية الجمعية الوطنية الواحد المرتكز على ثقافة اجتماعية و سياسية مقبولة و موحدة تتجاوز الانتماء نحو الاندماج الاجتماعي و التعايش كخيار هدي نهائي : محمد بودهان ، في الهوية الامازيغية للمغرب ، ط2 ، المغرب : منشورات تاويزا ، 2013 ، ص ص 08- 11

الهيمنية ووهب كله للأخر اننا نذهل للسرعة التي استجاب بها بلد حاصل على استقلاله سلطة و شعبا و ارضا لأحداث شارلي ابيدو او تفجيرات باريس ، لا محاجة اننا لم نستقل نحن بلاد المغرب ابدا .

اضافة الى ذلك هاته الانتقسات التي بدأت بالظهور مع صعود الجبهة البترودولارية المحاولة تقليدا ان تبني توجهها متضايفا مع المنافس الشيعي-الفارسي برعاية التوجه السلفي الموقع للخصومة للكل و الداعي للعودة للتراث المنمط ، لقد كانت تلك المحاولات منذ دعوة عبد الوهاب (مولاي سليمان لنها رفضت من قبل النظام الزاوياتي) لكنها لقت زخما منذ الحرب الافغانية و التعبئة العربية و كذلك الحرب الخليجية و صعود الصحوات الاسلامية في البلدان العربية التي ادت الى انقلابات اجتماعية واسعة و تحول العمل من بناء الدولة الى بناء المؤسسات الدينية الكفيلة باعادة بعث الدولة تحت شعارات العودة للتراث و التقليد¹ التي خلقت ثنائية معي/ضدي ، مؤمنين / كفار مبتدعين ، انها علاقة نفي ما هو ذاتي بتحوله الى اللانتمى لي ان هاته الحركة الفكر (السلفية العلمية) التي تحولت الى صراعية شديدة (سلفية جهادية) انفرجت الى دعم الحركات الارهابية كان لها وقع في ذهنية الافراد الذي اطروا ابتداء من التغلغل السلفي في المساجد بتشديد على نفي القيم المتواكبة مع العصر و العودة الى تراث الظلامي بخلق الاكليسوس الجديد و المعاملات الكهنوتية حيث يصبح الكل متحكما فيه من قبل الشيخ-الداعية بناء على معطيات سلطوية توجيهية او من خلال الانتشار عبر الاجهزة الجمعية الخيرية لاستمالة الافراد، هذا التوجه داخليا قابله توجه اخر

¹ لسنا هنا ندافع عن اطر العلمنة فكلاهما مسؤول عن انتكاستنا المغاربية و لكننا نتوجه بلوم مباشرة على التغير المفاجئ الذي طرأ على التكوين الاجتماعي المغاربي الذي احرق فصاما في العلاقات الاجتماعية و المظهر العام الناقم على التقنية و التقدم باعتباره غريبا /كافرا يقصد كلا الفكرين (السلفي البترودولاري و الشيعي الفارسي) او يصدر لنا تلك القيم لنستهلكها لكن المشكلة هي ان المراكز الانتهازية المصدرة لهذا الفكر تعد البنى الاكثر استهلاكاً للتقنية التي تتحول الى بدع و كفر في المجتمعات الاخرى مما حول العقول الى مسارات غير محمودة العقبي و ما انفرجت اليه الى علاقات خطيرة افشلت المشاريع الدولية البناءة و شوهدت المعطى الروحي الجمعي للمزيد راجع : داربيوش شايفان ، اوهام الحرية ، تر: محمد علي المقاد ، ط1 ، بيروت: دار الساقى ، 1993 ، ص ص 71-89

علماني قائم على تبادل الافكار الجوفاء انها اشبه بمن وجد اولاهل الدجاجة ام البيضة ، اننا نعتقد انه نتيجة العولة يستلب الافراد و يتحولون الى ممثلين لأدوار وهمية تقمصية لإراديا ، جاهزون للزرع القيمي الغيري سوءا تغريبيا بعلاقات السوق و التقنية و الطفرة التكنولوجية او حنبلة بظهور السلفية او تشيعا او القيم البدلة المنافسة التي اننا في الكثير من الاحيان نجهل مصدرها و كيفية التعامل معها ، هذا المجتمع لم يعد يؤمن بالوحدة كهوية بل بالاختلاف كمعطى تحريري و هذا تناقض وانفصام بين الحقيقة بان هاته الحرية هي وضعية اللاحرية و الجهل الوثني و الوهم في اثبات ان الكل ستلبي الذات المبدعة لدي هذا ما يمكننا ان نصفه بتعالى الروح الابرشانية¹ ، انها عاقبة يصل نحوها في نهاية مطاف المجتمع الاستهلاكي ، ان الموجة الثالثة دفعت المجتمعات الغيرية للتحويل من العلاقات التنموية-التقدمية الفردوية الرأسمالية في الحرب العالمية الاولى (سياسة+ اقتصاد) الى القيادة الاشتراكية (اقتصاد+مجتمع) في الحرب العالمية الثانية الى الحاجات الانسانية ضمن ثنائية بديلة و تجاوزية (مجتمع + اقتصاد)² فالمجتمع هو السيد في بلورة المفاهيم التي تخدمه بدرجة اولى فهو المنتج و المستهلك، لكن مجتمعنا المغاربي يعتمد لحد الان على السلطة لتقرر مصيره لذلك النخب تعمل على ترويضه ايمانا منها انه بحاجة لها ، و ان ثار فانها تتخلى عنه يتصارع مع قدره الغير معلوم لان النخبة تملك كل شيء³.

ان حتى الجماعات التقليدية لا تزال ذات وجود حتمي في الجسم المغاربي فالقبيلة و الزاوية لا تزال ذات امتداد اجتماعي و اعتراف سلطوي ما يبدي العجز الدولتي على البناء الولائي للمركز فتعدد

¹ كليفورد غيرتز ، تأويل الثقافات ، تر: محمد بدوي ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2009 ، ص 503

² Ronald H. Chilcote , Development , In : Marry Hawkesworth / Maurice kogan , **Encyclopedia Of Government And Politics** , V1 , New York : Routledge , 1992 , p-p 617-618

³ لقد بدى أدونيس محقا في وصف النخبة-السلطة بانها الالهة على الارض :
أدونيس ، الهوية الغير مكتملة: الابداع ، الدين ، السياسة ، و الجنس ، تر : حسن عودة ، ط1 ، دمشق : بدايات للطباعة و النشر و التوزيع ، 2005 ، ص 25

المراكز هذا لن يكون القاعدة التي نبحت عنها كأساس للوحدة مع تنامي البداوة والاستقالات الكلية ، ان القبلية وحتى الزاوية لا تعي ما هو المجتمع ولا التعبير عن المجتمع ككل وانما مرتبطة بتطلعات الاعيان و الشيوخ ذات المكان المحدود حتى وانها ادعت انها تشمل المجال الكلي ، و بيد ان هذا الوضع محبذ من قبل النخبة فالزاوية و القبيلة تفترض وجودا راسي يحكم كل الانوات الاخرى ضمن وحدة الارادة في يد الشيوخ او الاعيان لذلك من السهل الضفر بصوت الاعيان و المنخرطين وفق لإرادته الذاتية لكن هاته العلاقة تلتزم وجودا لتنازلات و مكاسب التي لت تكون النخبة قادرة على الوفاء بها دواميا مما يجعلها تنقلب عليه (الحالة اللبية) ، وانه حتى الواقع التنموي المناطقى-القبلي يعمل على وجود الاختلاف التمديني و الخدماتي بين العاصمة او المناطق الساحلية و المناطق الداخلية او الجهات فمعدلات التنمية غير متوافقة ففرق كبير بين العاصمة و ولاية سعيدة و بين تونس و سوس و بين انواكشيط و ادرار او بين الشمال المغربي (الريف) و الوسط و الجنوب الصحراوي او بين اقليم طرابلس و فزان و مصراتة ، مما ينعكس على المستويات الثقافية و التعليمية و الدينية في تكوين شخصية الجماعة المحلية التي تندفع نحو التمرد على الكل الجمعي للتمايز الحاصل سوءا من خلال الرغبة سياسية ضيقة (الاهتمام بالصحراء الغربية لخلق الاستمالات) او الانتماء النفوذى المأثر على القرار النخبوي القطري (الوزراء او البيروقراطيين / الاعيان و شيوخ الزوايا)¹ ، المجتمع القطري عُبئ بحيث انه يحمل فكر نخبة بعد السيطرة المتنامية على الجاهز الأيديولوجي للدولة من خلال التعليم ووسائل الاعلام كمثلا التعبئة حيث تحول المجتمع ضد المجتمع الذي في الاصل هو مكون واحد و يبرز هذا الانفصال في امور واهية كمباريات كروية

¹ و ذلك المكون الاساس لموضوع التكوينات القبلية المعوضة للانتماء القبلي ، و الفرق بين قبلي و قبيلي هو ان القبلي مرتبط بالبيئية التي توجد بها الجماعة و تأثر في تفكيرها و سلوكها ودرجة تفاعلها و معطى تنظيمي للعضوية في الجماعة المحلية او المجتمع المحلي المرتبط بدرجة التطور و توفير المرافق العامة و المساهمة في تكوين شخصية الجماعة التي لا تربطها علاقات القرابة و الدم او الولاء الديني : علي اسعد وطفة ، اشكالية الهوية و الانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة ، في : رياض زكي قاسم محررا ، الهوية و قضاياها في الوعي العربي المعاصر ، ط1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013 ، ص 160

او في منابر علمية خارجية او الكتب او المجلات كامتداد لثقافة النخبة، لان المثقف هنا مثقف سياسي خصوصي قطري المنخرط ضمن الرغبة النخبوية القطرية المنمطة و يتبع مجموعة من الافكار الهامشية و يسعى للدفاع عنها حتى يكون ضمير الجماعة القطرية و هكذا في اطار التعبئة يفشل أنموذج المثقف الشمولي¹ الداعي للوحدة و التقارب لان القطر يعطى للمثقف الخصوصي المكانة و لأننا نرى ان الجامعة هي امتداد للنسق النخبوي من خلال الدعم المالي و التحفيز كالبعثات و الترقيات كالتوسع البيروقراطي لنظام الاساذية المهترئ الذي يبحث عن المادي مقابل المعنوي او ما هو موجود من اجله و بتالي الاستقلالية للخطاب العلمي و الثقافي الذي يمكننا ان ننتهي بالقول انها جماعة ثقافية مفروضة على المجتمع لتقبل ما تقول و ما يصدر من افكار معيد ترتيبها و كوع من البريتوريا الثقافية الحماية ما كان يطلق عليه علماء السلطان².

المطلب الثاني: زولوجيا المجال المغربي : قابلية الحرب البيئية.

استخدمنا كلمة زولوجيا للدلالة على حالة التغير الانسانية من المجتمع Sociology كاطار لدراسة سلوكك الانسان و علاقاته الى الحالة الحيوانية Zoology المكونة للفرق Groups او العصب حيث يمكننا ان نفسر نشاطه في غياب عالم القيم الاخلاقية بمسلمات عالم الحيوان ، و القيم الأخلاقية هنا و التي نعني بها اساس الروابط السيكلوجية التي تربط الذات بالأخر كمثلا عمودا العقلانية :

¹ لقد صغنا المصطلحين من تعبيرات فوكو عن المثقف الخصوصي و الشمولي و لو انه لا يعينها قطريا لن داخل الدولة الواحد لكن ربطها بالمجال السياسي-السلطوي ضمن اطار العدالة للمزيد راجع :

ميشيل فوكو ، نظام الخطابة ، تز: محمد سبيلا ، بيروت: التنوير ، 2007 ، ص ص 66-67

² او ما ساهم السيد ابراهيم بدران بقوات التدخل السريع تعكس حال المثقف الذي يؤمن بان ما يكتبه ليس تعبيرا عن الجمهور وانما تعبيرا عن النخبوية كنوع من التقرب للبلاط النخبوي :

ابراهيم بدران ، ازمة الثقافة و المثقف ، في: صلاح جرار و اخرون ، النهوض العربي و مواجبة العصر ، ط1 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 2005 ، ص 197

العطف - العدالة¹ و تنظم هاته العلاقات لأنها قد تتعارض حول الافراد و بينهم فمثلا يمكننا ان نكون عادلين مع احدهم ما يفترض ان لا نكون بالقدر نفسه مع الاخر و بتالي جب ان نكون تلك العلاقات العقلانية التي لا تمل الى الغرائز لأننا نرى ان عالم الحيوان تمتع بهاته الميزة أي انه يتسم بالولاء داخل الفرقة او المجموعة ما يجعلنا نخالف بين المجتمع و الذ لا تربطه فقط حوائج و دوافع و انما رابطة أكبر كالمجتمع الاسلامي مثلا و اما عالم الحيوان فيعيش ضمن النوع نفسه و تحديدا ضمن المجموعة نفسها و هذا ما تبرزه القوميات المتعصبة التي لا تبني بأساس المجتمع بل الجماعة ما يعطينا تفسيرات لها بانها تحولت قيما الى عالم الزوولوجيا، قد لا يبدو ذلك مقبولا لكن من حيث التجارب العلمية و نحن لا نقارن بين الانسان و الحيوان في اطار الحياة البشرية، لكن في اطار غياب الدوافع الانسانية العقلية تنشأ الدوافع الغريزية الانسانية القائمة على الصراع و الحرب لإحلال الغلبة على الاخر في غياب الحوار و المهادنة ، و مع امتلاك السبل الكفيلة بتدمير الاخر تنشأ الرغبة في تحطيم الاخر للإحساس بحالة السلام الداخلية بفناء الاخر المنافس و الحيوان كذلك من حيث الهدف يعمل على افناء الاخر كحتمية للبقاء و بتالي نمط الحركة يتشابه و الانسان²، هذا العالم الصراعى و لسنا نتحدث عن نظرية التطور لكن في هذا الاطار يمكننا ان تعيننا في تفسير السلوك الانساني اللاعقلاني ، و المتغيران هما التكيف/ الايكولوجيا - التأقلم / القدرات الذاتية أي ان الدول تقاس بمقدار تكيفها و الوضع العام (الايكولوجيا) لأننا نؤمن بانا ركية العلاقات بين الدول

¹ الزوولوجيا تستخدم في المجال الاجتماعي و كمنظية تفسيرية بعد تنامي الاستخدامات لنظرية دارون حول اصل الانواع و نظرية التطور عموما و تمثل مجالين في علم السياسة لدراسة الصراع ، الاتجاه الذي يعتمد دراسة الصفوة المختارة ضمن الاطر البرجوازية من حيث ان المراكز هي ترجمة لصراع على الحاجات او صراع من اجل السيطرة على المنافع و في هاته العلاقات الصراعية ينتج الأجدرين بالحكم و النظرية الثانية متمثلة بالعرفق المنفوق (العروق العليا و العروق الدنيا) ، في ان هناك انواع عرقية متهيبة للقيادة على خلاف الباقي المتهيب للعبودية (هاته النظرية نجد لها جذورا منذ ارسطو الذي فسّر وضع العبيد على انه موافق لطبيعتهم لانهم خلقوا لذلك) للمزيد راجع :

موريس دو فرجيه ، مدخل الى علم السياسة ، تر : جمال الاتاسي / سامي الدروبي ، دمشق : دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع ، ص 21

² التوجهات السكتلندية في العلوم السياسية و علم الاجتماع استخدمت النسق نفسه في تفسير الظواهر للمزيد راجع :

Karl A. E. Enenkel, Paul J. Smith , *Zoology in Early Modern Culture* , Boston : Brill , p-p 486-487

برغم من التقنيات و المنظمات الدولية فهي تعكس سياسات الدول و تحوز على من يدفع أكثر و بتالي مسلمات كانط مثلا حول خلق عالم خال من الحروب و احلال السلام بمخفض مستويات الجندية غير وارد في التمثيلات النخبوية بتالي فالدول لا تقاس بمقدار ديمقراطيتها بل بمقدار الفعل السياسي على الارض أي نعي ان الدولة الديمقراطية لا تعني شيئا بغياب الديمقراطية خارجيا لأنها تمثل جينات انانية تحاول ابتلاع الجينات الموازية ، و الدول تحاول ان تحالف مع الدول الأكثر نفوذا لضمان سلامتها وذلك ما نلقبه بالانتقاء السياسي أي ان الدول الضعيفة تحتمي داخل القوقعة النظامية العامة للدولة الاقوى مما يوفر لها المنتج و حق الفيتولقاء استنزاف مواردها الداخلية لان النخبة تمثل الدولة لان المجتمع لا يملك اساسا الخيار للمعارضة او الاشرار في القضايا الخارجية لأنه لا يفقه في محتوياتها و يسيطر عليها فوقيا عموما من خلال نظم التعليم او الاعلام او من خلال اختلاق الفوبيات الخارجية لتكريس سلطات أكبر فالهجمات الارهابية عادة ما تكون ذات مباحكة استخباراتية و نحن تفاعل معها بحيث اننا نعزل عن أي تنديد يمس النخب و لا يهم مدى وقع تلك الهجمات الارهابية فالمهم هو المصلحة العليا التي تعود لا تحمي المجتمع بل تحمي و توفر الغطاء الضام لطول عمر النخبة في الحكم ، و المتغير الثاني التأقلم / القدرات الذاتية ، لا يمكن للدول ان تستمر في فرض منطقتها و لا سياستها و لا اقرار الدول الاخرى بقراراتها ان لم تمتلك لقدرات ذاتية تفوقية على الاخر ، و القدرات الذاتية تنقسم الى فطرية و تقصد بها موقع الدولة الجيوسياسي (ثروات ، اطلال على البحر ، القرب من مواقع النزاع ، توسط القوى الكبرى) و مكتسبة و تقصد بها مدى التطور الذي تسعى اليه الدولة في محيطها ك تطوير الاقتصاد او المتطلبات العسكرية و التوسع على حساب الدول الاخرى ، و نربط ذلك بالزولوجيا فهناك قاعدة تقول ان أي جزء من الجسم يستخدم كثيرا ينبغي ان ينمو أكثر و أي جزء لا يستخدم ينبغي ان يصبح اصغر او حتى

¹ نفس طريقة الشامبازي في التعامل فيما بينها للمزيد راجع :

يندرثر تماما، فمثلا دول العالم الثالث و المغاربية من بينها لن تترك للتأقلم و المحيط لان في ذلك تهديد لدول مجاورة و بتالي تحتويها ضمن مجالات تكسيرية اخرى او افعال ازمات جانبية تعرق في حلها و توفق عملية التنمية داخليا تقتصر على الزيادة عسكريا الغير مجدية أي ان نوع الانفاق العسكري سيكون ضد عدو وهمي لا وجود لمركز محدد لها و حتى الزعامات لا يمكن التخلص منها و بتالي التوالد كما هو الحال بالنسبة لحيوان Planarian اننا لو قسمنا جسمه سيتحول الى هيئة و شكل مختلفين و يعود الى الالتحام بجسم اخر من الاجسام المنقسمة¹، في خضم هذا التحليل توقعنا التدخل في اليمن لكن الدراسة جاءت متأخرة لذلك في قابل الايام سنشهد حراكا صراعيا بين الاتحاد الملكي (دول مجلس التعاون الخليجي و التحالف العربي) و الجمهوريات الغير موالية كمصر في عهد مورسي و دعم القوة الانقلابية و ليبيا بالثورة المضادة و المغرب بمحاولة الابتلاع و الجزائر تعد طرفا من بين المحور الممتنع، و كذلك موريتانيا التي تتحول شيئا فشيئا نحو دولة فاشلة لا تختلف عن الصومال، عموما و لو اننا تطرقنا لهذا المنظور بصفة مختزلة لكنه علم مساعد لفهم السلوك الانساني المتحول و الحيد عن مساراته .

المطلب الثالث: الهندسة الغربية و داعي التدخل الانساني .

لاشك انها محاولة تجريدية نابعة اساس من الواقع العربي الذي جرى تفكيك وحداته من خلال سياسات التدخل العسكري و التغلغل التقني للبني القطرية ، ان نهاية النظام العالمي الجديد كما كان يصور لنا بانه عالم السلام الذي يمكن للدول ان تعايش فيه وفق مناظير الاعتماد المتبادل و حل المنازعات من خلال القانون الدولي و الاحتكام الى المنظمات الدولية كأساس لحل النزاعات انتهى

¹ Thomas Sandmann and al , **The head – Regeneration transcriptome Of the Planarian Schmidtea Mediterranea** , GenomeBiology , 2011 , p 14

بعد احداث 2001/09/11 وبدأ عصر جديد للشمولية الجديدة¹ Join-Or-Die¹ لخلق عالم ليبرالي يكون فيه الكل تابعاً لمركزية الامريكية و الشعارات الديمقراطية على طريقة الولايات المتحدة المحاصرة لفعالية الدول Check-Mate² بالتالي لا يمكننا ان نتحرك بدون ان يلغي المركز هذا الحصار و لو حتى افترضنا الدول تتحرك في حدود ما تستطيع ، بتالي يمكننا السؤال ما مدى الاستطاعة ؟ ان الاستطاعة نفسها يوفرها المركز ، هذا المركز يمثل الزاوية الاساسية للسماح بالتحرك او الانعزال ، فمثلاً كوريا الشمالية المنعزلة لا تمثل طرفاً قوياً لأنها حتى وان امتلكت مصدراً مهماً للقوة (الاسلحة النووية) فانها تحتاج الى طاقة الى مصدر للتمويل لكي تعتمد على فتح حرب طويلة المدى في ظل الحصار الخانق على هاته الدولة المتداعية و الامر نفسه على الدول المتاخمة للزاوية الامريكية، الدول اللاتينية الشيوعية ككوبا ، فنزويلا في ضل تراجع الربيع و موت الزعامة اعتمدتا اسلوب التقارب و الدخول داخل المركزية الامريكية من خلال الغطاء البرازيلي ، لقد اضحى الامر و كأنه حتمية و كأنه نهاية التاريخ بالفعل فنحن ككل تتبع اسلوب المعيشة و اسلوب التفكير و اسلوب التنديد و ابعده من ذلك اسلوب الفعل الامريكي من خلال العولمة الشاملة للسوق ، للعلوم ، للتقنية ، لنظام الحكم ، فنحن نستورد كل شيء و بتالي نخضع للمنتج و يتحكم فينا المنتج و بتالي نحن محل و عرضة للهندسة و التصفية و كانت اساساً بتدخل في العراق و تبعه التدخل في ليبيا و لا يمكننا التسليم بتوقف هاته الاعتداءات لأنها ستطال دول قطرية عربية اخري لأنها غزواتية

¹ يقسم ان توفلر العالم الى ثلاثة حضارات بخلاف نظرة هنتغتون و فرانسيس ، بل بالتقسيم المعتمد على التطور المرحلي ليصغ الانتاج و التطوري التقني الحضارة الاولى او الموجة الاولى تمثل حضارة الفأس المعتمد على الانتاج الخراجي (الموار الزراعية و المنجمية) ، و الحضارة الثانية او حضارة الانتاج الصناعي تقوم على الانتاج الجمعي (المعالة الرخيصة) ، و الحضارة الثالثة التطورية و تقوم على الثورة التكنولوجية – الكمبيوتر ' اقتصاد المعرفة و السيادة المؤسسية) بتالي تقوم ام الموجة الثالثة على الاستحواذ على الحضارتين بعل العولمة من خلال بيع المعلومات و التقانة و هذا ما نلاحظه في المركز الامريكي الذي مثل لنا على انه استقتال من وظيفته التدخلية في المناطق العالمية :

الن توفلر ، بناء حضارة جديدة ، تر : سعد زهران ، ط1 ، القاهرة : مركز المحروسة للبحوث و التدريب و النشر ، 1997 ، صص 31-33
² أي الانتقال من خصيصة Build Nation و التي كانت هاته الاستراتيجية معتمدة في عهد ولاية الرئيس كلينتون الى Check mate و التي اعتمدها بوش الابن خلفاً لتصورات ابيه الاب اي اني اهدم و اهيب البيئة لصعود نخبوية كومبرادورية و على الدولة الاعتماد على قدراتها لإعادة الاعمار اي إعادة انتاج اللعبة :

دوغلاس ج . فايت ، الحرب و القرار على الارهاب : من داخل البنتاغون تحت عنوان الحرب ضد الارهاب ، تر : سايي بعقليني ، ط1 ، بيروت : الانتشار العربي ، 2012 ، ص 171

اقتصادية¹ تحاول احلال التوازن الضامن لبقاء سياساتها خاصة عندما لا تتوفر الميكانيزمات الوكالية المتحكم فيها عن بعد كمثلا المنظمات الارهابية او عدم فاعلية القوة الناعمة بتالي تكون ماكينه الحرب هي الاساس والحل (عندما تفشل السياسة تتدخل الحرب) ومما يزيد الهجمات العدوانية على السيادة الوطنية شرعية هو الغطاء القانوني الاممي و مجلس الامن كما كان الحال في العراق بعد محنته و القرار الاممي 687 و الذي النزم العراق بموجب معاهدة جنيف ان يلتزم بقبول جميع المقررات بدون شروط و بتالي كان هاته البنود عاملا محضرا للغزو فلم تكن مهام اللجنة الكشف عن الاسلحة بل ان غرضها تحديد المواقع الحساسة للجيش العراق و بذلك مهد للمرحلة التالية بعد 1991 أي بعد حرب الخليج الاولى الى قرار اخر من مجلس الامن 707 و يفرض على العراق الكشف التام عن كامل مقدراته من الاسلحة ليتوسع امر التفتيش بقرار 715 ليغطي اماكن اكبر و يليه بعد ذلك قرار 1015 و الذي يركز على متابعة صادرات و واردات العراق و اتبعته مجموعة من القرارات عقب الصدام بين المركز العراقي و لجنة التفتيش سنة 1998 ما ادى الى تغييرها بلجنة انموفيك (الرصد و المتابعة و التفتيش) تابعة للأمم المتحدة بقرار 1284 بعد محاولة تفتيش المواقع الرئاسية العراقية و القرارات هاته تحمل ادانات جديدة للمركز العراقي و هي كتالي قرار 1060-1115-1134-1194-1205 و حتى 2002 صدر قرار اخر 1441 و يعد هذا القرار خطوة الضعف المركزي و العجز الاستراتيجي بتدمير متقدم للأسلحة و التي لم تكن ذات الدمار الشامل الذي اقره المركز ووافق على كامل بنوده مما اعقبته حرب خليج ثانية 2003 أي من خيار نزع السلاح الى خيار التدخل² هذا الطرح يمثل الحرب تحت ذريعة ، اما الوضع الليبي فكان نتاج لانقلاب الداخل الممثل

¹ روبرت فيسك ، الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة : الى البرية ، تر : عاطف المولى و اخرون ، مج3 ، ط1 ، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، 2006 ، ص 514

² للمزيد راجع :

باسيل يوسف بچك ، العراق و تطبيقات الامم المتحدة للقانون الدولي : (1990-2005) دراسة توثيقية و تحليلية ، ط1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006 ، ص ص 275-320

بالبرجوازيات الصغرى المحطمة للبناء البرجوازي الشمولي و لم تكن ابدا ثورة بل محركا من قبل البرجوازيات الجانبية كما اشرنا لذلك قبل ان ليبييا المثال المختلف عن ان ربيعها العربي كان مخططا له ، وقد حصلت برجوازية الداخل على مسوغ التدخل تحت اطار احقاق المتطلبات الثورية الاجتماعية و حماية حقوق الانسان و بتالي كانت توافقية بين الدول التغريبية من خلال الجهاز القمعي للمركز المتمثل بحلف الناتو Nato هذا التحالف العسكري كانت له تدخلات عديدة و فاشلة في نفس الوقت قبل المجال الليبي ، كالبلقان و الصومال و أفغانستان و العراق¹ ، لان ليبييا كان يشار اليها كفاعل في محور الشر فتقرير 2002 لإدارة بوش الابن أكدت ان ليبييا تحاول و مجموعة دول المحور المناهض للتغريب (العراق / ايران/ كوريا الشمالية / الصين / سوريا/روسيا) ان تبني جهاز نووي متمثل بأسلحة جاهزة للاستخدام في فترات الحرب² ، و حقيقة ان الخصومة بدأت منذ محاولات التوسع الليبي في افريقيا و حادثة لوكربي و مناهضة حملة الخليج الاولى و الثانية و بتالي كانت الهدف للإسقاط ، في 2011 كونت جبهة داخلية مدعومة بالثوار عبر الانفصاليين البرجوازيين المنتمين للقبائل الموازية في القوة الانتمائية القذافية و قد كانت الثورة بداياتها الاولى عسكرية ذات التجهيز الخارجي و الفاعلين الاساسين التخطيط الفرنسي و التدعيم المالي و الإعلامي القطري (قناة الجزيرة) و الاعلام البريطاني (Bbc) و صواريخ الامريكية Tomahawk-Cruise و دعمه القرار الاممي بحضر الطيران الجوي الليبي و استرداد الاسلحة ، بعد سبعة اشهر من الحظر تدخلت قوات Nato الجوية و القوات المتحالف العربية -الأجنبية من خارج التحالف الاطلسي ، قرابة 26.000 طلعة جوية اغلبها كان ذات غرض القصفي Strike تركزت حول مراكز الانتشار القبيلي للرئيس معمر القذافي : برقة/ مصراتة/سرت/تربولي ، 6000 اصابة لأهداف استراتيجية حيوية ، 300 موقع

¹ Jodok Troy , **Religion and the Realist Tradition: From Political Theology to International Relations Theory And back** , f.e , New York : Routledge , 2014 , p 56

² William Blum , **Killing Hope: US Military and CIA Interventions Since World War II** , S.e , London : Zed Books Ltd , 2004 , p 384

لتخزين الذخيرة ، 600 معركة بمشاركة الدبابات وناقلات الجنود المدرعة ، و 400 قاذفة للصواريخ¹ ، واما الجانب القذافي فمع عدم وجود جيش نظامي ليبي وهذا الخطأ الاستراتيجي الاساسي للخسارة القذافية فانه اعتمد بشكل اساسي على اللجان الشعبية و المدافعة القبائلية لكن لم تدم طويلا لتغير ميزان القوى بالدعم الخارجي الفرنسي بنيكولا ساركوزي مع المبادرة الأوروبية التي قادها للمقاطعة الاقتصادية مع ليبيا و حيث اصبحت المعادلة داخليا من يدفع و يوفر المزيد من المكاسب يحصل على الولاء و هذا ما عكسته الاصوات الثورية عبر الشعارات التي بثت على قناتي الجزيرة و Bbc "حرروا ليبيا ولكم نفط الشرق" ما قابله صمود قذافي² بالجهة القبائلية المساندة و القوات المعبئة ماليا (مرتزقة) و محاولة عقد صفقات عبر الاسواق الموازية للتدعيم العسكري ما ادى الى توفر قطع عسكرية مهمة لدى الفئات الشعبية للتحضير لمرحلة الفوضى المقبلة ، حيث أمانة المواقع الاستراتيجية و الطرق الناقلة للنفط و تركت المدن الداخلية للمليشيات المدعومة من قبل فواعل متعددة سلفية و اخوانية و تارقية هاته الفوضى الخلاقة امتدت الى سوريا حيث تحولت هي الاخرى لرقعة تبادلية بين فواعل خارجية بتدمير ازدواجي بين الداخل (قوى و كالية : حزب الله / جبهة النصرة/ دعش/الجيش الثوري) و الخارج (القصف الجوي / قوات الدفاع الوطني الإيراني) و انفصال جنوب السودان و لعله في قابل الايام شرقه ، و التمدد الأريترى بدعم إسرائيلي بالاستيلاء على جزيرة حنيش و تدمير مصر اقتصاديا عبر ضرب السياحة في شرم الشيخ ، اليمن ، و لذلك لا محاجة في ان نفس السيناريوهات ستحدث في الدول المغاربية بعد سقوط ليبيا يمكننا ان نرى سقوط الدول المتبقية ، هل نحن اقوى من الدول الاخرى ؟ المسألة

¹ Kjell Engelbrekt / Marcus Mohlin /Charlotte Wagnsson , **The NATO Intervention in Libya: Lessons Learned from the Campaign** , f.e , New York : Routledge , 2014 , p-p 103-104

² للمزيد راجع هذا الكتاب يتضمن تطور الاحداث كرونولوجيا :

Toby Manhire , **The Arab Spring: Rebellion, Revolution, and a New World Order** , London : Gurdianbooks , 2011.

تتعلق بالوقت فقط اننا لا ننتج السلاح / ولا يمكننا الرفض الالهي / ولا نستهلك ما ننتج ، مما تقابله الاستراتيجية التالية = حضر على الاسلحة / حضر الطيران / حضر اقتصادي وهكذا نحو التدخل العسكري ولا يجب ان تملق انفسنا اكثر من اللازم لأننا صراحة اضعف مما توقع¹ ، ومع ان النخبة موجهة و لظروف قاهرة اقتصاديا (تراجع الربح و التقشف الذي لم يتعدوه المواطن) على الخصومة مع المجتمع مما يجعله ينقلب عليها و هنا تولد الفكية المطبقة على المركز (فك علوي فوقي خارجي و فك سفلي تحتي داخلي)، نحن فقط نسعى للتشبت بالمراكز التابعة للمركز الامريكى لضمان الحماية بالإذعان للرغبة الفوقية و ننتظر الساعة للحسم ، لكن للأسف نخبنا لا تعي تماما الخطورة فهي مجهزة للداخل كخطر مهدد لها فقط و ضعيفة حاليا امام الحروب الطويلة لأنها لم تشارك في الحروب المباشرة حتى نوعية الاسلحة مخصصة للدفاع و نوعية الدفاع هاته ليست مجدية فأسلحة الرادعة هي الاساس في تحطيم العدو الخارجي بتالي القوة الهجومية ذات الفعالية كذلك لضرب الخصم في مراكزه الحيوية .

المبحث الثاني: ديناميكا الدولة القطرية وفق الميكانيزمات الوحدوية العالمية.

يجري الحديث كثيرا و بصورة موسعة عن تفعيل الواقع الاتحادي المغاربي باستيراد النماذج الغيرية الجاهزة ، و لفظة استيراد هنا دالة على محاولة التمثيل الغيري بصورة تناظرية و لا نعني به الجانب السلبي تماما، أي محاولة بناء شكل و حودي مطابق و الغير سواء من حيث التطور المرحلي او الصيغ الوظيفية (الاقتصادية) او بناء حليفي يمكن ان يتطور الى صيغ اوسع ، و هنا قد افترضنا

¹ خاصة مع امكانية اقتناء المعلومة ، فمثلا يوضح المركز الليبي المابعد قذافي انهم تفاجؤوا لأعداد الهائلة من الامريكين الذي كانوا داخل ليبيا لأغراض استخباراتية فقد كانوا ينتمون الى Cia و بعد حادثة مقتل السفير هربوا كجالية للمزيد راجع :

Horace Campbell , *Global NATO and the Catastrophic Failure in Libya* , New York : Monthly Review Press , 2013 , p 195

التشكيل البنائي هذا لمحاولة معرفة مدى جدوى المطابقة ، في انه هل حقيقة يمكننا التفعيل الاتحادي من خلال استيراد التجارب الغيرية؟ لاشك اننا مبدئيا من خلال مؤثرات الأدلجة و الدعاية الناجحة عبر الوسائل التقنية كونت لدينا فكرة جاهزة حول المرحلة النهائية التي وصل لها الشكل بدون ان نحاول معرفة المجريات التاريخية والعوامل المحيطة ، وبتالي نحاول دمج مصطلح الاتحاد و مصطلح النجاح الاتحادي كمثل بتجارب عالمية و الشكل-القدوة The-Perfect structure لباقي المناطق الاقليمية المتأخرة عن العملية التكلية و هنا حاولنا اختزال هاته التجارب بحكم القرب الجغرافي و الاختلاف التوجهي بين دول مجلس التعاون الخليجي Gulf-Cooperation Council ووصلناه بمصطلح الفويبا، و الاتحاد الاوروبي European-Union ووصلناه بمصطلحه الوظيفي .

المطلب الاول : الميكانيزم الفويبي: دول مجلس التعاون الخليجي .

لقد ربطنا هذا الشكل بالنمط الفويبي و هي كلمة مشتقة من اليونانية و تعني حال من حالات "الخوف" المتقدمة المرتبطة بالأماكن او الاشياء او التجارب او المواقف¹ و هنا نقصد بها رهاب الاخر أي ان هذا الاتحاد ازاء مواجهه خطر الكينونة لهاته البني المشكلة له أي عبر الدول الخليجية المكونة للتكتل (السعودية ، الامارات ، قطر ، عمان ، الكويت ، البحرين) كان لضروريات فرضتها عليه القوى الخارجية المنافسة (العراق - ايران²) و الداعمة (الولايات الأمريكية المتحدة) كحليف في المنطقة منذ الحرب الباردة كتكتل مجابه للناصرية و البعثية و القوميون العرب و الحركات الشيوعية

¹ آرثر بيل ، الفويبا ، تر : عبد الحكم الخزامي ، ط1 ، القاهرة : الدار الاكاديمية للعلوم ، 2011 ، ص 06

² القوتان تمثلان الدعامة الاساسية للتكتل الخليجي و بالغم من ذلك لم يمكن للدول المتكثلة ان تواجه الوقتين في ضل غياب الدعم الخارجي الانجلو-امريكي :

¹ وكذلك كساسة توازنية غربية التي تحولت فيها القوى الخليجية نتيجة التقارب و الدعم العسكري الى قوى فاعلة في المنطقة ، و عموما ابتدأت سياسة التقاربات البينية للفواعل الخليجية منذ 1971 و الذي بداية في 1981/05/25² كونت تكلل بيني هدفه التعاون العسكري و السياسي و الاقتصادي عرف بمجلس دول التعاون الخليجي و ذا صلة بالجامعة العربية أي كميكانيزم تحضيري للوحدة العربية³ و لقد كان اساسا كمحاولة لبناء حلف دفاعي لتجاوز الخصومات الحدودية البينية لان هاته الفواعل تشغل مجالا طاويا مهما بالنسبة للقوى الغربية التي تراهن عليه مساومة للتحكم في اسعار النفط ككل ، ازمة الحدود الخليجية كان كمخلفة كولونيالية اوجدتها الادارة الانجليزية في المنطقة هذا التشويه المناطقي المفتعل كون تداخل بين السيادة و الشرعية الغير ثابتة كمفهوم للحكم ، فقد قامت المملكة العربية السعودية من خلال اتحاد تم بين المؤسسة الدينية الوهابية و الاسرة الغالبة المثلة بأل سعود و قد تراجع هذا الاتحاد المتوازي بعد الحماية البريطانية و المشاركة في الحلف البريطاني في الحرب العالمية الاولى و اما الفواعل الاخرى فقد اتبعت سياسة الغلبة الاسرية في القبيلة عبر المشيخات و عقد التحالفات ، و اما العملية الترسيمية للحدود فقد تمت عبر اتفاقية الخط الازرق بين بريطانيا/العثمانيين عام 1913 و التي دخلت حيزها العملي في 1922 بعد مؤتمر العقير⁴ ، الخصومة ازدادت لان الاتفاقية لم تحدد فعليا الفواصل بين هاته الفواعل ما صاد التوتر القطري البحرينى على جزر حواء و فشت الدبيل الغنية بالموارد الغازي و كذلك ازمة الحدودية

¹ لقد تمتعت الحركات الماركسية العربية عموما بدعم واسع من قبل المجتمعات الخليجية ما شكل خطرا حقيقيا على الاسر السياسية و مستوى ادلتها النسقية داخل المجتمع ، و بتالي احتوت بأسلوبين تطوير الجهاز الأيديولوجي عبر السلفية و القمي عبر مؤسسة العسكرية الموحدة المعرفة بدرع الجزيرة: توبي مائيسن ، **الخليج الطائفي و الربيع العربي الذي لم يحدث** ، تر : امين الايوي ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث ، 2014 ، ص 34

² صدقة مجي فاضل ، **مجلس التعاون الخليجي و اهم تحديات التسعينات** ، دراسات سعودية ، العدد 5 ، معهد الدراسات الدبلوماسية ، 1991.

³ Ashish K. Vaidya , **Globalization: Encyclopedia of Trade-Labor-and Politics**, V 1 , California : Abc-Clio ,

2006 , p 529

⁴ العقير ميناء سعودي ، و البروتوكولات المتممة للعملية كمعاهد الحمرة و التي فصلت الخليج عن منطقة الهلال الخصيب : حسين المنقوري ، **الحدود السياسية الشمالية للمملكة العربية السعودية : دراسات تطبيقية في الجغرافيا السياسية** ، دراسات سعودية ، العدد 3 ، معهد الدراسات الدبلوماسية ، 1988.

السعودية - الكويتية حول جزيرتي قارون و ام المرادم وكذلك بين قطر و الامارات و السعودية حول المجالات البترولية الجديدة عبر الساحل ، و حتى القضية الحدودية بين العراق و الكويت التي كانت حول مرفأ ام قصر و كانت كذريعة لمباشرة عملية الغزو في 1990 و حتى بعد حرب الخليج صعدة التوتر الداخلي بين قطر و السعودية حول خنفوس بعد عملية التقدم السعودي في 1992¹ ، لاشك ان التفكير القبلي - العائلي للزيادة الغنائية لم يجيد بعد الدخول في عملية البناء الدولي الوطني بل زادت وتيرته التساقية، لذلك فالتحالف عمل على خلق فوبيا المكون الخارجي الذي كان عاملا موحدا كما اشرنا بتغير الوجهة الصراعية البينية الى وجهة صراعية خارجية توحد الداخل و تزيل الاهتمام بالقضايا المكاسبية القطرية حيث ان كامل الصراعات كانت بسبب الموارد الطاقوية الطبيعية ، الخطر الفوبي و الذي تمثل بالتهديد البعثي - العراقي النفيض الأيديولوجي و الوريث الزعامي للمدافعة عن التوجهات القومية الاشتراكية ، و مكون الابتدائي للتهديد كان اقتصاديا بالدرجة الاولى لان الطفرة النفطية الاولى بين 1972-1980 دفعت النخبوية العراقية لتكوين جيشي موسع و تدعيمه معداتيا بصناعة سوفياتية ، و عملية الانشاء تختلف عن عملية المحافظة فالعجز و المديونية النخبوية العراقية نتيجة سياسات الانفاق العسكري في الحرب اليرانية - العراقية و التي كانت مدعومة من قبل دول الخليج مبدئيا تحولت الى صراع بيني بعد عملية الزيادة الانتاجية للنفط الكويتي ما أحدث الخلل السعري للمادة²، انعكس على ايرادات الربيع العراقي بتالي هذا التغير الاستراتيجي دفع القوة البريتورية للتدخل و محاولة الهيمنة على الخليج عبر الغزو الكويتي³.

¹ سالم مشكور ، نزاعات الحدود في الخليج : معضلة السيادة و الشرعية ، ط 1 ، بيروت : مركز الدراسات و الاستراتيجية و البحوث و التوثيق ، 1993 ، ص ص 79-82

² ييار سالينجر / أريك لوران ، حرب الخليج : الملف السري ، ط 11 ، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، 1993 ، ص ص 16-7

³ العملية كانت انتقامية بعد الاخلال بالأسعار النفطية : علي محافظة ، حروب الخليج : في مذكرات الساسة و العسكريين الغربيين ، ط 1 ، بيروت المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ، 2012 ، ص 303

الهالة التي كونت في الحربين الخليجيتين الاولى والثانية و سقوط النظام البعثي مكنت دول الخليج من تدمير القوة المنافسة في المنطقة ، و على خلاف ذلك فحضور صدام حسين كان درعا واقيا للتمدد الإيراني في المنطقة وهذا ما اغفلته القوى الخليجية ، و بتالي نمى الكابوس الإيراني بعد الثورة الخمينية¹ المتوفر على التداخل بين نمطين الشيعي فهذا المتغير يجعل ايران تمدد عبر الجماعات المعتنقة للفكر (حزب الله / الحشد الشعبي / الحوثيين) خاصة ان المكون الشيعي يشكل اغلبية مهمة في مجالات الفاعلين في التكلل كالبحرين و النمط الثاني الفارسي كمتغير حضاري و مكون للهوية، هذا جعل وخاصة السعودية تتجند لإيجاد مكون هوياتي تمددي عبر السلفية كأيدولوجية² و قد سهلت مجموعة المكاسب المحققة خدمة للنظام اللبرالي عبر المنظمات الجهادية المجددة في أفغانستان من المحاصرة الشيعية و كذلك الصعود الصحواتي الاسلاموي في الدول العربية³ لكن سرعان ما تراجع الخطاب السلفي لصعوبة السيطرة عليه مركزيا للدعم السعودي للتدخل في العراق و المساندة بعد هجمات 2001/09/11 و بالرغم من الجهود المضنية لإيجاد تجمعات جهادية او فكرية سلفية في المناطق العربية كمنافسة للتهديد الشيعي فانها تبوء بالفشل لان المركز الشيعي كقطب مصدر للدلجة اقوى معنويا⁴ من القطب السعودي⁵ بالرغم من احتلال المركز الروحي الذي

¹ R. K. Ramazani / Joseph A. Kechichian , **The Gulf Cooperation Council: Record and Analysis** , f.e , Usa m The University press Of Virginia , 1988 , p 191

² فتحي العنفي ، الخليج العربي : الكونفدرالية و هيكله السياسات الراديكالية : دراسة في التاريخية البنائية ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 15 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص 13

³ لقد خدمت المنظمات الجهادية المطرة عبر الدعم السعودي و التحضير الباكستاني من الحاق هزائم محممة ضد الجانب ما خدم القطب اللبرالي و اللاعبين الاساسين في هذا الحراك : عبد عزام / اسامة بن لادن / ايمن الظواهري و جرى الانقسام داخليا بعد الانسحاب السوفياتي من افغانستان و محاولة تصفية التواجد الجهادي المنافس للتمدد الامبريالي ، هاته المحاولة عملت على ارجاع المكونات المنخرطة للقيام بأعمال عسكرية داخل الاراضي العربية ما ادى الى عواقب و نتائج وخيمة في التكوين الدولي :

جون روبرت ، **العلاقات الخفية بين امريكا و الدول العربية** ، تر : ايهاب كمال ، القاهرة : الحرية للنشر و التوزيع ، 2006 ، ص ص 08-05
⁴ لأنه شكل عبر الثور السياسة التي حازت على التضامن الشعبي و حتى ان اختلافنا في شكلها الحالي لها فكرا اقوى من النظام السعودي و حتى سياسيا كتداول على السلطة ووجود المجتمع المدني و الاحزاب :

عبد العالي العبدوني ، **الثورة الاسلامية في ايران في افق تفكك البراديفات الجاهزة** ، ط1 ، بيروت : دار المعارف الحكيمة ، 2013 ، ص 10
⁵ المركز الوهابي لا يقدم ما يوجب التقدم بل دلالات ترتكز حول المرأة او الكليات في الاسلام على خلاف المركز الشيعي الذي تغفل فكرا كسياسة ، و قد مثل المفكر القضيي حالة الفرد المنتقل تراجيديا عبر سياقات اضطرابيه مختلفة من المدافعة عن الوهابية الى العلمنة الى المهاجمة الكلية : بورغن فازلان ، **عبد الله القضيي التمرد على السلفية** ، تر : محمد كيبو ، بيروت ك جداول للنشر و التوزيع ، 1997 ، ص 19

يعتبر اساس اعتناق الافراد للفكر السلفي الوهابي اعتقادا منهم انه الاسلام ، هذا التسابق ادى لتحول المجالات الدولية العربية لإيكولوجيا دموية بين 1990 حتى اللحظة و كالمجال السوري حاليا الذي بدوره احدث انقساماً ايديولوجياً عبر التكتل الخليجي للدعم القطري للتوجهات الاخوانية عبر ثورات الربيع العربي كراية المشروعات الانتخابية و الدعم المالي و السعودي/الاماراتي للتوجهات السلفية¹ كثورات مضادة بإيجاد منظمات جهادية تابعة توظيفها و كاليا² لتحيد المسار الثوري عن نطاقه و لتكوين صور سوداوية عن التغيير الاجتماعي عبر الثورة لتعتبر التكوينات الاجتماعية الداخلية أي داخل مجلس دول التعاون الخليجي و لا تقدم على هكذا مجازفة او فكراً من خلال النضال السياسي كمنافس كحزب النور المصري³ ، فالتوجه القطري كان يعتبر النظام القذافي عبئاً على دول الخليج و بتالي جرى البحث عن الحليف الفرنسي و تصفيته حيث يمكننا ان نلاحظ العلاقة الوثيقة بين الجانبين استثمارياً⁴ ، انه حتى الربيع العربي مثل تهديدا لهاته النخب -العائلة فالحراك الاجتماعي في البحرين الذي استدعى تدخل العسكري الممثل بقوات درع الجزيرة كان له تداعيات يمكننا ان نفسرها ان النظام القمعي الخليجي يمتد ليحافظ على الدول المنخرطة داخله و لا يهتم بما هو خارجه (ليبيا مثلاً و دول الربيع العربي عموماً) ، اما التهديد المكبوت - المتصاعد

¹ الانفصال الأيديولوجي تم مبكراً قبل التسعينات من القرن الماضي و الذي مثله حاكم قطر الاخواني الاتجاه لزهري الشاويش المتعاطف مع الالباني الناقم على السلفية الوهابية الدعم الاميريكي :

احمد سالم / عمرو بيوني ، ما بعد السلفية : قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر ، ط 1 ، بيروت : مركز نماء للبحوث و الدراسات ، 2015 ، ص 217

² السلفية الجهادية المرحلة التطورية من الفكري الى العملي أي من السلفية العلمية الى الجهاد كوسيلة نهائية للمشروع الوهابي حول السلفيتين راجع :

شفيق شقير ، الاسلاميون في الواقع السياسي العربي ، الدوحة : شبكة الجزيرة للبحوث و الدراسات ، 2006 ، ص ص 06-07

³ هاته التنظيمات اعاد طرحت سؤال الحزبية و تحليله مما اسفر عن ظهور تنظيمات حزبية محممة بعد الربيع العربي في مصر كحزب النور السلفي المتقارب مع المؤسسة الازهرية و المناهض للتوجه الاخواني و كذلك هناك احزاب سلفية اخرى ك حزب الاصلاح و حزب البناء - التنمية راجع :

محمد ابو رمان ، السلفيون و الربيع العربي : سؤال الدين و الديمقراطية في السياسة العربية ، ط 1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013 ، ص 134

⁴ التقارب القطري الفرنسي كان من ابتكار المهندس السياسي كلود شيسان ، و توطدت العلاقات في عهد ساركوزي حيث استفادة قطر من الدعم العسكري المثلثة بمحاول 80 طائرة ايرباص أي 350 و تؤمن فرنسا لقطر حوال 80 بالمائة من المعدات العسكرية لقاء المكاسب الاقتصادية المنتدة تاريخياً كشركة توتال 1939 ، بنك باريسا 1973 ، الف النفطية 1989 ، الكاتال ، اريفا ، كارفور ، تاليس للمزيد راجع :

سامي جلول ، وين ماشي بينا سيدي ؟ ، ط 4 ، جنيف : ايزميديا ، 2013 ، ص ص 180-182

حاليا عبر التحالف العقدي بين القوات الصالحية و الحوثي ترجمته انتهاكات القوات الخليجية للمجال اليمني اما بالسياسات الحصارية الاقتصادية او النمط الحرقى للمجال الحدودي اليمني عبر ما لقبته بعاصفة الحزم ، بتالي نحن نشهد حرب باردة مختلفة الاقطاب و كذلك الغير ثابتة فيمكننا ان نجد دعما حوثي غير مقتصر على ايران وحدها بل يمتد لدول او منظمات او شركات تحاول ان تحقق مكاسبها في المنطقة .

المطلب الثاني : الميكانيزم الوظيفي : الاتحاد الأوروبي .

قضية الاتحاد الاوروبي تعد من الكلاسيكيات في علم السياسة و بتالي لن نتوسع في دراستها بشكل الكبير و انما بتركيز على ما قد يهم هنا في هاته الدراسة، و تقصد اننا سننتظر الى الاتحاد الاوروبي لا من خلال الزاوية التطورية الاقتصادية بل بالظروف التي اتجت هذا التكتل البيني و التي اساسها ان الحرب الكونية الثانية خلفت اوروبا مدمرة بالكامل و عملت على اقتلاع مكاسبها الكولونيالية مع تنامي موجات التحرر و عدم القدرة على المحافظة على الموروثات ، البنية المهترئة عقب التدميرات التي تعرضت لها اوروبا و لم يكن في وسعها باي حال ان تنتج تكتلا انه حتى في نطاق الحرب الكونية الثانية لم تكن قادرة على الدفاع ضد التقدم النازي لولا التدخل الخارجي السوفيو-امريكي و بتالي اوروبا استفادة من مسلمتين : فوبيا التقدم الشيوعي المهددة للقيم الليبرالية¹ و الاحتواء الامريكي المتضامن قيميا مع التوجهات الاوروبية هذا التلاقي المصلحي الذي كان بعد اتفاقية بروتن وودز 1944 المحددة للعملة كأساس للتعاملات و ما لحقه من تبعات كإنشاء البنك و صندوق النقد الدوليين 1947 و تأسيس لاتفاقية العامة للتعريف و التجارة Gatt 1947² بدى

¹ انايل مونى / بيتسي ايفانز ، العولة : المفاهيم الاساسية ، تر: اسيا دسوقي ، ط1، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث ، 2009 ، ص 31
² وليام هلال / كينث ب. تايلر ، اقتصاد القرن الحادي والعشرين ، تر : حسن عبد الله بدر / عبد الوهاب حميد رشيد ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2009

هنالك انقسام مصلحي بين الكتلتين الشيوعية و الرأسمالية و المتغير الرئيسي التي نركز عليه كذلك 1947 مبدا ترومان البداية الحقيقية للاحتواء الليبرالي و مشروع مارشال الدافع الهام للنهوض الاوروبي المتمثل بالهبات المالية الامريكية لتزويد اوروبا ماليًا لإعادة اعمارها و دفع اقتصادها ، و اعقب ذلك تشكل جمعية الفحم و الفولاذ (فرنسا / المانيا / ايطاليا / بلجيكا / لوكسمبورغ / هولندا) 1951 و تقدمت هاته العلاقات الى تكوين السوق الاوروبية المشتركة معاهدة روما 1957 لحرية حركة البضائع و الاشخاص و رأسمال و محاولة البناء المؤسسي الذي تمخضت عنه الاليات الناظمة للتكامل كالحكمة الاوروبية و مجلس الوزراء و اللجنة الأوروبية و دخلت حيز التنفيذ فعليًا في 1/01/1958¹ ، و بعد مؤتمر كوبنهاغن عمل على تحديد شروط الانضمام و المهتم فيها الشروط السياسية التي حوت ان على الدول المنظمة ان تكون خاضعة لمعيار الديمقراطية و احترام حقوق الانسان و الذي في مجمله حقيقة ان تمتلك النخب توجهات ليبرالية مناهضة للمعسكر الشيوعي المتقدم شرقًا ، تبع ذلك القانون الاوروبي الواحد 1987 و هو عبارة عن عملية إتمامه لتقنين الناظمة المكونة في اتفاقية روما² و بعد سلسلة من التطورات كتراجع المد الشيوعي و توحيد المانيا و الانضمام الاوروبي الشرقي المنشق توطت الكتلة الاوروبية عبر معاهدة ماستريخت 1992 و امستردام 1999 و نيس 2002 و لشبونة 2009 الى انه ما يلاحظ عدم الاجماع التام عن مخرجات هاته الاتفاقيات فتوحيد العملة لا يرضي الطرف البريطاني مما اطره لعدم الدخول فقد كان عموماً ديجول الطرف المعارض الابرز لانضمام بريطانيا الى الاتحاد كمرکز منافس لفرنسا في المنطقة

¹ قاسمية جمال ، اشخاص المجتمع الدولي ، الجزائر : دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، 2013 ، ص ص 264-265

² مارتن غريفيتس / تيري أوكالاهان ، المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية ، تر : مركز الخليج للأبحاث ، ط1 ، دبي : مركز الخليج للأبحاث ،

الأوروبية¹، ولا مندوحة ان الاتحاد لحد الان يتبع السياسة التوسعية في اوروبا ما يحدث الصدمات
البينية مع قوى منافسة في المنطقة كروسيا و الازمة الأكرانية مثلا .

المطلب الثالث: استحالة التبنى و التوفيق .

استخدمنا مفهوم استحالة للدلالة على ان النماذج المطروحة قبلا لا يمكنها ان تتوافق و التجربة
المغربية لأننا نعتقد ان المنطقة المغربية صحيح انها تضم اقليما و فواعل لكن لا تماثل بالضرورة و
التجربة الغربية و ذلك ما وضع خلال التطرق للعملتين ، في ان الظروف المحيطة بعملية الانشاء
الاتحادي لن تتم بنفس الطريقة حتى و ان استخدمنا ما يستخدمه الاكاديميون العرب في الاشادة
بهاته التكتلات فإننا لن نوفق في ايجاد صيغة تضمن لنا الرؤية الهدفية الواضحة فتكتل دول الخليج
اوليا يخضع لبنية اجتماعية مختلفة تماما عن النسق المغربي حتى و ان افترضنا التشابه من خلال
النمط العائلي الشوقراطي بين السعودية و المغربية لكن المغربية من حيث البنية الاجتماعية فالعائلة لا
ترتبط برباط وثيق سلاليا و البيئة القبائلية المشكل للمجال العام بحيث انها تعد مكون خارجي
(عربي من ال البيت) و اساس الوثاق الاجتماعي راجع لارتباط خطي مبنيين بتحالفات الناشئة
بين القبائل من جهة و الزاوية من جهة اخرى فالنظام المخزني الناشئ يجمع بين المكونين القبلي و
الشرفوي و اما نسق العائلة الخليجية فيتكون من نظام الصفوف السوسيو- فيزيائي أي انها تخضع
لعوامل التمدد و التقلص بفعل العوامل الخارجية ففي فترات الرخاء يتواجد هناك نمط تكويني مقسم
لأربعة طبقات : شيخ الشيوخ و الذي يتمتع بنفوذ واسع و رئاسة للمجال من خلال المؤسسة
المشيخية كمؤسسة قرشية تقليدية (النادي القرشي في الجاهلية) و الصف الثاني متمثل بشيوخ
اعضاء القبيلة المسمون بالقبائلي و الصف الثالث الافراد الذين لا ينتمون الى قبائل او اجانب

¹ جون بيندر / سايمون أشروود ، الاتحاد الاوروبي ، تر : خالد غريب علي ، ط1 ، القاهرة : مؤسسة الهداوي للتعليم و الثقافة ، 2015 ، ص -
ص 19-29

يشغلون في التجارة او مجال الحرف و الصف الرابع العبيد و هم المجموعات المغنومة من غزو القبائل المجاورة¹ ، و تطور البنيوي الاجتماعي تم بعد اكتشاف البترول و بإيعاز تغريبي من التحول من النمط الخراجي بالاعتماد على المقايضة و المضاربة السلعية نحو النمط الوصائي بالمبادلات المحدثة و نحن نرى ان الصف تمكن من التحول طبقية من خلال التميز العائلي في السلم الاجتماعي ، و بالرغم مما يصور لنا فإننا نرى ان الخصومة القطرية /السعودية-الاماراتية بينت لنا مدى عقم التكامل و الفوبيا الذي حول الى عصاب جماعي غير قادر على ترويض المجال الا من خلال التدخل العسكري المباشر او الوكالي، و حتى بعد عملية المهادنة (قطر /السعودية الامارات) فانه يفسر ان القوى الفاعلة ضمنه ان تلعب دورا اكبر مما ينبغي لها ليتمكنها موقفها المتقدم من تسيد الاتحاد، و اوسع من ذلك التغلغل في الجامعة العربية حيث انه بعد تراجع مراكز الثقل العربي (مصر / سوريا/ العراق/ ليبيا) احتلت القوى الخليجية مكانا هاما في صناعة القرار العربي ، ان القوى الخليجية تهتم بما هو خارجي على حساب الداخل و هذا يتعلق اوليا ببنية الدولة الريعانية الخليجية فبعد التنقيبات البترولية و التحول من الفحم كمورد طاقي كوسيلة للإنتاج بتغير هاته الاعتمادية (و قد اورد ماركس ان التغيير في الوسيلة الانتاجية يخلق تحولا جديدا في نمط الانتاج و محور العلاقات الاجتماعية ففرق كبير بين مجتمع الطاحونة الهوائية و المحرك البخاري) و كان محور التغريب (استخدمنا تغريب (القوى الكولونيالية) ضد غرب لأننا لا نعتمد مقولة شرق و غرب) مرغما على الانتقال من مركزية نحو التخوم² التي اوجدها و اهمية الصعود الوعي العربي و اليقظة التحررية

¹ للمزيد راجع مقال سلوى الخطاب :

Salwa Al-Khateeb , *The Oil Boom And Impact On Women And Families In Saudi Arabia* , In : Alanoud Alsharekh , **The Gulf Family: Kinship Policies and Modernity** , F.e , London : The London Middle East Institute , 2012 .

² تنباين الموارد في الخليج وفق المعدلات الاحصائية لسنة 2007 مثلا السعودية تمتلك قوة انتاجية نفطية مهمة لكن المشكلة ان وتيرة التصدير العالية تراجع فيها احتياطات المملكة من النفط، و كذلك لا تتوفر على كميات هامة من الغاز سواء الابار المنقبة او الاحتياطي على خلاف قطر التي تعتبر الرائد في المنطقة في مورد الغاز و تتوفر على كميات احتياطية هامة في المنطقة ، يمكننا ان نتوقع تغيرا كبيرا في المنطقة و حربا شاملة حول الموارد داخل التكتل في حد ذاته القضية مسالة وقت ليس الا ، راجع الشكل :

دفعت الى تغيير اساس التوسع الكولونيالي نحو دولة افتراضية معولة تشغل مساحة أكبر من خلال السوق ، فالسوق من خلال متغيرات العرض و الطلب تحول العلاقات بين الدول المابعدكولونيالية و الكولون ظاهريا الى مصدر للمورد/ مستورد لكن فعليا القوى الخليجية لا تقوم بعمليات التنقيب و لا التكوير و لا التصدير و انما تدير شكليا عبر البنوك المركزية اي تستفيد من عمليات القسمة و التصدير المضاد للمستهلك الخليجي ، هذا النمط نسميه بنمط الانتاج الوصائي و ينقسم الى حدين: الحد الاول يتمثل في (انا انقب- نستفيد) هاته العلاقة تربط الشركة الاقتصادية التغريبية بالمركز الامبريالي كضامن لعدم نضوب المورد و للحفاظ على عدم الاختلال العام في الاسعار الذي بدوره سيؤدي الى صراع بين القوى الكبرى التي تحتلق الصراعات و الحروب و التقاربات الخارجية و الضغط على منضمة الاوپيك (بدعوى ارتفاع معدل التنقيب عن البترول الحجري و ارتفاع مستوى المخزون الاستراتيجي الامريكي) لأحداث اضطراب محدود يمكن ان يخل بشكل السوق البترولية بين العارض و الطالب التي هي في الحقيقة علاقة حميمة بين الشركة المنقبة المنتمة لبلدها الاصل و البلد الاصيلي أي نعني ان اقليم الدولة المتوفر على المورد لا يملك رأسماله الانتاجي و انما يستفيد من الضريبة فقط حتى نحو مستوى اخر الذي يمثل لنا على انه مستقل نسبيا و هو نظام السياحة / الحج و لن نتحدث عن الحج كركن و قيمة روحية فهو يوفر مجد ذاته مورد استراتيجي للخزينة الملكية اي تحوله المركز الروحي الى مزار سياحي و من ميزاته انه متصل بشكل ديمومي مما يوفر سيولة دائمة ، انه حتى في هذا النطاق يخضع لعلاقات الوصائية الخارجية من خلال نظام الخدمات او الشركات المشرفة على عمليات البناء (مثلا المملكة القابضة التي يملكها الوليد بن طلال و التي

تمتلك فيها فرنسا اسهما هامة و للإشارة فالشركة استثمارات هامة في ايران¹ التي وان كانت تعود بشكل أكبر للمكون السعودي فانها تشترك باستحواذ اجنبي من خلال المشاركة الاسهمية و العمالة الاجنبية ، هذا الجهاز الضريبي الذي يعتمد على مستويات الرفاهية التي لا توجه للفرد بل للمحيط فمستويات التنمية ضعيفة جدا مقارنة بمستوى الانفاق العام² ، بالإضافة الى ذلك هاته الممارسات ادت الى صعود البرجوازية الوطنية و تدعيم مركزها من خلال حماية المركز الاسري بصفوف الجديدة ، البيروقراطي و البريتوري³ و الاكليس الاقائي و ضرورة فرض الولاء تفترض بدورها تكوين رفاه و هاته الفئات تمثل بمستويات دخول مرتفعة و مكانة اجتماعية متميزة في غياب دور المثقف و الهيمنة الذكورية الممتدة و التي في ظاهرها ليست كذلك فالمرأة السعودية و ان كانت المرأة الماكثة في البيت⁴ فهي لا تشرف على تربية الابناء بل تفوض الى المربية التي تكون عادة ذات اصول فيلبينية و بتالي فمستوى التقارب الامومي متدهور بصورة متقدمة و مع التنامي العولمي تحولت المرأة للمطالبة عبر الحركات النسوية و الدعم الخارجي من خلال المجتمعات الافتراضية او التقارير الدولية ما ادي الى تنازلات معتبرة كرفع من المستويات التعليم و عمل المرأة و الحياة الاجتماعية ، و الحد الثاني مرتبط بالاستثمارات الاجنبية التي تحتل فيها البرجوازيات الوطنية بما فيها العائلة الملكية⁵

¹ من بين استثمارات المملكة القابضة ملكية ادارة فندق جورج الخامس و ملكية يورو ديزني ، و انشاء مركز الفنون الاسلامية بتبرع قدره 20 مليون دولار (كان اجدرا لو اقيم في دول عربية ان كان الغرض منه اثنائي اسلامي) ، و كذلك من خلال انشاء صندوق اتحادي بين الصندوق السيادي الفرنسي و المملكة القابضة قدره 1.5 مليار ريال لتطوير الشركات الكبرى للمزيد راجع الموقع الرسمي للشركة : <http://www.kingdom.com.sa/prince-awaleed-receives-french-pm?lang=ar>

² يمكنك ملاحظة نسبة التنمية من الاتفاق الحكومي عامة لسنة 2000 اطلع على الجدول التالي :

Ugo Fasano And Al , **Monetary Union Among Member Countries of the Gulf Cooperation Council**, Washington : International Monetary Fund , 2003 , p 17.

³ الاتفاق العسكري خصيصة اساسية في النظام الخليجي للمزيد راجع :

Cyrus Sassanpour , **Policy Challenges in the Gulf Cooperation Council Countries** , Washington : International Monetary Fund , 1996 .

⁴ الثورة الاجتماعية و خاصة ثورات الربيع العربي مكنت المرأة من التمتع و تجاوز المرأة التقليدية الماكثة في البيت بالتالي لها دور موسع أكبر من مواز للرجل فهي كذلك تشترك في اعمال

⁵ للفهم أكثر هناك قطاعان متداخلان ، القطاع الخاص الذي يحظى بتسهيلات كبيرة و قطاع الاعمال و الذي تمتلكه الدولة و الذي يدخل في علاقات تجارية و القطاع الخاص الاجنبي مثلا خدمات الهاتف هو قطاع تابع لوزارة البريد و الاتصالات اللاسلكية تطرح اسهما للبيع من خلال البورصة تجعل القطاع الخاص يدخل عملية الاشراف بشراء الاسهم المطروحة في السوق للمزيد راجع:

(كالقابضة التي اشرنا اليها) موقعا مهما و ذات المكاسب الواسعة للدولة المصنعة للمنتج و تعود لعلاقة تكوين البلد الورشة و انتاج السلعة و ضرورة الاستهلاك المعتمد من خلال اجهزة الدولة كالتقسيمات البنكية او الإشهاريات الاستمالية او حتى التصدير الذي يكون وفق الشرط الاجنبي الذي ترعاه البرجوازيات الوطنية و بذلك لقبناه بوصائي أي ان الدولة تتحرك في حدود الاستطاعة وفق غطاء خارجي اقتصادي هذا التداخل المعقد عبر الشبكات الاجنبية مكن من عودة التوجهات النيوكولونيالية من خلال التحول من سياسات البلد الورشة الى البلد المنصة أي الموقع الاستراتيجي لبناء القواعد العسكرية و الحفاظ على المكاسب¹. لذلك نحن لا نبحث عن الخارج كهدف للتكامل بل ما يهنا الداخل و خصوصا المجتمع أي اننا نتكامل لا للحماينة او الحفاظ على النخبوية ازاء الداخل بل لنهتم بأمن الفرد-المواطن لأنه المكون الحقيقي للدولة عموما ، و اما التركيب الاخر الذي يحتل حيزا كبيرا جدا في المجالات الدراسية و هو الاتحاد الاوروبي في اننا مطالبين ان نحذو حذوه ، و هاته المجازفات التحليلية الاستشرافية بعيد عن البراكسيس و ترينا مدى الاتكاسة المعرفية فانك مثلا ترى دراسة او كتاب ينتقل من مستوى تحليل الى اخر و نهاية يعتمد الآلية الاتحادية الاوروبية كمنفذ للإصلاح ، و اذا اعدنا القراءة فيمكننا ان الاتحاد الاوروبي لا يختلف عن النمط الفوبي كثيرا فالقوى الاشتراكية مثلت قاعدة اولية لتكامل كاحتواء ضد المعسكر المتمد ، و كذلك و كما اشرنا فقد استفادة أوروبا من الدعم الخارجي الامريكي بصورة واضحة و هامة لخروجها المنهك و المدمر عقب الحرب العالمية الثانية لذلك فالنداء الوحدوي

جياكومو لوتاشياني ، من القطاع الخاص الى البرجوازية الوطنية : قطاع الاعمال في المملكة العربية السعودية ، في : بول ارتس / غيرد نومان محررا ، المملكة العربية السعودية في الميزان : الاقتصاد السياسي و المجتمع و الشؤون الخارجية ، ط2 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013 ، ص ص 177-181

¹ عموما حتى الادبيات التغريبية تشير الى الخليج العربي انه خليج فارسي هاته العبارة لها دلالات عميقة ، حول هاته العلاقة بين القوى التغريبية و الخليج راجع :

Christopher C. Joyner , **The Persian Gulf War: Lessons for Strategy- Law- and Diplomacy** , F.e , New York : Greenwood Press , 1990 , p 159

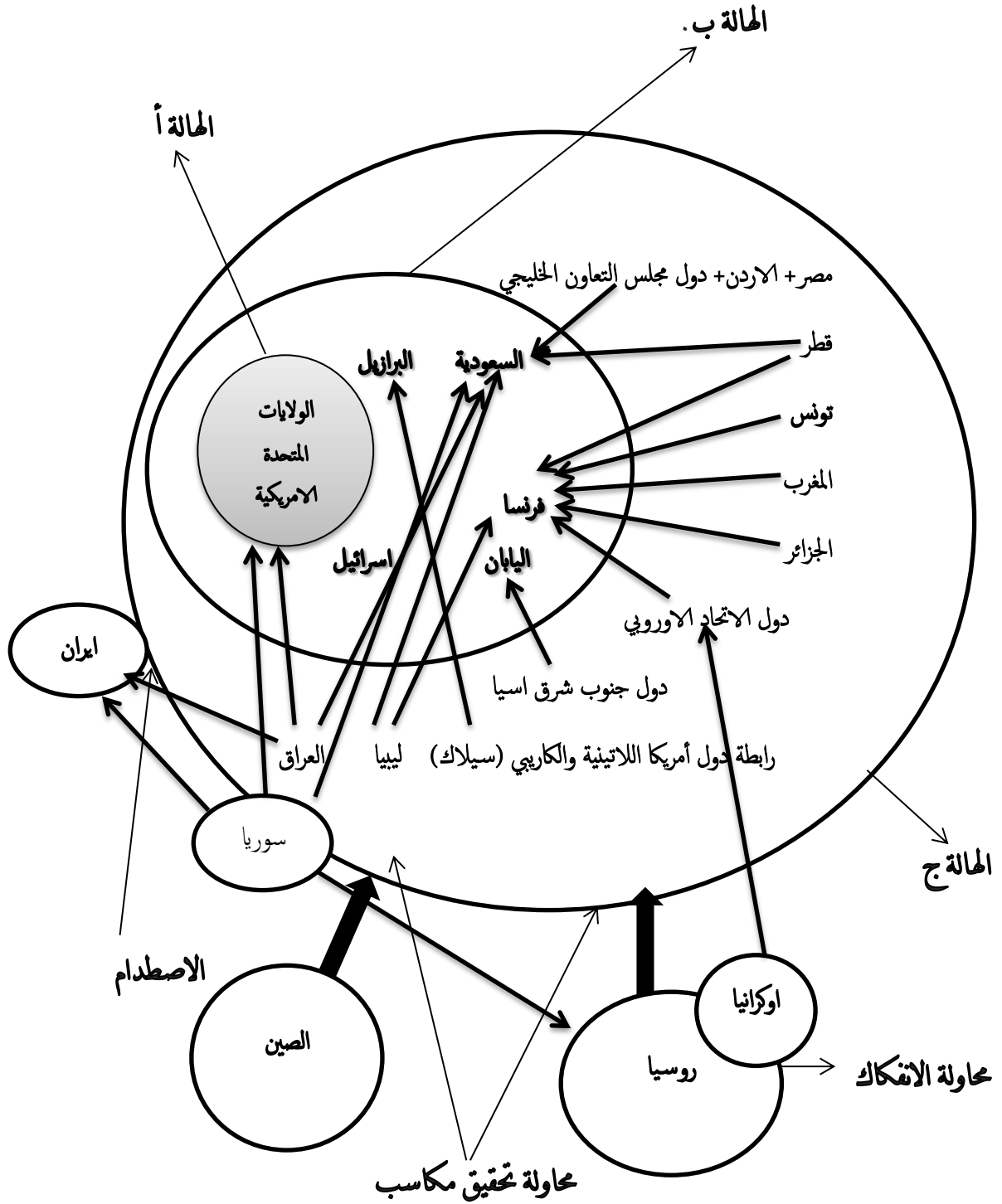
الاوروبي كان من اجل حماية المبادئ الليبرالية المتحد بالرغبة الامريكية للتوسع في المجال الاوروبي و
سنعتمد مصطلح - نعتقد انه لم يستعمل من قبل- تبعية التبعية ، هذا الشكل يفترض وجود مركز /
المراكز التابعة / التخوم البيادق و المثال الفعلي لهاذا الافتراض فرنسا ضمن الاتحاد الاوروبي مثلا
من خلال هذا الشكل الذي يمثل ما نسميه الفضاء العام المكون من شوارد التي لا تحدد ضمن المجال
العام المكون من الهالات ، هذا المجال العام ينشئه المركز وفق هذا الطرح : الهالة أ يمثل المركز و
الهالة ب يمثل المراكز - البيادق و الهالة ج يمثل التخوم التي تدور حول المراكز التابعة و التابعة تدور
حول المركز هذا النظام الكوني هو ما يحفظ قوة المركز و الهالة ج تمثل دائرة دفاعية للهالتين ب و أ و
كذلك عامل جذب للمكاسب التي توفرها للشوارد و هناك نوعان من الشوارد : شوارد مما يجعلها
تنجذب الى داخل المجال العام محدثة اصطدامات (حروب / توظيف جماعات / شركات
اقتصادية) فمثلا الصين تقابلها دول اسيان و روسيا دول الاتحاد الاوروبي الشرقية و ايران دول
مجلس التعاون الخليجي ، و الحالة الشاذة كمثلا تقارب المركز الامريكي من ايران و نعي بهذا ان
هاته الدول تابعة للهيمنة الفرنسية من خلال المشاريع الاقتصادية و عدم استقلالية القرار خارجيا و
الجانب الفرنسي ليس مستقلا في قرارته (و يجب ان لا تتبع التصريحات المناهضة بل نحن نؤمن بما
هو مشكل على الارض أي نعي التحركات الفرنسية على الارض التي تمثل الرغبة الامريكية في
الاساس) ، لذلك فالتحرك او التحفظ كلتا الحالتين تعتبر مساندة للرغبة الامريكية ، ان البناء
الاتحادي يتكون من دول قوية و دول تابعة حتى داخل الاتحاد تمثل فقط حزاما واقيا ازاء التمدد
الروسي حاليا كأكرانيا او جورجيا¹ فأكرانيا تحاول الاقتكك أي الخروج من التبعية الروسية نحو

¹ روسيا لا تملك تلك القوة التي نعتقد فهي دول رعية تعتمد على السلاح و الزراعة كداعمين وورقة ضغط على بلدان العالم الثالث لإظهار بعض القوة
ازاء الاتحاد الاوروبي بتالي اوكرانيا تمثل التابع الذي يحاول ان ينشق من روسيا و قد كلفته هذه الحركة من الهالة الروسية نحو اوروبا خسارة القرم و
قريبا مينسك و دونتسك التي لا يزال فيها تمثال لينين و نمط العيش و الزراعة :

باراج خانا ، السلطة و السطوة ف النظام العالمي الجديد ، تر : مركز التعريب و البرجة ، ط1 ، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2009 ،

تبعية جديدة توفر لها مكاسب اعظم و احساسها ان القيم الروسية لم تعد مجدية و بتالي هي معرضة للخسارات الفادحة داخليا بهذا الخيار الغير العقلاني قد يؤدي الى تحطيمها، او ازمة اللاجئين كحاوية بالنسبة لاوروبا، و سبب اخر جد مقنع باعتقادنا ان الاتحاد الاوروبي ان كان بهذا الحجم الذي نعتقد فانه لا حاجة يشكل تحديا للإدارة الامريكية الامر الذي يتطلب من هاته القوة ان تعمل على اضعافه، و الحقيقة فعلا ان الاتحاد الاوروبي سواء من حيث المجال العسكري او السياسي او الاقتصادي فانه يخدم المركز الامريكي للترابط الوثيق بين اليورو و الدولار، بتالي يسعى المركز الامريكي للحفاظ على الاتحاد الاوروبي (كما كان الحال في الازمة اليونانية التي مثلت لنا كمشهد دراماتيكي) من خلال الضغط على الجانب الفرنسي المركز الثقل بخلاف الجانب الالماني و ان كان قويا اقتصاديا فانه تحركيا غير ذلك لانغلاقه الجمالي و كذلك لان هذا الجانب مصاب بعقدة التدخل التاريخية، فالحدود / العملة الموحدة / الغاء الحواجز الجمركية ليس سوى رغبة المركز الامريكي في دعم هذا التقدم لكي لا تتحول اوروبا الى مراكز يصعب ترويضها بل كل في شكل واحد تحت ارادة واحدة معتقة لمذهب الليبرالية و النهج الامريكي العالمي، فالاتحاد الاوروبي يعد قوة اقتصادية مهمة لحياة المركز الامريكي و استخدامه للضغط على دول التخوم ن لكن بعض الاحيان تريد المراكز التابعة اغتنام الفرض نتيجة التفهقر المركزي لكن يعود المركز لاحتواء هاته المراكز مجددا بالضغط على التخوم التابعة لها، و كما نلاحظ البرازيل فقد جرة اختراق هذا الاتحاد المون من امريكا اللاتينية و الكاريبي و شهدنا التقارب الكوبي-الامريكي من خلال هذا الاتحاد بتالي اتهمى زمن العصيان اللاتيني و قريبا ستكتسح المنتجات الأمريكية السوق الكويتية بل رغم من المحاولة التقاربية الصينية و الروسية.

الفضاء العام



الخاتمة.

لا مندوحة في ان العملية التحليلية التي سعينا اليها متوسعين في مجالات مختلفة لم تكفي لان نمتلك ملكة الحكم الحقيقية ، فان الموضوع يحتاج الى اطناب اكبر وتحليل اوسع لكنه وكما وصفناه عملية مرحلية وتمهيدية للبناء التالي ، فعملية الانتقال والتنظيم الذاتي لابد وان تتم في اطار شكلي ونقدي او تجاوزي ، تضمني لبناء تعويضي لعملية الهدم المنتظرة لان الدولة ترتبط بالفكرة والهدف والمستويات الاخرى المنبثقة عن عمليات التفاعل الايديولوجي والواقع ، وحالة العلاقة الغيابية ومرافعة الواقعة في نظام الزمان العربي الذي توقفنا في تسييره وتنظيمه وتطويره و لتبنى هاته الحركية جشطلتية غيرية بالنيابة عنا ، ولذلك فالعبودية اللاطوعية هاته التي نحن في حيزها المنغلق تحرك داخلها لتتحكم بالعمليات والعلاقات والتفاعلات الداخلية وتسعى الى احتوائها وتحييدها عن المسارات الكبرى التي هي موجود من اجلها ، لذلك نحن امام انقساميات افتراضية عديدة قد لانعيا بصورة جدية في مجال المغرب لكن نعيا مستقبلا بأدوار اشد حدة لان البنية المهترئة تكون في تكوثرها انعكاسات على داخلها او البنى الاخرى المتحركة في حدودها ضمن مجالات انشطارية تدميرية قد لا تبقي على المجتمع الحالي باي حال من الاحوال ، ويجب ان نعود للقول ان علاقة الدولة / الوطن / الامة هاته ثبوتت المسار الثباتي للكيان القطري فهو يتحرك منفصما بين هاته الثلثة لان العوامل الجاذبة اشد (ارتباط اقتصاديات الدول الناشئة بالسوق المعولمة) ، فالمجتمعات تملك تلك المدخلات التي تحفز تحريك الوعي الجمعي الذي تحاول ان تقف في اساسه كضدية للسلطة القائمة في احتوائه ضمن وعي تعيري اخر أي من عملية المطالب الاحتكاكية بالمركز فعلا الى عمليات احتكاكية بمرآكز اما بينية (مجتمع ضد مجتمع) او خارجية و نعي جيدا مدى التحجيم الفسوبي للكيانات القطرية الذي تعزز بظهور الفواعل المعرّبة كالثورات الربيعية او الجماعات الارهابية او الحركات الاجتماعية التي بدأت تنمو تدريجيا في ظل الاستقالة المركزية والحرية النسبية و تراجع الربيع كسند ترويض للوعي و تهويته للعودة الى نطاقاته السباتية

الأولى ، انه حتى على مستوى الابنية الأخرى يجرى تدجين الإرادة الجمعية بما يتوافق و يضمن استمرارية السجية الحالية ، هل هي ثقافة ؟ ام وهم ؟ لا شك ان مستوى الثقافة يتحكم به عندما يوجه قبلة الحدود النخبوية التي يمكنك ان تتحرك خارجه ، ان الافراد عبارة عن اوعية عاطفية ووجدانية تتفاعل و الخطابات الأورفية التي تتركز على خلق اعداء و النطاق الاستعائى الطاموي (القطر في خطر) الذي تُشب فيهِ أي وسيلة للتغيير ، لان هاته الأخيرة هي ارجية (الحساسية المرضية) هاته الانظمة ، انا نكون تلك الفكرة المركزية التي تعتبر التراجع و الاستقالة عن المضامين الكبرى المسطرة اثناء المراحل التي تكون فيه النخبة مترابطة و مستقرة هو الوضع الذي تكون فيه اشكال التضامن الخارجى جد مثقلة (قطر) و اقصائية و الحالات التي تهترئ فيها علاقات النخبة و تداعي بنيتها تسعى للدخول في تحالفات و المجتمع او كسب المحيط (وحدة) هاته التحركات تبرز لنا ملاحظة مهمة :

مجتمع غير معني و نخبة بروميثية (وصائية على المجتمع) ، فالجتمع داخل مجال قهري دائري منذ الولادة و حتى الموت وفق خط تسايري توافقي و الكل (ولادة ، تعليم ، جامعة ، عمل ، زواج ، انجاب ، تقاعد ، موت) و لا يمكنه باي حال الخروج من هذا الجبر المسطر وفق السيستم النخبوي المجحف ، ان النخبة هي التي تدعي انها شكلت المجتمع و اطرته و قادت عمليات التحديث لكن الممارسات لا تتطابق و الخطاب الدوغمائي لان النخب هاته التي تتقدم و تتراجع بفعل عوامل الجزر-الضعف و المد-القوة لا يعينها المجتمع الا من حيث هو محرك عملي و عامل دفاعي ازاء الاخر ، هي نخبة لن تستطيع الاستمرار الى حد ابعد لان اعادة الانتاج الدورية ستتعل و لان الاساليب ستكون ذاتها و هناك ستأثر البنس جميعا بمجالات الانعكاس السقوطي للنخبة محدثا فراغا كالحال الليبية .

ان الدراسة وعملياتها الاخراجية و التوليدية للتحليلات المختلفة الصيغ قد مكنتنا الى حد

بعيد الى التوصل الى النتائج الاتية :

1. ان أي عملية لبناء مفهوم محدد للدولة يجب ان تكون ضمن نطاقات الخصوصية و العمومية ، المظهر و الجوهر ، الديناميكا و الاستاتيكا و بتالي الخبرة الجمعية للنسق الدولي العام تاريخيا بدون تذويت المركز و اجحاف الناتج الكامل الغيري . ان الدولة الوطنية و الدولة القومية في المفهوم العربي متميزة الفهم و الدلالة لان الوطن المرتبط بالتراب لا يتعدى كونه عملية محاولتية للتقومن أي محاولة لكسب القومية و تشكيلها بما يميز الذات عن الاخر ، لكنها لن تنجح باي حال لان القومية العربية الاسلامية تجاذبها اطر ثقافية ثابتة ضد المخلتق المتقومن الذي سيفشل في النهاية لقوة الوعي القومي الذي يحتاج للدلجة و اعادة الاعتبار و بتالي فالدولة الوطنية هي دولة قطرية و هي حكر على التجربة العربية في العالم لحد الآونة لان القطر يعبر عن مفهوم الجزء أي الجزء المكون لمجال اكبر و كلي ينضوي داخله . ان الدولة الوطنية هي نتاج من تفاعلات لم تتم تاريخيا و لا تنظيميا ذاتيا و انما عن علاقة ترابطية بين الذات و الاخر الكولونيالي و بالتالي فيه تتبع النسق البنائي نفسه وفق عملية القفز المرحلي أي انها تقمصت الدور النهائي لعملية التطور الحدائي للبناء الغيري ، فالبنية التقليدية للدولة الوطنية المعاصر ادخلتها في تراجيدات الفصام و تقصد انها في التوليف بين الداخل و الخارج خلقت تشوهات بنوية هامة كثنائيات العلمنة / التاسلم ، المعاصرة / الاصاله ، التقليد / الحدائث و هي تتحرك وفق المنظور المركز على علاقات السوق الغيري المبنية على علاقات العرض و الطلب و لن نتاقلم باي حال مع عملية العجز و الخلل المرحلي و الدوري للسوق و بالتالي فإنها تعيد انتاج نفسها دوريا لذلك لن تنجح الدولة الوطنية المعاصر في المضي بنحو سليم وفق مشروع التركيب الذاتى لدى التفاعل الجشطلتي (التي عيننا بها الكلية) العربي و الغيري هي علاقات مرتبطة بين المحدد أ / الجشطلتيه الغيرية - الناكسوس (الترجسي المتعاطم) و المحدد ب / الجشطلتيه العربية-

السايكو (الاحساس بالدونية) وانعكست بالحال المرضية والتي لخصناها في : الدياسبورا (الشتات) / الايكوبراكسيا (التقليد المرضي اللاطوعي) ، الشيزوفرانيا (الانفصام الهوياتي) ، البارانويا (الحالة المرضي الثورية ازاء الاخر) ، الاتراكسيا (الحالة الفاشلة في الشعور بالأمن) .

2. ان الوضعية التشريحية التفصيلية للجشططية المتبع من قبل القوى الفوق عربية (الغيرية- الدول الكبرى) كونت قسمة عقلية لا بد من الاعتراف بها بين الغرب و الشرق العربيين الاسلاميين لاعتبارات عدة منها طول الفترة الاستعمارية و درجة المقاومة و الاختلاف النظامي في الفاهمة الدولية لذلك فالعقل المغاربي يعرف اختلافية المعطى و الوضع و بوادر فصامه الثنائي المؤرق هي كامنة حول تقوقع انظمتها التي تعيد انتاج نفسها باستمرار و قد شهدت ثباتا نسبية ضد عوامل التأثير الجانبية ما لازمت الاقتصادية و الثورات العربية لكن التجربة اللبية اعاد انج معطى تاريخي هام و هو اعاد انقسام الايكوس (البيئة) الى مرحلة ما قبل المعاصرة هاتها المرحلة التي سميها مرحلة العودة الى الصفر هي غير ضامنة لإعادة البناء بل الى اعاد هدمية متواصلة زادت عبئ الدول المغاربية المتطلعة للوحدة ، ان الانظمة المغاربية هي بهاته العلاقة : الجزائر اتحاد رئاسي- عسكري / تونس عمالي تقابي - رئاسي / المغرب مخزني تقليدي - تكوينات اجتماعية الزاوية - القبيلة / موريتانيا عسكرية -رئاسية / ليبيا قبلية - مجال، هاته الاعتبارات لا تنزوي هنا لكنها تعيد انتاج ذاكرة التاريخ التشاؤمي كالصراعات الحدودية و التي تحويها الانظمة و تعمل على اضافها كطابع تعبوي بالسيطرة على الاجهزة الثقافية و التعليمية و الدينية ، و لذلك فضمانات التي تجمع هي لم تعد تجمع بل تزيد من عبئ الهوة بين التمثل و الممارسة النفاقية ، ان الاتحاد كفعل كان اتحادا زعاميا و انتهى بموت زعمائه الاوائل و عملية الشغل كامنة في الفويبا النظامية من هزات توقع بنظامها المهترئ مع صعود الوعي التحرري و الثقافي و تدني التعاملات الاقتصادية و تبعيتها لتمرکزات تنتج و تجذب العقل المغاربي نحو الاستهلاك التام و التبعية الشاملة .

3. ان بنية الدولة الوطنية المعاصرة قد هدمت المشروع الذاتي الذي تأسست على نحوه فهي احدثت قطيعة مع الموروث و انفصمت عن التراث ، بالرغم ان الحداثة لا تعني تجاوز التراث و بالإضافة الى الصعود التدخلي الزعامي الخليجي فان عملية احتواء المملكة المغربية قد تكون واردة مما قد يؤسس لعملية التحول المجالي الزوولوجي ضمن فوضى غير خلاقية تكون صدامية بين الجمهوريات و الملكيات التي تشكل وحدة هامة في الآونة الاخيرة نتيجة التعاظم المالي ، مما يستدعي جهوزية دفاعية لان القوة الاقتصادية و الوضح المريح نوعا ما يعزز لرفع القدرات الدولية على شغل حيز أكبر ليس واقعيًا لكن افتراضيا من خلال الجماعات الوصائية، لذلك فنحن امام وضعية لا بد و لنا ان تتبع نسق البناء من جديد الجامع للذات و النظام الزمني فالثورة الكوبرنيكية لازمة من لوازم هذا البناء .

ان الميكانيزم الوظيفي او التضامني لا يعد سوى تعبيرًا عن ارادة خارجية اما فوبيا او تبعية و تقصد الحال الخليجية و الحالة الاوروبية فالأولى تشكلت بدافع الفوبيا الايرانية و العراقية سابقا و قد برهنت على عدم وضوح مساراتها الجمعية بتقارب العماني - الايراني او الانشقاق القطري التوجيهي و اما اوروبا فإنها استفادة من مشروع مرشال الذي اعاد بناء علاقة التبعية للمركز الامريكوي و القضية اليونانية و ازمة اللاجئين عبرت عن مدى التضائل الوجدوي الذي يصور بانقسام مصلحي بين دول مهيمنة (فرنسا/المانيا) و دول تابعة للإملاءات داخل الاتحاد الاوروبي .

ان هاته الدراسة هي تمهيد للدراسات مقبلة منبثقة من الرحم هذا ، ان عملية التوليد ستكون قيصرية لكنها سوى بداية لمشروع تنظيمي ذاتي يحاول ان يصوغ ما تكون عليه الجشطلتيية العربية بتأكيد على ان التغيير ان كان تاريخيا اتى من الجزيرة العربية فأصلاحيا سيكون عكسيا من بلاد المغرب لعله تفاؤل يوتوبي لكننا نعمل على ان نجعله حقيقة تغير من هاته الامة العربية التي تعاني بتشابك الجهل الجمعي و التجهيل النخبوي لا نعني بهاته المفاهيم ان هناك جهلا لكنه جهل وثني

يأسس لقدسية الغير ، الدولة الفضلوية هي لا غير مصير المستقبلي للجماعة العربية نابعة من أنطولوجية المكونات التي انقلبت لتكون مفسرا لعالم لا نعلم مصيرنا فيه (لا نعلم هل نحن اهل للجنة لكن نعلم ان الله رحيم)، ان ما نحاول ان نعبر من خلاله الى ذلك العالم هو اننا نعمل من اجله و له يجب ان نكون على درجة من الفضيلة لنكون فيه ، نحن لا نؤلف لاهوتيا و انما نرى اننا مكان لكي نبني الدولة التي هي الحلم الان لاشك في ذلك لكن ستحقق قريبا بمجهودات العلمية ، ان الاشكالية المصاغة لتدرس مستقبلا الى أي مدى يمكننا ايجاد الميكانيزمات الازمة لتحقيق بناء دولتي فضلوي ذاتي مع التعاظم الخارجي المحتوي للبنية و داخل مهترئ انسياقي ؟

قائمة المراجع

القران الكريم

السنة النبوية

الكتاب المقدس (العهدان القديم والجديد)

الكتب باللغة العربية:

1. 1. هاجين افريت ، حول نظرية التغير الاجتماعي ، تر: عبد الغني سعيد ، الاسكندرية : المكتبة الانجلومصرية، 1962
2. اباطة نزار ، الامير عبد القادر الجزائري : العالم المجاهد ، ط1، (دمشق : المطبعة العلمية) ،
3. ابن الاحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ط1، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية ، 2001
4. ابن تيمية ، الخلافة و الملك ، ط2 ، الزرقاء : دار المنار
5. ابن خلدون ، المقدمة ، ج1، الاسكندرية: دار الفكر العربي للطباعة و النشر و التوزيع
6. ابوزهرة محمد ، تاريخ المذاهب الاسلامية ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1980.
7. ادريس الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية : تاريخ افريقية في عهدين الزيري من القرن 10 الى 12 م ، تر: حمادي ساحلي، ج1 ، ط1 ، بيروت: دار الغرب الاسلامي ، 1992،
8. اسماعيل محمود ، علم السياسة ، ج1 ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1996 ، ص-ص 104-113
9. اشقر احمد ، قصة لوط: التناخي و ديناميكية العداة للاخرين ، دمشق : دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع ، 2011 .
10. آق كوندز احمد - اوزتورك سعيد ، الدولة الثمانية المجهولة ، اسطنبول: وقف البحوث العثمانية ، 2008

11. أكوفيفا سابينو / انزو باتشي ، علم الاجتماع الديني : الاشكالات و السياقات ، تر: عز الدين عناية ، ط1 ، ابوظبي: هيئة ابوظبي للثقافة و التراث
12. امام عبد الفتاح الامام ، الطاغية ، سلسلة كتب المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، 1994 ،
13. الامير عبد القادر بن محي الدين الجزائري ، المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، ط1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، 2004
14. انجلز فريدريك ، اصل العائلة ، تر: احمد عز العرب ، القاهرة : دار الطباعة الحديثة ،
15. أودنيس ، موسيقى الحوت الازرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، ط1 ، بيروت : دار الاداب ، 2002
16. اوسيبوف ، اصول علم الاجتماع ، تر: سليم توما ، موسكو: دار التقدّم ، 1990
17. ايشبودان العربي ، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة ، تر : جناح مسعود ، الجزائر : دار القصة للنشر ، 2007
18. اينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ، تر: د. محمد م. الأرنؤوط ، ط1 ، بنغازي : دار المدار الاسلامي ، 2002
19. بتنام هيلاري ، العقل و الصدق و التاريخ ، تر: حيدر الحاج اسماعيل ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2012
20. برجاس حافظ ، الصراع الدولي على النفط العربي ، ط1 ، بيروت: بيسان للنشر و التوزيع و الاعلام ، 2000
21. بركات حلیم ، الاغتراب في الثقافة العربية ، ط1 ، بريت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006
22. بركاش عبد الحكيم ، ابو شعيب الدكالي ، ط1 ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، 1989
23. برونوفسكي جاكوب ، التطور الحضاري الانساني : ارتقاء الانسان ، تر : احمد مستجير ، القاهرة : الدار المصرية للكتاب ، 1987

24. البسيوني حسن السيد ، الدولة ونظام الحكم في الاسلام ، ط1 ، القاهرة : عالم الكتب ، 1985
25. بك أولريش ، ما هي العولمة ؟ ، تر: ابو العيد دودو ، ط2 ، بيروت : منشورات دار الجمل ، 1999
26. بلاسي نبيل احمد ، الاتجاه العربي و الاسلامي و دوره في تحرير الجزائر ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، 1990 ،
27. بن تومرت محمد ، اعز ما يطلب ، الرباط : مؤسسة الغني للنشر
28. بن خدة بن يوسف ، جذور اول نوفمبر 1954 ، تر: مسعود حاج مسعود ، ط2 ،
29. بن عبد الله الغبان محمد ، فتنة مقتل عثمان بن عفان ، ج1 ، ط1 ، الرياض: مكتبة العبيكات ، 1999
30. بن كثير ، البداية و النهاية ، ط2 ، بيروت : مطبعة ابيكس ، 2010
31. بوديار جان ، المصطنع و الاصطناع ، تر: جوزيف عبد الله ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008
32. بورج و.ج.دي ، تراث العالم القديم ، تر: زكي سوس ، القاهرة: مكتبة الاسرة
33. بوردو جورج ، الدولة، تر: سليم حداد ، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية
34. بوسينو جيوفاني ، نقد المعرفة في علم الاجتماع ، تر: محمد عرب صاصيلا ، ط2 ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع) ، 2008
35. بوعزيز يحيى ، الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، (تونس : الدار العربية للكتاب) ، 1983
36. بوعقالة ودان ، الثورة الفرنسية الكبرى عند علماء معسكر ابن سحنون نموذجا ، في عبيد بوداود ، معسكر: المجتمع و التاريخ ، سيدي بلعباس : مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2004
37. بولاتزاس نيكولاس ، نظرية الدولة ، تر: ميشل كيلو ، ط2 ، بيروت: دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2010 ،
38. بولانيي كارل ، التحول الكبير ، تر: محمد فاضل الطباخ ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2009

39. بياجيه جان ، الأستيمولوجيا التكوينية ، تر: السيد نقادي ، (دمشق : دار التكوين) ، 2004
40. بيرجي فرانسوا ، موحى وحمو الزباني 1877-1921 ، تر: محمد بوسنة ، ط1 ، (فاس: مطبعة انفو برانت) ، 1999
41. بيرك بيتر ، علم الاجتماع و التاريخ ، تر: صالح رحمة ، ط1، دمشق: دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، 2007
42. بيري مايكل ج. ، الدين في السياسة: جوانب دستورية و اخلاقية، تر : عربي ميقياري ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2014،
43. بيومي مهران محمد ، المغرب القديم ، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، 1990
44. تابلت علي ، فرحات عباس : رجل دولة ، ط2 ، الايبار : منشورات ثالة ، 2009
45. تريميلين أ.ف. ، فلاسفة الشرق ، تر : عبد الحميد سليم ، ط2 ، القاهرة : دار المعارف ، 1994 ، ص 32
46. تشارلز دانيلز، الجرمنتيون: سكان جنوب ليبيا القدماء ، تر: احمد اليازوري ، ط1، طرابلس: دار الفرجاني ، 1991
47. تودوروف تزفتيان ، نظريات في الرمز ، تر: محمد الزكراوي ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2012
48. توزيل اندريه و اخرون ، ماركس و نقده للسياسة ، تر جوزيف عبد الله ، ط1 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر ، 1981
49. توفيق احمد ، علم الدولة ، ج1 ، ط1 ، مصر : مطبعة النهضة ، 1934
50. تيرنر كولين ، الاسلام الاسس ، تر: نجوان نور الدين ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2009

51. تيلور بيتر - فلست كولن ، الجغرافيا المعاصرة لعالمنا المعاصر : الاقتصاد العالمي ، الدولة القومية ،
الحليات ، تر : عبد السلام رضوان - اسحاق عبيد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت : مطابع السياسة ،
2002
52. الثعالبي عبد العزيز ، تونس الشهيدة ، تر : سامي الجندي ، ط1 ، بيروت : دار القدس ، 1975
53. جاكار البير ، ابتداء الانسان ، تر : ياس حسن ، ط1 ، بيروت : دار الكونز الادبية ، 1997
54. جماعة من الاساتذة السوفيات ، موجز تاريخ الفلسفة ، تر توفيق سلوم ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ،
1989
55. الجمعية المصرية ، الموسوعة العربية الميسرة ، ط3 ، مج 3 ، بيروت : المكتبة العصرية ، ص 1690
56. جواد الشري محمد ، الخلافة في الدستور الاسلامي ، ط1 ، بيروت : دار المرتضى ، 2000
57. جود ا.م. ، النظريات السياسية الحديثة ، تر: عبد الرحمان صدقي ابو طالب ، ط2 ، القاهرة : شركة
الامل للطباعة و النشر ، 2012
58. جوزايا رويس ، مصادر البصيرة الانسانية ، تر: احمد الانصاري ، ط1 ، القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة ،
59. الجويني ابي المعالي ، غياث الامم في تيات الظلم ، الاسكندرية : دار الدعوة ، 1990
60. جيوم بول ، علم النفس الجشطلت ، تر: صلاح مخيمر - عبده ميخائيل رزق ، القاهرة : مؤسسة سجل
العرب ، 1963
61. حارث محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم ، الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة
62. حرب اسامة الغزالي ، الاحزاب السياسية في دول العالم الثالث ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت :
المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 187 ،
63. حزب الاستقلال ، المغرب الاقصى "مراكش" ا قبل الحماية عهد الحماية افلاس الحماية ، (مصر : دار
الطباعة المعرفة) ، 1951

64. حسيب خير الدين وآخرون، مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات : التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي ، ط2 ، بيروت : مركز الدراسات الوحدة العربية ، 2002
65. حلمي مصطفى ، نظام الخلافة في الفكر الاسلامي ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004
66. حمامي علي ، ادريس : رواية شمال افريقيا ، تر: محمد الناصر النفاوي ، 2001
67. حنفي حسن ، الهوية ، ط1 ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2012
68. حوراني محمد عبد الكريم ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، ط1 ، عمان : دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، 2008
69. الخديمي علال ، التدخل الاجنبي و المقاومة بالمغرب 1894-1910 ، ط2 ، الدار البيضاء: افريقيا الشرق ، 1994
70. الخرازي بديعة ، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الاقصى ، ط1، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة ، 2007 احمد توفيق مدني ، قرطاجنة في اربعة عصور : من عصر الحجارة الى الفتح الاسلامي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986
71. خرشيش محمد ، المقاومة الريفية ، سلسلة الشراع 22 ، طنجة : دار النشر المغربية ادима ، 1995
72. الخرفي صالح ، عيد العزيز الثعالبي ، ط1 ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1995
73. خضيرى حسين احمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ط1، القاهرة : مكتبة مدبولي
74. خليل احمد خليل ، المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع ، ط1 ، بيروت : دار الحدائث ، 1984
75. دانكان جان ماري ، علم السياسة ، تر: محمد عرب صاصيلا ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1997
76. دايفز مارتن واخرون ، علم اجتماع الخدمة الاجتماعية ، تر: شحاتة صيام ، ط2 ، القاهرة: مصر العربية للنشر و التوزيع ، 2004
77. دغيم سميح ، اديان و معتقدات العرب ما قبل الاسلام ، ط1 ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، 1995.

78. دوران جيلبير ، الخيال الرمزي، تر: علي المصري ، ط2 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1994

79. دي سوسور فردينان ، علم اللغة العام ، تر: يوثيل يوسف عزيز ، ط1 ، سلسلة دار الافاق العربية ، (بغداد : افاق عربية للنشرة الصحافة) ، 1985

80. ديفز بول ، التدبير الالهي : الاسس العلمية لعالم منطقي ، ط1 ، دمشق : دار الحصاد للنشر و التوزيع ، 2009
خالد احمد الزعيري ، الخلية الجذعية ، سلسلة كتب المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، 2008

81. ديمتريف يوري ، الانسان الحيوان عبر التاريخ : من الاسطورة و التقديس الى العالم المعاش ، تر :محمد سليمان عبود ، ط1 ، دمشق : دار النмир للطباعة و النشر و التوزيع ، 1993

82. ديوارنت ول واريل ، دروس التاريخ ، تر: علي شلش ، ط1 ، الكويت : دار سعاد الصباح ، 1993

83. ديوارنت ول واريل ، قصة الحضارة الشرق الادنى ، ج1 ، مج 2 ، بيروت : دار الجيل ، 1988

84. ديوز محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، ج1 ، ليبيا: مؤسسة توات الثقافية

85. راسل برتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ج2 ، تر: زكي نجيب محمود ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 1970

86. راغب نبيل ، الغيبوبة العربية، القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، 2007

87. روسو جان جاك ، العقد الاجتماعي او مبادئ القانون السياسي ، تر: عبد العزيز لبيب ، ط1 ، بيروت المنظمة العربية للترجمة ، 2011

88. رويس جوزايا روز ، فلسفة الولاء ، تر : احمد الانصاري ، ط1 ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2002

89. رويه ريمون ، الممارسة الأيدولوجية ، تر: عادل العوا ، ط2 ، بيروت : منشورات عويدات ، 1989

90. ريكور بول ، محاضرات في الايديولوجيا و اليوتوبيا ، تر: فلاح رحيم ، ط1 ، بنغازي : دار الكتب الوطنية، 2000
91. الزحيلي وهبة ، العلاقات الدولية في الاسلام ، ط1 ، دمشق: دار المكبي ، 2000 ، صص 11-12
92. الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، ط2، تونس : المكتبة العتيقة
93. زكي بك محمد امين ، خلاصة تاريخ الكرد و كردستان ، تر : محمد على العوني ، ط2 ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 2005
94. زوزو عيد الحميد ، الدور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحربين 1914-1939 ، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية
95. زيادة نقولا ، افريقيات دراسات في المغرب العربي و السودان الغربي ، ط1 ، لندن : رياض الريس للكتب و النشر، 1991
96. الزيني نهى ، ايام الامازيغ اضواء على تاريخ السياسي الاسلامي ، ط1 ، القاهرة : دار الشروق ، 2011
97. السائح الحسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب، ط2 ، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر و التوزيع) ، 1986،
98. سبورك يان ، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ : في سبيل البحث عن معنى و فهم العالم الاجتماعي، تر: حسن منصور الحاج، ط1، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع) ، 2009
99. سبينوزا ، رسالة في الاهوت و السياسة ، تر : حسن حنفي ، ط1 ، بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2005
100. ستيفن دي تانسي ، علم السياسة الاسس ، تر: رشا جمال ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2012 دنيس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2007 ، صص 105-107

- 101 . سحر السيد عبد العزيز سالم ، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الاسلامي ،
الاسكندرية : شباب الجامعة ، 1993
- 102 . سعد الله ابو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي: 1500-1830 ، ج2، ط1، بيروت : دار الغرب الاسلامي
1998،
- 103 . سلهب حسن ، علم الكلام و التاريخ: اشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الاسلامية ، ط1، بيروت:
مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي
- 104 . سميث هوستن ، اديان العالم ، تر: سعد رستم ، ط3 ، حلب : دار الجسور الثقافية ، 2007
- 105 . السهيل طقوس محمد ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر و الشام ، ط2 ، بيروت : دار
النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007
- 106 . السيد احمد ، نظام الحكومة النبوية : التراتيب الادارية ، ج2 ، ط2 ، بيروت : دار الارقم بن ابي
الارقم
- 107 . سيغموند فرويد ، الطوطم و التابو: بعض المطابقات في نفسية المتوحشين و العصابين ، تر: بو علي
ياسين، ط1 ، الاذقية : دار الحوار للنشر و التوزيع ، 1983
- 108 . سيغموند فرويد ، موسى و التوحيد ، تر: جورج طرابيشي، بيروت : دار الطليعة للطباعة و النشر،
ط1، 1987،
- 109 . سيلفان اورو -جاءك ديشان -جمال كولوغلي ، فلسفة اللغة ، تر: بسام بركة ، بيروت : المنظمة
العربية للترجمة
- 110 . شاتليه فراس شاتليه ، دين الانسان ، ط4 ، دمشق دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، 2002
،
- 111 . شاتليه فرانسوا ، تاريخ الأيديولوجيات ، تر : انطون حمصي، ج2، دمشق : منشورات وزارة الثقافة،
1997

- 112 . شارلوت سيمور ، موسوعة علم الانسان : المفاهيم و المصطلحات الانثربولوجية ، تر: محمد الجوهري ، ط2 ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2009
- 113 . شاكر محمود ، التاريخ الاسلامي : العهد العثماني ، ج 8 ، ط2 ، بيروت: المكتب الاسلامي ، 1991،
- 114 . شالين جان ، الانسان نشوؤه و ارتقائه ، تر: الصادق قسومة ، ط1 ، دمشق: بترا للنشر و التوزيع ، 2005
- 115 . شامو فرانسوا ، في تاريخ ليبيا القديم : الاغريق في برقة ، تر: محمد عبد الكريم الوافي ، ط1، بنغازي: منشورات قاريونس ، 1990
- 116 . شايغان داريوش ، ما الثورة الدينية؟: الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة ، تر: محمد الرحموني ، ط1 ، بيروت: دار الساقبي ، 2004 ، ص-ص 218-220
- 117 . شتراوس كلود ليفي ، الأثروبولوجيا البنوية ، تر: مصطفى صالح ، دمشق : منشوريات وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، 1977
- 118 . الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس عبر العصور ، تر : محمد الشاوش / محمد عجينة ، ط3 ، تونس : دار سراس للنشر ، 1993
- 119 . الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس عبر العصور ، ط3 ، تونس : دار سوس للنشر ، 1993 ، ص 27
- 120 . شفيق منير ، الدولة و الثورة ، ط1 ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 2001
- 121 . شلحت يوسف ، نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني ، ط1، بيروت : دار الفارابي ، 2003
- 122 . شمس الدين محمد مهد ، نظام الحكم و الادارة في الاسلام ، ط2 ، بيروت : مؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1991
- 123 . الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد ، الملل و النحل ، ط3 ، بيروت : دار المعرفة ، 1993

- 124 . شوفاليه جان جاك ، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة الى الدولة القومية ، ط5، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 2006
- 125 . الشيخ محمد ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2008
- 126 . صلابي علي محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ط1 ، بورسعيد: دار التوزيع و النشر الإسلامية، 2001
- 127 . الضوى محمد توفيق ، مفهوم المكان و الزمن في فلسفة الضاهر و الحقيقة ، الاسكندرية : منشأة المعارف .
- 128 . الضيفة حسن ، الدولة العثمانية : الثقافة المجتمع و السلطة ، ط1، بيروت : دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، 1997
- 129 . الطيب مصطفى ، علم الاجتماع السياسي، ط1 ، بنغازي: دار الكتب الوطنية ، 2007
- 130 . طرابيشي جورج ، النظرية القومية و الدولة القطرية ، (بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر) ، 1982
- 131 . طلب حسن ، اصل الفلسفة ، ط1 ، القاهرة : عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 2003
- 132 . طوني بينيت /لورانس غروسيرغ ، ميغان موريس ، معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع ، تر: سعيد الغانمي ، ط1 ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، 2012
- 133 . طيب تيزني ، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي : في بواكيره وافاقه الاولى ، ج2 ، ط1 ، دمشق : دار دمشق، 1983،
- 134 . عابد الجابري محمد ، الدين و الدولة و تطبيق الشريعة ، سلسلة الثقافة القومية (69) ، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1996

- 135 . عابد الجابري محمد ، العقل السياسي العربي :محدداته و تجلياته ، سلسلة مشروع نقد العقل العربي ، ط4 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000، ص 57
- 136 . عابد الجابري محمد ، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة ، ط1، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998
- 137 . عابد الجابري محمد ، المثقفون في الحضارة العربية ، ط2 ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000
- 138 . عابد الجابري محمد ، فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول ، ج3 ، ط1 ، الدار البيضاء : دار النشر المغربية .
- 139 . العاتي ابراهيم ، الزمان في الفكر الاسلامي ، ط1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1993
- 140 . عارف نصر محمد ، نظريات التنمية السياسية المعاصرة : دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الاسلامي ، القاهرة : دار القارئ العربي
- 141 . عباد الجابري محمد ، بنية العقل العربي ، سلسلة مشروع نقد العقل العربي ، ط4 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000
- 142 . عباد الجابري محمد ، تكوين العقل العربي ، سلسلة مشروع نقد العقل العربي ، ط4 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000
- 143 . عباس احسان ، محمد يوسف نجم ، ليبيا في كتاب التاريخ و السير ، بنغازي الدار اللبية ، 1968
- 144 . عباس محمود العقاد ، الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونانيين و العبرين ، القاهرة : دار القلم.
- 145 . عبد الجليل التميمي ، الدولة العثمانية و قضية المورسكيين الاندلسيين ، ط1 ، باريس: مطبعة باريس ، 1989 ،

- 146 . عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، الامنصورة : دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، 2002
- 147 . عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، الامنصورة : دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، 2002
- 148 . عبد الحميد اسماعيل الانصاري ، نظام الحكم في الاسلام ، قطر : دار قطر بن النجاري ، 1985
- 149 . عبد الحميد العوني ، الامازيغ و الامازيغية في 26 لغة قديمة ، فاس: الاورومتوسطية المغربية
- 150 . عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج2، بيروت: دار الفكر للنشر و التوزيع ، 2000
- 151 . عبد الرحمان بدوي ، فلسفة القانون و السياسة في فلسفة هيغل ، ط1 ، بيروت : دار الشروق ، 1996 رحيم او رغيف ، المعجم الفلسفي الشامل ، ج1 ، ط1 ، بيروت : دار الحجة البيضاء ، 2013
- 152 . عبد الرحمن خليفة / فضل الله محمد اسماعيل ، المدخل في الأيديولوجيا و الحضارة ، الاسكندرية : مكتبة البستان المعرفية
- 153 . عبد الستار عز الدين الراوي ، الايديولوجية و الاساطير ، ط1 ، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، 1988
- 154 . عبد العليم مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، بنغازي : المطبعة الاهلية ، 1996 ،
- 155 . عبد الغني بسيوني عبد الله ، النظم السياسية و القانون الدستوري ، الاسكندرية : دار المعارف
- 156 . عبد القادر ، مفاخر البربر ، ط1، الرباط : دار ابي رقراق للطباعة و النشر ، 2005
- 157 . عبد الكريم احمد ، اضواء على تجربة الوحدة ، ط2، (دمشق : الاهالي للطباعة و النشر و التوزيع) ، 1991 ،
- 158 . عبد الكريم الفيلاي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ط1 ، ج2 ، القاهرة: شركة ناس للطباعة ، 2006

- 159 . عبد الكريم الفيلاي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ط1 ، ج2 ، القاهرة: شركة ناس للطباعة ، 2006
- 160 . عبد اللطيف الصديقي ، الزمن وابعاده ، ط1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1995،
- 161 . عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي
- 162 . عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون و الاستعمار الاوروبي لافريقيا، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1989.
- 163 . عبد الله قنون ، ذكريات مشاهير المغرب ، تطوان : مطبعة كريمة ديس
- 164 . عبد المالك خلف التميمي ، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1983.
- 165 . عبد المنعم الجميعي ، الدولة العثمانية و المغرب العربي ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 2007
- 166 . عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم ، ج9، المحمدية : مطابع فاضلة ، 1988
- 167 . عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، المغرب: دار الفرجاني للنشر و التوزيع ، 1994
- 168 . عبد الوهاب المسيري ، التحديث و الحداثة ، في: السيد ياسين و اخرون، الحداثة و ما بعد الحداثة ، الندوة التي نظمتها جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس: جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، 1998
- 169 . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، ج1 ، ط3 ، القاهرة : دار الشروق ، 2006
- 170 . عتسمون جلعاد ، من التائه : دراسة في السياسة الهوية اليهودية ، تر: حزامة حبايب ، ط1، الاردن : دار فارس للنشر و التوزيع ، 2012

- 171 . عدلي العبد عاطف / نهي عاطف العبد ، الاعلام التنموي و التغير الاجتماعي : الاسس النظرية و النماذج التطبيقية ، ط5 ، عمان دار الايمان للطباعة
- 172 . العروي عبد الله ، مفهوم الايدلوجيا ، ط5 ، المغرب : المركز الثقافي العربي ، 1993
- 173 . العزاوي قيس جواد ، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، ط2 ، بيروت : الدار العربية للعلوم ، 2003 ص-ص 139 - 148
- 174 . عزمي بشارة ، الدين و العلمانية: في سياق تاريخي ، ج1 ، ط1 ، الدوحة : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، 2013 ،
- 175 . عطية احمد عبد الحليم ، جاك دريدا و التفكيك ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 2010
- 176 . عقون محمد العربي ، الاقتصاد و المجتمع في شمال افريقيا القديم ، بن عكون : ديوان المطبوعات الجامعية ، 2008 ،
- 177 . عقون محمد العربي ، الامازيغ عبر التاريخ - نظرة موجزة في الاصول و الهوية ، ط1 ، الرباط: التنوخي للطباعة و النشر و التوزيع
- 178 . العلوي هادي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، ط1 ، بيروت : دار الكونز الادبية ، 1998
- 179 . على محمد محمود محمد ، الاصول الشرقية للعلم اليوناني ، ط1 ، اسبوط : عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، 1998
- 180 . عمارة محمد ، الاسلام و اصول الحكم لعلي عبد الرزاق ، ط1 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 2000
- 181 . العمري اكرم ضياء ، عصر الخلافة الراشدة ، الكويت : مكتبة العويكات ،
- 182 . عمورة عمار ، موجز تاريخ الجزائر ، ط1 ، (القبة : دار الريحانة للنشر و التوزيع) ، 2002
- 183 . عودة جهادة ، النظام الدولي نظريات و اشكاليات ، ط1 ، (المانيا: دار الهدي للنشر و التوزيع) ،

2005

- 184 . عويس عبد الحليم ، اثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الاسلامي الاصلاحى في الجزائر ، ط1 ، القاهرة : دار الصحوة ، 1985
- 185 . غانم محمد الصغير ، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري ، عين مليلة :دار الهدي للطباعة و النشر و التوزيع ،
- 186 . غوتيه ا.ف . ، ماضي شمال افريقية ، تر: هشام الحسيني ، ليبيا :: مؤسسة توالث الثقافية ، 2010
- 187 . غوشيه مارسيل ، الدين في الديمقراطية ، تر: شفيق محسن ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2007 ،
- 188 . غيرتز كليفورد ، تأويل الثقافات ، تر : محمد بدوي ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2009
- 189 . ف.دياكوف / س.كوفليف ، الحضارات القديمة ، ج1 ، تر: نسيم واكيم اليازجي ، ط1 ، دمشق : دار علائ الدين ، 2000
- 190 . الفاسي علال ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، ط1، (القاهرة : مطبعة الرسالة) ، 1948
- 191 . الفاسي علي ابن زرع ، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية ، العاصمة: مطبعة جول كروبتل ، 1920 ،
- 192 . فرانكل جوزيف ، العلاقات الدولية ، تر: غازي عبد الرحمان القصيبي ، ط2 ، (جدة: تهامة)، 1984
- 193 . فرج انور محمد ، نظرية العلاقات الدولية ، السليمانية: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ، 2007
- 194 . فرحاتي فتيحة ، نوميديا ، متيجة: منشورات ابيك
- 195 . فريد محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة : مؤسسة الهداوي للتعليم و الثقافة ، 2014
- 196 . فهد تريف ، الكهانة العربية قبل الاسلام ، تر : حين عوده / رندو بعث ، بيروت : شركة قدمس ، 2007.
- 197 . فوزي رشيد ، سرجون الاكادي ، ط1 ، بغداد: وزارة الثقافة و الاعلام ، 1990

- 198 . فوكو ميشال ، تاريخ الجنسانية : استعمال المتع ، تر : محمد هشام ، المغرب : افريقيا الشرق ، 2004
- 199 . فيروم اريك ، ماوراء الاوهام ، تر: صلاح حاتم ، ط1 ، اللاذقية : دار الحوار للنشر و التوزيع ، 1994
- 200 . فيورباخ ، اصل الدين ، تر: احمد عبد الحليم عطية ، ط1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1991

- 201 . قاتيمو جيانبي ، نهاية الحداثة : الفلسفات العدمية و التفسيرية في مرحلة ما بعد الحداثة ، تر: فاطمة الجيوشي ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 1987

- 202 . قاشا الاب سهيل ، شريعة حمورابي ، تر: محمود الامين ، ط1 ، لندن : دار الوراق للنشر المحدودة ، 2007 سببينو موسكاتي ، الحضارات السامية ، تر : السيد يعقوب بكر ، بيروت: دار الرقي ، 1957

- 203 . قاشا سهيل ، شريعة حمورابي ، تر: محمود الامين ، ط1 ، لندن : دار الوراق للنشر المحدودة ، 2007
- 204 . القرشي باقر الشريف ، النظام السياسي في الاسلام ، ط4 ، بيروت : دار المعارف للمطبوعات ، 1987

- 205 . القطان مناع ، تاريخ التشريع الاسلامي : التشريع و الفقه ، ط2 ، الرياض: مكتبة المعارف للنشر و التوزيع

- 206 . قناش محمد ، الحركة الاستقلالية في الجزائر ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
- 207 . ك. نولوف و اخرون ، القرن العشرين: المداخل التاريخية و الفلسفية و النفسية ، تر: اسماعيل عبد الغني و اخرون ، ط1 ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2005

- 208 . كارلتون اس.كون - ادوارد أ. هنت ، السلالات البشرية الحالية ، تر: محمد السيد غلاب ، القاهرة : المكتبة الانجلو مصرية ، 1975

- 209 . كاسيرر ارنست ، اللغة و الاسطورة ، تر: سعيد الغانمي ، ط1 ، ابوظبي : هيئة ابوظبي للثقافة و التراث ، 2010 ، ص 51

- 210 . كاسيرارنست ، في المعرفة التاريخية ، تر: احمد حمدي محمود ، ط2 ، القاهرة ، الدار المصرية للكتاب ، 1997
- 211 . كافلي لويجي اوقا ، الجينات و الشعوب و اللغة ، تر: احمد مستجير ، القاهرة : مكتبة الاسرة ، 2004
- 212 . كامنكا اوجين ، الاسس الاخلاقية للماركسية ، تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، 2011
- 213 . الكتاني محمد عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية : التراتيب الادارية ، ج2 ، ط2 ، بيروت : دار الارقم بن ابي الارقم
- 214 . كروزيه موريس واخرون ، تاريخ الحضارات العام ، ج1 ، ط2 ، بيروت : منشورات عويس ، 1987
- 215 . كريدية ابراهيم ، ثورة بوحمارة 1902-1908 ، (الدار البيضاء : شركة الطباعة و النشر) ، 1986
- 216 . كولينز اندرو واخرون ، توت عنخ امون و مؤامرة الخروج ، تر : رفعت السيد على ، ط1 ، القاهرة : شركة الامل للطباعة و النشر ، 2005
- 217 . كيرتزل بول ، الفاكهة المحرمة : اخلاقيات الانسانية ، ط1 ، بغداد : منشورات الجمل ، 2012 ايان نايرسول ، العالم من البدايات حتى 4000 قبل الميلاد ، تر: حازم نهار ، ط1 ، ابوظبي : هيئة ابوظبي للثقافة و التراث ، 2011
- 218 . لاسكي هارولد ج . ، الدولة نظريا و عمليا ، تر: خالد سرور ن ط2 ، مصر : شركة الامل للطباعة و النشر ، 2012
- 219 . لالاند اندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ط2 ، بيروت : منشورات عويدات ، 2001 ، ص-ص 1167-1170
- 220 . لاينز جون ، اللغة و المعنى و السياق ، تر: عباس صادق الوهاب ، ط1 ، بغداد : دار الشؤون الثقافية ، 1987

- 221 . لبصير سعاد ، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1830/1516 ، في كمال فيلاي ، سوسيولوجية الهجرة في تاريخ الماضي والحاضر ، اعمال الملتقى الاول ماي 2008 ، قسنطينة: الكسندر ، 2009 ،
- 222 . لسمان الصيد ، تاريخ الشيخ علي بن عمر : شيخ زاوية طولقة الرحمانية ، بوزريعة : دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع
- 223 . لتون رالف ، الاصول الحضارية للشخصية ، تر: عبد الرحمان اللبان ، بيروت : دار اليقظة العربية ، 1964
- 224 . لوسركل جان جاك ، عنف اللغة ، تر: محمد بدوي ، ط1، بيروت : الدار العربية للعلوم ، 2005
- 225 . لوك جون ، الحكومة المدنية ، تر: محمد شوقي الكيال ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر
- 226 . مارسيه جورج ، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، تر: محمود عبد الصمد هيكل ، الاسكندرية : مطبعة الاشهار للطباعة الاوفست ، 1999 ،
- 227 . ماركس كارل ، مخطوطات كارل ماركس لعام 1844 ، تر: محمد مستجير مصطفى ، القاهرة: دار الثقافة الجديدة ، 1974
- 228 . مالوري ناي ، الدين الاسس ، تر : هند عبد الستار ، ط1 ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2009 ،
- 229 . مانهايم كارل ، الأيديولوجيا والبيوتوبيا : مقدمة في سييسولوجيا المعرفة ، تر: محمد رجا الديريني ، ط1 ، الكويت : شركة المكتبات الكويتية ، 1980
- 230 . المبارك محمد ، نظام الاسلام العقائدي في العصر الحديث ، ط1 ، الرياض : الدار العالمية للكتب الاسلامي ، 1995 ،
- 231 . محمد المنوني ، مظاهر يقظة المغرب الحديث ، ج1 ، ط1 ، البراط : مطبعة الامنية ، 1973

- 232 . محمد داود ، الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية ، ط1 ، الرباط : منشورات اتحاد كتاب المغرب ، 1990
- 233 . المحمداوي علي عبود ، الأشكالية السياسية للحدث من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل هابرماس نموذجاً ، ط1 ، الرباط : دار الامان ، 2010
- 234 . محمود سيد محمد السيد ، تاريخ الدولة العثمانية : النشأة والازدهار ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الاداب ، 2007
- 235 . المدرس علي سري محمود ، العهد القديم دراسة نقدية ، ط1 ، عمان : الأكاديميون للنشر والتوزيع ، 2007
- 236 . مدني احمد توفيق ، قرطاجنة في اربعة عصور : من عصر الحجارة الى الفتح الاسلامي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986
- 237 . مذكور إبراهيم ، المعجم الفلسفي ، القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، 1983
- 238 . المرزوقي جمال ، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ، ط1 ، القاهرة : الافاق العربية ، 2001
- 239 . المرينسي عبد الحميد ، الحركة الوطنية المغربية ، الرباط : مطبعة الرسالة ، 1978
- 240 . مصطفى فؤاد ، محمد الخامس وكفاح المغرب العربي ، سلسلة كتب قومية ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر
- 241 . مفتي محمد احمد ، اركان و ضمانات الحكم الاسلامي ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع ، 1996
- 242 . مناصريه يوسف ، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988
- 243 . مهساس أحمد ، الحركة الثورية في الجزائر ، الجزائر : دار القصة للنشر ، 2003

- 244 . مهيبيل عمر ، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ط3، بن عكنون : ديوان المطبوعات الجامعية ،
- 2010 ف.ج. رايت ، مبادئ علم الاجتماع ، تر: محمد شيا ، ط1 ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1996
- 245 . المودودي ابو الاعلى ، النظرية السياسية الاسلامية ، القاهرة: دار الفكر ، 1968
- 246 . مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة السعودية التكمدراتية ، ط1 ، مراكش : درا تينمل للطباعة و النشر،
1994
- 247 . مؤنس حسين ، اطلس تاريخ الاسلام ، ط1، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، 1987
- 248 . الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج1 ، بيروت : دار الغرب الاسلامي
- 249 . الميناوي محمد سلمي ، تونس بين الاتجاهات ، مصر : دار الكتاب العربي
- 250 . نبيل محمد توفيق السمالوطي ، الأيديولوجيا و قضايا علم الاجتماع النظرية
- 251 . النشار مصطفي ، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، ط1، القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر و
التوزيع ، 1998
- 252 . نصير امنة محمد ، محمد بن عيد الوهاب و منهجه في مباحث العقيدة ، ط1 ، بيروت : دار الشروق
، 1983 ،
- 253 . نعمة حسن ، موسوعة ميثولوجيا و اساطير الشعوب القديمة و معجم اهم المعبودات القديمة ، بيروت
: دار الفكر اللبناني ، 1994
- 254 . نور الدين السيد عباس ، ولاية الفقيه في العصر الحديث ، ط1 ، بيروت : بيت الكاتب للنشر و التوزيع
و الطباعة و التوزيع ، 2009
- 255 . نيئه، تقيض المسيح ، تر: علي مصباح ، بيروت : منشورات دار الجمل ، 2011.
- 256 . ه. فرانكفورت واخرون ، ما قبل الفلسفة ، تر: جبرا ابراهيم جبرا ، بيروت : المؤسسة العربية
للدراسات للنشر، 2003

- 257 . هابر ستيفان ، هيرماس و سيسيولوجيا ، تر: محمد جديدي ، ط1 ، العاصمة : منشورات
الاختلاف ، 2012
- 258 . هابرماس يورغن ، القول الفلسفي للحدائثة ، تر: فاطمة الجيوشي ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة
، 1995 ،
- 259 . هابرماس يورغن ، بعد ماركس ، تر: محمد ميلاد، ط1 ، اللاذقية : دار الحوار للنشر و التوزيع ، 2002
- 260 . هارمن كريس ، انجلز و اصل المجتمع البشري ، تر: هند خليل كلفت ، ط1 ، القاهرة المركز القومي
للترجمة
- 261 . هتشيون ليندا ، سياسية ما بعد الحدائثة ، تر: حيدر حاج اسماعيل ، ط1 ، بيروت : المنظمة
العربية للترجمة ، 2009 ،
- 262 . هوبز توماس ، الليفيانن ، ط1 ، بيروت : دار الفارابي ، 2014
- 263 . هوكس ديفيد ، الأيديولوجية ، تر: ابراهيم فتحي ، القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2000
- 264 . هيغل ، اصول فلسفة الحق ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، ط3 ، بيروت : دار
التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007
- 265 . هيغل ، العالم الشرقي ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، ط3 ، بيروت : دار التنوير
للتباعة و النشر و التوزيع ، 2007
- 266 . هيغل ، الموسوعة الفلسفية ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، ط3 ، بيروت : دار
التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007
- 267 . هيغل ، فلسفة الروح ، تر : امام عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، ط3 ، بيروت : دار التنوير
للتباعة و النشر و التوزيع ، 2007

- 268 . هيرودوت ، احاديث هيرودوت (489/487-425 ق.م) عن الليبيين الامازيغ ، تر: محمد مصطفى اعشي ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، 2004
- 269 . هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، تر: عبد الاله الملاح ، ابو ظبي: المجمع الثقافي ، 2006
- 270 . الوافي علي عبد الواحد ، علم اللغة ، ط9 ، الجيزة : النهضة المصرية للطباعة و النشر و التوزيع ، 2004
- 271 . وجيه حسن محمد ، مقدمة في علم التفاوض الدولي الاجتماعي و السياسي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت: المطبعة السياسية ، 1994
- 272 . الوريديغي عبد الرحيم ، فاس في عهد الاستعمار الفرنسي 1912-1956 ، ط1 ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، 1992
- 273 . ولز ه.ج ، معالم تاريخ الانسانية ، تر: عبد العزيز توفيق جاويد ، ج 2 ، ط3 ، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب
- 274 . ولسون كولن ، مابعد اللانتمى ، تر: يوسف شرورو- عمر يمن ، ط5 ، بيروت : دار الآداب
- 275 . وليكينز اليزابس ، مبادئ العلوم الاجتماعية ، تر: فادية عمر الجولاني ، ط1 ، الجيزة : المكتبة المصرية للنشر و التوزيع ، 2010 ،
- 276 . الياده مريشيا ، البحث عن التاريخ و المعنى في الدين ، تر: سعود المولى ، ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2007
- 277 . يحي جلال ، المغرب الكبير الفترة المعاصرة، ج3 ، القاهرة : الدار القومية للطباعة و النشر ، 1966
- 278 . يحي ابي زكريا (اخوان خلدون) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الجزائر: مطبعة بدير بونطانا الشرفية، 1903
- 279 . يعفان كمال ، اليهود تاريخ و عقيدة ، ط1 ، القاهرة : دار الاعتصام ، 1981

280 . يورت ل.ديلا ، بلاد ما بين النهرين : الحضارتين البابلية و الاشورية ، تر: محرم كمال ، ط2 ، القاهرة :

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997

281 . يوسف احمد ، المشهد السياسي العربي 2000 ، في : احمد زكي يماني واخرون ، الوطن العربي بين

القرنين : دروس من القرن العشرين و افكار للقرن الحادي و العشرين، مجوث و مناقشات الندوة التي نظمتها

وحدة الدراسات بدار الخليج للصحافة و الطباعة و النشر، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية

، 2000

282 . يوسف بوراس ، الفكر السياسي عند مالك بن نبي ، الجزائر : دار هومة ، 2013

283 . يوسف موسى محمد ، نظام الحكم في الاسلام ، القاهرة : دار الفكر العربي

284 . يوليوس ليس ، اصل الاشياء ، تر: كامل اسماعيل ، ط2 ، دمشق : دار المدى للثقافة و النشر ،

2006

الكتب باللغة الاجنبية:

Albert Camus, L'homme Rèvoltè , Tizi Ouzzou : Edistion L'odysee , 2010.

Ali sidqi azaykou , histoire de Maroc ou les interprétations possible , rabat : centre tarik ibn zyad , 2002.

Anas Bensalah Zemrani, La fiscalité face au développement économique et social du Maroc, rabat: éditions Laporte, 1982 .

B. G. Martin , Muslim Brotherhoods in Nineteenth-Century Africa ,F.e , Usa : Cambridge University Press, 2003 .

Charles G. Guedon, Who's Who in the Arab World 2007-2008 , De Gruyter Saur .

Christian Bardot,Guillemette crouzet , fabien perrier , Moyen-Orient et Maghreb , pearson éducation France , 2010.

D. J. Mattingly , Imperialism, Power, and Identity: Experiencing the Roman Empire , Princeton University Press , 2011 .

David Miller , Political Philosophy: A Very Short Introduction ,F.e, New York: Oxford University Press , 2003 .

David S. Potter , A Companion to the Roman Empire , blackwell publishing ltd , 2010 .

E. J. Hobsbawm , Nations and Nationalism Since 1780 : Programme , Myth, Reality ,S.e , UK : Cambridge University Press , 1992 .

Edmund Burke III , Prelude to Protectorate in Morocco: Pre-Colonial Protest and Resistance :1860-1912 , (Usa : University of Chicago Press) , 1976.

Elias N. Saad , Social History of Timbuktu: The Role of Muslim Scholars and Notables 1400-1900 , United Kingdom : Cambridge University Press.

Eric O.Hanson , Religion and Politics in The International system Today , Uk: Cambridge University Press , 2006 .

Ethel Davies , North Africa: The Roman Coast , usa , 1998.

Fait Muedini , Sponsoring Sufism : How Governments Promote Mystical Islam in Their Domestic and Foreign .

Guillaume Denglos, la revue Maghreb (1932-1936), paris: l'harmattan, 2015.

Guy Halsall, Barbarian Migrations and the Roman West 376-568, U K : Cambridge University Press.

Halil Inalcik , donald quataert , An Economic and Social History of the Ottoman Empire 1300-1600, Volume 1 , Cambridge University Press ,1994.

Henry Louis Gates, Jr.Emmanuel Akyeampong , Mr. Steven J. Nive , Dictionary of African Biography, Volumes 1 a 6 , Oxford University Press.

Huri Islamoglu-Inan , The Ottoman Empire and the World-Economy , U K : Cambridge University Press , 2004 .

Jamie L. Perez , Noah: Mankind's Second Chance ,Volume 2 , United state of america : iUniverse Inc , 2002 .

Jamil M. Abun-Nasr , A History of the Maghrib in the Islamic Period , Cambridge University Press .

jean jacques rousseau , The Social Contract , Tran: G.D.H Cole , New york : Cosimo Inc , 2008 .

Jean Piaget , Structuralism :Psychology Revivals , F.e , (New York : Psychology Press) , 2015.

Jean-Marie Guéhenno , The End of the Nation-state , Trans : Victoria Elliott , (Minneapolis : university of minnesota press) , 1995 .

John Renard , The A to Z of Sufism , united state : Scarecrow Press Inc , 2005 .

José Casanova, legitimacy and the sociology Of modernization , in : Arthur J. Vidich - Ronald M. Glassman , Conflict and Control: Challenge to Legitimacy of Modern Governments , first edition , (United state : Saga Publications Inc.) , 1979 .

Kathryn Hinds, Goths : barbarians!, United state : library of congress cataloging-in- publication data , 1962 .

Kevin Shillington , Encyclopedia of African History ,Volume 1 , United state : library of congress cataloging-in-publication data , 2005 ,

Margarita Di Az-Andreu,Timothy Champion , Nationalism and Archaeology in Europe , F.e , (New York : Routledge) , 2015.

Maurizio Passerin d'Entrèves , The Political Philosophy of Hannah Arendt , Usa : Routledge , 1994 .

Michael Billig , Banal Nationalism , F.e ,Uk :Saga ,2010 .

Michael Dumper,Bruce E. Stanley , Cities of the Middle East and North Africa: A Historical Encyclopedia,united states of amirica .

Michael Scott Doran , Pan-Arabism Before Nasser: Egyptian Power Politics and the Palestine Question , New York : oxford university press inc , 2002 .

Nacer eddine , chroniques de la Mauritanie sénégalaise , paris : Ernest Leroux ,1911.

Nic Fields , The Roman Army of the Punic Wars 264-146 BC , Osprey Publishing ltd , 2007.

Nigel Bagnall , The Punic Wars, 264-146 BC , north america , osprey publishing , 2002 .

Nile Green , Sufism: A Global History , Oxford : Nile Green , 2012.

Penny M. Von Eschen , Race Against Empire: Black Americans and Anticolonialism, 1937–1957 , F.e , Usa : Cornell University Press , 1997 .

Peter M. R. Stirk , Twentieth-Century : German Political Thought , Gb : Edinburgh University Press , 2006.

Policie , first edition , united state : palgrave macmillan , 2015 .

Richard A. Gabriel , Scipio Africanus: Rome's Greatest General , virginia ,potomac books , inc ,2006 .

Richard Little / Michal smith , Perspectives on World Politics , T.e , Usa: Routledge , 2006 .

Rita J. Markel, The Fall of the Roman Empire, Colorado : twenty-first century books, 2007 .

Roger Scruton , The Plagrave Dictionary of political Thought , T.e , New York : The Macmillan Press , 2007 .

Sahar Bazzaz , Forgotten Saints: History, Power, and Politics in the Making of Modern Morocco , Usa : Harvard University Press , 2010 .

Saul Newman , Power and Politics Poststructuralist Thought , New York : Routledge , 2005 .

Subrahmanyam Chandrasekhar , Newton's Principia for the Common Reader , F.e , New York: Oxford University Press , 1995 .

Susan M. Akram and Other , International Law and the Israeli-Palestinian Conflict: A Rights-Based Approach to Middle East Peace , Usa : Routledge , 2011.

Thomas Hylland Eriksen , Ethnicity and Nationalism:
Anthropological Perspectives , S.e ,(London : Pluto press), 2002.

Thomas L.Pangle , Political Philosophy and god of Abraham , Usa :
The Johns Hopkins university press , 2003 .

Yael Tamir , Liberal Nationalism , (Uk : Princeton University Press) ,
1993.

الاعمال الغير منشورة:

ولد احمد محمد محمد فاضل ، (المديح الديني في الشعر الموريتاني الفصيح : النشأة و مراحل التطور) ،

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة ام درمان : السودان ، 2010

المجلات و الدوريات :

شوقي الزين محمد ، صنم الحقيقة و رمز المقدس ، في مجلة مفكرون ، العنف و المقدس ، العدد 5 ،

خريف 2015

المواقع الالكترونية:

<http://elaph.com/Web/news/2011/5/654699.html>

<http://alkhaleejonline.net/articles/1426166532485544900/%D9%87%D9%84-%D8%AA%D8%B5%D8%A8%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D9%86>

<http://www.france24.com/ar/20110912-morocco-gcc-algeria-three-question-camille-sari-economy-specialist-incorporation-organization>

<http://studies.aljazeera.net/files/gccpath/2015/01/2015114124159988287.html>

<http://www.hespress.com/politique/42422.html>

الفهرس

9	المقدمة
1	الفصل الاول: الاطار المفاهيمي العام للدولة الوطنية المعاصرة
6	المبحث الاول: جينولوجيا الدولة
10	المطلب الاول: التطور التاريخي للدولة
35	المطلب الثاني: الدولة تدقيق مفاهيمي
50	المطلب الثالث: علاقة الدولة ببعض المفاهيم
68	المبحث الثاني: ترمينولوجيا الدولة الوطنية المعاصرة
69	المطلب الاول: بنية الدولة الوطنية المعاصرة: مقارنة تفكيكية
93	المطلب الثاني: مفهوم الدولة المدنية المعاصرة
95	المطلب الثالث: مفهوم الدولة الوطنية المعاصرة
96	المبحث الثالث: ايتمولوجيا القطر والوحدة
97	المطلب الاول: سيمنتيقا القطر والوحدة
101	المطلب الثاني: القطر والوحدة: مقارنة تاريخية
107	المطلب الثالث: علائقية القطر والوحدة: جدلية ام توفيقية
110	الفصل الثاني: واقع الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي

- 113.....المبحث الاول: كرونولوجيا الدولة الوطنية المعاصرة في المغرب العربي .
- 115.....المطلب الاول: المسار التاريخي .
- 166.....المطلب الثاني: التكوين الاجتماعي .
- 182.....المبحث الثاني : اتحاد المغرب العربي و الممانعة المغاربية .
- 183.....المطلب الاول : اتحاد المغرب العربي و مسار التأسيس .
- 187.....المطلب الثاني : متلازمات الصراع : النزاعات الحدودية ، التعليم .
- 206.....المطلب الثالث: التقارب الخليجي المغربي .
- 209.....الفصل الثالث: السيناريوهات المستقبلية في المغرب العربي بين المتنوع و المسكن .
- 212.....المبحث الأول : الدولة القطرية كوضع راهن و خيار مستقبلي:
- 213.....المطلب الاول : الدول المغاربية و تراجيديا الانفصام الهوياتي .
- 229.....المطلب الثاني: زوولوجيا المجال المغربي : قابلية الحرب البينية .
- 232.....المطلب الثالث: الهندسة الغربية و داعي التدخل الانساني .
- 237.....المبحث الثاني: ديناميكا الدولة القطرية وفق الميكانيزيمات الحدودية العالمية .
- 238.....المطلب الاول : الميكانيزيم الفوبي: دول مجلس التعاون الخليجي .
- 243.....المطلب الثاني : الميكانيزيم الوظيفي : الاتحاد الأوروبي .
- 245.....المطلب الثالث: استحالة التبنى و التوفيق .

الخاتمة 253

الفهرس 290